

ستيفن أوزمنت
فرانك تيرنر

الألف
كتاب
الشاف
١٤١

التايخ من شتي جوانبر



الجزء الثالث

ترجمة: د. أحمد حمدي محمود



الهيئة المصرية العامة للكتاب

النايج من شتى جهات
مطالبات في شتى العصور

الألف كتاب الثاني

الإشراف العام
و. سمير سرحان
رئيسة مجلة البدايات

رئيس التحرير
لمشعل المطيعي

مدير التحرير
أحمد صليحة

الإشراف الفني
محمد قطب

اليدخل الفني
علياء أبوشادي

التاريخ من شتى جوانبه

مطالعات في تاريخ الغرب

مؤلفه
سٲٲٲن اوزمنت
فرانك سٲرنر

ترجمة
د. أحمد حمدي محمود

الجزء الثالث



دار للنشر والتوزيع

١٩٩٤

جلد هي الترجمة العربية الكاملة لكتاب :

THE MANY SIDES

OF HISTORY

By : Steven Grinton/Frank M. Turner .

الفهرس

الموضوع	صفحة
التجسس للمختصر - الدراما والتصميم	٧
مستود الامبراطورية الالمانية	٢١

مسابها

الامبريالية والعرب والثورة	٥١
عناد الامبريالية	٥٣
الاشييون في مواجهة النيران	٨٥
اشطرابات عمال يتروجراء في الحرب العالمية الأولى	١٠٧
مشور الشباب « الفالده » من الانجليز	١٢٩

ثامنا

المراجعة الملطوية والتيلوماكية في منتصف القرن العشرين	١٥٥
خرافة القويقشات	١٥٧
تجديد المناضلين وتدريبهم في بداية عهد النازي	١٧٧
كيف ظهر تالبه شخصية متأين	٢٠٧
ميثاميات النازية - السياسة الخارجية الالمانية	٢٣٧
ميونخ ١٩٣٨ : لمواجهة العسكرية	٢٥٧
للذاتو : للتحالف النرويجي	٢٧٩

التعمس للتخضر - الدراسة والتعليم

يوجين ويبير

تميزت عملية بناء الأمم في أوروبا في القرن التاسع عشر بتطورها .
واستطاع الناسة والدبلوماسيون والعسكريون يادوار بالفة الأهمية .
أما الدور الذي لا يقل عن ذلك أهمية فكان الدور التعلق بتوطيد الإحساس
بالانتماء الى أمة بالذات عوضاً عن الانتماء الى إحدى المقاطعات أو أحد
الأقاليم ، وإحلال قيم « نواطنة » والعضادة القندية محل القيم الدينية
والقيم العلية ، وكانت المؤسسة التي أدت هذا الدور الأخير هي « المدرسة »
التي بثت القيم العلية ، وزودت التلاميذ بالمهارات التي تستلزمهم على
المشاركة في الحياة الاقتصادية والسياسية الإرحب مجالاً .

ولم يزل مهمة إعادة خلق المواطنين عن طريق التعلم - كما بالأمة
في حالة فرنسا - بشمة تطورها وصعوتها ، خصوصاً بين أهل الريف
القيمين في الأقاليم . فبالذات اشتملت على عمليات إنشاء مدارس جديدة ،
وزيادة عدد المدرسين للتدريس على نحو أفضل ، وتوطيد الإحساس بالانتماء
إلى الأمة للتعلم ، وقبل ثمانينات القرن التاسع عشر ، كان للقيم التعليمية
الفرنسية القرب الى العفوية والعشوائية ، فكان أبناء الفلاحين يعمسون الى
أن يصبحوا الفادين على المشاركة في متطلبات الخدمات الدينية ، مما أدى
الى إكتفاء المدارس بتدريس مرسيتها كدرباً هزلاً ، يساعد على أداء
هذه المهام الى جانب اشتغالهم في مهام أخرى ، وكانوا يتزودون بالقليل
من المهارات الوترية الاتصال ببيعة المزارع الذي يفتح الأرض ، وفضلاً
عن ذلك ، فلم يقتصر الأمر على اتصال معظم الفلاحين بالأمية ، ولكنهم في
الكثير من الأحيان كانوا لا يتكلمون الفرنسية ، ولكنهم يتكلمون لغة القرب
الى « البطوة » (*) أو اللهجة المحلية .

Peasant and Frenchman : The Modernisation of
Rural France 1870-1914.
Eugen Weber

تلا من كتاب

(٢٠٠)

وفي بواكير ثمانينات القرن التاسع عشر ، وقعت زلزلة جوف فبرى ،
 اتبعت الحكومة الفرنسية بعض السياسات التعليمية التي ترمى الى تحويل
 العلم الفرنسي للعمل في شخص اشبه بالملكية الى التعليم الفرنسي
 العلماني ، وكانت اللغة الفرنسية تعلم الى جانب تاريخ فرنسا وجغرافيتها
 فرنسا ، وعبادة اخرى ، حلت الدراسة العلمية محل الدراسة الدينية .
 وكان تعلم يدرس ايضا السلوكيات والصحة . وساعد أسلوب التعليم
 الذي اتبعته المدارس الجديدة على توسيع الحق الطفل القروي ، الذي بدأ
 يدرك شيئا فشيئا ان يكتسب المهارات المكتسبة والشهادات الدراسية ان
 تفتح الطريق امام انواع جديدة من العمل اقل عمرا من فلاحه الأرض ،
 وبدا اوليد أسر الأطفال يدركون ايضا ان مهارات القراءة والحساب التي
 تعلم بالقرس فائدتها في عالم الزراعة ، بعد ان ازداد اعتماد السوق
 الوطنية اعتمادا مباشرا على حياتهم ، ودفعتم المدارس الجديدة للتلاميذ
 - سياسيا وثقافيا - الى ادراك وجود عالم يتجاوز حدود قريتهم ، والى
 اعتبار انفسهم مواطنين فرنسيين ينتمون الى وطن اكبر .

لقد نسب الى المدرسة ، والى مدرسة القرية بصفة خاصة ، الالتزامية
 والحرية ، فضل الصلابة التنقيبية التي حولت الفرنسيين الى شعب يفسر
 بهويته الفرنسية ، ويعرفهم معنى الحضارة ، كما يسيل كثير من الربيب الى
 القول ، ويظهر معلمو المدارس في زيهم الرث كأنهم مبلغي العصر الحديث
 ورسول التنوير وحملوا الدعوة الى النظام الجمهوري الذي يمثل المواطنة بين
 كتل البشر الراخنة تحت ثوب الظلم والظلمات ، والعالم الجديد وما يزل
 فيه من فضل ورفاهية وديمقراطية . وأشار للراغبون الى أن المدارس
 كانت موجودة بالفعل قبل ثمانينات القرن التاسع عشر ، ورغموا المزاعم
 المضمرة والبيانات الصريحة التي تزعم عدم وجود تعليم شعبي في ظل
 النظام القديم ، بيد أننا سنرى ما يقرب من صحة الصورة التي
 عدت من المصانق المسلم بها الآن عن حدوث تغير حقيق في الخطوة
 والاتجاه والآخر في عهد الجمهورية الثالثة ، على خريطة وضعها في سياقها
 الصحيح .

والسباق له أهميته . فليس هناك من ينكر وجود المدارس قبل ظهور
 جيل « فبرى » ، وباعداد كبيرة ، ويصح هذا الحكم ايضا عن التعليم الحر
 الى حد كبير . غير أن ما جعل قوانين الجمهورية تبدو أكثر فعالية ، لم يكن
 مطالبتها جميع الأطفال بالالتحاق بالمدرسة ، ومنحها هذا الحق لهم ، وحتى
 التحرر عند الأخذ به بحسب . فقلنا ان لا ننسى دور ورقة دور العلم
 والمدرسين ، وما شق من طرق سلعت الأطفال على انتهاجها في طريقهم
 للمدرسة . ولا ننسى ايضا أن ما جعل المدرسة تبدو شيئا ناقما عظيم

الأثر هو الاحساس بأن ما تقدمه المدرسة أشياء حافلة بالدلالة ، به
ما جرى من تبدل في القيم والمفكرات .

وعا أهدف إليه في هذا الفصل هو رسم صورة للنظام المدرسي في
هذا السياق بالذات ، وبيان كيف توام هو والتغيرات المذكورة آنفا
وساوضح أن تجاهه كل ركنا من أركان عملية شاملة متكاملة . فلم
تكتسب مواد التعليم أهميتها عند القائلين بتخليها إلا بعد أن قامت
للمدرسة بتعليم موضوعات لها معنى ، ولم ينظر الناس إلى المدرسة بمنظار
الجد إلا بعد أن اتصلت سامحتها بالاحتياجات والمطالب التي ظهرت حديثا .
وبعد أن تنبعت إلى ما ينقصها من أشياء . فلم يكن الدافع وراء التماق
الناس بالمدرسي هو مجرد كونها أشياء محتاجة لهم أو مفروضة عليهم .
ولكنه الدفع الذي تمكنت من تحقيقه لهم . وكان لابد من حدوث تغير في
العالم حتى يتحقق ذلك .

ولقد أرغمت المدارس التي أنشأها الفلاس وخاصة الناس للطبقات
الأفقر من الشعب قبل الربع الأخير من القرن التاسع عشر - امتسا مع
طبيعة الأشياء - إلى إعطاء الصدارة لما يستحق هذه الصدارة ، ورئي أن
الأشياء الأولى بالصداقة هي الأشياء التي يمتد أسئلة العلوم في
أهميتها ، يعني قدرتها على الهرف بالمفرد وترتيل فقرات من الفلاس
اللاتيني . وكان تعليم لوليات القراءة والكتابة والحساب ، أمرا نادرا
قبل الثورة ، كما ذكر لنا هنت ه يون ه (١٨١٠) . وكان المدرسون
قليل الاهتمام بالتعليم العام الرحيب الأفاق . وأخصى بملك النوع الذي
يهم السوداء الأعظم ، وعلى أية حال ، فإن علة كبيرا من المدرسين كانوا
يعلمون ما باستطاعتهم تعليمه من مادة متواضعة على قدر الحال ، وحتى
١٨١٦ ، لم يطلب من المدرس أي دليل يثبت حصوله على شهادة أو يوضح
ما لديه من قدرات ، وعلى الرغم من أنه كان بالإمكان علاج هذه الناحية
في المدن الصغيرة والكبيرة على السواء ، إلا أن تعليم جوامع
الشعب كان يعاني الأمرين ، وظل يعاني على هذا النحو لبعض الوقت
تحت تهديد عسا أشخاص (يذكرونا تعريف الكتاب في مصر) مثل
اسدي الشخصيات التي كانت تحكم في المدرسة الثانوية في يون (٣) .
الذي كان فصله الدراسي لا يكس بطرقة لائقه وملنا بالمعناك ، حتى
يعلن المعروف على المواطن كولو وسط أسجة المناكب المذعة حوله ،
خصوصا عندما يلقى دروسه وهو يرتدي - كعادته - جلباب توم
وقنابة ه .

وكان الفصل الدراسي ومعنى الدراسة مفككي الأوصال ، ففي مدينة (مول) ، تدعى جندار بأكملها أنه عراك آخرى تشب بين المدرس وتلاميذه ، وفي ١٨٥٠ ، كانت هناك مدرسة (*) تشغل ساء مخبر موجود سقفه منفصل عن حوائطه ، مما أدى الى تساقط الحليد داخل الفصل فوق رؤوس المدرس وتلاميذه ، وإبان سبعينيات القرن التاسع عشر ، سمعنا من قففت أحد الأسقف واتهمار لرسنيات الفصول ، وعن وجود نوافذ بلا ألواح زجاجية ، وأحياناً لا توجد حتى النوافذ ذاتها ، وعن الاقتصار في تهوية الفصول على ما يتسرب من هواء من خبائث المداخل ، وكان من الصعب التفرقة بين الأحياء السكنية وأحياء المدارس . نكاد المدرسون في بعض المدارس (**) أو روحاتهم يتهشرون أو تهشرون بأعمال البيت وتجهيز وجبات الطعام وغير المسمى أثناء الدرس ، بل وكاد بعضهم ينام داخل الفصل الدراسي فوق سرير يتطوى ، ولعل هذا كان خيراً ، فلولا ذلك لما كان من المستبعد أن يصبح الفصل المدرسي مزبل التزود بالأثاث ، وتفتقر بعض الفصول الى المناضد ، ولم يتوافر في بعضها في ثمانينيات القرن التاسع عشر إلا المقاعد فلا وجود لأي وسائل للتدفئة لكتفاء بها يشع من الأجسام من حرارة ، فلا عيب إلا سمعنا أحد عمد ١٨٣٥ يصرح بأن أنفاس (الميائل) تساعد على توفير درجة حرارة معتدلة ، ثم لقد كانت معظم المدارس تصنف بظلمتها ووطوبى جرحاً ولزدهامها ، وقلة تهويتها ، وعدم وجود أثاث بها أو فضيحة أو وسائل تبليئة ؛ وكللت تماهى من الروائح الكريهة ، وكتلة المذبح عند المقادير أو دابور هانز ، ويجلس المدرسون والتلاميذ وسط تيارات الهواء الفاضة بالصحة ، ناصحاً بالصفاء المدرسة بالقيح ومناظرها القروية ، ولم يتوافر في أغلبها أي حوش أو مرابض ، وفي ١٨٤١ : كتب إسمه المقتضى يصف مدرسة فقال لها خالية من أية بالوعة أو مجوالة ، أو غير ذلك من الأدوات الصحية . ولقد أقامت بعض المدارس سائراً في الشتاء في دكان المدارس الخلفى لكي يستقر خلفه من يريدون قضاء الضرورة ، وتنتزع الأوساخ المتراكمة من قبضه الضرورة من حين لآخر لاستعمالها كسباح ، وهذه هي بداية التقدم الذي لم يكن معروفاً منذ عشرين سنوات مضت .

وفي خمسينيات القرن التاسع عشر ، لم يكن هناك في بعض المدارس (***) أية حرائط أو سيورات أو منافذ أو ثفت لتلاميذ ، وبحمل كل تلميذ لوحاً من الخشب يضعه على حجره للكتابة - ويدولى المدرس

[Pas-de-calais] Moule

(*) في

Eure et Loire

(**) في

Nourvion-en-Thiérache (Aisne)

(***) مثل

عملية من ريش الكتابة ، وعندما يستلعي للإشهاد في الكنيسة تنوب عنه أخته أو مراقبة الفصل ، ولا تجزى في هذه الأثناء شغل نفسها بتجسير السلطة وتنظيمها . ولم تكن هذه المظاهر من الحالات غير المألوفة . ولابد أن تكون مثل هذه الأحداث المخالفة للأعراف الرسمية قد عطلت الكثير من المدارس ، رغم تمتد جواربها المقررة . وعندما ينضم شغل الفصل الدراسي في قاعة القرية . لم يكن من المستغرب أن تضم حله القاعة في أحد أركانها دولاباً لحفظ سجلات المواطنين ، ولا بأس من إقام أحد المستولين على فحص ريش أوراق هذه السجلات أثناء القاء الدروس ، أو تكليف المدرس نفسه ببعض مهام بيعة من وظيفته . ولا مانع أيضاً من إقامة الاحتفالات المدرسية في نفس هذه القاعة حتى لو حدث ذلك أثناء القاء الدروس .

أما المدرس نفسه ، فيمثل مشكلات أخرى ، ففي النصف الأول من القرن التاسع عشر ، لم يكن هناك ما يحول دون اختياره من بين الجود الرديف أو كونه سبابت القرى ، أو حلاقيها أو من خدم الحانات أو البقالين ، ولا بأس أيضاً من الاستمارة بأحد القرويين من أنصاف للتعليم عند الحاجة إلى مدرس ، وكان هناك صيغة من بين خمسة عشر مقرباً من مختلفين بالتدريس (١٨١٥) من المجرعين السابقين ، ولكل شخصية معلم القرية . نوتون ، التي حلتها بزراد ، والتي انتهى بها المطاف إلى الاشتغال بسرقة البئر ، وخرق كعب الأذى في بعض الأحيان ، وبالمنقول منها تنموه الحاجة إلى ذلك ، والتي لا يفتي أبداً ، كان بلا مراة من النماذج الانسانية المألوفة أثناء حكم نظام يوليو الملكي (عهد الامبراطور نابليون الثالث) . وبوجه عام ، كان معظم المدرسين يشتغلون أعمالاً أخرى ، ابتداء من فلاحه لرضعهم (أو قرض شخص آخر) فرائدا في إحدى المدن (٢) أحد المدرسين يحتفظ بغيره في الفصل الدراسي ، وترقيع الأذية وحفر القبور إلى الاشتراك في كورس كنيسة القرية أو في تولي الأعمال الكتابية لمسجلات القرية ، وحتى في ١٨٧٢ ، عندما ضم المدرسون أنفسهم وارتفع شأنهم نوعاً عن حالتهم السابقة في ثلاثينيات القرن ، وأبداً ما حل بمعلمهم ، أو ربما بما تعرضوا له سبيماً ، إذ كان ٣٩٥ من مدرسي المدارس العامة (٣) يشتغلون بأعمال أخرى غير عملهم الأصل ، فكان هناك ٣٠٩ يشتغلون بالسجلات و ٢٧٣ في الكورس ، وفي عزف الأرغن بالكنيسة ، و ١٤ كموظفين بالكنيسة أو قراصين بها . أو مسئولين عن حق أجراسها ، وكان من بين المدرسين من قبح بالعمل كيواب أو كناس

Entre et Laitre.

(٢) لم

(٣) في نفس الميمنة للسليمة

أو حقار للقبور • بينما كان هناك عشرة من العاملين في صناعة التبغ ،
واثنان من عمال التفاراف و ٣٦ اختصوا ببيع صكوك التأمين •

لقد امتشهدت في الفترات السابقة بما جاء في تقارير مفتحي
المدارس ، وقد أوردوا قرائنوا جزو في المذكرة التفسيرية للقانون الذي
أصدره يوسف وزير المعارف الصادرة (٥) • وطالب جرو كل «كوميونته»
أو صناعة من كوميونات الأحياء بإنشاء مدرسة إعدادية ، أو تولي أعمال
صناعتها على أقل تقدير ، وأعاد التقرير تأكيد معايير الأهلية للتدريس ،
التي سبق تحديدها في المرسوم الملكي ١٨١٦ ، وأعاد أيضا التنبيه
بتحريم فتح أية مدرسة ، إلا إذا حصلت على شهادة رسمية بإماعتها مثل
هذه الشروط ، ونص القاتون أيضا على قسام كل قسم بفرد ، أو
بالاشتراك مع الأقسام المجاورة له ، بإنشاء دار للمعلمي لتدريب مدرسي
المرحلة الابتدائية ، وحقت هذه الخطوة نتائج سريعة • ففي ١٨٢٣ ،
كانت فرنسا تضم ٣٦٤٢٠ مدرسة يؤمها مليون ومائتا ألف من الأطفال •
وفي ١٨٤٧ ، تضاعف عدد المدرسي ، وزاد عدد تلاميذها عما يقرب من
لأنة أضعاف العدد السابق • وفي نفس الحقبة ، زاد عدد دور المعلمين
من ٢٨ دارا إلى ٤٧ دارا ، ولهذا الواقعة أهميتها • لعلنا أن لا ننسى
أن المدرسين جميعا في المدارس الإعدادية العامة في منتصف ثمانينات
القرن التاسع عشر قد تخرجوا في أغلب الظن من هذه الدور أثناء حكم
ملكية يوليو ، وأنه يصرف النظر عن تحقيق ذلك في خطي وكبسة ،
إلا أن تدريبهم قد ساعد على ارتفاع مستواهم فيما تلا ذلك من سنوات •

حدث التغيير الكبير التالي في ثمانينات القرن التاسع عشر •
وما كان من المستبعد أن يحدث ذلك في وقت أبكر ، لو أتيت الفرصة
لوزير المعارف ليكتور دوروي لتنفيذ المخطط الذي وضعه ١٨٦٧ ، ولكن
الظروف لم تساعد على تحقيق ذلك ، وظلت معظم مبادراته مجرد مشروعات
محفوفة في خزانة الملفات ، وفي ١٨٨١ ، ألغيت جميع المصاريف المدرسية
والمرسوم في المدارس الإعدادية العامة • وفي ١٨٨٢ أصبح الالتحاق
بالمدراس العامة أو الخاصة إجباريا • وفي ١٨٨٣ ، كلفت كل قرية أو
كل قرية عدد تلاميذها في سن التعلم من ٢٠ بإنشاء مدرسة إعدادية
عامة • وفي ١٨٨٥ منحت إعانات لبناء المدارس وصناعتها ولتفع مرتبات
المدرسين • وفي ١٨٨٦ ، وضع صديق دراسي للمدارس الإعدادية • إلى
جانبي إجراءات متعددة للتفتيش والرقابة •

(*) François Guizot (١٧٨٧ - ١٨٧٢) المؤرخ ووزير المعارف كان

استادا للتاريخ في السوربون (١٨١٢ - ١٨٣٠) وله مجلة مؤلفاته تاريخية مشهورة •

ويرجع أحد أسباب التخلي البطيء في نحو الأمية - والذي لم يرد
أى ذكر له حتى في أفضل البيانات الخاصة بالتعليم في فرنسا - على
شيء للعشنة ، إلى أن الكثير من البالغين - ومن الأطفال تبعاً لذلك -
كانوا ممن لم يتعلموا اللغة الفرنسية - ففي ١٨٦٣ ، ورد في أحد التقارير
الرسمية أن ما يقرب من سبعة ملايين ونصف المليون - يعني خمس سكان
فرنسا ، لا يعرفون اللغة ، وإن كان حتى هذا الرقم غائراً شك - ومن
غير المستبعد أن يكون العدد الصحيح أكثر من ذلك بكثير ، لا سيما إذا
لخصنا إلى هذا العدد من كانت دراستهم باللغة مجهولة إلى أبعد حد .

وكانت أكبر مشكلة واجهت المدارس العامة في الكومونات التي
لا تعلّم الفرنسية ، وفي عدد قليل لا بأس به من ٩١٢٩ مدرسة أخرى
كان من المفروض أنها تدرس اللغة الفرنسية هي كيفية تدريس اللغة
لأطفال لم يتحدثوا بها قط ، أو يلقون صعوبة في سلفها ، فالزعم الدائم
التردد بأنهم يتململون لغة وطنهم ما ألهه كاد سيبدو حقيقياً عند هؤلاء
الأشخاص الذين كانت أمهاتهم لا تفهم أية كلمة منها ، وقد علق أحد
الكتاب (*) على ذلك فقال : إن أطفال لورجيه كانوا مرغمين على ما هو أكثر
من إتقان القراءة والكتابة بالفرنسية ، إذ كان عليهم تعلم كيف يلعبون
ذلك باللغة الفرنسية ، أي بلغة أخرى غير اللغة التي شربوا على النطق
بها ، وترتب على ذلك ، أنه في حالة كثير من منهم ، كانت الفروس التي
تلقى عليها في المدرسة ، لا تترك أي أثر في أذهانهم أكثر من الأثر الذي
تتركه اللاتينية في أذهان معظم من يتخرجون من المدرسة الثانوية ،
فالطفل يعود إلى تكلم لغة البطون عندما يرجع إلى بيته ، وتبدو الفرنسية
في نظره لغة مفصولة على الملأ ينساها بسرعة لأنه لا يتكلمها قط ،
ومن الفاجية الرسمية ، ووجهت للمشكلة بتجاهلها ، وإزغام حتى من
لا يفكرون على الإحاطة بكلمات قليلة منها إلا فيما ندر ، أن يعلموا - كما
يجلت في المظان - أن ما ينبغي أنه يكون صحيحاً بعد صمدتها ، وأن
ما يعرفون أنه صحيح ليس كذلك ، - فاولاً - أن لغة الوطن هي اللغة
التي يتحدثها أبونا ولنا ، خصوصاً أمنا ، والتي يتحدثها أيضاً أقراننا
المواطنون ، ومن يخطبون نفس لغتنا مثلنا - ثانياً - أن لغة الأم عندها هي
الفرنسية ، هذا هو ما جاء في كتب لامتحانات الحش ١٨٧٢ - ومن
الساحة غير الرسمية ، واصلت المدارس كفاحها لجعل الشعر حقة ،
فعلن فردينان بريسون النار الهادي للتعليم في الجمهورية في ثمانينات
القرن التاسع عشر . - إن تعلم لغتنا الأم ، لغتنا السامية الجيدة هو

لهذه الإنسانية للمراكز الإعدادية ، أنه تختل له طابع وطني . ولكن هذا القتل أثبت أنه طويل نوتشال .

وما كان هذا ليحدث لو ظلت المدرسة بمنأى عن المواد الأعظم من الأساس . وهذا ما تحقق في الربع الأخير من القرن ، فلقد طالب معظم الفلاحين باستعمال أولادهم بالعمل والإسهام في تعزيز ميراثية الأسرة ، وعندما كانوا يرتضون إرسالهم للمدرسة ، كان هذا عادة من أجل غرس أوجد . وهو تهيئهم لعملية التعميد (التنصير) ، وهي من الطقوس الخاصة لنتجاش ، وبمجرد تحقيق ذلك ، يسحب الطفل من المدرسة . ويوفد الآباء أولادهم للمدرسة ليخضع شهود قليلة في الشتاء قبل التعميد . هكذا همهم أحد مدرسي برون ١٨٦١ . ولعل هذه الفترة القصيرة لم تكف ما هو أكثر من تعليم الصلوات . وكم بلغت هذه المهمة مصيبة لأطفال لا يعرفون كيف يقرؤون ، ولما كانت عمليات التنصير تجري في أبطر وقت مستطاع ، أي بين سن الماشرة وسن الثانية عشرة . وترتب على ذلك أن تضاعف عدد الأطفال الذين تخرج أبسأولهم ممن تجاوزوا هذه السن إلى درجة كبيرة . وسرعان ما ينسى الأطفال القليل مما تعلموه ، غالباً عن طريق التفتيش ، ثم يرتضون ثأية إلى حالة من الجهالة التامة .

وعلى أية حال ، لقد كانت مدارس الريغة ضعيفة الإثراء والاجتهاد لتلاميذها ، وتشجعهم على التكلم . ولو حتى شغبية التعرض لتعصبي الأطفال الأكثر تمسكاً للتعليم ، لما الآباء ميؤور الحال ، من لديهم الحافز والمهارة على اتحاق أطفالهم بالمدرسة لمضي الوقت ، فانهم كانوا يؤثرون إرسالهم إلى المدن التجارية أو إلى إحدى المدارس الداخلية . والأهم من ذلك هو ما حدث عندما أدرك المنحطون من أسر أوثر ميسرة أو يسرا . أن الدراسة قد تلعب دوراً في نشاطهم الذي سيحيي فيما بعد . فانهم استنوبوا أو حفظوا ما هو أكثر مما تعلموا ، وكان الآباء يولون عملهم القدر الأكبر من اهتمامهم ، وبذلك أتت الفرصة لأبناء الفقراء للالتحاق بمدارس القرية ، لأنه لم يكن لدى الآباء الوقت الكافي للالتفات إليهم . وكان لديهم مبرر أقل لاستغلال عمله الفرصة لأقصى حد بلقد يفوق أقرانهم الأفضل حالاً .

أما متى وأين سجلت أسماء الأبناء في المدارس فمسألة تأتي في المقام الثاني من الأهمية ، لأن ما يهم ليس تسجيل الأسماء على هذا النحو . وإنما هو مواظبتهم على الحضور ، واختلفت هذه الحالة من إقليم لآخر . تبعاً لاصلوب التيسر فيه ، ولكنها نزعزت بوجه عام إلى جعل السنة الدراسية مقصورة على شهود الشتاء . وكان الأطفال بوصفهم عمالاً ، بالفعل ، أو بالقرية ، يتفرغون للدراسة عندما لا يكون لديهم أي عمل آخر على

الاطلاق - وكفى قيودا : لم يكن هناك من يقول : « لقد انتهى الطفل ثلاث سنوات ، ولكنهم كانوا يقولون : لقد انقضى ثلاث سنوات » في المدرسة ، التي دخلها معه جنس نادر أبو غرة ، وبعد عودة النازحين الذين قام بمساعدتهم للعودة من حيث جاؤا ، وانه ترك المدرسة في الاخير مارس او بداية ابريل عندما عاد النازحون مرة أخرى ، وبماثل في مسائل العلاج والنجور التي توافر فيها قدر كبير من المدارس الامدادية في قرانا الساتية والاكوخ اكثر من أي أقسام أخرى ، اعتاد الأطفال العمل معهم السنة ، مع عدم الانتظام في المراسلة لاكثر من شهر قليلة في الشتاء ، وبذلك يسون في هذه الفترة الفاصلة كل ما تعلموه ، وكان المتعلمون الوحيدون من الممراسات هم البنين والبنات ممن توافرت لهم أو لهم السبل الكافية للاعتناء على انفسهم بلا عون من أحد ، ومن جهة أخرى ، لم اقليم حريس ، حيث السنة القلوس الطويل ، كان حلة أمالة قد سمعت على مكون الأولاد بالمدرسة لفترة أطول ، وعلى التقاطهم أكبر قدر من العلم ، غير انه حتى في حالة عدم تعاون الأولاد للوعظ ، فانهم كانوا يتركون المدرسة في شهر مارس أو ابريل ، وفي لوزير ، كان الأولاد يظهرون للمدرسة أربعة شهور في الشتاء على الاكثر ، وبعد الفصح ، يقتصر الأمر على مقابلة الأولاد للمدرسة التي إما أن تطلق أو تتحول إلى ليادات صباكية - وفي اقليم مانتى - كان الآباء يهملون بالمادة عند تركهم أولادهم بالمدرسة خلال السنوات التي لا يستلحقون فيها القيام بها هو أكثر من القبول حول البيت ، ولكنهم كانوا يرغبون في اخراجهم بمجرد اكتمال سنتهم ، أو في وجه الدقة ، عندما يكونون في الفصل أولئك صلاحياتهم للتمتع (١٩٦٢) ويستخلص الآن كمران بأن اشتغال الأطفال بالمهارة لم يخف الا شيئا ، أي بين مسجونات وثمانينات القرن - وعلى أية حال : في نهاية القرن ، كان بوضع المتعلمين أن يلاحظوا حدوث انتظام أكبر في المواظبة على تحصيلهم بالمدرسة في الشتاء ، ولم تعد المشكلات المتواصلة من عدم المواظبة تنصب الا على باقي شهور السنة - وكان هناك أكثر : ولكن للتوفيق أو لتعلم .

ولقد وصلنا الآن إلى الحجب الرئيسي : لعدم الاكراه : بعدم الكتب ، والتي رآه أحد الكتاب (١) أنها متوطنا بالاقاليم ، فلقد توافرت لقراء أبناء الحضر فرصة استخدام مهاراتهم التي اكتسبوها في مدارس الإبرشية ، وملاحظة فرص الأوقات بمراكزهم الاجتماعية من طريق حثا التعلم ، أما في الاقاليم ، فان مثل هذه المهارات لم تحقق الا القليل من النجاح ، ولم يترتب على عدم وجودها الا القليل من الضرر والخسارة ، ولم يكن هناك الا القليل من التصديق في الطبقات الكنيقة من الشعب ،

التي يريسون فيها ، يستطيع النضول أو الاجتهاد أن يحد متفلاً للانطلاق عنها . ولقد أسقط احصائيات قنريه (*) لأن شاعلي المقاطعة د لم يظهروا إلا القليل من الميل لدراسة العلوم والآداب البعيدة عن الإبتدال أو للتشريف في القنون الرقيقة . . ويظهر هذا الكلام مترواً للصخرية حتى يبين لماذا لا تعد عنه الحالة متيرة للتحفة : د بعيداً عن مصادر الإلهام والدوق ، فانهم نادوا ما مروا بحالة تصاعدهم على ادراك فيضهم أو (اكتشاف) موضوع للتناقض (والباري) عليه . . لقد كانت موضوعات التناقض نادرة في الأمالييم ، أما مصادر الإلهام فكانت أندر .

ورئي أن المدرسة عديمة النفع وما يعلم بها لا يمت بأكثر من صلة واحدة بالحياة المحلية ، وحاجة بناتهم ، إذ كان المعلم يدرس النظام المتري في القياسات بينما كان الفئاض هناك مقاييس بالية (**) . . ويقصدون الأسفار بالفرانك ، بينما لا يعترف الناس بغير اللويس والايكوس . فيا قية اللغة الفرنسية ، إذ كان الجميع يجحدون البطوة . وتعلن التعليمات الرسمية اعتماداً على أحد المناهين بالنهجة المحلية . ويوجه عام بوسمنا القول بأن المدارس لم تكن تعلم بالفرنسية . ولكنها كانت تعلم قواعد نحوية غبية . ولم يكن للمدرسة أية صلة بالتطبيقات العملية ، فكانت بمثابة ترف أو شيء كمالي في أفضل الأحوال ، أو مظهر من المظاهر الفارغة لا أكثر ولا أقل ، وأشار كوربان إلى اليور للمهم الذي قامت به هذه العوامل في تأثيرها على الانقراض للاهتمام الذي ظهر عند الآبلد والأبناء ، فتمسحاً أراد والده مارتين نادو إرسال ابنه للمدرسة اعترضه الجيران والاقارب وقالوا ان تعليم ابنه الأمالييم عديم الجدوى . ولن يتبع لهم ما هو أكثر من كتابة بعض الرسائل . وحصل أحوال من الكتب . وأحق المدرسون والمدرسة في اثناع الترويين بالفائقة التي تطلقها القراءة والكتابة . واكتشف الآباء ان عزولهم له ما يبروه ، لأن هناك اختلافاً هيباً بين حال من يلتحقون بالمدرسة . والآخريين الذين لم تطل أقدامهم مثل هذا المكان ! ومنها وسط فرديسان بريسون بين ضعفه الاقبال على المدارس والانتقاد إلى الاهتمام بالزرايا المعنوية التي يتوقع أن تنجح للأطفال . كان يتبع التقليد السائد - غير أنه إذا تبيّن للكافة الفهم المصل الذي بمقدورهم فهمه ، فإن المشكلة ستتكشف وتتخذ أبعاداً يمكن السيطرة عليها . وقال أحد عدد القرى ان أهل الريف لا يرون إلا في صورة علمية أية ثقافة فكرية أو معنوية . لا تمت بصلة مباشرة أو ملحوسة بالنفع المادي . . وهذا كلام سخول . فليل أن يرغب إلى شخص لرسائل ابنه للمدرسة فإن عليه أن

يتخلل ، د عن المصالح المادية المادية ، باختيارها الشيء الوحيد الذي يستطيع أن يفهمه - وليس ذلك كذلك - فكلما تقدمت المدرسة على حصر هذه المصالح ، يجد الناس في اليوم ٢٢٢

وما أصعب لتوضيحه هو الحاجة إلى الخبرة الشخصية لالذات الآخرين
يحدو التعليم - لقد تعرف بعض المؤلفين من الريف إلى المدن على هذه الحقيقة ، ولعلنا رأينا كيف استطاع هؤلاء الناس وأبنائهم إدراك ذلك عند وقت باكراً : « قيمة التعليم والفائدة التي بمقدور الشخص أن يجنيها منه في مراكز الكسرى » ، فخلال النصف الثاني من القرن ، كانت المواطنة على الذهاب للمدرسة في بعض البلدان أعلى بكثير من نسبتها في بلدان أخرى (٥) . وحده حائل آخر للمواطنة بعد صدور القانون العسكري ١٨٧٢ ، ولا يرجع ذلك إلى الاستمالة عن التعليم ببداية أخرى وأما يعزى ذلك إلى ما حققه من سميريات للاندلس على القراءة والكتابة . وتهدية المبدئين الأوسيين باستغنائهم في الخدمة سنة إضافية أخرى . وبادرت السلطات المدرسية بالانشار إلى هذه الأوجه من القانون لاتخاذ الآباء بالحق اساتهم بالمدرسة ، وفي مدينة إيرير على إعلان في كل فصل ، وطلب من المدرسين قراءته ومناقشته مرة كل أسبوعين على الأقل ، فلما منهم بأن أداء واجب وطني واحد سيساعد على تخفيف عبء الواجبات الأخرى

غير أن هناك جيوشاً أخرى كان يتأهب للظهور ، ولملنا لا يقل أهميته عن الجيش المحارب . أنه حقائق المواطنين المأميين والخاصين ، ولم يكن السبيل للانضمام إلى هذا الجيش المرمم ميسوراً إلا لخدمة الشهادات المواطنة ، أو حملة الشهادة الإعداوية بمعنى أصبح ، وكانت المدرسة الصاعدة في إدراجها نادر ماريو تلحق حريتها في الوظائف للمدرسة المتاحة في أقليمها أو في أي إقليم آخر ، بعد ما حدث من تقدم اقتصادي واجتماعي وسياسي ، فقلده زاد عدد المواطنين بالمدينة من ١٥ (١٨٧٦) إلى ٢٥ (١٨٨٦) ، بالإضافة إلى سبعة مواطنين آخرين كانوا يصلون في السكك الحديدية ، وساعدت العناية على تشجيع الطوبح ، إذ كانت (أمة الحلال) الشهادة الابتدائية تتيح لأي شخص فرصة الحصول على وظيفة في الكثير من دوائر الحكومة . وهكذا قيل للملايد المدارس في أحد الكتب المدرسية التي نشرت ١٨٨٠ : فالمواطن الحكومي يشغل وظيفة مستقرة ، وعلنا هو من زيادة الاتصال على الوظائف الحكومية ، (وإن فاتفك الميرى التمرغ في رواه كما تقول في مصر) ، ولما اتبعت الفرصة لكثير من الثرويين آثروا التخلي عن عمليات الفلاحة وانتقلوا إلى

(*) كانت القصة أخرى في Creuse منها في بلدان مجاورة مثل Haute-Vienne

Creuse ، يملك هذه الزيادة ٢٧ و 21٧ على التوالي ١٨٧٦

أعمال أخرى ، ففي ١٨٩٩ ، تحول لريمون من أهل قرية صغيرة (عند سكانها ٤٤٤) للعمل كموظف في مكان آخر ، فاشتغل أربعة منهم حيا في المدينة ، وتلقّت دار السوديّة (السن) حسيبي المدطليبا لشغل وظائف إدارية حديثة بها .

وساعد التطوير لشغل الوظائف الميسورة بعد تضخم الجهاد البيروقراطي على التوسع في التعليم - بيد أن هذه الهبة التعليمية قد انقضت - نسبيا - على المنحى للفئات الاجتماعية العليا - فهي عهد الجمهورية الثالثة . لم يكن السبيل متاحا أمام الأشخاص رقيق الحال للحصول على تعليمهم من (كمكة) التعليم ، ولم تيسر ذلك إلا بعد ظهور الوظائف التي ساعدت على تمييز مطلبهم ، وتبرير : وفي حوالى ثمانينات القرن التاسع عشر ، رأينا حتى أبناء القرويين يسلون على التعليم ، ويولونه تورا أكبر من الإهتمام ، وبعد أن تراكمت الوظائف ، ولم يعد الحصول على واحدة منها حلا في الأحلام ، ازدادت أهمية التعليم الذي يؤمن الإهداء إلى مثل هذه الوظائف النظرية ، بل ولغت الشهادة المحققة لهذه الغاية أكثر أهمية . وفي أواخر سبعينيات القرن التاسع عشر ، دامت المناهج هنا وهناك التي تضي بأثر الشهادة الدراسية ، ففي ١٨٨٠ ، لم يجرّد ييكون القول بأن الشهادة الدراسية قد أصبحت مقبولة شيئا لتبنيها ، وأدركت العائلات ما باستطاعة هذه الورقة المطلوبة (الشهادة) أن تحفظ في نفع باتاحتها فرصة التقدم لشغل العديد من الوظائف ، ومن ثم فإنها لم تانح في الكثير من الأحيان في ترك أبنائها بالمدراس أطول مدة ممكنة ، واحسنت المدرس تفضل أسوأ المواقع ، وكان مستولها أقل من مستوى البيت . غير أن الأولاد دخلوا للمعاهد إليها حتى عندما كانت تمتد في بيوتهم بمقدار ستة كيلو مترات ، بعد أن استقرت في أوضاعهم حكاية طبع الدراسة الإعدادية وضرورتها .

وبافتراق تسعينيات القرن التاسع عشر ، تحسنت امکانات المدينة وأصبحت ، وإرداد إدراك دور المدرسة في تحقيق طموحات المواطنين . وفي ١٨٩٤ ، درج كل طفل في إحدى قرى بروفايس من كانوا أقرب إلى الأمية الكاملة قبل ذلك بجيل من الرمان على الذهاب إلى المدرسة ، وكان بينهم حتى من يضطرون للتسبر نصف ساعة بين مآواهم وعندهم . وأصبح مشهد الأولاد الذين يستذكرون في المساء على صوة شجرة حافة في المشاهدة المألوفة . واقترعت المجالس البلدية على منح علاوات للمدرسين الذين يحصل تلاميذهم على الشهادة المشقودة - وأصيب العائلات بالهوس بهذه الشهادات ، كما يبين من شدة استغنائها بأى ولد يحصل على واحدة منها ، وعندما يرداد عند المحاولات الفاشلة للحصول

على الشهادة ، فإن هذه الظاهرة قد تحولت الى مشكلة تثار في اجتماعات المجلس المحلي . وعندما يكون التطور طبيعيا ، فإن الشهادة المراسمية - التي تكتسب ميزتها اللاديه مما يجعل أن تحققه - قد تصبح غاية في ذاتها . ولقد رأينا هنا صغرة تكتب بلغة وكيكة عبارة تقول فيها : ، يجب أن اعترف - بشرف الحصول على إحدى الشهادات المدرسية (٢) ، ولعلها عبرت بهذه الكلمات عن رأى الشعب في الشهادة (السريفيكا) وأصبح اجتياز الامتحان علامة مهمة تنافس في أهميتها مقرس التصير . ويذكر من مروا بهذه التجربة في ثمانينيات القرن التاسع عشر الأمثلة التي أحابوا عليها ، لأن كل صغرة وكبرة تنمق بيوم الامتحان ما زالت عائلة تداكرتهم . ولضرب مثلا واحدا من بين عدة أمثلة ، ينسب شارل دورو مصور أكاديمية الطب والأستاذ نكوليج في قرانس ، في معرض روايته لذكرياته عن الاحتفال بالتخرج في قرينه ١٩١١ : « يهلهوى لو أردت أن (أسمع) عن ظهر قلب التفاصيل الدقيقة لسؤال الحساب ، الذي دار حول إحدى عمليات البيع والشراء التي اشترك فيها بيتر ريبولاس » .

بطبيعة الحال ، لقد تسقت مكاسب أكثر فورية . فلم تعد هناك حاجة للانتقال الى أقرب مدينة لاستشارة أحد المحامين أو أحد المشراء المحاسبين ، عندما يراد تحرير كميالة أو شيك أو كتابة إيصال . أو اقبال حساب مسبق ، أو حتى كتابة رسالة عادية . هكذا قال أحد الأولاد الذي بلغنا الثالثة عشرة من عمرهم في قرية أوب . « ولم يده الملم بالقرينة والكتابة مططرا الى الفناء السراة أو الكشف عن صداقاته وحوصياته لطرف ثالث . وأصبح يتقوده الارتقاء في الفصل السياسي المحلي أو التسليم أو الجيش ، حيث يمكن الحصول على معاش طبيب بعد التقاعد وعلى لباسين ترصع صفراء بعد شغله إحدى الوظائف التي ترفعه الى مرتبة تطو مراتب العوام الوضعة » .

وكان العوام الوضعة ينقسمون بوجا من الفلاحين الذين تسفل مادجهم النطية صفحات كتب الأدب السائر . وتراهم يتعدثون لغة حالية من النحو وينسجمون عبارات مميعة ، ويستنون التصير بالنذر اليسير من المخرجات المتاحة لهم . ولا يملون الفضل ذكاه من الفلاحين الآخرين المحططين بهم . - ويفترض أن المخرج الوحيد من هذه الحالة هو التسليم الذي يطم النظام والطاقة والكفاءة وسبل النجاح والنصر . وربطت تقارير السنولين بين هؤلاء التعليم والأساليب الوحشية القطة ، « فسمعا

"être adoubé c'est un honneur d'avoir un certificat d'études" (٣)

لا يترك التعليم أثره ، تظهر نزعات جانبية . ومسالك لفظية ويزداد الهياج والاضطراب والتهور وتشيع المتاعب والصنوب ، فالقروض هو قيم المدرسة بتهديب الشرائل وغرس المصالح الحميدة وترقيق القلوب الوجهية ، إذ تساعد الصبح المهدية التي تلقنها المدرسة على تهذيب الوجهية والفظافة المشهورين من الفلاحين ، وبالتفوق نسبة السلوك المعصب والاضطرابات المهدية إلى آثار التعليم ، وشرعت المدارس في تعديل عادات الصحة البدنية والنظافة والآداب الاجتماعية والأسرية ، وطريقة النظر للأشياء والحكم عليها ، وتعلم الأطفال المسيحيون آداباً جديدة مثل كيفية تحية الزبلاء ، وكيفية طرق الأبواب وكيفية معاملة الأصحاب الوثوريين . وهناك قول يظهر أنه حائل بين اختلافات أبناء الحضرة وأبناء الريف والاختلافات المصرية ، البورجوازية يفسى عندها يفرغ كرشه ، والفلاح البريتوني يتكبر بصوت اجنى عندها يتلى كرشه ، ويتعلم الأطفال أن المصلحة ترضى الحالين على السواء ، وأن النظافة ركن أساسي من أركان الحكمة .

وتنهلت المدرسة بمور وليس في إرغام الأطفال على مراعاة النظافة . وإن كان الموصوفون قد بدلوا جهداً كبيراً لتحقيق هذا الهدف ، فكان التفشي يعمى بانتظام على القسم والاطفال والأدبين ، وتم تركيب المضخات لتوليد المياه اللازمة للنظافة ، وضعت ملابس الأولاد وسلكهم خارج المدرسة للنقص الخفيف ، وتعرضوا للشمس للتربيع المستمر . وقد نجح في من أحد التلاميذ للمدرسة ، الدراسة تفهم المنع ، وتصح الآراء الزائدة ، وعنايته على ترتيب الكلام والكتابة ، وتعلم حب العمل ، وتقدم للخدمة على حل المسائل ، وأداء الواجبات الصلبة ، فما الذي لتعريف عليه من الدراسة ؟ من بين أشياء أخرى الحاضرات الباردة حطرة ، والمواظبة على حضور الأعداد والمهرجانات واجب ديني ، وأن ما يلحق الجسم من ضرر من جراء العمل أقل مما يصيبه من الانحسار في المنفعة ، والمناولة تحسب الخير ، وتقلب الفرير ، والطباقي سم وإسراف صار ، وله أثر مهلك على ذاكرة المرء ، ومن يتعاطونه بأسراف يعيشون حياة أقرب إلى الحلم ، يعيشون أشبه ببيوت الموتى ، عاجزة عن الانتباه لأي شيء . ودون أكثرات بأي شيء ، ويسرقون في عشق دواتهم ، ولا يسي أيضاً دوس ، حول وجوليا ، اللذين كانا من الأغنياء ، ومن ثم فانهما لم يحرصا على الاجتهاد في المدرسة ، ونظراً لانهما لم يتعلما أي شيء فانهما شعرا بالانزعاج من ذلك من جهلها ، فكانا يحمران حجلنا عندما يهزأ الناس منهما ، وفي الأحطاط التي كانا يقمان فيها عندما يتحدثان ، نعم ليس

بمقدور أي سمة أخرى غير الممارسة تبديل السلوك البدائي (٣) . • للأحوال
البيئية نفسها تنمو ، وتساعد المدارس خريجيها على التكيف مع هذه
التغيرات .

بطبيعة الحال ، لقد حفظت المدرسة ما هو أكثر ، أو بمعنى أصح
لقد اضطلعت بهذه المهام على نحو أرحب . ولو حاولنا إجراء تصنيف لمصر
مهامها وحدودها ، كان علينا القول ، بأن المجتمع يتلقف ، والمدرسة تعلم .
فالمدرسة تنقل أنواعا مالدات من المعرفة القابلة للتعلم . أما المجتمع فيفرض
خلاصة ما يستوعب من تجارب غير الزمان بيد أن هذه الطفرة التي
تنطبق على مهارات وموسوعات معينة يجب أن تعمل عندما تنصب التعليم
القديم من قبل المدرسة على طاقات تختلف من مجتمع لآخر (كالتلفات
والمقاييس على سبيل المثال) أو بتجاهلها التعليم الاجتماعي (الوطنيه
مثلا) . وبعبارة أخرى ، فإن المدارس تزود بتعليم مكملة (وربما بتعليم
مضادة) لأن التعليم في المجتمع المحلي لا يتوافق هو والتعليم المطلوب على
المستوى القومي . هذه هي الحالة عندما تقوم المواد الدراسية بدور أساس
في غرس الثقافة . يعني تشكيل الأفراد لكي يتواءموا هم والمجتمعات
والثقافات الأرحب من ثقافتهم ، وانعاشهم بأن هذه العلاقات الأرحب هي
عالمهم بنفس القدر الذي يسبب لملهم الذي يرفونه ، أكثر من ذلك .

لقد وصلنا الآن الى أهم دور للمدرسة الحديثة ، أي التي لا تعنى
بتعليم الكثير من المهارات السالمة ، بقدر تركيزها على نوع من الوطنية
الجديدة ، التي تتجاوز الحدود التي يعترف بها عادة ضمن مفهوم المصطلح .
لقد استبدل الثوريون مصطلحات قديمة مثل المناظر والمواقف والمصير
بمصطلح مفرد التعليم الابتدائي (٤) . بالمقابل المكون يصل على إنشاء
الأمة ، غير أن الأثر المرحوب يسمى تحقيق الوحدة لمصر مزارع كالروج
الوطنية ، قد اعترف بالاعتقاد اليه في مستقبلات القرن التاسع عشر
ومبشريناته ، مثلما حدث أيضا قبل ذلك بشائين سنة .

وكتب أحد المربين الثوريين ١٨٦١ ، أن المدرسة عامل من العوامل
التي لها دور كبير في خلق الروح الاجتماعية . تعمل المدرسة أن تعلم

Arabic-Dutch.

(*) هكذا عرج

(*) استبدل الثوريون مصطلحات مثل *rechter* و *regent* و *schoolmeester*

بمصطلح *Instituut* . وأمل هذه الكلمة الأخيرة تحتاج إلى حرافة عربى مازال
غير موجود وهي واضح حجر الأساس للأمة . *Instituut* .

المشاعر القومية والوطنية . وتفسر ما الذي أجزته الدولة لهم . ولماذا تجبر الضرائب ، وتفرض الخدمة العسكرية ، وتسجن لهم ما يطفله الوطن لصالحهم . والطاهر أن هناك مهاما كثيرة تتطلب الإنجاز . فقلت هذه الفكرة تشغل بال المرء المخلص على الدوام . وبعد ذلك بمسرين سنة ، كان لابد أن يقال لطلبة دور المعلمين : « ان واجبهم الأول هو دفع المسئولين عن التعليم الى حب بلدهم وفهم أحوالها ، وبعد ذلك بشتر سموات ، تكرر الهمم الأكبر مرة أخرى ، عندما ظهر النزوع الى المطالبة بجعل التربية القومية روح تطعيم الشعب ، « بالمدرسة بمثابة « وسيلة لتحقيق الوحدة ورد على الميول الضالة التي تجمع الى الطرد المركزي - ولا خلاف على الاعتراف بكونها الركن الأساسي للدفاع القومي » .

فكما يتعلق بالتربية القومية عليك ان تذكر : ان الوطن ليس مرادفا للريتك . لان ولايتك هي فرنسا بأسرها . فالوطن اسمه بأسرة كبيرة ، « ان مثل هذا الكلام ما كان ليصرف بشتر اعتماد على حق ما من الرؤية البسيطة . ومن ثم رأينا تلميذا في الثالثة عشرة من عمره يقول على سبيل اداء الواجب ١٨٧٨ « ان الوطن هو است . انه استرك . انه شعبك (٤) . وبمبادرة أخرى ، انه بلدك فرنسا « وكتب آخر : « الوطن هو البلد الذي ولدت فيه ، وحيث ولد أبوك . ومستودع أغر الأفكار . انه ليس مجرد البلد الذي نعيش فيه ، ولكنه أيضا البقعة التي ينطقها . فالوطن هو فرنسا - . وكان التمرين المدرسي أنشيه بمطلة مصممة لتعليم الطفل ان واجبه يدعو للدفاع عن وطنه ، وإدراكه انه في سبيل الدفاع عنه (٥) « عندما تعرض فرنسا للتهديد ، عليك ان تبادر بعمل السلاح وتنهض لنجدتها » . « عليك ان تطيع الحكومة وتؤدى الخدمة العسكرية وتطيع الضرائب » . وهكذا .

وفي بداية الدواصة ذاتها ، يعلم الأطفال ان واجبهم يدعوهم الى الدفاع عن بلادهم بالانخراط في سلك الخدمة . فالجيش يتألف من احوانا وآباءنا أو أبنائنا . ولعل هذه النقطة تثير غريبة بعد العلماء الذي كان سائلا في الماضي صمد الحدود والحدودية ، وتردد الأساويت عند استغلالها المذكور بهذا الواجب المقدس في عماوات كهنوتية . ان اولادنا سيبدفون عن قربة الوطن . ويتركز البرنامج المدرسي بأسره على التوسيع في إبراز هذه الفكرة على أسماء شتى . ففي دروس اللغات الرياضية يقال : « انها قرى الى اسماء فكرة الانضباط عند الطفل ، واعلانه كمي يجمع حتميا مخلصا ، وفرنسيا مخلصا ، وكان الأطفال يقرمون بالمشيد مثيرة مثل تشيد « راية فرنسا « ومشيد « الديدنان المقود » و « المارسلير » .

وسمعت الأوامر بتأليف موسوعات انشائية حول الفكرة بعد تحديده
 عنوانها وفروعها « رسالة من جدى شاب الى والديه » : ويعرف الجدى
 أهله في الرسالة أنه يحارب ضد أعداء الوطن ، وأنه قد أصيب بجراح ،
 وهو فخور بذلك (وعليهم أن يتماثلوا معه في هذا المصير) لأنه يرف
 دمه في سبيل الوطن . ويقرر المدرسون بعد شعور بعض الأرباب
 دعوهم بجنابهم « في عرس حب الوطن اعتمادا على الفكرة بأحداث من
 التاريخ تربط أذنتنا بوطنا » . ثم ناسنهم هذا الشعور ، ناهضهم
 تبنو فرنسا قوية وحسورة عندما كتبه » .

ولم تكن هناك سبل لتلقين الوطنية والتكيف الوطنى الأفضل من
 الاستفادة بالتاريخ والجغرافيا ، ولا سيما التاريخ ، لأنه إذا أحس تعليمه
 سيكون « الوسيلة الوحيدة لترسيخ معنى الوطنية في الأجيال التي تساعد
 على مستقبلها » . فهل استطاع القول بوجود قوى اجتماعية أخرى تساوى
 هذه الدروس في طبع حب الوطن في الألفية وأشمال حدود هذا الحب ؟
 ومن أسف أن معظم المدرسين لا يفرقون التاريخ ، كما يجب ، وما يرفونه
 في الجغرافيا أسوأ حالا من ذلك . فملصقا القوا في حوالى سبعينيات
 القرن التاسع عشر على تعليم تاريخ فرنسا - أو شرعوا في ذلك - جمعا
 الى رص السكة البقاع والتواريخ ، وقبلها ذهبوا الى ما هو أبعد من القرون
 الوسطى ، ونجاهلوا التاريخ ، وغايت الحضارة في برامج التعليم . هذه
 هي المبررات التي أوردها فليكس بيكو ١٨٧٦ في معرض شكايته وأردف
 قائلا : « ان المقتور الاعتماد على التاريخ الفرنسى لتكوين المواطن الفرنسى
 والتعريف بالوطن الحر ، وغرس محبته . الا أنه لم تتم حتى الآن أية
 محاولة أولية في هذا السبيل » . وليس في هذا ما يشع النهضة . انه من
 حصلوا على شهادات من المدرسين بين ١٨٥٠ و ١٨٦٨ ، لا يزيد عددهم
 عن نصف عدد المستغلي بالتدريس ١٨٧٩ » . ولم يفوسوا التاريخ
 الفرنسى قط ، ولم يعرفوا عنه أى شئ . هذه هي الكلمات التي جهر بها
 أحد مختشى المدارس في فتده ، وقد قالها وهو يشعر ببعض الأسى ولقرر
 آخر (٢) . « لقد بدأ المدرسون انطباعا - ما زال غير مألوف وباذرا - يعرض
 الأحداث الرئيسة في تاريخ فرنسا ، ولعل أنسب مرجع تناولها على هذا
 الوجه هو كتاب لافيس « السنوات الأولى لتاريخ الفرنسى » . وقبله
 حصص هذا الكتاب مأكلة لبيان كمية بروغ الوطنية الفرنسية والوحدة
 الفرنسية والمبررات التي ساعدت على ذلك . بعد الانتقال من التركيز على
 الوطن الأصغر الى الكلام عن الوطن الأكبر (٣) . وقيل للأطفال انكم

grande patrie	ش	grande terre	في (*)
		petit patrie	في (**)

عنصرا تكمونه ، متصلون كم انتم مدجون لأبائكم ، ولذا يعتبر واجبكم الأول هو حب وطنكم فوق أى حب آخر ، لأنه وطن آبائكم .

وكما لا تمه اللغة الأم من لغة الأمهات ، كذلك نظر الى الوطن (للوطن والاب كشيء أكبر أو كشيء مختلف) عن المكان الذى عاش فيه الآباء . وطوبى ببرنامج واسع من الدروس التى يستند على التفنن لاقناع الشعب ، يستعاد الوطن الى ما وراء حدوده الواضحة ، الى ما هو أبعد ، وإلى أطراف بعيدة ، من التمدد لمسها ، تدعى فرنسا ، وكان البالغون يرحبون فى حالة تخلف شديد التوغل فى نفوسهم ، وكان من الصعير اقناع حتى الأطفال وغم لأبائهم للتشكل ، بغير استعانة بالذبح الودلية للمواد التى لم يتيسر توافرها الا فى مسيحيات القرن التاسع عشر . ففى ظل الامراطورية الثانية (مايلبون الثالث) ، لم يكن الأطفال يعرفون أية مواد جغرافية ، ولم يروا أية خريطة ، ولم يعرفوا أى شيء عن اقليمهم أو وطنهم (٢) . نعم لم يعرف الأطفال شيئا البتة عن مكانة بلادهم ، أو حتى عن وجودها (٣) . وبذلك أصبحت معرفة الجغرافيا حاجة ملحة (٤) .

وبدأت الخرائط تلتحق بمجرد بدء الحرب الفرنسية البروسية ، وتوزع بمعرفة القولة ، وبدأ توزيع الخرائط بمدارس المدن ، ثم ورحمت بعد ذلك على مدارس الأكاديم - وفى ١٨٨٠ ، لم يبق هناك الا فصول قليلة تغلو ولو من خريطة واحدة مهما كان صغر حجمها . وليس مستغربا ان لا تريد الخريطة فى بعض الفصول عن كونها مجرد حلية ، ولكنها فرست فى وثمان الكاتبة صورة الشعب بالقومي السخس الاخلاص . وذكرتهم بأن العه الفرعى يجب أنه يقع على نهر الراين وليس على نهر فوسج . وكانت هذه الخرائط أيضا موزعا قوية للخرافات التى يتوجب على الحقول المتتية استيعابها ، أى لم تكن مهمتها توكيد معنى الوطن فحسب ، وكما بدأ عسيرا تحقيق هذا المطلب الأول - وبالأستطاعة تبين ذلك من المنشور الذى صدر ١٨٩٩ عند توزيع بعض اللوحات المحصنة : « لساظر من مختلف البقاع الفرنسية ، لتصريفه بطريقة حيوية مفهوم كلمة وطن » .

ان المدرسين ينفون . « ويتوقع أن يكون دافعهم لذلك ليس حب الفن أو العلم فحسب . . . وإنما يجب أن يكون هذا الدافع هو حبهم لفرنسا . » انها فرنسا ، التى يجب غرس الايمان بها فى وجدان جميع من لا يؤمنون بذلك . لقد استعصى عن الاله الكاثوليكي الاصطلاحي (٥)

Loet-et-Garonne
Dordogne.
Doube
Par(louari t

(١)
(٢.٣)
(٤.٥)
(٦.٧.٨)
(٩.١٠.١١.١٢)

التي لم يؤمن بوجود هوية بينه وبين الوطن سوى انصار جبهة التصحيح
بعد منتصف القرن ، قد استمضت عنه باله علماني يمتثل في الوطن ،
ورموزه الحية ، والجيش ، والعلم - وحلت دروس علوم الدنيا محل
المنطق الدينية ، وحل التاريخ القديس لمرسا محل التنوير الثوراتي ،
الذي احذر في المناموس العلمانية ، فلقد تحولت فرنسا الى ما هو اكثر
من مجرد ملكية للتمثيل ، نعم لقد أصبحت اثنا باستطاعة الجميع
الاشتراك فيه وتعضت عن ذلك نتائج مهمة لصالح التسلسل القوي ،
ومستبقت حرب ١٩١٤ صيحة علم الحكم *

بين ان تأثير المدرسة ذهب الى ما هو ابعد من ذلك ، فاولا ، لقد
بدت اللغة الأدبية أو اللغة المكونة التي يتعلمها الأطفال في المدارس
مساوية في غايتها للغة المتطورة ، وبنت نفس التي باللغة الفرنسية
المتطورة ذاتها في نظر الناطقين باللغة المحلية ، وفي عبء أخرى ، لقد
بدت المدارس عمليا بنشر لغة مصطنعة ، وهذا يصبح حتى بالنسبة
للمتحدثين بالفرنسية ، الذين كسفوا عن هذه الظاهرة الى حد كبير في
دروس الاملاء ، أي اداة اللغة الكلية للتمثيل ، التي تتجاوز المعرفة
المحلية ، وترتب على ذلك نجاح كثير من الطلبة في تعلم كيف يسرون عن
انفسهم وفقا لتعليمهم عندهم يلون الكلام شفويا ، ولكنهم كانوا
يصادفون صعوبة عند الكتابة أو التعبير عن الفكر في عبارات لينة من
الكلمات المكتوبة ، ويقفونوا التحقق من ذلك اذا رجعت الى ملفات تقارير
المندوبة ، التي كثيرا ما كتبت بأسلوب لغوي منقطع ففلاس ، ترى
فيه أبسط الأحداث بطريقة ملونة حواء *

ومن النتائج المثيرة لهذه الحالة (التي بدت هي مظهر أسوأ في
المناطق التي جنت لهجتها الى الانحرف) ان الأطفال ، استمروا شهورا
بل سنوات لا يفهمون عن أية دلائل على الفهم ، ويكتفون بمجرد تقليد
ما يرونه يجري امامهم - ولم يكن مستحبا ان تساعد التشريعات على
التشجيع على ارتكاب الجرائم ، عندما لا يكون الأحكام مناسبة ، ولا لتسوية
دور التعليم في نشر الفباء عمليا وضع معايير للغة الحديثة رأى كثيرون
تعدد الإحاطة بها ، وكتب مدوني من كنفال ، ليس بقدور أطفالنا الإحدا ،
الى ما يكفي من كلمات فرنسية للتعبير عن أفكارهم ، وليس امامهم - في
الحق - أية وسيلة للاعتناء اليها - وترتب على ذلك حدوث انفصال
بين التعلم المدعوم - الذي كثيرا ما يعتمد على التلقين - والاستيعاب
كما ساعد على امهال تقدم المدرس ، ووفر التذكر عنه ترجمة المتحدث
أفكاره الى اللغة الفرنسية السليمة ، وترتب على ذلك أيضا حدوث انفصال
بين الكلمة والواقع ، فكان بقدور كثير من الأطفال ، بهجي الكلمات دون

إن معنى المقاطع النهائية أي شيء عندهم ، ، يعني كان يستطيعهم القراءة ، ولكنهم يحفظون في فهم معنى ما يقرؤون ، أو التعرف على المقصود من بعض الكلمات المكتوبة دون معرفة بطريقة كتابتها ، أو إدراك الهوية بين كلمات تعلموها بالقرسية وبين الأسماء المحيطة بهم ، ووجه أحد ماضي الحواجز في دورود ١٨٩٧ المتقدمين بتولع تعليمهم اللغة التي تتكلمها عليه القوم واقتانهم الكلام بها يوما من الأيام ، وتوحي صيغة المستقبل المستعملة في مثل هذه الأحوال المستعملة صمير محتمل للتساؤل حول لماذا ارتفع ١٩١٧ عدد المدرسين الأحيين ارتفاعا طفيفا أكثر من الخاص المباشر ، ولعمل الإحامية على ذلك هي أن التحريم المطلق لاستعمال اللغة الوطنية التي ساعدت على تعلم الفرنسية كلفة ثائية قد حال دون تعلم اللغة الفرنسية الاصطلاحية ، وعاق استيعابها استيعابا كاملا .

إن هذا لا يعني أن الفرنسية لم تخط خطوات واسعة نحو الأمام ، فكله خطت هذه الخطوات ، ولكن الألام بالكتابة ظل امتيادا اجتماعيا كشكل للتعبير ، كما أن الفرنسية التي كانت تعلم بالمعارس وفي حصص الأملاد باتت للمسلمين بها كصندوق قوة للاشتراك في الكافة ، وأدت دورا مهما في تحقيق وحدة الفرنسيين ، ولعل هذا هو ما عناء مفتش إحدى المعارس واجبا بفكره إلى سنة ١٨٩٧ عندما قال ، ، لقد اعتاد الجهل أن يسبق المدرسة ، أما اليوم فقد انعكست الآية ، وأصبح الجهل يتبع للمع اعقاب المدرسة » .

بطبيعة الحال ، كانت هناك نتائج موجبة (من وجهة نظر المدرسة) ، وذهبت هذه النتائج إلى ما هو أبعد من الأفكار التي كتفح وضوحا مباشرا ، فكله خففت رموز الصور التي تعلم في المعارس لغة جديدة كلية ، وزودت بأبساط مستتركة يسترشدها ، مما أزال الفروق التي فرضتها الحدود الإقليمية ، وهي نفس الغاية التي سمت الوطنية القومية لتحقيقها ، فحيثما شاعت اللهجات واللهجات المحلية التي خلقت لهجات معزلة بعضها عن بعض ، كانت دورس المدرسة بهد تقنينها في شتى أنحاء فرنسا ، تعتمد في تعلمها على مصطلحات موحدة ، ففي جميع المدن أصبح الأطفال يألون الرموز والصيغ ، التي اعتنقت عليها فيما به السلطات والصحافة والسياسة لم شملهم في كيان واحد واحتدابهم ، فاستطاعت الدروس التي رسمت بعض الصلوات والارتباطات ويط الأجيال بعضها ببعض . فهاك أكليشيدهات معينة شاعت في شتى الأنحاء كوصف ملوك فرنسا بأنهم أكبر أبناء الكنيسة - والرماس هو النهر الذي يحمل الجميع فوق أمواجه - والشاعر هو الشخص الأثر عند إلهة المورا - وكامت توريين جنة فرنسا - وكانت جان دارك راعية اللوديس . نعم لقد حلت محل الأقوال المأثورة والأمثال أقوال تمثل النزعة القومية تمثيلا صحيحا ، وحل محل الأساليب

الانجليزية المحلية الساليم مغزولة عن الكتب - وارتفعت قلاع سمبانيا فوق
الأطلال المحلية ، وارتفع صوت نفاث الجول المحلية فوق صوت الجول
القابعة في الخطائر ، وظهرت أسطير الطوح بصورة الآن في مشاهد من
إيحاء التعليم ، أكثر إثارة من الأساطير المتواضعة السائلة ، والتي لم
تكن مألوفة بقدر أقل على ذلك العهد ، منه مجرد مظاهر من الصافية الواسعة
أبدى للتعويض التي ساعدت على خلق الموصلة الفرنسية وتجزئها .
وشاركت في الوقت ذاته في الدول الولايات المنافسة ،

وتعرضت للضعف المعلومات الثقافية للمجتمع الريفي ، التي كانت
قد برعنت بالفعل للخاص من تأثير التصورات المادية الساحة مما حدث من
تغير في القيم ، فأولا - لقد انحط تقدير العمل اليدوي ، أو بمعنى أصح
لقد تعرض الفهوى المألوف من الكدح الذي عرّف في هذا النوع من العمل -
فلقد ساعدت أرباب القدرة على الانتاج والادماج المدرسي الاعيادية السادة
لتشكيل المواضيع ، ومحتلت المدرسة العمل كقيمة احتلالية ، ولكنها انقلبت
العمل كشكل يومي من متطلبات الحصار ، وترسم الى مصطلحات مدرسية
(اسكولائية) النابض بين الروح للتوقفة الحساسية للشخصان (٢) والروح
التبلدة المتعائلة (٣) ، باعتبار العامل الجيد يعمل بيديه لقط ، أو يتعه
عليهما اعتمادا كبيرا ، أما الطرف الآخر فيتجنب العمل اليدوي ، وسرعان
ما أصبح الولد الكسول هو الشخص الذي يستل نصه للأعمال الفيزيائية
أو البدنية الصاقة . أما الولد القدام الجري، فهو الولد الأكثر كسلا عن
ليوذه وبراعته في عالم الكتب - وهذه نتيجة متوقعة ، بعد أن أصبحت
الكتابة الآن من نصيب من لا يشاركوا فيما كان يوصف بالعمل في صالقه
المصر والأولان ، غير أن ما حدث قد أحدث تصدعا - مرة أخرى - في
المظاهر المريعة للظلمان .

وفي العديد من البيوت ، اعتد السائون الأميون على لتيان صغار
لدهوى بما أصبح يسمى المهام الأساسية كالحسابات والمراسلات وتلقى
الفتحيات والقراءة بصوت مرتفع للوثائق والمستندات أو بعض فقرات من
الجريدة اليومية . وعمل المدخون المسون بالقراءة والكتابة في جميع
الستويات على تيسير التعرف على الأفكار الجديدة ، وبخاصة للنشر -
الذي سببت اليهم الآن بعض التغيرات العميقة في المناخ السياسي للقطات
الاقليم ، وعلى أية حال يكرّ القول بأن العلاقة بين مطالب المدرسة
والمطالب الاجتماعية لم تنفل في زعاتهم ، وقرن أحد الطرفين (٤) ، ولعله

Courtesy

(٤)

Subject

(*)

Monitors

(***)

له غُيُز من رُوح النُصُوة في كُليَّةه التي جاء فيها ، أنه بعد أن تسلَّم
الناس كيف يصيبون ، بعد أن تألمهم الكثير من عنت الفلاس والاملاق ،
رأيتهم يتجهون الآن إلى الاشتغال بالحسابات عوضاً عن استجلاء
الصُلقة ، ولأنهم هو أنه - وكما حدث في مقاطعة بريجاني ، ظهرت حلة
حسابية لتعليم الحيل الحديده الفرنسيه - ، ان الآباء والأبناء يمشون
عالمين منفصلين ومتصلين إلى حد كبير قى الروح - ويتكلم كل طرف
منها لغة غريبة عن لغة الطرف الآخر ، مما أدى إلى عدم اشتراكهم في
الأفكار والمشاعر ، فلا عجب إذا لم تتوقع بينهما أية علاقة حميمة ، بل
وربما كان الأغلب هو تنفر قيام أية علاقة بينهما . وأغلب الظن أن هذا
الكلام مبالغ فيه ، ويوحى بوجود ثغرة بين الأجيال يمكن أن تلجج بسهولة
أكبر في المجتمعات الحديثة أكثر من امكان لمحا في المجتمعات التقليدية .
ولكن حتى إذا سلنا بالمخالفة ، إلا أن الآثار الاكالة لأحد أنواع التعليم
على المجتمع ، والمتمنه على نوع آخر من التعليم ، قد باتت أمراً لا يمكن
إنكاره .

• وتماثلت المفكرس في الهجرة والسياسة والاقتصاد فيهما
أنته نه من إعتادات بوجود قيم بديلة وعبودية بديلة ، وبوجود الترامات
نحو كليات أخرى غير الحياة المحلية ، فلقد يسرت فكاً الأفراد من
قبضة هذه الجماعات المحلية ، واضطرت قبضة المفكاه الحضارية
والسياسة التي لم تلق أي تحد ، في سبيل تدوين مريدتها على الإيمان
بشيء آخر .

المراجع

- J. Altmatt, *Secondary School Reform in Imperial Germany*.
- K. Auspitz, *The Radical Bourgeoisie - The Legion de l'Enseignement and the Origins of the Third Republic 1866-1885*, (1982).
- D. R. Brower, *Training the Nihilists - Education and Radicalism in Tsarist Russia* (1975)
- J. Chandos, *Boys Together - English Public Schools (1899-1864)* 1984.
- R. Golder, *Education in Provincial France 1800-1914 - A Study of Three Departments*, 1983.
- J. S. Hurt, *Elementary Schooling and the Working Classes 1860-1918* (1979).
- J. C. McClelland, *Associates and Academics - Education, Culture and Society in Tsarist Russia* (1979).
- J. A. Mangin, *Athleticism in the Victorian and Edwardian Public School - The Emergence and Consolidation of an Educational Ideology* (1981).
- D. G. Pez, *The Politics of Working-Class Education in Britain 1830-1850*.
- L. S. Struminger, *What were Little Girls and Boys Made of ? Primary Education in Rural France 1830-1880* (1963).
- G. Weisz, *The Emergence of Modern Universities in France 1863-1914* (1983).

دستور الامبراطورية الألمانية

جوردون كريج

بعد أوتو فون بسمارك من أكثر من جانب مؤسس الامبراطورية الألمانية . وتسببت مخاطراته الدبلوماسية في توريكه بروسيا في ثلاث حروب في الحقبة الواقعة بين ١٨٦٣ و ١٨٧٠ . وظلت وحدة ألمانيا تحت زعامة بروسيا ، ولقد عمل بسمارك زهاء عشرين سنة أو يزيد مستشيرا لهذه الدولة ، شعر أن بسمارك قد وضع أيضا دستور الامبراطورية الألمانية . وإذا توخينا المثل فأن علينا القول بأنه قد وضع دستورين : أحدهما للنظام الكونفدرالي في شمال ألمانيا ١٨٦٧ ، والثاني للامبراطورية الألمانية التي أعلن انشائها رسميا في ليلة ثلثاء مارس ١٨٧١ . وترتب على هذا الدستور نتائج خاصة بألمانيا ، وأخرى خصت أوروبا في نهاية المطاف ، ولم تكن بالأقل أهمية فيما يتعلق بدبلوماسية بسمارك .

وكانت المصالح المكتوبة من بين الأهداف التقليدية للليبراليين السياسيين في القرن التاسع عشر بأوروبا . ولكن وكما استطاع بسمارك تطبيق الهدف الليبرالي لتوحيد ألمانيا بالاعتماد على المؤسسات المحافظة للجيش البروسي والنظام الملكي ، فإنه استطاع أيضا صياغة دستور مكتوب ساعد على حماية المصالح المحافظة ، وأتاح للمؤسسات المحافظة التقليدية السيطرة - بالقوة - على المؤسسات الليبرالية وتطرق ذلك عن طريق وضع سلطات هائلة تحت لواء الامبراطور ومستشاره ، وكان الرايشستاغ (البرلمان) يتمتع بحق المناقشة والموافقة . ولكن لم يكن من جهة من أية لوائح . وهناك سلطات محلية مهمة منحت لمختلف الولايات أو الحكومات الإقليمية ، مما أدى أيضا إلى حرمان الرايشستاغ من ممارسة مبادراته المحتملة . ولعل الأهم من ذلك هو استمرار استقلال الجيش . فزعم احتياج التصديق على ميزانيته إلى موافقة الرايشستاغ ، إلا أن الأمر انتهى بجعل مثل هذه الموافقة تشمل التصديق على ميزانية سبع سنوات .

تقلا عن كتاب Germany 1866-1945 تأليف Gordon A. Craig (١٩٧٨)

وحار المؤرخون والباحثون الآخرون دوماً حول المسألة لم يسع
 الرايشتاج لزيادة سلطته ، وكان من بين التسييسات الأثر الخاص
 بفلسفة هيجل السياسية ، وما يذكر عن اختلاق البولان الروسى فى كبح
 جماح النظام الملكى والجيش قبل ذلك فى مئتينات القرن التاسع عشر ،
 واحتراف الحقيقى مما قد يحدث لو ازدادت فاعلية الرايشتاج من اقدام
 بسمارك والامبراطور بكل مسطرة ، وعلى مسئوليتيهما الخاصة ، وبلااستناد
 الى الجيش ، على نشر دستور جديد ربما به أكثر نزوعا الى الاتجاه
 المحافظ . عموما لقد انسك الامبراطور بزمام السلطة وصنع القرار ،
 وشادكه فى هذا المقام من المختارهم من اعوانه الذين عينهم تعيينا
 مباشرا ، وبذلك خلق موقفا كانت له عواقب خطيرة الشأن أثناء الأزمة
 الدبلوماسية فى صيف ١٩١٤ .

كان من بين الرسائل المديدة التى تلقتها برلين من الحكومات
 الصديقة بعد الاعلان الرسمى عن انشاء الامبراطورية الجديدة ، رسالة
 من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ، وفيها يعنى الرئيس اوليس . س .
 جرات الحكومة الألمانية باسم الشعب الأمريكى على وحدة أراضيها ، كما
 كانت تتطلع منذ أمد بعيد ، ويحثها للقرار الذى اتخذته بالاقدماء على القيام
 بدور جديد على طريق اتحاد فيدرالى على نحرار الولايات المتحدة بالذات .
 إذ يفتت هذه القرار الرغبة فى تحقيق تقدم سريع نحو الديموقراطية
 وبركانها ، كما بين الرئيس بأسلوب لا تحوز الرقة .

ولا بد أن تكون هذه التلمحة الواجدة قد أثبتت حساس الامير
 بسمارك . بعد تلقيه الرسالة . كما بين من تأكيده الرسمى للرواد
 الأمريكان عن قانره الجديد بدستور الولايات المتحدة ، عندما وضع مخططا
 للدستور الألماني . ولا يستبعد أن يكون قد ذهب الى ما هو أبعد من
 ذلك ، عندما قرأ الدستور الأمريكى . غير أنه من الصعب اثبات استعارته
 أى شيء من هذا الدستور . إذ كان التشابه الذى اكتشفه الرئيس جرات
 بين الدستورين مبطنا ، مثلما كانت نبوءته عن مستقبل الاتجاه السياسى
 لألمانيا خطئة .

بطبيعة الحال عليا أن لا تعتمد فى المسوة على الرئيس الأمريكى .
 فلم يكن هو الوحيد الذى أحقق فى فهم دستور الامبراطورية الألمانية .
 والحق أن هذا الدستور عندما بحث فى صوره الأصلية باعتباره دستور
 شمال ألمانيا الكونفدرالية ، فصل بكتل عدد لا بأس به من الساسة
 الألمان من الذين انهموا بصياغة مصالح دولاتهم فى فهمه . ولم يفهموه
 إلا بعد أن قبلوه ، وأدركوا بعد قوات الأوان أنهم أساءوا تفسير بعض
 عبارات مشرى كيف تركتهم أثرها عليهم فهم الغريب العاجل .

كانت الامبراطورية اتحاداً مؤلفاً من ثمانى عشرة دويلة ألمانية مختلفة غير حجتها وانظمة حكمها ، وتضم هذه الامبراطورية أيضاً اقلية يديى بأوس الراين الذى يشمل على المقاطعات التى تستولى عليها من الاراس والنورين ، ويدير هذا الاقليم حاكم عام يمثل الامبراطور . وتناغم الحكومة الفيدرالية (الاتحادية) من سلطة تنفيذية تشل فى الامراطور وممثلتسيارده ومعاونتها وصى المجلس الاتحادى (٣) المؤلف من مبعوثى الدويلات التابعة للاتحاد ، وبرلمان (٤) وعلى يشكبه من لهم حق التصويت من الرجال ، عن طريق الاقتراع السرى .

وتتمتع السلطة التنفيذية الاتحادية بسلطات مهمة . وبخاصة فى الجوابب التى قد تؤثر على حياة المواطنى ومصارفهم . ويسيطر الامراطور على مختلف جوابب السياسة الخارجيه ، وله حق ابرام للمعاملات والمادة التحالفات ، وايضا حق اعلان الحرب وعقد اتفاقيات السلام ، ويتولى الامبراطور بحكم منصبه كقائد اهل للقوات المسلحة (٥) - وهذه فقرة حار المزعوم فى تفسيرها وتفسيرها - قيادة قوات جميع الدويلات الألمانية فى وقت الحرب ، ومعظم قوات هذه الدويلات فى وقت السلام (وان كان يمارس هذا الحق بصفته ملكاً لبروسيا ، وليس بحكم منصبه الامراطورى) - وسنعود الى هذه النقطة فيما به . ويتبع الامبراطور بسلطة التعميم فى المناصب وبتسلطات ادارية على قدر كبير من الاتساع والأهمية ، كحق اعلان الأحكام العرفية عندما تحدث اضطرابات أهلية ، ويحق له فى حالات الطوارئ عندما تشق إحدى دويلات الاتحاد أن ينفذ ما يتوأم وصالح هذا الاتحاد ، فليس حقه أن يجرّد هذه الدويلة من ممارسة سلطاتها على أرضها . ومن حقها فى السيادة ، وبالإضافة الى ذلك ، فإن له الحق فى تعيين مستشار الدولة وجميع الماملى الآخرين ، فى الحكومة الاتحادية ، ومزلهم ، وتأجيل اسقاد البرلمان ، وفرض دوراته ، واصفار جميع المراسيم الاتحادية ، وتنفيذها ، وأخيراً فإنه يتمتع بحق تفسير الدستور . وهذا امتياز ليس بالقنور للاملاة فى تقدير أخطاره ، وزعم بمشارك أحياناً فى سنواته الأخيرة ، عندما لهد صبره من القبود المقرضة على سلطانه . انه يحكم وضعه للمستور بعد التفسير الوحيد له ؛ غير أن المستشار لم يرد - فى الحق ، عن كونه معاوناً للامبراطور ، كما ثبت

Bundesrat.

Reichstag.

Kaiserlichegewalt.

(١)

(٢)

(٣)

ما حدث لسمارك . وزعم لايباند (٣) - أحد الثقات في تفسير هذه الوثيقة الغامضة ، أن الحاكم (الإمبراطور) هو الرسمى على المستوى .

ولكن الحكومة الاتحادية التي تصل من خلال البرلمان والفيلس الاتحادى ، متطابق تقريباً في نطاق الشريعة الاتحادية وحماية الديمقراطية الجبرية وتتمثل النقل والاتصالات والأشغال على النظام المصرفى وغيره من الشؤون وتمويل التعامل الدولى والمصاريف والوارثى وتمتع الامتيازات وبراءات الاختراع ، وحتى الاستشارة ، وبما فى الأنور الفقه المرتبطة بشطىق المصالح الاقتصادية والمالية .

ومن حقها حماية ضرائب الطرق والأسرة وغريبة المبيعات على بعض السلع كالسكر والملح والتطابق لمصلحة توكثيرويك كالكروية . والحصول على الايزادات المستحصلة من البريد والنفقات .

ويضع من هذا البيان أن الوثائق المضمومة تلجأت الاتحاد لده استقبلت سلطات كبيرة . إذ كان من حقها التشريع فى جميع المسائل المؤثرة على الحياة اليومية للمواطن . وسلامته . ورفاهية أسرته ، ومن ثم كانت هناك مجالات مهمة فى الحياة العامة كالتعليم والمؤسسات الصحية والشرطة خاصة لاختصاص دويلات الاتحاد أكثر من خصوصها للحكومة الاتحادية . ويضع هذا الحكم أيضاً من النظم الدينية . ويحب أن يلاحظ بالأساسية - أنه من الجوانب الثيرة للمهنة فى النظام الإمبراطورى اختلافه عن دتأثير بالأمم ، ونفى دستور ١٨٤٩ أيضاً ، لأن يستأنك لم يقصده أى نص من حقوق المواطنين وأعمال الحريات الأساسية ، وبالإضافة إلى ذلك ، فقد ترك أمر تنفيذ معظم القوانين التى تقرها الحكومة الاتحادية إلى حكومات دويلات الاتحاد . وللأجزاء الإمبراطورية التى تتخذ لهذا الهدف - وتدوى السلطات المحلية حماية ضرائب الإيراد العام والطرق ورسوم البريد المستحقة للحكومة الاتحادية ، وتسلمها لهذه الحكومة ، وهذا يفسر سر عروب دويلات الاتحاد عن تحمل تدعى الحكومة الاتحادية فى المسائل المحلية . ومن ناحية أخرى . فإن دويلات الاتحاد تتمتع بامتيازات لا تعطى بها الحكومة المركزية لأنها فى وحدتها التى تحبى الضرائب المباشرة . وقد حاولت الحكومة الاتحادية - بمقتضى - إحراء أى تعديل لهذا الامتياز . عندما تفاقمت الصعوبات المالية أمام عهد حكم الإمبراطور فيلهلم .

ولم تكن دويلات الاتحاد متصارعة فى حقوقها . فلقد انزعج الدويلات الأكبر مسرعة معينة من ميمارك نظير اشتراكها فى الاتحاد .

لما عقيمت جميع دويلات شمال ألمانيا ، والتي لم تكن مشتركة في كونهن ديارية
مسائل ألمانيا من الصراعات المروعة من النشأة والمجثوبات الزوجية صا
ساعدها على الحصول على نصيب الأسد من القدرات القومية ، وسمح
لملكتي بافاريا ولورنمبرج بالاحتفاظ بانظمتها الخاصة بالسكك الحديدية
والبريد والتلغراف ، وصنعت احتيازات عسكرية لم تمتد لكي تشمل
الدويلات الأخرى ، وكانت دورنبرج تعبر شتوت جيتشها وتعين معظم
ضباطه ، بالرغم من الخضوع كل ما يظهر من وحدات جديدة للجيش
النرويجي ، واحتفظت بافاريا بأمرها الكامل على القوات المسلحة في فترات
السلام ، واستمر وجود وزارة للحرب بها ورئاسة هيئة الأركان رغم
خضوع أنظمتها خضوعا دقيقا للقوت المسلحة البروسية - والصيرت
الحكومة البافارية أيضا كل الاحتفاظ بنظم الحقوق في التمثيل
الدبلوماسي . وأنشأت لجنة للتعاون الخارجية لمساعدتها على تحقيق
رغبتها في التأثير على وضع السياسة المرسومة . ويشارك في هذه اللجنة
عضوان صينيان وعضوان مجتازان . على أن الاستجابة لهذا المطلب لم
تكن ذات أثر يذكر ، لأن بسمارك لم يكن من المؤيدين بإطلاق اللسان
بمهام السياسة الخارجية . ولم يستمر اللجنة إلا مرة واحدة خلال
عشرين سنة من عمله مستشارا ليمبراطوريا .

ولقد أولجت دويلات الاتحاد سمويي للاغتراف في المجلس ٨ تصادق .
وكان من المستور لهم - نظريا - الاستماع بهذه الهيئة كوسيلة لتمثيل
المنشور لصالحهم ، عندما كان يعينهم القيام بذلك . غير أن لهم مذهب
لافت للانتباه في المجلس الاتحادي هو المركز القوي الذي تمتع به
بروسيا ، ففضل صياغتها وتأييدها على ألمانيا في شعولها ، لما كانت
تملك ٦٩ صوفاً من بين الأصوات الثمانية والخمسين في الهيئة . وكان
هذا الاختيار يلقى وزيره لستد الطرقي أمام أية تعديلات دستورية لمعري ،
وتكون في طهر صلتها ، وكان متنازك في البداية دائم التردد من توقف
بروسيا في صف الحكومة الاتحادية في المسائل الأساسية ، وفي احتمال
مراضها على أي تعديل دستوري مقترح يضر الرايخ الذي ساهمت في
إنشائه .

وعلى الرغم من كل هذا ، فقد احتفظت دويلات الاتحاد بسطات
واسعة جدا . وأثقلت هذه الظاهرة المدققين من وحب نبع الحكومة
الاتحادية بعدد كبير من التحكم المركزي . فقد شعر بالفرح المزعج هيريش
فون تراثشكه - وهو من اللكاليين المشجعين عن فكرة الدولة الموحدة
الخاضعة لسيطرة بروسيا - من عبارات التحفظ التي وردت في اتفاقيات
كونفدرالية شمال ألمانيا وحكومات جنوب ألمانيا ، وأحس بأن هذه الأوضاع

قد تؤدي الى عرقلة القوى الداعية للتجزئة والتفرقة التي وقفت طويلا في طريق تحقيق الوحدة الفعالة لهذه الدولة الموحدة ، وما يعرف عن بسمارك بوصفه سياسيا عمليا ، انه أقدم على هذه التنازلات باعتبارها أكثر السبل فاعلية لتعطيل مقاومة حكومات الجنوب (وكما قال أحدهم : « الفتاة قبيحة ، ولكن لا بد من رواجها ») ولعل هذا التفسير يرد على من تصوروا موافقة بسمارك على الوحدة ماحنا يؤخذ عليه ، وشعر بسمارك بالارتياح لأن الامتيازات لن تكون كبيرة ، بعض الشر عن الاعفان المالية ، وأقره على ذلك أحد ساسة البافاريا الموقفين (*) عندما قال انه كان من الأحكم للحكومة أن تمنى - لأسباب عاطفية - بدرجة أقل بالمؤسسات البافارية الخاصة ، وأن تهتم أكثر من ذلك بريادة التأثير السياسي في جميع أمور الاتحاد التي قد تؤثر على مملكة البافاريا .

وبعيدا عن اهتمام بسمارك بالمشكلات العملية ، التي يتعين حلها على الفور في الشؤون الأخيرة من سنة ١٨٧٠ ، فقد كانت لديه أسباب أخرى للتورس من حقوق دويلات الاتحاد . فلم تفرود دويلات جنوب ألمانيا بالشر الى إقامة المؤسسات الفيدرالية بعين التشك والغيرة على امتيازاتها وأصاليها التقليدية . فبمعنى ما ، تماثل البروسيون والبافاريون في مناصرتهم للتجزئة والتفرق . ولم يتحسوا للتوابع في الرايخ على نحو يزيد عما كسبوا عنه ١٨٤٩ ، ولقد نجاب بسمارك هو وهذا الاتجاه ، وإن رجع ذلك لأسباب انفراد بها . إذ رأى أن الوجود المستمر داخل الرايخ لمؤسسة بروسية مستقلة الأطراف - تحتكر السلطة العسكرية احتكازا عمليا ، وتمتص مكانة متميزة في المجلس الاتحادي تفوق مكانة باقي دويلات الاتحاد ، ولها نظام برلماني خاص بها يستند الى نظام انتخابي يبعد عن الديمقراطية ولكنه يشايح طبقة الأعيان وأصحاب الجاه - هو الفصل ضيق ضد احتمال خضوع الحكومة الاتحادية للقوى الليبرالية والديمقراطية . ومنحت الحكومة الاتحادية في النظام الدستوري بسمارك تمرا كافيا من النفوذ (وحل الأنص بسمانتة بروسيا) للحفاظ على الفردانية (**) الجنوب، داخل دولة آمنة ، بينما سمح لبروسيا بالاحتفاظ بقدر كاف من القوة لحماية النظام الملكي الأرستقراطي عن طريق تشجيع التجارب الضيقة التي تجريها الحكومة الفيدرالية . وكان وضع دستور يستبعد منه مشاركة دويلات الاتحاد من الهام تصور بسمارك لنظرية تجسيع بيل القمع والتوابع ، وإن كان ما ظهر في هذه النظرية من أحكام ربما أزعج مونتسكيو صاحبها الأصلي . فكما كتب أحد المفكرين (***) في

Prince Hohenhausen — Schilling-Grunow

(*)

Particularism.

(**)

Otto Pfanzelt.

(***)

ملحوب بسمارك ، يتحقق التوازن وكبح جراح أي ضغوط عن طريق الضغوط المضادة ، كاتحادات تعادل لهذا المركزية اعتمادا على الطوقا المنوحة لدويلات الاتحاد ، وحملت تداول دويلات الاتحاد عن طريق الحكومة الاتحادية . وكبح جراح الحكومة الاتحادية بواسطة بروميا ، وللأمة عن طريق الأنساب ، وللبيرلان بالاستماتة مختلف المؤثرات القانونية والميكولوجية المشتركة في صنع النظام الإمبراطوري .

(٣)

بمقدورنا الحصول على حجة نامنة ومستصوبة لا تواحه بأي اعتراض لا يمكن تذييله . لتأييد القول بأن الإمبراطورية الألمانية ١٨٧١ كانت هي صنع الشعب الألماني ، أو لالزام التقى بأن الرايخ الألماني ما كان ليظهر للوجود لولا الأصرار القسبي المتناسي على إقامة الاتحاد . وليس من شك أن ادعاء الشعب بأحقية في نسبة الفضل إليه في إقامة هذا الاتحاد كان أقوى من زعم الأمراء الألمان الذين عرقوا بالألمانية وضيّق الألقى منذ قرون طويلة ، والذي ثمت المتقارهم إلى الاحساس القومي ، من مشاعرهم المهلكة الدائمة . وعدم توقّفهم عن التحالف مع القوى الأجنبية . غير أن بسمارك كان قليل الاهتمام بدورهم التاريخي الفصل في صنع الاتحاد عندما أعلن مولد الرايخ في نورساي بطريقة تياترية . ولم يكتف بسمارك بمنح الأمراء شرف تقديم التاج الإمبراطوري لملهم الأول ملك بروميا (الذي لم يظهر سوى أوصى قدر من الامتنان لهذا الشرف العظيم ، ولكنه قد احتف على أية حال عن أخيه ١٨٤٩ ، فلم يرفض الهدية) . غير أنه استغنى في هذه الإيماءة والحيلة لاثبات نظرية دستورية ترغم أن الرايخ هي صنع البيت الحاكم لألمانيا .

وباختصار . لم يكن صوت الشعب في الإمبراطورية الجديدة ضريبا من الهراء ، وإن كان لم يسمح للشعب الألماني بالمطالبة بالسلطات الخطيرة التي سبق أن طالب بها الشعب الأمريكي مثلا عندما أثبت دوره في تحقيق الاستقلال في ديباجة دستورهم ، وحدث عكس ذلك - بعد زمني من البداية وجوب إيضاح أن الرايخ منحة قلعت للشعب الألماني ، وإذا لم تقلد هذه 'منحة' تقديرا صحيحا ، فإنها مستحجب . وكانت النتيجة غير الملمدة لنظرية الدستورية لبسمارك - والتي ظلت مستحجدة عليه طوال سني حكمه - أنه إذا اقتضى الأمر ، وإذا لم يشت الشعب الألماني بالعمل الولاء والامتنان للذين من حق الرعاء الألمان توقعهما ، سيكون بمقدور الأمراء آتئذ نفس ما جاءوا به أي اعلاء تشكيل الاتحاد على النحو الذي يروقههم -

وفي سنوات وضيح البعبور ، كان بسمارك ما زال يثق بقدر معروف في وراء الجماهير البريئة من الضيق الألماني . ورغم أنه كان ينص البصر عينا يقال عن سيادة الشعب ، إلا أنه لم يتردد في إعطاء هذا الشعب الذي كان على النجوم الأداة الرئيسية في سفيد جميع القرارات المحسرة مثل هذه السيادة ، يمي حق الانتخاب . وعندما أعلن لأول مرة تأييده لفتح حق الانتخاب للشعب ، كان ذلك خلال المراحل الأخيرة من الصراع السياسي مع النمسا . وكان ممسا أنه أسس باتخاذ موقف في المسائل القروية قد يرجع خصومه . ويساعد على صم الرأي العام لمؤازرة القضية البروسية . ولكن بعد أن استنفذت المناورة ضد النمساوين أغراضها ، فإنه لم يعد عن رأيه . لأنه ، كما يفترض ، كان يعتقد في إمكان الاعتماد على الجماهير ، وتجربتها البريئة بعد التوصل إلى ولائها . وكتب ١٨٦٦ :

د في المحطات الحاسمة ، ستقف الجماهير في جيب النظام الملكي بفط النظر في اتجاهات الاتجاهات الليبرالية أو الاتجاهات المحافظة . فهل يفتح لي اعتقادا على جبهتي الطويلة أن أعبر عن ذلك بالقول بأن النظام المصطنع القائم على الانتخاب غير الملائم والطبقي أخطر من حق الانتخاب المباشر والعام ، لأنه يحول دون حدوث احتكاك بين السلطة الأعلى والناصر السلبية التي تمثل صميم كتل الشعب ، وفي أي بلد لديه تقاليد بأبهة من أبنائه بالنظام الملكي ومشاعره ولائية ، سيكون الاقتراع العام المبتد هل اعتماد تأثير الطبقات النورجارية الليبرالية عاملا مساعدا أيضا يؤدي إلى اتجاهات مؤيدة للنظام الملكي .

وأدى شعوره الذي اتخذه هذه الصورة ، وتصوره تبعا لذلك أن دستور شمال ألمانيا الكومفداتلي ودستور الرايخ الذي سيحل محله سيسفقد عن انتخابات برلمانية لابه أن تجيء كنتيجة لاقتراع جميع المواطنين من الذكور الذين بلغوا سن الخامسة والعشرين . أدى إلى إقراره صلية التصويت سرية .

لله كان هذا الإجراء أقل ثورية مما اعتقد فيلهم الأول عندما الترح بسمارك هذا الاقتراح وعرضه على الامبراطور لأول مرة ، فلم يصطر ببال بسمارك قط السماح بشفط البرلمان القومي بأعضاء حقيقيين من الطبقة الدنيا ، مما يحتمل أن يكونوا شديدي الوعي بأسواق أقرانهم . ومن المعتقدى الرسم على تصحيح أوضاعهم ، وحال بسمارك دون تحقق هذا الاحتمال باللجوء إلى حيلة بسيطة ، هي اشتراط عدم حصول أعضاء البرلمان على مرتبات ، كما أنه حد من سلطات البرلمان إلى درجة خطيرة . وإذا سلمها بضرورة الحصول على تصديق البرلمان على جميع التشريعات ، إلا أنه

من يَحْتَجُّ إلا بأوصى قسرة على المبادرة . ولن يسمح له في معظم الأحيان بالنظر إلا في المسائل التي يصرحها عليه المستشار والفيلسوف الاجتماعي ، وبوسمه أن يعالج سيوداته التشريعات التي لا يرضى عنها ، أو يطلها ، أو ربما يوقفها ، وإن كُذِّبَ الحكومة في الاجتماع الأخير إذا اقتصت بأهمية المسألة موضع البحث . فأنها تثار بصفة رأيها ، ولا بأس أبداً من حل البرلمان ، وإجراء التعديلات الحديثة ، لا يستطيعها البرلمانيون عادة وليس للبرلمان أية سيطرة قانونية على المستشار ، بالرغم من أن الدستور قد وصف شاعراً علم الوظيفة « فالوزير المسئول أمام البرلمان ، وإن رفض سياسته لابد أن يؤدي بالضرورة إلى تخليه عن منصبه ، كما يحدث في الممارسة الدستورية الإنجليزية » . كما أن البرلمان الألماني لا يتمتع بأية صورة من صور حق الاستجواب الذي قد يرفع المستشار على توسيع سياسته والدفاع عنها باعتبار عدم المسألة توم الأعضاء - والحق لقد كانت هناك جوانب مهمة من السياسة متعلقة في وجههم بالفعل . وعندها شغل بسمارك وظيفة المستشار ، شجع البرلمان على الاعتماد بجميع جوانب السياسة الاقتصادية ، ولكنه تصدى بقوة لأية محاولات تدوير حول مدى اعتماد سلطات البرلمان أو شطحاته في مجالات من السياسة الخارجية والمسكرية رأي أنها تقع في دائرة اختصاص مكتب المستشار والباق . ولما احتل بسمارك بالجنائب العسكرية ، كانت سلطة البرلمان في الإشراف على النواحي المالية تالفة في معظم سنوات عهد بسمارك .

ورغم القيود التي فرضها بسمارك على البرلمان ، إلا أنه اعتبره دكاً مهماً من أركان نظامه الدستوري . ففي الوقت الذي لم تكن فيه القوى الديمقراطية أو الفردانية قد أخذت أعضائها تماماً ، نظر إلى البرلمان كرمز في لوحة الأمة التي اكتسبت عهداً لكى . وبذلك يكون قد سبب إلى دور القوة التنظيمية للأحزاب المتنازعة . ولدى البرلمان في توجيه العلاقات الخارجية الألمانية دور المراقبة العاكسة التي يمكن الاستعانة بها . يمكن عليها من صور لمراقبة جهتي التوجهات والأهداف الألمانية . وكان بسمارك قد أتمت بالفعل أثناء فترة المشايخة حول الدوقية الكبرى للوكسمبرج ١٨٦٧ كيفية الاعتماد على المسجلات البرلمانية في التأثير على الرأي العام الخارجي . وفي مناسبات عديدة ، أثناء اضطلاته بأعماله الدستورية ، لجأ إلى نفس الوسيلة . وأجراً ولما كان ينشع بقوة المض من أي شخص آخر على التعامل مع البرلمان وحصل مساعدته لسياسة الحكومة ، فإن البرلمان مبرور بسمارك بوصيلة يثبت بها للامبراطور - الذي يكفل وضائه استمرار بقائه في منصبه - تمدد الاستعانة عنه . وحبه بسمارك البرلمان الحسن السير والسلوك والمتعاون بصدق التام . لم تضعف صحة هذا التشبيه في عهد من خلفوه في المنصب .

ولما كان الحال هكذا ، فلما دى من ان يثار التساؤل حول لماذا لم يهرك البرلمانيون ان المستشار اكثر اعتمادا عليهم مما قد يبدو من نص الدستور ؟ ولماذا لم يتبعوا تكتيكات المقاومة العنيدة ، التي لا يلزم ان تبليغ حد الصخب ، لزيادة نفوذ البرلمان في القولة ؟ فيجب ان لا نفس في حرية الحوار والمناقشة لم تكن من السلطات المخفلة ، وكانت هناك شروط قانونية لحايتها ، كعدم حوازل تأجيل انعقاد الدورات بصفة مطلقة ، ووجوب اجراء انتخابات جديدة قود حل البرلمان .

واما القول بعدم حدوث التحول مرة أخرى الى التمتع ، وانه أثبت عدم لفاعليته عند اختياره ، فان بالاستطاعة اثبات صحة هذا الزعم بقدر كبير اذا رجعنا لطبيعة عضوية البرلمان ، ونظرة الأعضاء الى دوره في الدولة ، فلم يحصل البرلمانيون الا الان بصفتهم الجماعية - اطلاقا - على الثقة بالنفس والشعور بتضامن الفريق ، أي الميزات التي كان يحظى بها أعضاء برلمان اسجلترا ، أو أعضاء الكونجرس في الولايات المتحدة ، أو ما كان يتمتع به في ألمانيا الجهاد البروقراطي وضباط الجيش ، وعلى الرغم من شغل كثيرين من أصحاب المواهب لقاعد البرلمان ، الا أن هذه البرعية كانت مستثناة ، بين أغلبية الأعضاء من لواب القبول للدرجة . فلم يجتذب البرلمان صفوة أبناء البلاد ، ومن انضموا اليه لم يرتفع شأنهم ، على ما يبدو ، وفي بواكير أيامه ، كانت نسبة المرموقين والهواة الأثرياء بين صفوفه عالية ، وفيما بعد حل مكان هذا الصنف من الشخصيات عدد متزايد من الساسة المحترفين المتفرغين ، الذين كانوا في الأغلب يضمون مصالح اقتصادية معينة ، وبامتثاله ما تعرضت له نظرة البرلمانيين من ضيق ، فان التفرغ لم يترك أثرا ملحوظا مهما ، لاقدر اشتركت برلمانات السنوات التي أمضاها بسمارك في برلمانات الحقبة السابقة للحرب العالمية الأولى في الاقتدار الملحوظ للحصانة لا يؤمل من فتحه للأنظمة السياسية - يعني الناج وعملاله - في المسائل ذات الاهمية السياسية . ولعل هذا الانحطاط عن السعي والكفاح من أجل توسيع نطاق التفرغ من الأمور التي تقبل الفهم ، فيما سمي برلمان مسعفيات القرن التاسع عشر . إذ كانت ذكريات الصراع المروسي الدستوري في مسعفيات القرن ما زالت عاتلة بالأذهان ، وراودت الكثيرين من الأعضاء الذين كانوا أعضاء في هذا البرلمان فكرة إعادة الكرة ، ان هذا يقصر المؤلف السلمي لبرلمانيي القوميين ١٨٧٤ . عندما توفقت مسألة الميزانية العسكرية (التي كانت في ذاتها من الأحداث التي تذكر عن مستعيرات القرن) غير أنه من المنهني أنه في الحقبة التالية لم يحدث أي تراجع عن اصحاب البرلمان عن المطالبة بدور في تقرير احتياجات الصالح القومي .

ولا يخفى أن كثيرين من البرلمانيين لم يكتفوا موافقين من شوعية مثل هذا المطلب ، ولهذا السبب ، ظل البرلمان يمثل كيانا له دور قائم على رموز الفعل أكثر من استغناءه عن الأدوار الفاعلة ، وظل مجرد هيئة تشريعية عاجزة عن التوجيه ، وهي السمة التي اتسمت بها سياسة المالكي بعد غلطات الزمام من قبضة يسلوك القوية ، وترجع هذه الحالة إلى عدم إيمان أعضاء البرلمان بقدرتهم على تحمل المسؤولية ،

وربما شعرنا بالفراغ يلفظنا إلى نسبة الخلافة في التصور المتواضع لأعضاء البرلمان المورس إلى سباح (الفيلسوف هيجل) في القناع الألمان بأن مؤسسات الحياة المدنية ، وأشكالها لا قيمة ضرورية لها ، إلا قيمة يتفق بملقاتها بالقوة . ولقد عرض هيجل هذا الرأي ضمنيا بحجة شبيهة التطبيق وقد وردت في كتابه فلسفة القانون (١٨٢١) عندما أدرك قصور الأسرة من ناحية ، وللمصور المجتمع ، من ناحية أخرى ، وحرص على تجاوزتها والموا عليها ، وتقسيا مع الصارات التي صاغها هيجل ، فإن الدولة تظهر أحيانا في هيئة مجردة تكاد تنزع الصلابة ، وتطبق عليها الكلمات التي أضحت لاصال في مشابه ، أي كقضية الإرادة الجمورية ، التي تتوالى لها في دواتها بذاتها عن تصنيفها كمقولة في ذاتها ولذاتها ، . بيد أن هذا الوصف (المضطرب) قد جاءت في أقطاب فكرة سيرت من الناحية السياسية بقوة إيمانها ، وربما تشر به من ويلات . عندما فرق هيجل بين الدولة والمجتمع المدني بقوله :

هـ لو حلت حلت بين الدولة والمجتمع المدني ، وتحدد مقامها اعتمادا على دورها في توفير الأمن وحماية الممتلكات والحرية الشخصية ومصالح الأفراد فإنها بماه على ذلك تكون الغاية القصوى التي يتعد الأفراد من أجلها . وسيتيح ذلك أن يبدو اقتصاب أي شخص بأنه عضو في الدولة أمرا متسغيا . غير أن الدولة لها علاقة مختلفة بالثود لأن الدولة تمثل الروح الموضوعية ذاتها . ويكتسب الفرد صفته الموضوعية وحقيقته وأخلاقيته بقدر انتمائه إليها ، فالوحدة على هذا النحو هي الجوهر الحق والحماية الحق . وما يجعل الأفراد بصفتهم الفردية هو حقيقة عيشهم حياة عامة ، وما يترقب على ذلك هي رضاه خاص ونشاط خاص ، ونوع من المساواة يتعد هذا الجوهر وهذه الموضوعية العامة كمنظلة له ونسيجة .

ولقد أشار داونودوف الى ان ما يفهم من هذه السطور شيئا وعلى نحو خاص هو ان المجتمع الهندي - بحكم تكوينه من جملة افراد ذوي عصابات واحواء متميزة ، ومن العديد من الأحزاب والتهجمات المتنافسة

(1871) Grundrissen der Philosophie des Rechts 468 (2*)

على البقعة - عاجز عن اخراج دستور مرضي للمجتمع الانساني - ويلزم لتعقيد ذلك شي آخر - انه من يملو فوق تكوينات المجتمع المدني، علما كاملا ، وهذا القيد الآخر هو الدولة .

وليس من شك ان ما حدث من تأخر طويل في تطبيق الانسان لوحدهم ، كان من المجتمع أن يظهر ورثا جديدة لهذه النظرية . وكان يقدور جومسبات ووملان (١٨٧) أن يرسم : ان نظرية هيجل في التاريخ قد اتيت صحتها الآن ، وفي مثل هذه الاحوال ، كان من اليسر القول بوجود هوية بين الدولة والتاج البروسي ، والآليات التابعة له كالجهار البرومراطي والجيش - صفة خاصة - وأما النظر الى جميع المقاديسات الساعية للطغيان في سلطانها كجهد مظاهر لهذا التفتت ، الذي اتصف به المجتمع المدني عند هيجل ، والمآني في مرحلتها السابقة مرحلتها القومية ، ولعله لم يكن هناك من هو أكثر تأثرا في اشاعة ما عدا سياسيا من وراء التماثل من هيرش في فون ترايتشكه ، والذي كان كتابه عبر التاريخ الألماني اسلما طيفا في تأييد التاج البروسي - الفصل على مثل البردي القومي الجديدة - كما أحدثت معارضاته الجاهلية عن السياسة في جامعة برلين تأثرا عميقا متواصلا على الجيل الذي هو المسئول في السياسة سنة ١٨٩٠ . وعلى الرغم من أن ترايتشكه قد تراجع عن المقاديسات الفلسفية لجهة هيجل ، إلا أنه كان جوهريا ، مسلحا رفض مجتمع التعددية ، ومن ثمة فإنه لم يتردد في معارضته على القول .

ان يستلزم الكلاويو والسلام والنظام النطق لتعددية المصالح المتضاربة الأبدية من داخل هذه الأعياد ، ولكنه يتحقق فقط عن طريق السلطة التي تملو فوق المجتمع والنسيلة بقوة قادرة على ترويض الأحوال الوحشية للمجتمع ، هذا تمثل لنا واضحة صورة الفلسفة الأخلاقية الحديثة للدولة ، فالدولة هي التي تحقق العدالة والتسامح المتبادل في عالم الصراع الاجتماعي .

هنا تحولت مجردات هيجل الى الحقيقة القصوى . وكما قال دارمورف بحق - لقد كانت النتائج الدستورية المتطرفة أمورا لا مقر من وقوعها - وبدا لهيجليين الحقد والمستحي ترايتشكه البرلمان دمارا لصراع المصالح وللعدا المتبادل للفرقاء الذي دمر الوحدة الحقة ، ومن ثم لم تكن هناك سلطة قادرة على حسمه غير السلطة الوحيية التي كانت غير متحادة بحكم طبيعتها ، یعنی التاج . وأيا كانت المراحل التي ردها المتفقهون في القانون في أمثال باول لايبه عن أهلية البرلمان وحدارته الا أن سلطانه قد تعرضت للدهوان والخطر من السلطة في نظر من قبلوا لأسباب عاطفية وعقلانية الاتجاه المحافظ القومي الجديد الذي دعا اليه ترايتشكه - وليسوء

الحظ . فحتى بعد منتصف القرن ، عندما تضاعفت سلطة التاج من أثر
مسلك فيليب الثاني ، كان الأسود الأعظم من الأوربايين في ألمانيا يملكون
فلسفته ، هم ترك الاشتراكيين جانباً ،

(٣)

في المباحثات التي دارت في قاعة المرايا بمرساي في ١٨ أبريل
١٨٧١ لم يرد دور موهي برلمان كومنويلثية شمالى الدية ، كما تبين
بالفعل على أنهم كانوا رغم شعورهم بالمرارة نوعاً . قد استطاعوا التعبير
عن ارتياحهم لما لاحظوا وروا ، ولعل هذه المشاعر كانت متأثرة بالجو
الاحتفالي الذي يشابه إلى حد ما مع روح الاستعراضات العسكرية . لهذا
أشبه برنامج عظيم (١) مصحوب بإشهاد الجنود لحسن إيمان من المراسم ،
فناء على الأوامر المصادرة اليهم ، وأجريت طقوس الاحتفال طبقاً لما جاء
في كتاب الكتيبة العسكرية (٢) ، وبه أن أعلى الإمبراطور وحده لألمانيا
صنعت الفرقة الموسيقية العسكرية ببعض المارشات (٣) والمصحوبة بفناء
هادر . وارتدى الجميع باستثناء أعضاء البرلمان رداء عسكرياً تتفلى منه
السيوف وتحمل صفوه الأوسمة والنياشين ، ولم يكن يساورك استثناء
من ذلك . وعلى الرغم من اشتباكه أنه في صراع حاد هو وعلوث فون
مولنكه رئيس هيئة الأركان ، بعد أن تعرض لهذا السيادة المدنية للخطر ،
إلا أنه لم يسمح لهذه الواقعة بالتأثير في ولاءه بالمظاهر العسكرية ،
فارتدى سترة ورقية مغطاة بشعار وثبة المريق والوشاح البرتقالي اللون
لوساح اليسر الأسود ، وارتدى حذاء برفية عالية ، وحمل خوذة مغطاة
بقلم يمينه .

وعلى الصوم لقد كان استعراضاً جريئاً . ولكن يكتفينا لفظ التحديق
في اللوحة التي رسمها أنطون فون ليرر ، على يدراك مضى الملاحظة الدكية
التي غلب بها السياسي الكاثوليكي يوديج فلهورشت عندما كان له لعلوا
مصادفة أي تكون فرساي متجلى ميلاً الحكم العسكري المطلق . فتمسكاً
كانت موهي الحكم الذي الإدهر في عهد لويس الرابع عشر ، وهل كان
بالإمكان كبح جماح السادة المحاربين المتصرفين الذين رسمهم فريزر ملتصين
حولاً إلى الحرب ؟

Grosse Zapfenstreich

Stilles Kirchenbuch

Heil Dir im Siegerkranz
Hochwachtburg.

(*)

(**)

(***)

إن كل من دوس المستور ودلا في ذهنه هذا السؤال لن يتلقى كاجابة عليه سوى اعادة توكيد بسيطة . فبنفس النظر عن مواد الدستور التي وضعت زمام القوات الاتحادية بين يدي الامبراطور ، فإن أهم التنازير الاحتياطية يمكن الاعتناء اليها في السنوات الواقعة بين السد ٦٠ والبند ٦٣ . إذ نص البند الثاني : « على انعام الامبراطور بتحديد قوة الجيش في فترة السلام . وتكوين الجيش وتوزيعه » (٣) ولا يفرض أن واضع الدستور قد قصد بذلك تحصيل نوع المتاحضات البرلمانية الخاصة بتنظيم الجيش ، والتي احدثت أزمة دستورية في ستينيات القرن التاسع عشر . وكما يتضح من روح هذا البند ، فقلبه قد منع الامبراطور شيئا اقله بالتواضع على يبايض على كل شيء يرغب الاقدام عليه عن طريق جيشه وعن جهة أخرى . فقد كان الامبراطور مقبدا بما ورد في البند ٦٠ من الدستور ، الذي نص على أن حجم الجيش في وقت السلام يتحدد بمعرفة القانون . ولا شك أن هذا المسمى قد أتاح الفرصة للبرلمان لممارسة سيطرة كبيرة على القوات المسلحة . وبخاصة إذا لاحظنا استمرار أعضاء البرلمان على اعادة النظر - دوريا - في القانون الذي يحدد قوة القوات المسلحة ويميزايتها الملحق بها

ولقد قررت الحكومة منع مثل هذا التماذي في استقلال ما جاء في البند ٦٠ . وفي المناقشات التي دارت في اجماع النخيل في كونفدرالية شمال ألمانيا في ربيع ١٨٦٧ ، يدل بسمارك جهدا شاقا لتوطيد مبدأ وجوب حساب عدد الجيش والاعتناذات - آليا - بالنسبة لعدد السكان . ولو قبل هذا الاقتراح فإنه كان سيؤدي إلى استبعاد مناقشة المسائل العسكرية بطريقة فعالة من اختصاصات البرلمان . وكالف المبهوثون الليبراليون كلما حاربوا مما دفع بسمارك تحقوه الرغبة في عدم تمريض الدستور في جيلته للخطر إلى الموافقة على تحول حل وسط . هو ما أصبح يدعى « بالميزانية الحديدية » التي اشترطت أن يكون حجم الجيش حتى ٣١ ديسمبر ١٨٧١ (١/١) من عدد السكان ، ولقد تمتع الحكومة باعتناذات (بواقع ٢٢٠ تالر عن كل حلفى) تحت السلاح . وفي ١٨٧١ ، امتد العمل بهذا القانون ثلاث سنوات أخرى . وإن كان رؤساء الجيش لم يقتضوا بذلك ، إذ كانوا قد وطأوا المرم على تحرير اعتماداتهم العسكرية والتحرر التام من تدخل البرلمان . وفي ١٨٧٤ . واعتمادا على الدعم الكامل من الامبراطور ، صعدوا لحل المشكلة حلا حاسما . وساء على الحاحهم ، انحالت الحكومة إلى البرلمان مسوده قانون يحدد عدد أفراد الجيش (٤٠٩٦٥٩) على أنه يلتزم بمرعاة هذا العدد في أوقات السلم ، إلى

انه يحين الوقت لتعديلته بمعرفة الحكومة . وقدم مولتكه هذا القانون - املا بلا مره - ان يتأثر به الميجوثون ، لصفوره من شخصية عرفت بظولنها وتحقيقتها للنصر (٣) وهذا خبر كاف يحول دون ترضى عنه الرغبة لآي اعتباري .

غير ان هذه الحيلة لم تفلح - فلقد ظهرت مقاومة قوية لاصدور مثل س. القانون الدائم في جميع المسكرات ماعدا المسكر المحافظ . ولاحت بواند موقف اشبه في بعض حريساته بالصراع الذي نشب بين التاج والبرلمان وبلغ ذروته ١٨٦٢ . بيد انه بعد الحل الأسهل منالا . فلقد ذكر بسمارك أثناء معاناته من بعض الضيق اثر وعكة صحية ، اننااته من حراء مشموليته بالمسائل الخارجية ، انه لا ناله له ولا جعل في وضع هذا القانون ، وانه من وضع وزير الحرية روز (٣٥) . ومن تقدير الامبراطور بالذات الى حد كبير . وعلى أية حال كان هذا هو ما قيل للتفسير البريطاني ، ان جار لنا تصديق رواية بسمارك ، الذي كان خلال الأزمات الدستورية من اجراء المفاوضين عن الجيش ضد الادعاءات البرلمانية ، ولكنه لم يكن متحمسا لطابع تفهم دور الجيش في الدولة ، وفي ١٨٦٦ و ١٨٧٠ ، وقعت خلافات خطيرة بينه وبين مولتكه ، التي انتهت بالصيد في الماء الكر . واقعه ايضا في وزير الحرية السابق (ادلف فون مانثوفيل) والذي كان بعد ذلك من اقوى المؤيدين لمشروع القانون ، واتهمه بالتآمر ضد مملوفا بالامل في خلافته في منصب الاستشار . وادا تركنا جانباً هذه الموامل الشخصية ، سنرى ان بسمارك لم يكن راضيا عن اصدار قانون لا يقتصر اثره على اعطاء الجيش من أية قيود برلمانية ، ولكنه يجعله ايضا مستغلا عن السلطة للدولة المتشكلة في شخصه (شخص بسمارك) ، ومن ثم فلا هزيمة العسكرية اشهره بالارتياح ، عندما انحرفت مخططاتهم ، وحسم على استنصار هذه العمومات لكي يثبت لهم ان أي حد هم في حاجة اليه .

وحقق هذه الفكرة . بان تلاعب بخاوف أعضاء البرلمان التي علقنا عليها آنفا ، والتي تمثلت في كراهيتهم للتورط في موفد مفاوضات لسلطة الدولة . وقال بسمارك في سلسلة من الأحاديث دارت بينه وبين زعماء البرلمانيين انه قد أصبح واضحا في أوقات الضدة وعدم استقرار الأوضاع تقسيم البرلمان على تجريد الدولة من قوتها . والتربح ان يحدث ذلك من اناس انتخبوا لوتكانا الى تأييدهم لسياسته الخاصة ، وادان توهوا ان

(*) في مسكني Sedden و Koenigsmetz

(١٨٨٤)

١٨٨٤

بإمكانهم التدخل من واجبهم المتعلق بالدفاع عن المصلحة العليا للرايخ .
 يقول أي إنهم أعضاء فيهم سيكونون قد وقعوا في خطأ جسيم . وكان
 هذا التلميح كادياً لاثارة الاضطرابات بين خصوم صيغة القانون ،
 وصراعاً ما تبادلوا الاتهامات . ويأتهم بسببوا باتباعهم لتسياسات الحرية
 في إيقاع نزاع صيغتي بين البرلمان والامبراطور ، على حد قول القانوني
 الضليح في هايدلبرج (بلونشيل) (٩) . ولم يضر وقت طويل حتى
 لاحظت بواحد الرعية في الاحتفاء الى حل وسط . تقدم به سمارك .
 وتوطعت قوة الجيش بعد الموافقة على الاعتماد الذي طلب في المشورة
 الأصلية للقانون . وإن كانت مدة صلاحية هذا القانون قد حددت بسبع
 سنوات يصاد تجديدهما بعد ذلك .

ولم يرضى زعيم الجيش هي القانون ، كسماي ، . والظاهر ان
 الامبراطور ذاته قد شعر بالاستياء من ميل سمارك الى ههناة اناس
 وصفهم الماحل في خطاب ألقاه بعد تعرض المقترح للتعاطب منهم أغضاء
 من داخل البلاد . يحاولون عرقلة قيادة الامبراطور القائل الأعلى للقوات
 المسلحة . على أن ميلهم بعد أن راجع نفسه انتهى الى نظرة أكثر اتصافاً
 بالروح الفلسفية . وكتب الى وزير حربيته : لا تنس الى صريح سنوات
 في زمامنا قد أصبحت تنمو مساوية لتصف نحن ، عندما نتأمل ما حدث
 بين ١٨٦٣ و ١٨٧٠ . ومن ثم فابداً سنؤمن سلطة الجيش لمدة سبع
 سنوات . وبعد انقضاء هذه السنوات ربما علينا أنفسنا قد دعيلاً حرباً
 جديدة بعد الحرب السابقة . أو شرعنا في تجهيز أنفسنا الحرب المقبلة .
 وإذا لم يحدث ذلك . فيكون عدد السكان قد تضاعف ، وستتضمن زيادة
 عدد الجنود

والواقع أن رؤساء الجيش كانوا مطمئنين في شعورهم بالارتياح ، فلقد
 آمنوا أنفسهم ضد أي تحكم بسيط في المبرانية . وتوافرت لهم الحماية
 ضد أي شكل آخر من أشكال التدخل البرلماني (ولذا للمادة ٦٣ من
 الدستور) وأطمانوا الى إمكان مواجهة أي أثر من آثار الأحداث المرتقبة
 في علاقة الجيش والامبراطورية . وكانت أبرز هذه الحقائق - بالمفهوم
 القانوني الدقيق - هي عدم وجود جيش امبراطوري فلا تنسى أن الجيش
 القومي في الأحوال العادية يتألف من مصدين من دويلات الاتحاد تحت
 قيادة بروسية . ولما كان ذلك كذلك . فإنه لا يصح القول بوجود وزير حرب
 امبراطوري . اللهم الا اذا قصد بهذا القصد سمارك بالذات . والحق أن
 المستشار (سمارك) كان هو المسئول في نهاية المطاف عن المسألة
 العسكرية أمام البرلمان ، وإن كان هذا لا يعني الشيء الكثير ، لأنه لم يكن

لأحد على السيطرة على 'المصالح' الداخلية للجيش ، لأنها تقع على هامش لوزير الحربية الروسي ، الذي امتد سلطانه الى جميع القوات المسلحة في الامبراطورية ، فكان يشرف على هيئة الأركان والأكاديمية الحرب ، وغيرها من الكليات العسكرية ، والامداد والتوريد وشئون الأفراد ، وفي البرلمان ، كان شاعلو حصة الوظيفة هم الذين يردون - عادة - على ما يثار من اسئلة المجهولين عن التطورات العسكرية ، ولم يكن يسبارك يتولى مثل هذه الأمور ، وكانت محاولة انتزاع أية معلومات منه تتعرض دوما للابطال ، لأنه كان معرضا بالاجابة عن النقاط التي تثار حول القوات الامبريالية ، اذا أراد ، وليس عن الجيش الروسي ، وتباح له مناقشة المسائل الادارية ، ولكن ليس من حقه التحدث عن أي شيء ، يتصل بقيادة الجيش (ان كان الامبراطور يرى أن هذه المسألة لا تخص أحد غيره) .

يبدو أن رؤساء الجيش لم يفتنوا بالمزايا التي حققها لهم هذا الوضع ، فقد اعتقدوا أن الجيش أشبه بعميد ديني يتطلب متعديين ، ويخطر بباله الصلابة ، ولكنه لا يتولى منهم أية سيرات في المجتمع الايرشنية ، وهذا الدور للبرلمانى لوزير الحربية في نظر كرادلة مجلس النواب ، وحيث الأركان تهددوا ، بالقوة ، أو مستحلا لو طبعهم التي تسمح بالحماية ، ومن ثم سموا لا طال لمفولها أو للتخلص من أرواحها ، لم استبدادوا بأن لزوم الأمر ، وفي ١٨٨٢ ، نجحوا في تحقيق ذلك بموافقة سبارك ، ويصبح اعتبار هذه النجاة تاريخيا لتزايد قبضتهم في المسائل العسكرية ، وظهورت ثمرة المأسوية ١٩١٤ .

٢٠

لا يبدو أن يكون قد كُشف ما ذكرناه هنا مدى سحق اليأس الدستوري للامبراطورية الألمانية الجديدة ، وعلى امتلاكه بالمناقضات والقواميس مما سبب من كفالة اضطلاله بمهمة تجميع الأمور في الرابح ، فقد كان اسلوب يسبارك في العالم على الصعد ، و التوازن ، شديد العقيد ، ولما مصمم هذا الأسلوب (مسبارك بالذات) لم يكن متيقنا في البداية من كيفية وضعه موضع التنفيذ ، وتمشيا مع حرصه على سلطانه ، فانه هدف بقدر الاستطاعة الى الحفاظ بقبضته على السلطة والتفرد ، وبقي سؤالان : كيف تتيسر تحقيق ذلك ؟ وما هو اسم الوظيفة التي سيجسها هذا المدير في الأيام التي سطر فيها دستور كونفدرالية شمال ألمانيا ، كان الظاهر أنه كان يسعى جعل وزارة الحربية متواضعة نسبيا ، وكان يسعى مع المستشار دورا أكبر من مجرد الرئيس المسئول عن المجلس الاتحادي ، وأن يسائل هذا المستشار هو وباقي المجهولين البروميين في المجلس في

تلقى التعليمات من وزير الخارجية الروسية ، معنى من بسمارك نفسه :
وعندما انشأ الرايخ ١٨٧١ ، كان بسمارك قد تخلى منذ آن بعيد عن هذه
النظرة ، أو بمعنى أصح تحول عن التركيز المطلق على السيادة البروسمية
الكاملة في هذه النظرة . وليس من شك أنه أراد - كما يبدو - تحويل
التحول إلى الفاحية الأخرى ، لأنه تقلد منصب المستشار الاتحادي دون
أن ينتهي ديوانا (*) قويا للمستشارين تحت رئاسة رودلف دلبروك (**)
ببما ترك وظيفة وزير رئاسة بروسيا (وان لم يتحول عن وظيفة وزير
الخارجية) . غير أن هذه الوسيلة لم تفلح ، وحدثت احتكاكات كثيرة بين
الحكومة البروسمية والحكومة الاتحادية ، مما دفع بسمارك بعد خمسة
شهور إلى العودة مرة أخرى إلى منصب الوزير الأول البروسي ، وقال إنه
سيمجر عن إدارة شؤون الامبراطورية . إذا لم تكن لديه حذور مستعدة في
التربة الروسية . ثم قال فيما بعد : « إذا حلتموني مجرد وزير
للرايخ ، فإني على يقين بأنني سأكون عديم الفاعلية مثل أي وزير آخر » .
غير أنه حتى بعد أن سيطر بطنه القوة على ثلاثة مناصب
رئيسية ، فإنه رأى تفرد تسيير أمور الامبراطورية دون اضطراب مستقر
كلمنتمل في خلافات الصراع على من له الأهمية أو الأهمية بين العناصر التي
تتألف منها الامبراطورية ، والتصدى للمشكلات التي نجمت عن حلول
الوسط التي تضمنها الميثاق . ولم يسلم أبدا من الاستفسارات التي تربت
عن عدم اكتراث المسؤولين المحليين من تنفيذ القوانين الاتحادية ، أو من
الخلافات من الامتيازات المنسوبة للتاج والعيش . واحتمال اساءة استعمالها
من قبل الجبراء غير المسئولين ، أو اصحاب الطموح من العسكريين ذوي
الخوذات السحابية ، وفي ذات الوقت ، لقد أتاح النظام الدستوري هذه
فرصا للتمتية ، بل وربما لتحقق السلطة الاتحادية مما جعل أكثر المسبل
فاعلية لحل الأزمات تتخذ غالبا شكل التهديد بالانتحاء إلى مراجعة
الدستور ، أو بعبارة أبسط ، تصمي لتصحيح الموقف من طريق القوة بدلا
من الاستناد إلى القوانين القائمة ، وفي ١٨٦٧ و ١٨٧١ ، أدرجت مختلف
حكومات دويلات الاتحاد بطريقة استبدادية على التعاون بانسجام هذه
الوسائل ، وفي مناصبات تالية عديدة ، كانت خشية حدوث انقلاب (***)
هي التي اقنعت الجماعات الأخرى بضرورة التعاون . وفي بواكير عهد
اشتغاله بالمناصب الرسمية فسر بسمارك هذا الأسلوب لصديقه : « دون »
فقال : « بمجرد تردد ثمرة وصلصلة حول التصريحات وعملية الانقلاب ،

Reichskanzler
Rudolf Delbrück
Coup d'état

(*)
(**)
(***)

كانت شهرتي القديمة ، وما يقال من لجوءي للقوة بطريقتي الخاصة
تدعم مركزى ، وتجعلنى أقف على قسيتين ثابتتين ، لأن الناس يقولون :
« ها هو يماود الكرة » ، ولما أعقاب ذلك يتمارح الجميع من ممثلين
غير متحمسين وأتصار لسياسة اليبريين لإجراء استعمالهم للتباحث ،
ولم يتدخل قط عن اعتقاده فى فاعلية هذه الوسيلة ، ولم يعود فى الاعتقاد
بشخصيتها . وبعبارة أخرى وعلى حد قول ميكايل شتومر (٢٢) - لقد
كان التهديد بتعطيم المستودع عملاً دستورياً عظيم الأهمية فى الإمبراطورية
الألمانية .

Wort, geht's los !"

Michael Steneger.

(٢٢)

(٢٣)

المراجع

- H. Boehmer, *The Foundation of German Empire : Select Documents* (1971).
- L. L. Farrar, Jr *Arrogance and Anxiety : The Ambivalence of German Power 1848-1914*. (1981).
- T. S. Hamerow, *The Social Foundations of German Unification 1858-1971* (1972).
- I V. Hull, *The Entourage of Kaiser Wilhelm II (1888-1918)* 1982.
- G. H. Jansuch, *Students, Society and Politics in Imperial Germany The Rise of Academic Illiberalism* 1982.
- A. J. Mayer, *The Persistence of the Old Regime : Europe to the Great War* (1918).
- O. Pfanze, *Bismarck and the Development of German, The Period of Unification 1815-1871* (1963).
- J. J. Sheehan, *German Liberalism in the Nineteenth Century*, 1978.
- J. J. Sheehan ed, *Imperial German* (1976).
- H. Stern, *Gold and Iron : Bismarck, Bleichroder and the Building of the German Empire* 1977.
- F. Stern, *The Failure of Liberalism : Essays on the Political Culture of Modern Germany* (1972).
- H. Wehler, *The German Empire, 1871-1918*. (1985).

سابعاً

الاجهوية والحرث والشورة

كانت الحرب العالمية الأولى هي الحادث المحوري في تاريخ أوروبا في القرن العشرين ، فبعد نشوب الحرب ، لم تعد الحياة في مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد الى سابق عهدها ، والأمر بالمثل فيما يتعلق بالمسائل الفكرية ، وأعيد تنظيم خريطة أوروبا في ايرلافة الى روسيا ، وأحدثت الجهود التي استنزفتها الحرب والأعداء الوليرة من راحوا ضحية لثقال ضغوطا جديدة على البنيان الاجتماعي ، وبلر الاستياء من معاهدة السلام وما حدث بعد الحرب من تغير في الأوضاع الاقتصادية بظور العديد من الحركات السياسية السلطوية في سنوات ما بين الحربين .

ولاحقت ثورة بواندر لهذا الصراع في قواصر القرن التاسع عشر عندما حدث تنافس بين القوى الكبرى على إنشاء امبراطوريات في مختلف القارات ، ولعل اقتصادية الصناعة قد زادت قوة في العقود الختارية من القرن بفضل اختراعات الثورة الصناعية الثانية ، مما أكد تمتع الملان الأوروبية بأعظم قوة على الأرض ، ووصح فالبيل حدريك على اعتماد السيطرة على العالم على الجراة التكنولوجية حيثفك ، والمرايا العسكرية للتكنولوجيا التي حققتها لياقي الأمم ، وما أسهل وأسرع تحول هذه القوة العسكرية لامتصاص في الصراعات التي نشبت بين مختلف الدول الأوروبية .

ولم يتوقع أحد في سنة ١٩١٤ استمرار الحرب أبدا طويلا ، ويتضح ميكائيل حوارد عن توقعات الضباط والقادة قبل الحرب العالمية الأولى عن طابع حرب المستقبل ، ويشير الى أسباب الراجح بينما الهجوم الذي زج بمشرات الآلاف من الرجال للقاء حتفهم ، وكيف استمر الايمان بهذا للما طويلا ، وبعد أن استمرت الحرب مصحوبة بمصائر لم يتخيلها بشر من قبل ، بدأ الشعوب بالتفريق من الأحوال السياسية يظفر على

السطح . ولم يتماثل هذا الضيق في شدة أهميته مع ما حدث في روسيا .
ويشرح تسياتسكي هامسجوا كيف يقف المجهود الحربي البناء الاقتصادي
لستروجراد (حاليًا صان بطوميرج) ، وكيف أدت ضغوط الإنتاج خلال
فترة الحرب إلى إثارة اللاليل بين العمال ، واستطاعت مختلف الأطراف
السياسية والرايكانية توجيهها لتأييدها للنزوية .

وإثر ما حدث من الديداد في خسائر الحرب حتى بلغت مئات الآلاف ،
وانقضاء عمل الكثير من القيم ، واشتراك الكافة في التمكن بما سيحل
بالجتم . حاول مختلف الكتاب الأيدي بما كانه سيحل بأوروبا لو لم
تحدث الحرب ، ولم يست عن جرائم كثيرين من المؤهوبين . ويحدث
روبرت وول عن السبب الذي دفع للعديد إلى التعلق بأسطورة فقدان
جيل من الإبلين المؤهوبين ، مما أدى إلى تشر الأجلير إبان العشرينات
والثلاثينيات . وبدأت في هذه الناحية كيف تمهد الأساطير التي تروى
عن الماضي الطريق أمام أساطير الحاضر .

عصر الامبريالية

التكنولوجيا وتوسع الامبراطوريات الاستعمارية

الاوربية في القرن التاسع عشر

دانييل هادريك

عندما كان القرن التاسع عشر يشرف على نهايته ، سيطرت القوى الأوربية - وعلى الأخص بريطانيا العظمى وفرنسا ولانانيا - بطريقة مباشرة وغير مباشرة - على مساحات واسعة من العالم غير الأوروبي ، وعملت على استغلالها ، وتقسيم الأوروبيون ما يكاد يقرب من كل أفريقيا - وكانت بريطانيا تحكم حكما مباشرا شبه القارة الهندية ، وتمتد نفوذ غير رسمي في معظم أنحاء أمريكا اللاتينية ، وعلى مناطق المستعمرات الانجليزية في كندا وأستراليا ونيوزيلندا . وكانت فرنسا تحكم الهند الصينية ، وتمتعت بجميع القوى بملكات تجارية خاصة مع الصين . وقد فرضت هذه الطلائع عن طريق القوة ، وبعد الحرب الإسبانية الأمريكية ١٨٩٨ ، ظهرت الولايات المتحدة على مسرح الأحداث كقوة امبريالية .

والأمر ، الامبريالية = الجبنية - وهو الاسم الذي أطلق على هذه الحركة للتفرقة بينها وبين ظاهرة التوحات الاستعمارية التي حدثت في القرن السادس عشر - الفرت قفائنا وصفا ، مثال لم يصم حتى الآن بين المؤرخين حول دوافع القوى الامبريالية . واحتلت الصناعة العوامل المرتبطة بدهانت الكسب الاقتصادي والاعتبارات الخاصة بالاستراتيجية البحرية والمزايا السياسية التي تعود على رجال السياسة في البلدان الامبريالية . في مجال السياسة الداخلية ، والمخارجية للأوروبيين لفرض النظام على الأوطاع الخارجية التي أصابها الاضطراب .

Technology and the Expansion of European

نالا من قال

Daniel R. Headrick تأليف Colonial Empires in the Nineteenth Century.

في مجلة Journal of Modern History الجزء ٥١ (١٩٧٩) ص ٢٦٦-٢٧٦ .

وبالاستعانة الثارة لسؤالات أخرى عن الامبريالية الجديدة لا تتعلق بدوافعها . وليست هذه التسؤلات بالأقل أهمية ، ومن السهل الرد على بعضها . ومن بين هذه الأسئلة : كيف استطاع الأوروبيون بطريقة فاعلة وفعالة فرض إرادتهم على الشعوب الأخرى ؟ ولعل العامل الأساسي الذي ساعد على فرض هذه الهيمنة هو تكنولوجيا النقل والتسلح ، التي استعان بها الأوروبيون في محاولتهم . وضمت هذه التكنولوجيا السفينة التجارية ، التي ساعدت على اختراق الأنهار الداخلية والقيام الساحلية الفعالة المنظمة الأهمية ، والتفهم في تكنولوجيا العطب ، ولاسيما اكتشاف الكيتين الذي ساعد الأوروبيين على استمرار العيش بعد هزاجتهم بفرض البقاع التي اخترعتها سفنهم . وأخيرا القدرة الشاملة والكفاسة لثيران الأسلحة التي توفرها بعد اختراع البنادق التي تعمر بالترابيس، والبارود الذي لا يتناقص منه المخلن بعد انفجار العبوة ، والرشاشات التي زودت الجيوش الأوروبية الصغيرة العدد ، أو حتى بعض المبيعات الأوروبية الصغيرة ، بتفوق تكنولوجيا قتال ، ساعد على اكتساح الشعوب التي يسمون لقبورها . وتجلت أهمية هذه التكنولوجيا بوجه خاص في مناسبات فلة ، مثلما حدث في اليابان ١٨٩٦ عندما لاقى الأوروبيون شر هزيمة على يد شعوب غير أوروبية مسلحة بأسلحة متقدمة .

لكن تتصاعد موجة من الامبريالية، فانها تحتاج الى أحد السيناريوهات الثلاثة الآتية : ١ - توافر الوسائل الكافية ٢٠ - ترايد البواعث الداعية الى تفجير الطغ ٣٠ - وجود دوافع التغير . وعندما ظهرت الوسائل التي تيسر الحادثة ، وحلت تغير في الدوافع والوسائل ، فانها اشتركا سويا . وساعد ذلك على وقوع الحادثة . ولقد لمس كامبرون (روتسو) السيناريو الأول في الكلمات الآتية . لقد كان التفوق الأدبي من الحقائق المستقرة منذ أمة بعد . وهي التي امتلكت طبها الحراز حتى الآن . وترعى الغاية من بحثنا الحالي الى تحديد مثل هذه النظرة والقول بأن التفورات التكنولوجية كانت لا تمنح عنها وكانت الركيزة التي اعتمدت عليها أوروبا في حركتها التوسعية في القرن التاسع عشر . وقد أثرت هذه التغيرات على كل من توقيت الحركة وموضعها وبذلك يكون السيناريو الثالث هو الأهم والأدق ، تاريخيا .

وعندما يقال علنا (بشمة وكسرة تحت اللام) ان الوسيلة التقنية تتماثل في الحاجة اليها وعدم الاستغناء عنها تماما مثل الفواخ ، فإن هذا لا يعني وجود صفة بين الحدين . والأمير عكس ذلك . لمبتقود ظهور أية تكنولوجيا جديدة أن تبرز أو تولد تفجير دافع من المواقع سا يسر تحقيق الغاية المنشودة ، ويجعلها مقبولة لرحصها . وعلى عكس ذلك ،

فقد يحظر أى دافع البحث عن الوسائل للتسمية ، ومن هنا يتوجب علينا أن نتحرك بين موقفين حبيين خطرين : الموقف التكنولوجي (ما يجب أن يجرى سبجري) والموقف الميكولوجي : « إذا وجدت الإرادة وجدت الوسيلة » - وما يقدمه هذا البحث إذن ليس محاربة الموقفين اللذين اشتراكا بالفعل في الحوار الذى دار حول أساليب الإمبريالية الجديدة ، وإنما إضافة بعد جديد إليه -

ومن بين الوسائل والمسبل التى استعملت بها الأوروبيون للتعامل مع إمبراطوريتهم بآسيا وأفريقيا في القرن التاسع عشر ، وأجسروا بها فتوحاتهم - الركب البخارية - فمنه عهد فاسكو داجاما حتى الحرب الروسية اليابانية ، كان الأوروبيون يسيطرون على البحار ، وإن كانت سلطتهم لم تتجاوز ما هو آمن من السواحل - ولربما أقدم البحاريون عند اجتازهم بعيدا عن شواطئ الصين أو اليابان أو أفريقيا على إحالة الأهل أو مضايقتهم ، ولكنهم لم يتمكنوا من غزو بلادهم - إذ كان من الصعب على السفن الغربية الأوروبية الراسية في الموانئ والأنهار للزودة إلى المدن الساحلية أو تداور ، وكانت تتعرض للاستطعام بالأرض ولبنود حطمية السواحل - وكانت الفيود المغروضة على لواء الأساطيل تتحكم في علاقة بريطانيا بالصين قبل حرب الأفيون - فبينما كان في استطاعة السفن الانجليزية إطلاق برانها على انفلاق الصينية عند مصب نهر « يرك » - وفعلت ذلك منذ عهد باكر يرجع إلى ١٦٣٧ ، إلا أنها لم تكن قادرة على تهديده مدينة مثل كانتون أو أية مدينة مهمة أخرى ، فلا عجب إذا تصور الصينيون الانجليز « كبربرة قادمين من البحر » - وإذا رفضوا النظر بمنظار الجده إلى توسلات سفره من موقع من أمثال اللورد ماكرتنى ١٧٩٣ أو اللورد آمهرست ١٨١٦ -

كان البخار إذن هو الذى فتح الأنهار والمياه الضحلة في العالم أمام الأوروبيين - فلقد غطت الميازسات البخارية لتسيير القوة البخارية في تحريك السفن ، كما أثبتت المركيز دي جوفروا خلال في لهر الزون ١٧٨٣ وجون ليتش في نهر ديلوير ١٧٨٦ ولويس سنجتون وباتريك ميلر في نهر كند ١٧٨٨ - ويعرض هذا الفصل إلى عدم وجود محرك يجمع بين صغر الحجم وكفاءة القوة - وفي العقد الأول من القرن التاسع عشر ، ظلت التسيينات التى جرت على المحرك البخارى منه الصغرى - فهي ١٨ ٧ - أنتجت البخارة « كليمون » لروبرت فانتون أن يقدور السفينة البخارية النجاة في المهام التجارية - وساعد هذا البيان على تسريع خطى التقدم - وفي العقد الثانى من القرن ، تم إنشاء بواشر من مختلف الأنواع في أمريكا وأجلترا وفرنساء وبلشت هذه الانشاءات اللوحة عند تصميم خط ملاحية منتظم بين إنجلترا

وايزلثة ١٨١٦ ، وفي أول عبور للأطلس نضمت به المركب ، سافلا ،
اعتمادا على البخار والقلاع ١٨١٩ »

وما لبثت البواخر أن شقت عباب مياه آسيا بعد ذلك . وأنجرت أول
محاولة الباشرة ديانا التي بنيت في كيندبور بالقرب من كالكتا ١٨٢٣ -
وكانت هناك باخرة أخرى (بلوتو) شقت قبل ذلك بعام ، ولكن لم يتحقق
الوصل بين محركها وعجلة التجديف الا ١٨٢٤ - وفي السنة التالية .
وصلت « انتررايز » وهي أول باخرة تصل آسيا من أوروبا ، بعد رحلة
استغرقت ١٠٣ أيام ، استعمل فيها البخار لتحريكها خلال ٦٣ يوما .

وسرعان ما غلت هذه المستحدثات أول بوادر الحركة الإمبريالية .
ففي ١٨٢٤ شقت شركة الهند الشرقية لبحلة أول حرب نهريّة على نطال
واسع في التاريخ الحديث ضد مملكة بورما . ومضت البواخر الثلاث
رسميا للمشاركة في أعمال حربية . وصلت انتررايز في أعمال نقل
الذوات وعبورها ، ونقلت الاسلحات من كالكتا الى بورما . واستخدمت
« بلوتو » بماء تجهيزها بمخضع وبأربعة مدافع كادويد صخرة الحجم
كبطارية مدفعية عائلة أثناء الهجوم على شاطئ أراكا . ولست الباشرة
ديانا « كبحجة الحرب » . إذ ساعدت على استكشاف إيراوادي ، وطارت
سفن الحرب النابغة لروما ، وعبرت البحر ماقلة للجند ، واستخدمت في
جر المراكب الشراعية ولطف مواقع العدو بلناكب كرنجريف ، وأطلق عليها
ثعل بورما اسم « الشيطان الناري » وما كان يقدور شركة الهند الشرقية
كسب الحرب بدونهاء ولعلها ساعدت على تسهيل احرار هذا البحر ، وبفضلها
استولت بريطانيا على أراكا وييجو وتناسريم وبذلك بدأ عهد الإمبريالية
المتعمدة على القوة البحرية المهيمنة بالمطعم .

ورغم هذه النجاحات ، فقد أحاطت البواخر الأولى عدة اشكالات . فقلد
كانت هياكلها مرفوعة لجميع ألوحه القوس المهددة في جميع السفن
المشبية ، كالشكل والنقص والنسوس وتسرب المياه . وعانت هذه البواخر
أيضا من المشكلات التي استطاعت المراكب الشراعية تفاديها . إذ كانت
المعدات الآلية شديدة الثقل والضغط على الهيكل الخشبي . واحتلت
محركات وخزانات الوقود والمخازن والمستودعات ميرا ثميننا على حساب طاقم
المركب ، وكانت السفنة الخشبية تتعرض لمطر املاخ النيران من جراء
هدير المدافع والنبزات المتصلة أثناء تفجير الصبوة على سطحها والشرار
القطاير من المدفنة . وأخيرا اتضح ضعف متانة الأخشاب ، وعظم الساع
المراكب الخشبية ناقدر الذي يساعدنا على حمل الآلات والمدافع . ولم يكن
بالقدور بناؤها بارتفاع بسيط يناسب الرحلات النهرية ، وكاسايها في

ذات الوقت الثابتة التي تساهمها على تحمل الرحلات الطويلة عبر المحيطات.
ولمواجها .

وجاء الحل باستعمال الحديد في صنع السفن . ومنذ وقت باكس
يرجع إلى ١٧٨٧ قام جون ليفكنسون الخبير الكبير في سبك الحديد وصناعة
المضامع بإجراء تجارب على مركب مصنوع من الحديد على نهر سيفرون ، ولكن
عمليات التجريب تسببت ثلاث سنوات من حراء تعمل بعض الطاقبات
المحافظة لصناع السفن البريطانيين ، الذين قالوا : إذا حملنا بأن الحديد
لا يطفو على الماء . فمن يقسم عدم عرق أية سفينة مصنوعة من الحديد ؟
إلا ينتظر أن تصاب بالصدأ أو يجتذبا البرق . أو تتسبب هذه نفتتها إلى
ضحايا في البحار العميقة ، أو ترواد سخرتها إلى حد الاحتراق عند تعرضها
للمحسس ؟ . وإزاء هذه التخمينات ، لم تصنع أية سفينة حديدية لاديرة
على شق هباب البحر إلا ١٨١٥ . ولم تظهر أية باخرة مصنوعة من الحديد
إلا ١٨٢٠ . وأثبتت إحدى البواخر (*) قدرتها على الإبحار عبر المانش وحتى
نهر السين . وانفجحت المركبة الحديدية ليست فائدة على الطفل فحسب ،
ولكنها أيضا أخف وزنا وأعظم اتساعا من أية مركبة حديدية تشغل حيزا
مماثلا ، لأن أية عارضة حديدية سمكها صبعة سنتيمترات باستطاعتها أن
تحمل محمل ككرة من الخشب الزان سمكها ٦٠ سنتيمترا . وأثبت الحديد
أيضا أنه أكثر ليونة من الخشب ، وأقل عرضة للتلف عند لمس الأرض ، ومن
السهو إصلاحه . وبالكثور صنع سفينة من الحديد تحملها جدران لا تنفذ
من خلالها المياه ، وبذلك تتضائل أخطار غليها . وأهم من كل ذلك ، إمكان
تفكيك السفن المصنوعة من الحديد في أشكال شتى ، وبإعداد من الصمم
تحقيقها في حالة الخشب ، كالمراكب النهرية التي تلطمها تيارات ضبابية
إلى قايلة الصق ، أو عابرات المحيطات الضخمة . ويرجع الفضل إلى الحق
لحديد فيما تطلق للسفن التي ظهرت فيما بعد من تنوع وتخصص يروق
التصور .

ولم تكن فكرة الباخرة الحديدية مقدمة في ذاتها ، ولكنها احتاجت إلى
مفكرين أصحاب سميلات فذة . وأدى تحقيق هذه الفكرة في أحد الابتكارات
إلى ابتكار عابرة المحيطات التي بلغت ذروتها في الباخرة الصلابة جريت
ايسترن (**). وانتهى الاتجاه الآخر إلى ابتكار دوما بدأ يقل شيوعا وبخاصة ،
وإن كان قد أدى إلى ابتكار البواخر الهجرية . ويرجع فضل الريادة في
هذا المجال إلى أسرة لايرد من بركنهد . ففي ١٨٢٦ ، أنشأ ولیم لايرد

Adam Smith

(*) الباخرة

Ornet Eastern

(**)

وابنه جون صبح ولیم لايرد وابنه لبناء اول مركبه حديدية زنتها ستون طناً ، لاستعمالها في بحيرات اميرالاسه . وبعد ذلك قاموا ، وصلت الاغنياء عن ايجار ريتشارد لايرد في مجرى نهر النايجر بقارب من « بوسا رايبتر » الى الدلتا ، وبذلك اكمل الرحلة التي بدأها مونيخ برك (*) قبل ذلك ببلاتين سنة - ثم صبح مذكريجيور لايرد اصغر ابناء ولیم ، واكثر ابناء الأسرة ولما بلغوا على الوصول الى نهر النايجر عن طريق البحر ، وفتح طريق التجارة البريطانية والعود البريطاني في افريقيا ، واحتللت في دواقمه التي جاهر بها عوامل الخطة الاحتكارية وايمان المسيحي وشهوة الكسب ، التي كثيرا ما يلاحظها في روايات المكتشفين حينذاك : « وخلق اسواق جديدة واسعة لسلعنا ومصوغاتنا ولاكتشاف موارد جديدة . ورفض مستوى آخرامنا من الاروبيين بعد ان تروى وضعهم واصبحوا يفتخرون الى الشعوب القومي والاسلافي لمساعدتهم على بلوغ مستوى اقرب الى صورة الخالق الذي حافظوا على شاكلته » .

بيد أن هذا الرجل المنحصر من صلب امريكيا كان متحمسا لتقدم التكنولوجيا نفس حاصته للنشاط المعمل التي لم تنسبه غيره على الذين.

« نحن نملك بين ايدينا قوى اخلاقية وعادية وميكانيكية . وتسلط القوة الاولى على الكتاب المقدس ، وتسته الزانية على قدرة الجنس الانطوسكسوني الرائعة على التكيف وجميع الاجزاء والمواقف والظروف . ولقد ورثنا القوة الثالثة عن عالمنا الخالد جيمس وات ، فبفضل اختراعه انقضت جميع المحار لنا ، ونجحنا في اختصار الوقت وتقصير المسافات ، ولو قدر لروحه الاطلاع على مدى نجاح اختراعه على الأرض ، فلا أحال وجود شيء آخر سرى عنه مثل مساهمته للسفن البخارية وهي تبحر عاب انهار جبارة كالمسيحي والامازون والنايجر والنيل والانور والجاني ، وهي تحمل نشائر السلام المنبهة والخير لجميع البشر ، الى مجاهل الأرض المقصدة حاليا بمشاعر القسوة » .

ولمّا لايرد بالاشتراك مع رجال اعمال آخرين من ليبرول الشركة التجارية للتنمية للكشوف للاخوان لايرد على نهر النايجر ، وكانت لديهم سفينتان من صنعهما : الاولى واسمها كورا وهي باخرة مصنوعة من الخشب حملتها ١٤٥ طناً ، وطولها ٣٧ متراً تقريبا ، وعمقها متران ونصف ، ولها محرك تورن ٤٠ حصاناً ، وحمولة الثانية ٥٥ طناً ، واسمها اليوركا (**).

وطولها ٢٩ مترا ، وعمقها متران تقريبا ، وقوتها ١٦ حصانا ، ومصنوعة من الحديد . وسليحت السفينتان تضليحا قتيلا . فالى جانب للمافع اليدوية ، كانت « لور » تحمل ملحما متحركا وزن دافته أربعة أرطال - ومدماع كارونية (نسبة الى كارون) دنة دانتها ١٨ وطلا ، و٨ عربات مدفع (عيار ٤ أرطال) . وتعمل البوركا مدفعا عيار أربعة أرطال و ٦ مدافع متحركة عيار (رطل واحد) .

وفي ١٨٣٢ ، تحرك ماكجريجور لايرد ولرنشارد لاندو وبانترامها مضحوبتان بمركب شراعى صوب دلتا نهر النايجر . ولماها المرة الأولى التي تساطر فيها باخرة صغيرة مثل البوركا في الدخول الى عرس المتوسط ووصل الأسطول (!) يسلم الى خليج بنى ، ومن هناك نجحت الباخرتان في الإبحار داخل الدلتا ، والى نهر النايجر عند نقطة التقائه بنهر بنى (٢) . وحظقت الحملة نجاحا باهرا ، وأثبتت قدرة قوة البخان على احتراق الغريضا . أما من حيث كونها مضطرة ، فقد فضلت مشلا ذريعا ، فمسلما تحاول الوسائل المتقدمة تكنولوجيا التغلب على احدى الصعوبات الطبيعية ، فانها كثيرا ما تستغل الضوء على غلبة أخرى ، فمن بين طاقم السفينتين وعندهم ٤٩ من انبيض الذين اشتركوا في هذه الحملة ، مات ارسون ، وعاد لايرد بالذات ١٨٣٤ منهك القوى بعد ان فقد زوته وصحته في افريقيا . سم للذ توافرت جميع الدواع ، ولكن الوسائل لم تكن كافية ، مما حث الأوربيين على التمهل في قلعهم داخل افريقيا ، والانتظار عشرين سنة أخرى .

وعلى الرغم من ان افريقيا الاستوائية قد ظلت مغلقة امام تطلعل الأوربيين ، الا ان آل لايرد قد نجحوا في اثبات قيمة البواخر المعدنية ، وبناء مصنعهم ينتج عددا كبيرا منها لديه القدرة على اجتياز مسافات طويلة ، وكانت باخرة آل لايرد : جون وانغولف التي أرسلت الى السانانا هي أول باخرة تعمل في المياه الأمريكية . وفي ١٨٣٦ ، اكتشف فرنسيس روبرن شيربي نهر الفرات (بالعراق) على باخرة سماها باسم النهر ، وبنها لايرد . وفي ١٨٣٧ ، اشترى محمد علي الكبير الباهرة ابيشيان للاستحار في نهر النيل . غير ان نجاح آل لايرد الأعظم له تحقق في الشرق الأقصى حيث ساهمت سفنهم بكثير كبير في تضخيم قوة بريطانيا .

وكانت أول باخرة تصل الى الصين هي الباهرة فوربس التي وصلت الى هناك من كلكتا ١٨٣٦ أو ١٨٣٠ . وسرعان ما اعترفت المستعمرة التجارية الإنجليزية في الصين بالقيمة المحتملة للبخار في عمليات النقل

النهرى . وفى ١٨٣٥ ، التمسوا من أقرانهم الصينيين إرسال البواخر
الصغيرة جالدين عبر نهر يرك من مكالو الى كانتون .

وكانت العلاقات الانجليزية الصينية متوترة ، وفشلت عدة بعثات
دبلوماسية انجليزية في اقتناع الحكومة الصينية بالسماح لها بالتجارة .
وفي ذات الوقت ، انتهى الانجليز الشئ الصينى ، وتفاقم اشتهاؤ الصينيين
للأفيون . وعندما فُتحت شركة الهند الشرقية ١٨٣٤ احتكارها للتجارة
الصينية ، مرع التجار المخامرون الى التراحم لتحقيق أرباح طائلة من تجارة
الشئ والافيون . وما ساء التجار الانجليز أصلا حرة وصفه الرسمىون
الصينيون بالتهريب والقرصنة . وما بدأ لهؤلاء الصينيين لمرسا مشروعة
للأفيون ، ارتأه التجار تسخلا غير مشروع وبزواكى .

ومن هنا لم يشعر الصينيون بالارتياح لفكرة قيام باخرة نارية (٣) ،
كما سمحوا بالابحار الى كانتون . وأمرها الحاكم المسئول بالابتعاد : « وإذا
تقاربى القطار وأصر على عدم اطاعة الأمر ، فأننى بصفتى الحاكم المسئول
قد أصدرت أوامرى الى جميع الحصون بإطلاق النيران الهادئة بمجرد وصول
البواخر ، ومهاجمتها » . وعلى الصوم ، ولما كان قد اقترب من حدود الأسرة
الساوية (٤) ، فمن الصواب أن يطيع قوانين الأسرة المساوية . ولقد
أمرت الأحسى بالتمسك فيما ذكرت عليا . وأن يمثل من الآن فصاعدا ، وأن
ينصاع للقوانين . ولكن الأجانب لم يستثلوا أو ينصاعوا لتهديدات النيران
الهادئة من التحصينات المنتفة بمحاذاة النهر . فكلما قال ولهم جازدين -
وهو أحد التجار الأترياء (١٨٣٤) : « لا ينسى أن يسمح لتجارنا القيسة
ودخلنا الكثير من كل من الهند وبريطانيا المطمئ بأن يظل خاضعا لنزوة
من التروات التى يسلفور حنة من مراكنا المجهزة بالدافع والمتلة حول حدة
المدينة التعلب عليها بالطلاق القليل من مدافع الهاوز » .

وأدت هذه التوترات في نهاية المطاف الى مشوب حرب الأفيون . إذ
كان يمكن وراء استبعاد الانجليز للهجوم على واحدة من أفضل شركاتهم
« معرفهم أهم أصبحوا يدعون الآن القليل من السفن المجهزة بالدافع » ،
التي تمكنهم من الاستمرار بالتجارة لتتصاعد من الحصون الصينية . وفى
١٨٣٦ ، عرض جون لايرد على البحرية الملكية فكرة بناء طراد مرود بالدافع،
ولكى القيادة البحرية رفضت الفكرة . ولم تكن شركة الهند الشرقية بعد
أن تمسكت بالخبرة في بومبا ، فتقاربه مع هذه الشركة في شدة لزماتها
الحفاظة . وفى ١٨٣٩ ، كلفت اللجنة السرية لمجلس المديرين جون لايرد

يصنع مركب من طراز غير مألوف على الإطلاق أسمتها « نيموس » ، وكانت
أضخم السفن المصنوعة من الحديد التي ظهرت حتى ذلك العهد ، بطولها
١٦ مترا ، وحولتها ٦٣٠ طنا ، وتعمل بمحركين بخاريين قوة كل منهما
٦٠ حصانا . وسلحت هذه السفينة بستة مئتين جرسين على ركيزتين وعبارهما
٣٢ رطلا وسلحت أيضا بخمسة مدافع عيار ستة أرطال ، وعشرة مدافع
صغيرة - متحركة وقذائف للصواريخ وبمقنورها حمل ٩٠ رجلا - ورغم
حجمها فإنها لم تكن قادرة على سحب أكثر من ١٨٠ سم من الماء عندما تكون
كاملة التحول ، وتقل كمية السحب في حالة تأخيرها للمركبة - لم تكن هذه
السفينة البخارية مجرد سفينة بخارية وحسب، ولكنها كانت مسلحة للحرب
الأمبريالية ، ومعدة خصيصا لهذا الدور بالذات ، كما قال نبطان ، ولهم
حول .

وفي ٢٨ مارس ١٨٤٠ ، أبحرت الباخرة نيموس من إنجلترا في
طريقها إلى ميناء أوديسا بروسيا ، مما أثار فضيحة الجميع ، وإن كان من
سبحت لهم الظروف في التمعن في هذا الخبر ، لم يصدقوا احتمال أن
تكون أوديسا هي وجهتها الحقيقية . وبسبب نزول الباخرة إلى البحر ،
أعلى السلطان للطام أنهم سيبحرون تجاه سبيل سبيل إلى أوديسا ، وبذلك
أصبحت نيموس أول باخرة حديثة تمر من رأس الرجاء الصالح . وفي
سبيل ، تلقى حول الأوامر بالاتجاه صوب ملقا (في إسبانيا) ، وهناك
أسطر في النهاية بأن وجهته الحقيقية هي الصين ، فوصل ناكار في
٢٥ نوفمبر ١٨٤٠ .

لم تكن « نيموس » الباخرة الوحيدة التي تشترك في عمليات حرب
الأيون ، فلهذه توجهت إلى الصين مجموعة من البواخر الخشبية لقاعة من
خليج البنغال (البواخر أتلانتا ومدغشقر وكوين ، بل والسفينة القديمة
انفرايراز) ووصلت إلى هناك أيضا فليجتون (؟) وهي من صنع لايرد . وقد
أعدت للسفن كباخرة حديثة نهرية ، وعلى نهاية الحرب ، كان عدد البواخر
المشاركة في عمليات الصين ثمان مائة باخرة ، تنتمي خمس عشرة منها إلى
شركة الهند الشرقية ، وبمده وصول البواخر - وصول نيموس بالذات -
اكتسبت العلاقات الصينية الأوروبية طابعا حديدا كليا ، فلم تتخذ هذه
الواجهة مظهر الواجهة الكلاسيكية عديمة الجدوى بين الحرب والليل ، بل
أن تقلت البواخر الحرب المدججة إلى قلب الصين .

وكانت الصين مجوزة على خير وجه لحرب القرن السابع عشر ،
وإرتكن دفاعها ضد الهجوم الغربي أساسا على خط من التحصينات المعاصرة

نهر البوج (*) عند مدينة تاكو القريبة من جنوب كانتون في مواجهة بكين . وفي عدة نقاط أخرى محاذية للساحل . وقد سجلت هذه التحصينات تسليحا كثيفا ، وإن كانت مدافعها - وبعضها يرجع عهدا إلى قرن من الزمان - مجهزة بدقائق مشحونة بالبارود الضعيف التأثير الذي لا يعتمد عليه . والمدافع مثبتة في الأبنية مما يصعب تحريكها وتصويبها إلى الأهداف . وفي ١٨٤٠ ، نيسر اسكات تحصينات نهر البوج بين المداخل المثبتة في جواس السفن من الخط الذي استولى عليه جنود البحرية . وكانت السفن الصينية متخلفة بالمثل ، ومسلحة بأسلحة كتراوح بين مطعنين أو ستة مدافع مثبتة في ألواح الخشب . ومن المتمدن الاعتماد على تصويباتها . وكانت طواليسها مسلحة بالسيوف والرماح والجبنةل (**) . وثبتت محاولات اصلاح هذا الحال فعم جواها . فقبل أن تبدأ الحرب ، اشترى القوميسور لى السفينة الحربية كيمروج التي كانت غير مجهزة بالمدافع اللازمة . وكانت السفن الصينية مفتقرة أيضا إلى الملاحين ذوي الكفاءة لتسيير السفن الأوروبية . وبنت السواحل الصينية وهي تواجه عتاد السفن الانجليزية أشبه بشواطئ حالية من المدافع . بعد أن امتلك الانجليز البواخر التي تساعد على حل المشكلات التي كانت تواجه الأساطيل دائما عند تصديها للدفاعات الساحلية .

وفي بعض الحالات ، كما حدث عند الهجوم على تحصينات نهر البوج ، أو على مدينة تينجاي (***) ، استعملت البواخر كقاطرات لجو السفن الضخمة من الخط إلى مواقع تساعدها على إطلاق بواب مدافعها المثبتة في جواس السفن على العدو . وفي بعض حالات أخرى ، استعملت لجو سفن تحمل البخارة إلى مواقع الهجوم البرمائي . وكانت البواخر المحورة للتحرك في المياه الضحلة مثل « نيسيس » قاذبة على خصوص مثل هذه العمليات . واعتادا على قدرتها على المناورة السريعة ، وألقا مفلولغاتها الكوبريف . كان بقدر البواخر النهرية الخراق السفن الحربية الصينية دون منسقة . وأدت دورا فعالا أيضا ضد تكتك صبي مفضل آخر : القوارب المحيرة بالنيران ، التي تحتوي على أقطاف منقوعة في الزيت ، تعمل ثم تقذف لكي تقتار كسطحانا لواجهة المحاربين الانجليز . واكتفت البواخر بالتقاطها بغطاطيها وإزاحتها من طريق السفن الحربية .

Bogue

مدافع صغيرة تطلق من حافة ألبيات ولا تزيد

Pringhee

نهر

Ingala أو

دانتها عن الرططين

Ingala

ولعل أدوم المشاهد التي عرفتها الباشرة نسييس هي الهجوم على كانتون من الخلف في فبراير ١٨٤٢ ، فبينما كان الأسطول مبحرا في سهل في طريقه الى نهر بول ، شقت نسييس طريقها عبر قنوات داخلية ضيقة ، لم تتجرأ أية سفينة حربية على دخولها قبل ذلك ، وحطت المراكب الصينية ، وأعطرت التجهيزات بوابل من قنابلها ، مما أثار الدهر بين الأملالي .

ولذا كانت الحرب لم تنته على الفور ، لأن هذا دليل يثبت كم أضعفت الحكومة الصينية من وقت لكي تدرك ماهية الخطر الذي يواجهها . ومع الاعتراف بالهزيمة التي حلت في معركة كانتون ، إلا أنها لم تكن قد تحولت بعد الى كرامة ، وشن البريطانيون بعد ذلك بسنة هجوما كبيرا على نهر اليانجسي شاركت فيه ثمانى سفن من الخطه وعشر بواخر ، وعقد من السفن الأصغر حجما . وواجه الصينيون الهجوم اعتيادا على قوادب مسلحة بالدافع تدار بمجلات التجهيز . غير أن استفادها الى معركة البواخر في حركتها قد جعل منها غريسة سهلة للبواخر البريطانية . وفي شجنكيانج ، استولى الأسطول البريطاني على مرفق النقاء نهر اليانجسي بالقنابل الكبيرة ، وأدركت الحكومة الصينية عند هذه النقطة قسوة البريطانيين على قطع اسدادات الارر عن بكهم . ومن ثم قررت الاستسلام . وبذلك احتضنت بريطانيا الى وسيلة للفرض ارادتها على الصين .

وليس من شك أن حرب الأفيون كانت أعظم الأزمات الشيرة التي أثبتت أهمية البواخر في المفاخرات الإمبريالية . ولكنها كانت بعيدة تماما عن أن تكون المحاولة الأخيرة . فمسمما ألزم البريطانيون ١٨٥٢ مرة أخرى على مهاجمة بورما ، كانت البواخر قد غطت مالوفة في المياه الهندية كسفن نهوية وعابرات للمحيط أيضا . إذ كانت لشركة الهند الشرقية شملت للبواخر على الأنهار الرئيسية في الهند . وكانت شركة بواخر الملاحة الشرقية تصل في الشرق الأقصى في رحلات منتظمة . وكان من اليسير إصدار أمر بمصادرة نوعي البواخر ، بالإضافة الى بعض السفن المتخصصة للجهرة بالمناطق (٣) لضمان نجاح هذا الهجوم .

وسكاية زيارة الكومندور يري الى اليابان (١٨٥٣ - ١٨٥٤) هرومة الى حد كبير ، مما يجعلها لا نستأهل إعادة الذكر . بيد أنه من الجدير بالإشارة أن هذه القصة لا تنتمي فقط الى تاريخ اليابان وتاريخ أمريكا ، ولكنها مرتبطة أيضا بتاريخ التكنولوجيا . ففي ذلك الوقت الذي كان فيه

يعتبر مبعراً في خليج طوكيو ، ظهر الأسطول الروسي تحت قيادة الأميرال بوتيالكين ، وكان من ضمن سفن الأسطول ، بعض البواخر التي تقف بعيداً عن شاطئ اليابان ، وكان البغار هو الذي حطم أسرة توكوجاوا التي كانت تحكم اليابان وليس قردا بالفتات أو بلدا بالفتات .

وانتهت بعض الحروب الامبريالية في آسيا في ذات الوقت نفس الاسلوب . وكانت حرب الأفيون الثانية (١٨٥٦ - ١٨٦٠) تكراراً للحرب الأولى ، من ناحية الأسلحة والأساليب المتبعة . فلقد استعانت البحرية الملكية بخمس وعشرين سفينة مجهزة بالمدافع أو يزيد ، وعدد من البواخر الصغيرة في الهجوم على كانتون وعلى الأسطول الصيني وعلى تحصينات تايو بالقرب من بكين . وبرز دور السفن المجهزة بالمدافع في غزو الفريسيين لتونكين (١٨٧٣ - ١٨٧٤) وفي آنام ١٨٨٣ . وفي الحرب الثالثة بين الانجليز وروسيا ١٨٨٥ ، وعلى نهاية القرن ، لم تعد البواخر والسفن النهرية المجهزة بالمدافع مجرد عتاد حربي وحسب ، ولكنها أصبحت أيضاً وموزاً للسلطان الأمريكي على شعوب الشرق الأقصى التي تملك شواطئ ساحلية وأهواراً صالحة للزراعة . ولقد أجعل الموقف الكولونيال لوري (٥) وهو أحد أنصار التوحات الاستعمارية حينئذٍ عندما قال : « كانت البواخر من المحركات السياسية بفضل ما تحتويه من عتاد قادر على خلق لغة مشتركة في عصر التقدم » .

وفي أفريقيا ، وكما لاحظ ماكجريجور لايد ١٨٣٢ ، لم تساعد البواخر ، على توطيد القوام الأوروبيين داخل البلاد . إذ كانت العنكة الكلود في حالتها هي الملايا . ولم تنبئ الأساليب التكنولوجية المتقدمة فاعليتها إلا بعد التسلب على هذا المرض الوييل . ولقد ظهرت أبحاث علمية ليليب كودني (٦) ، وميكائيل حلفاند وآخرين عن تأثير الملايا على العلاقات الأوروبية الأفريقية . وتكفي هنا الإشارة الى خلاصة مجلة تكسوفهم .

على الرغم من أن لغش الملايا في أجزاء كثيرة من العالم ، إلا أن هناك نوعاً (٧) منها ، لا يوجد في غير أفريقيا كان أكثرها فتكاً بضمحاياه ، وتمكس معدلات الوفيات للوافدين الجدد الى وسط أفريقيا هذه الظاهرة . ففي تسعينات القرن الثامن عشر ، بلغت معدلات الوفيات ما بين ٤٦٪ و ٧٢٪ بين أفراد القوات المسلحة الأوروبية المرتبطة في أفريقيا الغربية ممن استطاعوا البقاء على قيد الحياة بعد سنة من قدومهم للبلاد . وعبّأت نسبة الوفيات

Colonel W.F.B. Laurin

Gelfand, Curtin

Pia notium Walciperum.

(١٢)

(★ ★)

(★ ★ ★) النوع الذي لم يله جرثومة

في السنوات التالية بمعدل ١٠٪ تقريبا . وظهر من دراسة أجريت عن الطبية الواقعة بين ١٨١٧ و ١٨٢٦ أن معدل الوفيات متوقفا للجند البريطانيين في بريطانيا كان ١/٥٧ ، بينما بلغ هذا المعدل في سيماليوني ٤٨/٣٪ وهي ساحل الذهب ٢٦/٨٣٪ . وشاركت الحمى الصفراء والتمنية (الموشطاريا) وغيرها من الأمراض بدور في هذه الوفيات ، إلا أن الملايا بلغت القمة في هذا المضمار - واضطرت الحكومة البريطانية إلى سحب معظم الأفراد العسكريين البيض من أفريقيا الغربية ، وأحلت محلهم الأفريقيين أو جنودا من غرب الهند ، تميزت معطلات وفياتهم بصغر نسبتها .

وتسميت الملايا أيضا في الكولوث التي حلت بها لا حصر له من المعلات داخل أفريقيا . ولقد تعرضت بشات البرتغال إلى الكولنجو (١٨٤٥) وإلى داخل موريمبيق لغسائر فاضحة . ولم يكن المكتشفون البريطانيون في أواخر القرن الثامن عشر وبواكير القرن التاسع عشر أولي حقا . إذ فقدت بعثة وليام بولت إلى خليج ديلاهوا (١٧٧٧) ١٢٢٢ شخصا منهم ١٥ من أعضاء البعثة من الأوربيين ، وفقدت بعثة هولجو بلاك إلى أعمال النايجر (١٨٠٥) جميع الأوربيين ، وفقدت بعثة جيمس تاكي (٣) إلى الكونجو (١٨١٦) ١٩ من بين ٤٥ شخصا ، وكان ، لاندو ، بين الضحايا . وبين ١٨٤١ و ١٨٤٢ ، أوفدت الحكومة البريطانية حملة كبرى تحت قيادة الكابتن تروتر إلى النايجر على ظهر ثلاث بواخر معطلة بالمديد (٢٢) . وتكررت المأساة مرة أخرى . فقد سقط ١٥٢ من الأوربيين سرهى ، مما زاد من الزعاج الحكومة .

ورغم هذه الاخفاقات ، إلا أن سحر أفريقيا قد ظل محتفظا بقوة . ويرجع حائسين لاستمرار انبعاث الأوربيين نحو أفريقيا إلى أسباب اقتصادية وأسباب إنسانية ، وإن كان الجانب الأكبر من الأسباب يرد إلى شدة حماسة ماكجريجور . ففي ١٨٥٢ ، أنشأ هو ونطس أفراله من رجال الأعمال شركة البواخر الأفريقية - وهي أول خط ملاحى يقوم بغامات شهرية منتظمة بين إنجلترا وأفريقيا ، واشترك هذا الخط الملاي في أعمال التجارة العادية مع وسطاء وسامسة الساحل . على أن لا يرد أدرك أنه بالاستطاعة تحقيق أرباح أوفر لو أمكن التظلم على عائق المرض داخل أفريقيا ، مما ساعد على تفادى اشتراك الوسطاء ، ومن ثم أسر على لتجميع قيادة الحملات الأفريقية .

ويعد الحل الذي اعتنى إليه للتغلب على الملايا انتصارا للتكنولوجيا التعريفية . أكثر من كونه انتصارا للعلم . فلم يتحدد بالأموديوم الملايا

James Fickling

{٤٢}

{*} هذه للبروتر من Albert و Wilberforce و Boudan

حتى ثمانينات القرن التاسع عشر ، ولم يكشف دور بعوضة الأنوفيليس في الإصابه بها إلا ١٨٩٨ ، ثم ظهر آتخذ دواء وقائي عمل هو الكينين الذي ظل يستعمل سنوات عديدة . وكان الأوربيون قد عرّفوا مراراً طاء شجرة الكينا في مقاومة الملاريا منذ القرن السابع عشر ، غير أن مفعوله قد تعرض للتحويل عن تأثير جملة صعوبات ، إذ كان من الضروري استيراده من جنوب أمريكا ، حيث يتعرض للتلف والتفوت ، وأيضاً للاحتيال في تقدير سعره . وكان السمو يعطى ويهبط تماماً للبعوضة ، في عالم الطب . واستعمل كملاخ أكثر من استعماله للأعراض الوقائية . والأدنى من ذلك هو عدم استمساغة مذاقه . وبعد أن شاع فترة من الزمان في القرن الثامن عشر ، لقد الأطباء البريطانيون الثقة في شجرة الكينا ، لأنها لم تفلح في علاج أحد أنواع الملاريا (٣) ، كما أنها لم تثبت فاعليتها ضد الحصى الصفراء وغيرها من الحميات التي كانوا يحطون بينها ، وكانوا يصعدون للملاخ بدلاً منها لاسالة اللعاب الزئبق والنقاط واستنراف الدم والكالوميل للتطهير . ولم تفلح هذه الوسائل ، إلا في قتل عدد أكبر كان سيكتف لهم البقاء أحياء لو أنهم لم يمالجوا على هذا النحو .

وبعد ذلك وفي سنة ١٨٢٠ ، نجح علان من علماء الكيمياء الفرنسي (٤) في فصل الكينين اللولائي من شجرة الكينا ، وابتداه من حوال ١٨٢٦ ، أجريت عدة تجارب ، وبخاصة من قبل أطباء البحرية الأميرال الراسين في ساحل أفريقيا العربية من بين المهتمين اهتماماً خاصاً بالأمراض الاستوائية . وبدأت نتائج بحوثهم تثبت احتمال قدرة الكينين على العمل كمحصن ضد الملاريا ، وفي ثلاثينات القرن التاسع عشر ، أمكن إنتاج الكينين بسعر مهادد يسر شيوع استعماله ، وضمف الاقبال على عملية الاستنزاف . وفي أربعينيات القرن التاسع عشر ، اتجه استخدام الزئبق والكالوميل إلى التضاؤل . وما لبى جاءت ١٨٤٨ حتى كان الأوربيون المقيمين في الساحل الذهبي يحتفظون بأقراص الكينين قرية من فرائضهم لابتلاعها بمجرد ظهور أذى علامة على بدء الإصابة بالمرض . وظهرت مؤلفات للثقات في الموضوع (٥) عن قيمة الكينين في علاج الحصى المتفجرة .

Falciparum

(*) الملاريا

Joseph Blumenthal Cavendon & Pierre Joseph Peletier. (**)

On the Value من T.B.H. Thomas. (***) كتيب إنكورد

Dr Alexander Bryson of Quinine in African Remittent fever
Report on the Climate and Principal Diseases of the African Station
On the Prophylactic Influence of Chinin. وكتاب

وظهر الرحالة السلطاني ١٨٥٤ عندما تلقى ماكجريجور لايرد عقداً من دكاسة البحرية بتكليفه باقتضاء باخرة أخرى في حوض السفن الذي يملكه شقيقه جون . وسميت الباخرة « باللياد » وكانت مفرغة بالمعدية ، ولها شراعتان وحمولتها ٢٦٠ طناً . وصحيرة بمحرك بخاري قوة ٦٠ حصاناً يديره خاصاً . وكان قبطانها طيسا يدعى ولیم بالفود بانكي الذي كان يحرس كواكب ديبى على إعطاء برلاء السفينة من الأوربيين اقراص الكينين يومياً . وأبحرت السفينة إلى نهر المايجر . ثم عادت أدراجها بعد إتمام رحلتها ، ولم يمت أحد .

وفتح التحصين بالكينين أبواب الفنزوة الأوربية لأفريقيا . لسرعان ما ظهرت في أعقاب الباخرة « باللياد » بواخر أخرى بلغت بالقيام برحلات منتظمة دعاءاً وإياداً في نهر المايجر ، متخطية وسطاء الدلتا ، وكافة التجارة الانجليزية . وانتهى الأمر بسيطرة الانجليز على الجزء الحظي نيجيريا . وحبل المكتشفون من أمثال ريتشارد بيرتون وجون سبيك وجوستاف رولمس ولرنيه كامبرون وهنري ستانلي مهم شجعات من الكينين . وأصيبوا جميعاً بالمalaria ، ولكنهم برؤوا منها ، وواصلوا رحلاتهم . وكان فاندي ليفنجستون يحمل معه اقراصاً سماها باسم « اقراص ليفنجستون » مؤلفة من الكينين والراوند والكالوتيل (*) . وكان يطبخها ليشفي المرافقين له . وقد تعرض كثيرود منهم للمalaria ، ولكن لئلا يمتنع منهم ماتوا . وعندما سرقت منه بعض الاقراص الداء سبخته الأخيرة ، كتب في مذكراته . « شعرت كأنني تلقيت حكماً بالاعدام » . ومات منه ذلك بفترة قصيرة .

واستعمل مستكشفون من أمثال ليفنجستون وستانلي وفراة مثل دى برازا في الكونجو ودود في داخومي وجنتيل في تشاد البواخر عندما سمحت لهم الظروف بذلك . فلذا رأينا عودة حضاريس البلاد ، واستجواها وغاباتها الكثيفة في الكثير من ربوع أفريقيا ، سيتضح لنا أنه كان من الصعب على الأوربيين التعلل في القارة بسرعة أو السيطرة عليها سيطرة كاملة ، لو أنهم أقدموا على ذلك صبراً على الأتظلم ، ومن المؤكد أنهم ما كان بإمكانهم أن يغلبوا في ذلك البيئة غير تناول الضفائر المضادة للمalaria . وهكذا بلغ الاقبال على الكينين شأواً كبيراً بحيث عجزت أشجار بيرو التي يستخرج منها على الاستجابة لكل الاحتياجات التي تتطلبها . وفي ١٨٥٤ ، أي في نفس السنة التي شهدت تحرك عمليه « البلياد » وشرع الهولنديون في زراعة شجرة لحاء الكينا (**) في جنوة باستخدام بذور مهربة من بوليفيا . وبعد ذلك بست سنوات زرع الانجليز هذه الشجرة

(*) وعادة أخرى تسمى *roots of juncus*

(**)

في الهند . وفي مشارق القرن العشرين ، كانت جميع احتياجات العالم من الكيبن تقريباً تستورد من هاتين المنطقتين . وهكذا مهدت الحركة الاستعمارية الأوروبية في آسيا شرطا لا غنى عنه للحركة الزحف على إفريقيا (١) .

وتمثل البولشر ومخصلات الكيبن توهى التكنولوجيا اللذين نجحا في التصدي لمواق الطبيعة . غير أن الأوروبيين عندما أقدموا على المخاطرة في مواقع بحري ، فإنهم تعرضوا لمقاومة الأماثل الوطنيين . وتطلبت هذه المقاومة الالتجاء لقوة الأسلحة والتكتيكات ، وبذلك يكون تاريخ الاستعمار قد سار في خط مواز لتطور فن الحرب .

ولقد اعتمد تفوق الأوروبيين في الحروب البرية على أسس ترجع إل عهده بعيد ، غير أنه في الأماكن القصية من العالم ، حيث يشتت الوطنيين بسيرات التفوق في المدد ومعرفة الأرض ، لم تقتصر حاجة الإمبريالية على ميزة التكافل في جميع المقومات ، ولكنها كانت تحتاج إلى التفوق المصالح والتفاوت الكبير في القوة ، الذي يساعد القوات مهما تضائل عددها . حتى في مناسبات الاستكشاف الفردي وجماعات الاتجار - على امكان التغلب على مقاومة الوطنيين . ولم تتكشف هذه المرحلة من التفوق إل أن جاء منتصف القرن التاسع عشر ، كنتيجة لما حدث من ثورة في الأسلحة النارية .

فلم يسبق لأي عصر في التاريخ أن أحدث تطورا ملهلا في أسلحة القضاة يقصاه مع ما حدث في القرن التاسع عشر . فسي ناحية قوة النيران المؤثرة ، يعد الفارق بين نهضة الحرب المالية الأولى وغداة مسكيت في عهد نابليون أعظم من الفارق بين « مسكيت » نابليون والقوس والسهم . وخلال ما حدث في حالة التحصين باستعمال الكيبن واستخدام البراخر النهرية ، تطورت السفن الحربية اعتمادا على استخدام الأوروبيين والأمريكان لها . وكانت الاستعانة بها في الحرب الاستعمارية مجرد شيء هامشي عابر ، ولكن من سرخيات القدر ، أن تغير هذه التكنولوجيا الحديثة توازن القوى في العالم غير الغربي أكثر مما حدث في الغرب ذاته .

ويعزى تطور المنطق الحديث إلى سلسلة معقدة من الخطوات التقييمية الصغيرة ، اشتركت في خطوها مصادر عديدة حتى ، يرجع بعضها للرون خلث ، وبمقدورنا أن نفرق بين مرحلتين . ففي المرحلة الأولى ساعدت ميكركات مثل خطيان العاوية والشمسنة والطقلت الاسطوانية واخترايش

المصنوعة من الورق على بلوغ عملية صهر المفعقة الكمال . ووجدت المرحلة الثانية بعد ظهور عملية التعمير من ناحية الترواس يفضل البروسبيج ، وبلغت ذروتها في المفعق ماكسيم ، ولم يكن الانتقال من عملية التعمير من فوهة الماسورة إلى عملية الصهر من النهاية الحولية للماسورة في ستينيات القرن التاسع عشر ، خطوة تقنية بسيطة في عالم التكنولوجيا لحسب ، فقد وادت الفجوة اتساعا في القوة إلى حد يصل بين الأوروبيين وباقي الشعوب ، وأدت إلى تضرر النعمة الاسبرالية في نهاية القرن - ولو أردنا فهم أهمية هذا التحول الخطير ، علينا أن نتبع في بحث حالة الأسلحة والتكتيكات الأوروبية وغير الغربية ، وما ترتب على ذلك من تفاوت في القوة للبل ستينيات القرن التاسع عشر وبمدها .

في بداية القرن التاسع عشر ، كان السلاح الجباري لجندي المشاة هو المسكيت التي تعمر من فم الماسورة ذات السطح المسكول ، والتي يستطيع تثبيت السونكي عليها ، وكانت البندقية (يسر) بكسر الهمزة ، البنية اللون التي استعملها الجنود البريطانيون حتى ١٨٥٢ ، هي نفس السلاح الذي استخدمه جنودهم في بلنهام ١٧٠٤ . وكان المكي الرسمي لهذه البندقية ٢٠٠ ياردة يعني ١٦٠ مترا ، وإن كانت لا تنصف بالقلعة حتى إذا صوتت على نصف هذه المسافة ، مما دعا إلى إصدار الأوامر للجنود بالكف عن إطلاق النيران ، ما لم يروا بياض عيون أعدائهم ، وبالرغم من كل هذا فانهم كما يقول صانع هذه البندقية (٢) ، كانوا يطلقون كميات هائلة من الرصاص ، تتناثر في ورنها هي وورن الجندي ، على كل غزو تصوب عليه لقتله ، ولما كان صهر الماسورة يستغرق - عادة - دقيقة أو أكثر ، لذا ائتمت هذه البندقية فالحدها كلطعة أكثر من غيرها كبندية .

وكان أخطر تعديل أدخل على أسلحة المشاة هو شمشخنة ماسورة البندقية ، مما ساعد على دوران الطلقة حول محورها ، وإطلاقها في خط مستقيم ، وكانت الفكرة قد اختبرت طويلا في البنادق الرياضية والبنادق البحرية . فقد استعمل الجنود الأمريكيون في حرب الاستقلال بنادق للصيد كان بإمكان تصويبها تصويبا مؤثرا لمسافة مائتي ياردة (١٦٠ مترا) أي ضعف مدى البندقية براون بس تقريبا . ونسلج بالمثل صهر الجنود الفرنسيين في الثورة بينادق شمشخنة ، وجرى فيه مسائل في بعض وحدات قليلة من الجيش البريطاني ، غير أن بنادق بواكر القرن التاسع عشر ، كانت حائلة بأوجيه القص ، مما جعلها غير صالحة للحرب الجماعية ، إذ كان من الصعب صهر الطلقات الكبيرة نوعا حتى تستطيع

الحدود دورانا صحيحا ، الى جانب سرعة اصابة الماسورة بالتلف مما يصعب تميرها ، واذا كان يتعمور ممارسي الرياضة توجيه عناية خاصة الى بناء قوسم والالتباه الى كل ما تستلزمها ، فان الجود المادي لا يحتاج لهم قوسه مماثلة ، وبخاصة عندما يلتهب حميم الحركة . وهذا يقصر لماذا استعجنت جندائل الكتل البشرية المتراصة في حروب نابليون البندقية . وبالرغم من كل هذا استمرت تجارب البنادق المشيشة ، وبسببت بها الوحدات الخاصة مثل لواء البنادق البريطاني (٢٠) .

وحدث التقدم المهم الآخر في غطاء الطابة . فقبل اواك القوس التامسح عفر ، كان البارود يتحمل عن طريق ذلك الصوالة ، وهي وسيلة لا تناسب أي جو غير الجو الجاف . واستحدثت الكسندر فورسات استخدام الفرقعة في عملية اشعال البارود . وفي ١٨١٦ ، سجل توماس شو اختراع غطاء الطابة ، وفي الاختبارات التي أجراها مكتب ولويش للجيش البريطاني ، لم يكتفب الشعال طلبة الطابة للبندقية برونزويك الا بنسبة ٤ في كل ألف طلقة بالمقارنة بـ ٤١١ في الألف في حالة ذلك الصوالة ، وتخفضت هذه الاختبارات عن تسليح وحدات بريطانية منتاه ١٨٣٦ ببنادق برومويك ، وبالأستطحية الحكم على تأثير هذه البنادق في التقرير الآتي عن إحدى الحارك التي دارت بالقرب من كانتون ١٨٤١ : « هناك سرية من جنود الجيش البريطاني الهندي مسلحة بمسكيت تشتمل عن طريق ذلك الصوالة التي لا تبلى حصنا في الجو الطير ، وقد حاصرت بضعة آلاف من الصينيين هذه السرية ، وكانت مهددة بالخطر عندما أمرت سريتان من جنود البحرية مسلحة بمسكيت بقطه الطابة بالتدخل ، فتششت العدو عن القوس بعد أن تكبد خسائر فادحة » .

وثالث تقدم مهم هو الطلقة الاسطوانية المخروطية التي صممت للتعليب على عدم دقة التصير من لم الماسورة ، ومن المتصور التالي ، يتبين أن تتعصف الطلقة بعصر الحجم حتى تنزلق بسهولة في الماسورة ، وأن يجب أن يتوفر لها الحجم المناسب للتخلص من الفتشنة عند الطلائها من الماسورة . ولقد تركزت المحاولات الأولى على دفع الطلقة للتسد لحظة الطلاق النار . ومن بين المحاولات الموفقة البندقية «ميني» (٢١) ، التي تميزت بطلقتها بطولها وطرفها المذهب ، وبشمعة مؤخرتها التي تساعدها على التمدد ، ولم تقتصر مميزات طلقة ميني على تعشيقها في الفتشنة ،

وقد برتها المسسة على اللودان ، ولكن شكلها الامسياني ساعدنا على الانطلاق في خط مستقيم . وجاءت النتائج طهنة . اذ استطاعت البندقية حتى ان تصيب الهدف على بعد ١٠٠ ياردة في ٩٤% من الوقت بالمقارنة بـ ٧٤% في حالة البندقية بروترورك ، وفي حالة وبمعاثة ياردة جاءت الارقام ٥٦% و ٥٤% على التوالي . وفي عام ١٨٤٩ وزعت بنادق مينى على وحدات الحشيش الفرنسي ، ثم وزعت بعد ذلك بعامين على القوات البريطانية ، ولما كانت اوروبا حينها تنعم بالسلام لذا دعت الضرورة الى اخيار الاسلحة الجديدة في موضع آخر . وارسل الفرنسيون احدى وحداتهم (*) لمحاربة الجيرالزيه باستعمال بنادق ذات طمغات طويلة مستخدمة ، واختير البريطانيون البنادق مينى ضد الافريقيين في معركة الكفرة ١٨٥٢ . وبلفت هذه المرحلة من تطور البندقية ذروتها بين ١٨٥٢ و ١٨٥٣ عندما امتنح الجيش البريطاني بندقية براون بس بندقية لي انفليك ، التي كانت تطلق احدث انواع الطلقات ، وكانت هذه اول مرة تصنع فيها البندقية الحربية الاوروبية على غرار المنلوب الأمريكي الذي يسمح بتبديل الاحراء بقطع غيار ، وكانت ميرتها الكبرى مشابهة لميزة البندقية مينى الفرنسية . اي مسألة لها في القذبة ، اذ كان مداها الرسمي ١٢٠٠ ياردة ، اما مداها المؤثر فبلغ ٥٠٠ ياردة ، وتشمل هذه الاعداد حسنة او ستة اشعاف مرمى البندقية براون بس .

ودغم المرمى المفصل لوله البنادق الحديثة ، الا انها انصمت ببطلها وتقل وزنها ، وكان الجنود يحتاجون الى دققة كاملة لاعادة الصب والوقوف ، ويؤدى ذلك الى تعرضهم لثيران العدو ، وهناك عيب آخر : السحب العشوائية التي تصاحبه من البنادق فتكتشف الجنود ، بالإضافة الى الاسلحة الضخيمة في دقة اصابة الهدف ، والخرطوشة الورقية الرقيقة الضخيمة لتأثيرها بالجو الرطب ، وكان من الصعب اطلاقها او اعادة تصيرها انشاء الجوى او عند امتطاء الحياء . وبعد ان استخدمت في الحروب والمخاطر الامبريالية الاوروبية . سرعان ما احتجبت بعد ظهور البنادق التي سحر من الترياس .

وفي أفريقيا ، اضطلعت البندقية بدور مكمل للدور الذي يداه التحصين بالكيس ، وقد سجل تأثيرها في بعض المجلات والكتب . على ان البندقية لم تكن بالقى المستجدة على معظم افريقيا ، فقبل ١٨٣٠ ، كان أهل الجزائر يصنعون بنادقهم بأنفسهم . ويستينون أحياناً

(*) يسمى Chasseurs d'Afrique (قناصة افريقيا) ، وكانت تسمى قبل ذلك Chasseurs d'Orient.

بمواسير وحزالي وسقاطات لوربية ، أما الأسلحة الأخرى والاكثر شوعا فكانت تصنع بالكامل في افريقيا ، وأدخل البرتغاليون والبر العرب الأسلحة النارية في الصحراء الجنوبية ، وفي هذه القلاع ، أخذوا ما صنع الإفريقيون يادقهم ، فقد أحي انتقادهم إلى السوقي اللازمة لإدارة الكثير في أعمال الحناعة إلى عجزهم عن الحصول على درجة حرارة عالية تساعد على صنع المواسير الحديدية ، أما القاطنون قرب السواحل ، فانهم لم يصادفوا أية مشقة ، للحصول على البنادق والدخائر من التجار الأوربيين ، وكانت أكثر البنادق شوعا ، البنادق المدفعية (٢) التي كانت مخصصة ووردية للصنعية وقابلة للتفجير ، إلا أنها كانت مناسبة لحالة التكنولوجيا السائفة ، إذ كان بمقدور جندي القرية إصلاحها عندما تصاب بطع . ولما كان البارود الإفريقي غير مقد ، لذا اتسم بقدر من الصعاب ما جعله لا يقتاسب وهذه الأسلحة ، ولكن رغم رداءة هذه الأسلحة ، إلا أنها كانت أفضل حالا من الأسلحة الصينية التي استعملت في حرب الأفيون إلى جانب ، خزائن البارود (٣) والرمح والسهم والأقواس والجبنجال . ولما كانت جميع الأسلحة النارية التي استعملها الإفريقيون مسبوقة لما أوردت السائق لفرة كلما توغلنا بعيدا عن الساحل ، ومن المنظر العسكري ، كان داخل أفريقيا ينقسم إلى قسمين : ففي دول السافانا ، تقل إصابة الخيول مرض النوم الفتاك ، وفي هذه القلاع ، كان الفرسان هم عماد الجيش ، ويركبون لباسا كالدفار أو مصنوعا من الجلد ، ويتسلحون بالندوع والسيوف والرمح ، وتحمل قوات المشاة الأقواس والسهم والبنطلات القتالية والهراوات والمزاريق ، وتقام الأسوار والجدران لحاية المدن ، وكانت الأسلحة النارية قليلة ومكلفة ، والخيرة والبارود باهظ الثمن ، مما حجب استعمالها للتدريب على إصابة الهدف ، وحرص بعض الحكام على عدم تسليم جنودهم البنادق إلا في حالات المدلاع القتال فقط ، خشية تحولهم فيها بالبيع ، وعلى الرغم من تحرف السودانيين على الأسلحة النارية منذ قرون طويلة ، إلا أن دول السودان كانت قد دخلت بالكلا في عصر البلطيقية ، عندما اعترض الأوربيون سبيلها .

وفي مناطق الغابات وشرقي افريقيا وجنوبها ، ندر وجود الفرسان ، وكانت أنظمة بلدان المناطق النائية معقدة ، واقتصر حمل السلاح الناري فيها على البدو الرحل والمساكين والتجار الأوربيين ، وكانت

الأسلحة المفضلة هي الرمح والقوس والعمم السم والرمح الخنوف (٣) .

وقبل ستينات القرن التاسع عشر ، كان للرض وابتعاد الأوربيين عن موطنهم الأصلية هما اللذين يخبئان مناطق الرقيا المساحة وأسدة مختلفة . ولم يجرؤ الأوربيون على الانتماء عن الساحل إلا في بقاع قليلة ، ففي حرب أشانتى ١٨٢٦ . وأيضاً في الحرب الانجليزية البورمية الأولى وحرب الأفيون . حقق النصر للانطليز بفضل المنظمة ولذلك كومجريف . واعتمدوا اعتماداً كبيراً على المياه المنقولة . أما تاريخ جنوب أفريقيا في عشارف القرن التاسع عشر فكان عبارة عن بعض المضايقات والمساكنات التي امتدت طويلاً بين عدد قليل من البيض المسلحين بالسكيت وعدد كبير من أهل الرقيا المسلحين بالرمح المنقولة والبط والقليل من البنادق . ولم تنزل هذه المساكنات إلا بعد أن حصل البيض بعد منتصف القرن على بنادق كمر من ناحية التريلس ، وعلى مدافع ميدان .

وعندما هاجم الفرنسيون الجزائر ١٨٣٠ ، اكتشفوا تسليح القوات الجزائرية والتركية بالسكيت وبنادق مائلة لبناهم ، وغالباً ما تميزت بفتحتها في التصويب على مسافات بعيدة . وما لبث سكان المناطق البعيدة من الساحل أن هبوا تحت قيادة الأمير عبد القادر الذي اشتهر بالفتة والحدث في ترهم حرب المصايات . واضطرت فرنسا عند غزوها الجزائر إلى إرسال موجات متلاحقة من القوات ، وما أن التزمت ١٨٤٦ ، حتى بلغت قواتها ١٠٨.٠٠٠ رجل ، أي ثلث الجيش الفرنسي ، وكانوا يحاربون حيقاً مؤلفاً من نصف منهم من الجزائريين . وتساءل الطرلان (الجيش الفرنسي وجيش عبد القادر) في التسليح بأحدث البنادق ، وفي أحد المواقف ، كان لدى جيش عبد القادر ثمانية آلاف ببقية ، من بينها ألفان من البنادق الانجليزية المهربة عن طريق مراكش ، واستمرت فرنسا تقاتل حروباً ضروسة مروية زهاء عشرين سنة ، لفرض سيطرتها على هذه المستعمرة الجاسمة ، وربما انطلى لنجح الجزائريين مدلاً للإمبريالية التي حققت مهبتها حين انتصاع بالتقوى التكنولوجي . إذ كانت البواضع موجودة . كما تولد الاستعداد للتضحية بكل مرتضى وغال وبالأفراد . أما ما افترق اليه الفرنسيون فكان الميزرات التي وفرتها المستعبدات التكنولوجية للأوربيين في فتوحاتهم وغزواتهم الإمبريالية الأخيرة .

أما اسم هذه المستحدثات فهو عملية تسمى (البندقية من ناحية الترياس - وفكرتها بسيطة - فإذا افترض فتح البندقية من ناحية الخزانة ، سيكون بالمقدور أثناء إعادة التصير بسرعة وأثناء الانبطاح على الأرض ، والأهم هو إمكان احتمال طلقات أصعب وأكثر تماسكا ، وبذلك تزداد فاعلية شمشخة الماسورة ، ويزداد مرمى البrian وتزداد دقته - وبعد هذا الابتكار من المبتكرات التي استغرق تطويرها قروبا طويلة الى أن أثبت فاعليته في نهاية المطاف ، ومساعد على فتح الطريق أمام خطوات أوسع ارتقاء .

وظهرت أكبر مميزات التتبع من ناحية الترياس للأغراض العسكرية في القرابسة (٢) ، التي استعملت في الحرب المكسيكية الأمريكية ١٨٤٨ وفي إحدى البنادق (٣) ذات الترياس وبالبيرة التي استعملها الجيش البروسي في أربعينيات القرن التاسع عشر وخمسيناته ، واستمرت بعض البنادق تنظر الى هذه الأسلحة بفكر كبير من الإعجاب والانبهار ، كما يشهد بذلك اختيار الانجليز للبندقية في أنغليد التي تصير من فوهة الماسورة ١٨٥٣ ، غير أنه في حرب البروسيين مع الدانمرك ١٨٦٤ وفي حربهم مع النمسا ١٨٦٦ ، اكتسبوا من استعمال البندقية ذات الترياس التي تبرر مع ابرة حرب النار ميزتين كبيرتين : فلم يقتصر الأمر على إمكان إطلاق الجنود البروسيين النيران بسرعة تزيد ثلاث مرات على سرعة أعدائهم ، ولكنهم تمكنوا من تحقيق ذلك أثناء الوضع واقفا والوضع موثقا ، وما كاد التصير عن طريق خزانة البندقية يتثبت وجوده في الحركة ، حتى رأينا الفرنسيين يتجهون الى إعادة التسلح بأقصى يداقهم المنيعة (٤) ، التي أثبتت أفضليتها ونفوقها حتى على البندقية الألمانية ذات الابرة - أما البريطانيون الأكثر جنوحا الى الدفعة المحافظة فقد حولوا يداقهم (الى أنقليد) الى بندق تصير من الطرف الخلفي للماسورة عند الحزبة وذووجها بأليات سنابدر الماثلة ، وبعد أن أثبت التصير عن طريق الطرف الخلفي للماسورة فاعليته في الحرب الفرنسية البروسية اتجهت جميع الجيوش الأوروبية الى اتباع هذه الطريقة .

وكانت البنادق الحربية التي تصير من الطرف الخلفي للماسورة سرية التمثل ، والتعرض لتسرب الغازات الساخنة من خلال الماسورة . وكما ازداد تطلعا ، ازداد تسربها للغازات ، حتى اضطر الجنود لحملها

(*)

Carbine

Decree بندقية

بطول ذراعهم عند إطلاق النيران . وأثرت هذه الطريقة كثيرا على كفاءتهم وأدركت الحامل الملكية الانجليزية في ووليتش ، التي أجرت احتجولات عديدة على التعمير من الطرف الحلفي للباسورة أن الصنف يرجع إلى استعمال حرايطش من الورق . واكتشفت قيمة استعمال حرايطش من المعدن تساعد على حل هذه المشكلات . وفي ١٨٦٦ ، ابتكر الكولونيل يوكسر من الحاملين بالصل خرطوشة من النحاس تحفظ الطلقة والبارود وغطاء الطية معا ، وتميزت بصلاتها وعدم نفاذ الماء بداخلها ، وأهم من ذلك أنها تحكم الحلاق المأمورة أثناء الانفجار ، وتسمح بالتصويب الدقيق ، وكانت السميكية ستايند - ابيك (١٨٦٧) هي أول سفينة حربية في هذا الابتكار الجديد . وجاء مرعاها مدعلا - لبيسا سجلت الهندية ذات الفرياس وإبرة ضرب النار (الألمانية الأصل) على مدى يصل إلى ٣٥٠ ياردة يعني ٣٠٠ متر وسجلت القاسبر (٦٥٠) ياردة حتى ستائة متر تقريبا ، سجلت ستايند - أنفيلد رقبا لياشيا بلغ ألف ياردة . وتنافست جميع الجيوش الأوروبية على التاج أسلحة مبتكرة يقدرها استعمال الخرطوش المعدني الجديد ، وفي سيمينت القرن التاسع عشر ، تسليح الجنود البريطانيون ببندقية ماوتيني - هنري ، وتسليح الفرنسيون ببندقية جراس ، أما الألمان فاستلخوا بنادق هاوزر .

وفي الثمانينات ، ظهر ابتكاران بلغا بصناعة البنادق الكمال ، وكان أحد هذين الاختراعين هو المتفجرات بلا دخان ١٨٨٥ ، وفيه استخدم نوع من البارود لونه القطن المفرغ (النتروسيلوز) والنتروجلسرين ويتميز بعدم تكديب طلقاته ، وعدم نفاذ الرطوبة فيها ، وتغوله على البارود في القوة ، ويمتدوره دفع الطلقات الأصغر بسرعة أكبر ونقط مرور مسطح ، وبذلك أصبح باستطاعة الجنود إطلاق النيران دون الكشف عن موقعهم ، ودون تعرض للأصالة من السحب والدخان . وبين ١٨٨٦ و ١٨٩١ ، تحلت جميع الجيوش الأوروبية من البارود القديم ، بل وابتكر البريطانيون نوعا أكثر ثباتا من المفرعات (الكوديت) يصلح للاستعمال في أجواء المستعمرات الشديدة الحرارة .

وقاضي اختراع هو الخزنة وتكرار آلية التعمير . وكانت البنادق التي تعيد التعمير موجودة أثناء الحرب الأهلية الأمريكية ، ولكنها كانت أميل إلى التفجر عند حدوث تلامس طلقة بطلقة أخرى . وفي ١٨٧٧ سجل الساماني الاسكتلندي جيمس في امتياز اختراع خزنة آمنة ، سرعان ما انتقل استعمالها إلى كل الجيوش الكبيرة الأخرى ، ففي ١٨٨٠ تخلى الفرنسيون عن طراز « الجراس » ، واتبعوا آليات اماندة التعمير التي ينسب إيفكارها إلى كروبانفيسك ، التي أجري تعديلات في « آليات (الجراس) » ، وفي

١٨٨٦ ، استعاضوا على النظامي باليات • ليبل • ، واختبرت جميع هذه الأسلحة في السويدان • وفي ١٨٨٤ ، أدخل الإنان طريقة التصير من الخرقة الى بندقهم المؤزر ، بينما حط البريطانيون خطوة متائلة لتعديل مختلف بندقهم (٢) - وما جاءت التسعينات حتى عفا الزمان على جميع البنادق المنفردة الطلقات في جميع ديوغ أوروبا •

ولم يكن مستغربا منطقيا أن تؤدي البندقية التي تعيد التصير الى اختراع الرشاش ، وظهر أول رشاش • جاتنج • في الحرب الأهلية الأمريكية ، وقبيل الحرب الفرنسية البروسية اخترع الفرنسيون المتريوز (٣) وجميع هذه الرشاشات مقصدة المؤاسير ، وتعمل باليد ، ولا تختلف عن مضخة المينان في صموة تشميلها في أي موقع قريب من مسمى ليرانها • وقصلا عن ذلك ، فكتيرا ما تصلب بالأصطال وهي في عز • الحركة • واشترى البريطانيون عشرة رشاشات جاتنج ١٨٦٩ • وفي ثمانينات القرن ، زودوا سفنهم الصميرة ومستمرانهم بهله الرشاشات • وفي ١٨٨٤ ، ابتكر هرلم ماكسيم أول بندقية قاذوة على اعادة التصير الذاتي ، بطريقة آلية صميجة • وتميزت بخفة الوزن مما ساعد على سهولة حمل الجندي لها ، واحتلالها أي موقع دون أن ترى • وكانت قاذوة على قلبه ١١ طلقة في الثانية • وفي السنة التالية زار اللورد ولزلي الذي فتح أنشانت مصانع ماكسيم ، وأعرب عن فائق إعجابه بالهام التي تستطيع البندقية النهوض بها ، وبخاصة في حرب المستعمرات ، وقدم مجلة مقترحات للمستمر ماكسيم ، وأثبت الرشاش ماكسيم قدرته على احراز نتائج حاسمة في حروب المستعمرات في مختلف القرن ، يتنازل ودور البندقية سريعة الطلقات في التسعينات والثمانينات •

وجاءت أخرى خطوة في تقدم تطور البندقية كاستجابة لاحتياجات الامبراطورية ، وكما قال المؤرخان اللذان عينا بكتابة تاريخ البندقية (٤) • • • لقد رفضت القنائل المهيبة التي اشتمكتها في القتال معها دوما الانصباع والرشا بالطلقة نكرة ٢ • والواقع أنها كثيرا ما تجاهلتها تباهلا تاما ، وبعد اطلاقها من أربعة أو خمسة مواقع سقطت في مواقع قريبة أثارت عزم الارتياح • • واعتمدى قتيب يدعى برترى كالكي من هيلة الدخائر في الهند في دوم - دوم الى الحل الذي يفضي على هنا الاعتماد عن الارتياح • وكان هذا الابتكار هو الطلقة المدة على طريقة عشى الغرب

Lee-Metford, Lee-Burton, Lee-Enfield.

Winchester

Chamberlain and Robinson

(٢)

(٣)

(٤)

التي سميت باسم « يوم - يوم » ، وأحدث هذا الاختراع بالذات
آثاراً شريفة ، لأنه كان يشترق الجسم ، ويحدث تقوية واسعة فيه ما دلت
الأوربيين إلى اعتبار لهامة الأوربي لأخيه الأوربي ضرياً من القسوة ،
ولكن لا بأس من استعماله في الحروب المسيحية والأفريقية لاصابة
الموليين !

واكتملت ثورة الهندية في تسعينات القرن ، وتسنى لحظم للشاة
الأوربيين أنخذ إطلاق ١٥ طلقة من الرصاص في بضح ثوان ، والرقود
دون أن يراهم العدو ، في أي متاع ، ولدى قد يصل إل نصف الميل
(مسافة متر) وربما حقق استعمال الرشاشات ما هو أكثر ، وبذلك
انتهى عصر التسحاة الصحيحة والصلب ، وبدأ عصر سباق التسلح
وسناعة الآلات الفعالة ، وإن كان كبار الجنرالات لم يتنبهوا لذلك
لسنوات طويلة .

تتأثر ثورة الهندية هي وإلى اختراع تكنولوجيا آخر في علم
امكان حصر الكلام عنها على مختريها . بيد أن انتشار البنادق الجديدة
والتكتيكات الجديدة يعد عملية بالغة الصعوبة والتعقيد لند جعل منها
لهودجا للداسة كيفية انتشار التكنولوجيا تحت ضغط الضرورة
والهاجة ، ففي الصين ، أدت هنيتها مرتين في حربين عسك القوات
الأوربية ، والصراع ضد الثوار (٣) إل دفع كثيرين إل إعادة النظر في
أسطورة التفوق الصيني في المسائل التكنولوجية والعسكرية ، وفي
الستينات وبعد ذلك ، أكتمت « حركة التحرير الذاتي » الحكومة بقره
المواقع الغربية والسفن الحربية الغربية والفساد آجوانس للسلي وترسات
لصنع الأسلحة ، غير أن هذه المحاولات تعرضت للتفريق من أثر نقص
الاعتمادات المالية المخصصة لتمويلها ، وفي ١٨٨٥ ، عندما شاهد المصور
الصيني في لندن (لي هوانج شانج) بندقية ماكسيم صرح بعظم قدرة
الصين على تحمل نفقات سلاح يستهلك ما قيمته خمسة جنيهات ثلثا
للخراطشات (أو الطلقات) التي تطلق كل دقيقة ، وكان نصف الجود
الصينيين حينذاك يحلون بنادق كتش على « حراة الايرا » ، وربعهم
يحمل بنادق من التي تطلق ، بديك الصوان « . ولم يرد عند السلحن
بنادق تعمر من الطرف الخلفي للماسورة عى الريح ، أما القوات الاحتياطية
فلمست مجهزة بأية أسلحة لوية على الإطلاق مكتفية بحمل الرياح
والأقواس والسهم ، وقبلها بعد ، وعندما حدثت ثورة بوكسر ١٩٠٠ ،
تمكنت قوة روسية من مهاجمة يكن مستخدمة رشاشين وأربعة مدافع

ضد الآف من الحنود المُنْبِذِينَ المسلحين بالمسكيت ، وفي النهاية لعل
اختناق حركة « التمريض الذاتي » يرجع الى انحلال رعاة حاشو والطبيعة
الحافظة للمجتمع الصيني

وسمّلت ثورة البندقية الى أفريقيا في أشكال مختلفة ، فبعد أن
أعاد الأوروبيون تسليحهم بالبنادق التي تصدر من الطرف الخلفي للأسلحة
في الستينات والسبعينات ، وبالبنادق التي تميد تصير نفسها في
الثمانينات ، تخلوا عن مقادير هائلة من الأسلحة الزائدة عن حاجتهم
لوطبيين ، واستطاع الكثير من الأسلحة ، شق طريقه الى أفريقيا عن
طريق التجارة أو البحارة عبر أفريقيا ، وفي المناطق التي احتاج فيها
الأوروبيون الى عمال أفارقة - كما حدث في جنوب أفريقيا في خمسينات القرن
التاسع عشر وبعد ذلك ، كثيرا ما لم يكن مقدورهم الحصول على هذه
الخدمات الا في مقابل بيع الأسلحة ، وفي كل مرة استطاع المستعمرون
الببيض الحصول على أسلحة جديدة ، اعتنى جيرانهم السود الى السبل
التي تمكنهم من الحصول عليها أيضا ، غير أن الببيض سواء أكانوا
مستعمرين أو من العسكريين أو المشرعين ، كان لديهم مبرر للخوف من
حصول الأفارقة على الأسلحة ، وحاولوا الحد من بيعها ، ولكل نص
قرار اجتاح بروكسل ١٨٩٢ على الربط بوعوض بين مصالح الأوروبيين
ووثرة البندقية ، كما بين من الكثير من التعليمات التي كانت تصدر
حينذاك ، كحظر بيع البنادق ذات الزناد وديك الصوان على الأفارقة الذين
يسمسون بين خط العرض ٢٠ شمالا وخط العرض ٢٠ جنوب خط
الاستواء ، وتحريم بيع البنادق التي تصدر من الطرف الخلفي للأسلحة
تجريبا فلتما ، غير أن هذه القسود لم تزد عن كونها قيودا شكلية
أو رمزية ، إذ كان ما يهم الأفارقة في نهاية المطاف هو الحصول على
التكنولوجيا الأكثر تقدما ، وشراء القذوة التي يشتج بها الأوروبيون .

وتبهرت الأسلحة الجديدة في الصينيات وبعد ذلك بشدة فاعليتها
وفتحتها ، بحيث استطاع من يملكها في كثير من الأحيان أن يحصل على
ما يره بمجرد التلويح والتظاهر باحتلاكها ، فس بين المكتشفين الأوروبيين
لافريقيا كان بعضهم (*) يحققون أهدافهم عن طريق صداقة الأهالي الذين
يزودوهم ، غير أن هناك آخرين اضطروا الى شن حملات شبه عسكرية
مثلما فعل سبويل واهت بيكر ، مكتشف منابع النيل برفقة ألف من

الرجال وقدر كاف من الأسلحة والذخائر تكفي للاستعمال سنوات طويلة ، والتفصب ستاتل الكويجو بمعاونة حملة مؤلفة من مئات الأفراد ، ولم يتردد عن استعمال البنادق المخصصة لصيد الأنفال والمفجرات ضد أهداف لم يروا مثل هذه الأسلحة النارية البتة . وبين هذين الطرفين المتكافئين ، كان معظم المكتشفين يحصلون بنادق قليلة ، لصيد الوحوش ، وتطويش ، المواطنين بها ، واكتسب أحمد السنغاليم الذين رافقوا مكتشفها فرنسيا ، كان الممثل الوحيد لفرنسا في الكويجو شهرة واسعة بفضل استعماله لسفينة وشمسستر التي تمعد تميم نفسها ، واشتهر أيضا لبراعته بالصيد بها . وكان حوستاف رولفس عندما يتحول في غنى أمعاء جزيرة بوزير يهدد الأهالي الوطنيين بين الفيتة والأخرى بسدقيته . واعتمد هارتمان كلنج في اكتسابه لثانا الواسطي على رشاش كان يحلم به جنرال الكواح ويشير الهلع ، ولم يكن الفارق بين السباح والخزاة مشويا بالغموض مثلما كان في أواخر القرن التاسع عشر في إفريقيا .

وعند اقتراب القرن من نهايته ، تزايد اعتماد المارك الاستعمارية عن طابعها المهود . ويرجع ذلك إلى الارتقاء المتواصل للأسلحة الأوروبية . ولا يمتد المناطق الإفريقية المستوى عليها في كثير من الأحيان في السواحل مما جعل الحصول على الأسلحة الحديثة أمرا شاقا . وفي حروب الستينات ، كالحرب التي نشبت بين الألبانيين والبريطانيين ، أو بين دولة أورنج وسوتو . كان لدى الأوربيين بنادق تميم من الطرف الخلفي للماسورة ومدمية هيمان . بينما لا يملك الأفارقة غير المسكيت والرماح . ثم قد كسب الأوربيون المارك ، ولكنهم لم يصعدوا الموقف كما ينبغي بالاستيلاء على الأرض . وفي السبعينات والثمانينات ، قام حاسة أوروبا من قبيل التغلغل والصنعية والاطشنان على نحو لم يهده من قبل في حوليات الخزاة برسم خطوط هي خريطة إفريقيا تبين المواقع التي منفع فيها مخزواتهم مستقبلا ، ولم يكن ما أقصوا عليه إلا المكاسب لا يأنهم بالكلية المطلقة للأسلحة الأوروبية ، وقوتها على سحق أية مقاومة وطنية . وفي حرب آشانتي (١٨٧٣ - ١٨٨١) وحرب الزولو ١٨٧٩ ، انتصرت انتصارات الوحش الأوروبية والوحش التي يقودها أوربيون على الجيوش الإفريقية المؤلفة من عشرات الألوف ، إلى أي حد تميزت بنادق الجبائنج والبنادق التي تضر من الطرف الخلفي للماسورة تفوقها وقوتها ، وفي ١٨٨٧ ، سحق جيش فرنسي مؤلف من ١٤٠ مسلحا (*)

يبنادق تكروز تصيرها ، محمود الأمين ، واضطلعت الرشاشات باركة
جوانداو. وبوقت غفلت يعود مهم في عملية احتلال مصر (١٨٨٢ - ١٨٨٤) .

وفي التسمينات ، وبعد أن قاومت القيادات العليا بقوة الاستعانة
ببندانق ماكسيم في جبهتها الأوربية . وافقت على ارسال بعضها الى
المستعمرات . وحولت هذه البنادق هي ومدافع الميدان والبنادق التي
تعتبر من الطرف الخفي للماسورة متحصنة الطلقات هذه المعارك الى ملابيح
من طرف واحد . وفي ١٨٩٦ ، وبالقرب من بورتونوفو ، حزمت وحدة
فرنسية مؤلفة من ٣٠٠ رجل جيش دفوف في معركة لم تستغرق أكثر
من ساعتين ونصف الساعة بعد أن أطلقت ٢٥٠٠٠ طلقة من الذخيرة ،
وفي ١٨٩٧ ، حزمت شركة النابير الملكية قوات سليطة موكوتو اعتمادا
على سبلة مظلمة صغيرة ، وست ينادق ماكسيم . وفي تساد ١٨٩٦ ،
حزمت قوة فرنسية حواليها ٢٢٠ رجلا مظلومهم من العلود السودانيين
محاربين « رباح » (٢٠٠٠ ملاتل) ، وكانوا مسلحين بالقي وخمسائة
بنشينة .

وفي الخيل الفلن ، لعل أفضل حرب سرودة بين الحروب الاستصارية
هي غزو البورد كشنر للسودان ١٨٩٨ . وقد وافقت ست بواحر مسلحة
كسليها قليلا وأربع سفن أخرى . وكان لدى جبهته ٢٤ قطعة من المدفعية
و ٢٠ بنشينة ماكسيم . وفي ٢ سبتمبر ١٨٩٨ ، واجهت الحملة الجيش
البريسي للدراويش المؤلف من أربعين ألف شخص في أم دومان ، ودون
تشرشل وصفا للمعركة جاء فيه :

« أطلقت المشاة نيرانها بقيات وبلا اكترات . ودون تجعل أو اضطراب
لا ابتعاد العدو عنهم . والتزم للضباط الحفر . وفضلا عن ذلك ، فقد كان
الجنود شغوفين بمسلمهم . وبذلوا جهدا كبيرا ، وإن كان العمل البدني المصرف
قد بات خيرا للملح في الحاضر . وطيلة الوقت استمرت على الجانب
الأخر من السهل الطلقات تمزق الأجساد وتفتت العظام . وعرفت المملة
يقزارة من الجروح ، وكامح الرجال التسجمان من خلال صفيح قرلعة
الرساس وتبجر القنابل وتناثر النيار . وهم يحانون يائسين ثم
يموتون » .

وانتهت المعركة بعد ساعات قليلة ، وحصل فيها ١١٠٠٠ من القتلى
من الدراويش و ٤٨ من البريطانيين . وعقب تشرشل على ذلك يقوله :
« هكذا انتهت معركة أم دومان . ولعلها أعظم دليل على انتصار اسلحة
العلم على الهيج . ففي غضون خمس ساعات ، تم القضاء على أشجع
جيش هجى وأفضل الجيوش التي تم حطهما حتى الآن ضد قوة أوربية

حدثة ، بلا أقل صعوبة ، وبهذه مواجهة خطر بسيط نسبيا . فلم يتعرض
المنصرون إلا لحسنة واحدة * . وكما لاحظ لفريريل فإن أهم عامل لا غنى
عنه حقاً هو سلاح العلم الذي حقق أكبر تفاوت في قوة النيران بين الأوربيين
والأفارقة .

وتستأهل استراتيجية وتكتيكات الإمبريالية الجديدة نوعها خاصا .
لما نكتشف منه من مثير في مقومات الحرب * فنادرا ما واجهت الجيوش
الاستعمارية تكتيكات حرب المصائبات * وبدلا من ذلك فإنها كانت تهاجم
المرءة قلوب الأخرى هجوما بالمواجهة تشبه كتل كبيرة من القاذبات على الأرض
المكتوفة للقتال . وبصح هذا الحكم عن الصينيين والبربر والديين (٣)
والدراويش والعون وغيرهم كثيرون . وكثيرا ما كتبت هذه القوات عن
أعلى درجات الإصطبات والتسجاعة ، وحاربت وفقا لانسب تكتيك يوائم
ولوع الحرب التي اعتادوها . غير أن هذه التكتيكات قد أصبحت عديدة
الحدوى في مواجهة الأسلحة الأوربية . فقد أصبحت النيران تطلق أثناء
التحرك ، ويعد تدمير البنية في الوضع واقعا ، لو عمل اصراع الصو
والقتراب بدرجة كافية لرشق رمح ، مما جعل هذه التكتيكات تتحد مظهرها
التحاريا .

وأعدت القوات الإمبريالية في مواجهة الهجوم المكشوف لحشود
القاتلين أسلحة تكتيك * مربع الجيش ، الذي عرف أيام لايبون ، يسمى
النساء قلعة بشرية محاطة بعداد من نيران الرصاص لا يمكن اختراقه ،
ويوفر هذا التكتيك دفاعا ميمما قريبا ضد أية قوى مهاجمة مسلحة بأسلحة
متدنية ، بعض النظر عن ضخامة عددها . وحدثت معركة في هذا اللون
بالقرب من ويسابوى في جنوب أفريقيا . فقد واجه ملايور يتألف من حشود
شرطيا بريطانيا من جنوب أفريقيا محاربين للنبيل (حشود ألف مقاتل)
تحت قيادة الملك لويجنولا . وكان النبيل يحملون رماحا مقنوفة وقروعا ،
لما الهبوا فكانوا مسلحين بأربعة ياتقي ماكسيم ويتألف لوردينفله
وحازدور . ووصف الالتحام المقسم حراحم هاتنسون - وهو كاتب
بريطاني من مدونة مولدة بالمباراة الطنانة التي كانت شائعة في العهد
الإمبريالي :

* اشتمل الحساس المنصري المتخصص عند رجاله القبائل الشرسة
فتسلحوا بالرمح وركبتهم القاربت بينما كانت آلاف طبول الحرب تلق
نبضات وحشية متصاعدة دافعة الى الأخذ بالثأر ، وسط الإكواخ للتأثرة .
وعلى الرغم من أن وحدتنا قد تمزقت على جبل مملوعين ووديسين ،

وكاويوا يواجهون من البداية عدوا يثوقهم عتق ، الا أنهم لجأوا للضخ ، وأقاموا معسكرا منتقلا لا يوا - الأطفال والنساء والمؤن ، واستمروا الماتابل (*) . وثبتت المدافع بعد توجيهها على رابوة خاصة من المعسكر : واستطاع مقاتلو الماتابل الحرة لفر الأخرى إثارة العبار لسافات أبعد من وشقات الرمح القنائلة .

على ان الأوروبيين لم يلتقوا في جميع الالتحامات بمقاتلين مسلحين يمثل هذه الأسلحة الحالية ، والتكتيكات التي عفا عليها الزمان . فبعد أن تعلم بعض الإدارات والأسبوريين وحوب التسليح بنفس نوعية هذه الأسلحة الحديثة حتى يتمكنوا من محاربة العدو للسلاح بنفس هذه الأسلحة ، لجأوا الى حرب المضايقات . ولم يروا بأما هي اتباع الأسبوريين مما . وهناك أمثلة عديدة دالة على ذلك عند اليابانيين والأفغان وسولو وريفي . وهكذا هذا الاستشهاد بمثله :

في غرب السودان ، واجه الفرنسيون ساموري ثوريه (**) - وهو من أشاوا دولة على الطريقة البدائية ، ومن الرمح الديبج ومن المجدين في فن القتال ، وشكل جيشه في البداية من خمسمائة مقاتل و ٣٦ بندقية . تميد تصير نفسها (١٨٨٧) . واستطاع بقدوم ١٨٩٨ تجييع أربعة آلاف بندقية من هذا النوع المتفهم . وتمكن بفضل تكتيكاته المضايقات الصمود وإيقاف تكلم الفرنسيين رهاء شهر سنوات ، ولكنه تعرض في النهاية للمدلاذ بعد أن قطعت إمداداته من الأسلحة الجديدة والخرابيش الجديدة الى توقيع الاتفاق بين اجلفرا وفرنسا .

لما امبراطور الحبشة منليك فكان أصعد حقا . إذ بدأ بقاعة ضخمة مزودة بأحدث الأسلحة ، وواجه حوا أصعب منه ، وأنتشت معركة عتوة ١٨٩٦ ، والتي هزم فيها الإيطاليون تحلى الانبوريين بالمشجاعة ، وكانت لثريا بالقراب اليوم الذي سنتن فيه الشعوب غير الغربية استعمال الأسلحة الغربية القنائلة ، وبذلك تضيق لجوة القوة بينهما .

ولقد كسبت القوى الامبريالية الأوروبية في أواخر القرن التاسع عشر التي اشتبكت في أضخم عمليات هجومية استراتيجية منذ عهد حكيمة شان معظم معاركها باتباع تكتيكات دفاعية (**) . وأشاد العقيد

(*) *La guerre* هائل من الزوايا الزعم للبرون في جنوب إفريقيا على النروج الى الفرنسيين :

Samori Touré

(***)

Laager ولا Square Wagob (****) أساليب

تتأدلر كولول (٥) بهذه الطريقة الصحيحة التي جمعت بين الاستراتيجية الهجومية والتكتيكات الدفاعية ، ولكنه لم يتابع كوامن مثل هذه الخطأ ، فخلد سيم بمبدأ التفوق في الأسلحة ، وفادرا ما علق عليه ، وبدلا من ذلك أشار في صفحات كتابه بتعوق الأوروبيين والجود المديبن على الطريقة الأوروبية على السموب التي وصفها بالقطمان والتحصين والهمج والتوشيع ، أو صها على أحسن تقدير بالشعوب شبه المتحصنة ، وتسب انتصارات القوات العربية إلى الحمية والتحصين والمزينة والجرأة والمبادرة والحيلة والجماعة ، وغير ذلك من النضال الحمية .

ولو صح القول بأن تفسير كولول قد مثل بنى جلسته وزمانهم - وأطى ذلك كفتك - فإن ما قاله سيمناعسا على موضح ما حدث في الحرب العالمية الأولى ، فلم تحارب الجيوش الأوروبية وحده أكثر من أربعين سنة غير هذه الحروب الاستعمارية ، وأحرز تغلبها نجاحا عظيما ، وكان ما عرو طرواتها الاستعمارية النظرية البابولونية بأن النصر حصيلة عطفين : الاستراتيجية الهجومية الجسورة ، وتيمان الأسلحة الكاسحة ، أما ما غاب من فطنتهم فهو كون الأسلحة الجديدة أسلحة دفاعية ، وأن ما صنع لهم امراطورياتهم - هو التكتيكات الدفاعية - فلم يكن ثمة اختلاف من حيثة الدقيقة الميعة بين الجندي القابع في أحد الخنادق بالفلاندر سسكا برشائه أو ينطقه وبين نظيره الرامض في المربع ، في لم درمان أو ، حربة المسكر ، في نغلبانه . فلقد اقشمت الأوصاف العنصرية التي امتصها كولول وأقراله في منتصف القرن في وصف الشعوب غير الأوروبية ، واستهم حقيقة مرة للذوق ، وهي أنه عندما يقع الجندي تحت وابل من الرصاص المتسقط من الأسلحة الجديدة لن يكون للشجاعة والسورة الحيوية أى نفع ، لأن الجندي الأوروبي عندما كان يتقدم إلى الصفوف الأمامية من الجبهة الغربية كان يكتشف أنه بلا حول ولا قوة ، ومعرضا للتهلكة مثل أى درويش أو عقال من الزولو . ومن هنا يصح القول بأن المعارك الحديثة في أرض المعركة مأوربا كانت متعارضة أيضا مارض وحالها في المستعمرات . وبدلا من أن تحقق النصر السريع المتشود القليل التكلفة الذي تنوقه الكافة ، فإنها جمعت الانتصار مستحيلا .

المراجع

- W. Baumgart, *Imperialism - The Idea and Reality of British and French Colonial Expansion (1880-1914)*, 1962.
- W. Brunschwig, *French Colonialism, 1871-1942. Myths and Realities* (1966).
- B. Cohen, *The Question of Imperialism : The Political Economy of Dominance and Dependence* 1973.
- W. B. Cohen, *The French Encounter With Africans : White Responses to Blacks 1530-1880* (1980).
- P. Curtin, *The Image of Africa : British Ideas and Actions 1780-1850*, (1964).
- C. C. Eldridge, *England's Mission - The Imperial Idea in the Age of Gladstone and Disraeli 1868-1880* (1974).
- D. K. Fieldhouse, *Economics and Empire 1839-1914* (1973).
- D. R. Headrick, *The Tools of Empire : Technology and European Imperialism in the Nineteenth Century* (1981).
- R. Koebner and H. D. Smith, *Imperialism : The Story and Significance of a Political World 1840-1960* (1964).
- W. H. McNell, *The Pursuit of Power - Technology, Armed Force, and Society Since A.D. 1000* (1982).
- C. Reynolds, *Modes of Imperialism* (1981).
- R. Robinson and J. Gallinger, *Africa and the Victorians*, 1961.
- W. H. Schneider, *An Empire for the Masses : The French Popular Image of Africa (1870-1900)* 1982.
- W. D. Smith, *The German Colonial Empire* (1978).

الأمميون في مواجهة النيران

ميكايل هوارد

شهدت الحرب العالمية الأولى مصرع أعداد لم يسبق لها مثيل من الجنود من بين جميع المسكرات الأوروبية المتعاربة . فقد قتل مئات الألوف من المدنيين ، وجرحوا في فترات زمنية قصيرة بدرجة ملحوظة . فلماذا كرر القادة إرسال قواتهم في عمليات هجومية جبهوية ضد قوات العدو التي لا يمكن أن ترى ، والتي كانت مسلحة بالرشاشات أو البنادق المتلاحقة الطلقات ، وما هي الأفكار والتجارب التفريعية التي ألهمت القادة المسكرين باتباع هذه التكتيكات ؟

لرابة منتصف القرن ، انقسمت الآراء حول هذه النقطة . فلقد أثبتت التفجيرات في التكنولوجيا والأسلحة العسكرية عدم جدوى أساليب المشاة التقليدية نسبيا في كل من الحرب البسمية وحرب البوير ١٨٩٨ . كما أثر الكثير من الجدل حول هل يسلاح الفرسان بالبنادق الخفيفة أم بالسيف التقليدية ؟ ويمكن وراء الجدلالات عن جدوى هجوم الفرسان والمشاة سؤال كامن عن قيمة تكتيكات المصطف على القوات العظيمة في لب الحركة .

وفي ١٩٠٥ هزمت روسيا في حربها ضد اليابان . وكان القادة اليابانيون قد أجبروا المشاة على الهجوم ، ومستغل الجيش الروسي التدهور بفرسان مسلحين بالبنادق . ودرست الحرب الروسية اليابانية بعناية في جميع الموائر العسكرية الأوروبية . وبناء على تجربة هذا الصراع أعاد أصحاب النظريات الحربية في أوروبا تأكيد الأهمية الرئيسية للهجوم ، وتكليف المشاة بالهجوم . وفي هذا الجو الهجومي القتال ، وغير المعنى ، أصدروا أوامره لى مئات الألوف من القوات خلال الحرب العالمية الأولى .

خلا من International Security Vol. 8 No. 1 Men Against Fire - Expectations of War in 1914.

تأليف Michael Howard (١٩٨٥) -

في سنة ١٨٩٨ ، نشر بيلويس كتاب من حصة أجزاء عن حرب المستقبل عن المنظور التكنولوجي والاقتصادي والسياسي(*) ، وكان هذا الكتاب ترجمة لمدسة من المقالات التي ظهرت في روسيا، وتتلخص لمرّة عدة أبحاث ، راجعها شخصية والدة في عالم المال والصناعة في روسيا : إيمان (جان دي) بلوخ (١٨٣٦ - ١٩٠٢) يمد أن راجعها وبلغها باستادية لامة . وقد وصف المؤلف أحيانا بالمصرفي البولندي . ولعل هذه الصفة تسببت اليه بفضل موهبته الادارية التي تصفه في مصاف آل روتشيد في العالم الغربي أو كارنيجي في الولايات المتحدة . ولقد جمع بلوخ ثروته من مشآت المسكك الحديدية ، ثم اكتسب خبرة من جوانب استثمارية شتى . ويرجع اليه الفضل فيما حلت من امتعاش في الاقتصاد الروسي في تسعينات القرن التاسع عشر . وألف بغزارة في المشكلات الاقتصادية للإمبراطورية الروسية ، وقصر بانزعاج متزايد من مقدار تقدمه أنه ، مثلما هو الآن ، من جراء ضغوط الاحتياجات العسكرية لنوا الصادرة في عصر تتطور فيه التكنولوجيا بسرعة فائقة ، وللمعاق يركب القول الأخرى والأرقى في الحرب . ولما كان بلوخ قد عهدت اليه مسئولية تنظيم الأعداد بالسكك الحديدية للجيش الروسية ، في حربها مع الإمبراطورية النمساوية في الحرب الواقعة بين ١٨٧٧ و ١٨٧٨ ، لذا توافرت له خبرة فلة بمسائل الاحتياجات العسكرية . وأقدم على دراسة الحرب اعتمادا على نوع جديد تماما من العقيدة ، التي تجمع بين القدرة التحليلية للمنهج الاقتصادي وعالم الاجتماع . والواقع أن كتابه يعد نموذجا في التحليل الحديث للعمليات الحربية ، ولم يضاهه في الجمع بين الرسوخ وسعة الأفق أي كتاب حتى الآن .

ولم يترجم الى اللغة الإنجليزية سوى الجزء الأخير من الكتاب تحت عنوان : هل تم الحرب الآن مستحيلة ؟ (*) ، ويلخص هذا الجزء على نحو مقبول جميع السفر بأكملها . ولخص بلوخ نظريته في مقابلة مع الصحفي الإنجليزي ستيد (***) وأرفق حديثه باللمحة الإنجليزية للكتاب ، وفيه يستعمل الكلام بطرح الخلاصة التي انتهى اليها . « لقد غلت الحرب بين الدول الكبرى الآن مستحيلة ، ولعلها مستصعب اقرب الى الانتحار » . إذ أدى الاسراف في التسلح الحديث ، وما طرأ على تنظيم المجتمع من تبدل ، الى تصحيب لشعال ناز الحرب ، واقتربها من المستحيل » . وبالغفور انبات ذلك على نحو تقريبي باستخدام لغة الأرقام . فيجد أن ازداد مدى الأسلحة

La Guerre Future , aux points de vue technique, et économique, et politique.

In War Now Depossible

W. S. Stand.

(***)

(****)

النارية الحديثة ، ولذا ولدت دقتها ومعدل برائتها - بعد أن أصبحت البنادق قادرة على تصويب أصابع قاذبة من صد التي متر - والمخفية من بعد ستة آلاف متر - اضحي متدنوا الآن وقوع و معارك حامية ، كذلك التي كانت تحدث نتيجة الحروب فيما مضى . فلم تعد الممتدة قادرة على الاحتكام باستعمال السلاح الأبيض ، ولم يعد باستطاعة الفرسان الهجوم بالسيف . واضطرت الجيوش إلى حفر خنادق للاحتكام بها من العاصفة العاتية للبراري المتدفقة على أرض الحركة الحديثة ، وبذلك : عدا الفأس مكانا في أهميته للبيدكية . كسلاح للجندى . ولعل هذا السبب أحد الأسباب التي تصعب تشوب صارك في المستقبل القريب وسوف تستمر للمارك أيا ما معدودة ، وإن صعب في نهاية الأمر التيقن من تحقق نصر حاسم . *

وال هنا لم يأت بلوخ بجديد . وغاية ما اعتدى إليه هو طرح مشكلة سبقت دراستها من قبل جميع أصحاب الفكرة من خباط جميع الجيوش الأوروبية ، منذ تجربة الحرب الفرنسية البروسية ١٨٧٠ ، والحرب الروسية التركية (١٨٧٧ - ١٨٧٨) التي كشفتنا على نحو أوضح ، من الحرب الأهلية الأمريكية ، وبطريقة أكثر مباشرة تأثير الأسلحة النارية الحديثة على ساحة المعركة . فربما دفع : البارود عديم الدخان ، في ثمانينات القرن التاسع عشر ، وزيادة مدى جميع الأسلحة النارية وإردياد دقتها ، وإمكان الاقتراب من العدو دون أن يرى مستسلو الأسلحة الحديثة . إلى تقاليم تملينات الهجوم والمناخ حائره . بيد أنه رغم الاعتراض ببعض هذه المؤثرات فقد ساد الاعتقاد بعدم تأثير الطبيعة الأساسية للمسكلة بها . *

واعتقد أن الرد يكمن في تقم قوة براري المهاجم وبخاصة المطلقة من المظمية . ويستوجب ذلك اقتراب النساء المهاجمة من مواقع القنات المبرمة بالغطاء ، والاستماعة بالمواتر حتى يتسنى لها نشر داس من براري التبادلي على مواقع المدافعين . ويتوجب على المظمية أن تتعاون عن كسب ، مع الحرص على إزغام المدافعين على حطى رؤوسهم ، باستعمال القرائل ، ودفعهم في خنادقهم بتصرعهم للقنات الشديدة الانحدار . أما فيما يتعلق بالرشاشات فرأى أنها بفضل سرعة حركتها وقوة تركيز برائها ، فمن المحتمل أن تزيد من قوة الهجوم أكثر من زيادتها لقوة الدفاع . فلا تنسى ما قاله الكولونيل فوديتان فوش في محاضرات مقدسة الحرب ١٩٠٠ : « الكلمة الأولى للبراري » حقا فإن تفوق البراري يعد أهم عوامل الكمية القتالية للشاة . ولكي لا يد أن تعي : إن عاجلا وإن آجلا للمحطة التي يتوقف فيها القسم من الجيش كلما قبل الوصول إلى نطاق يكاد يصغر اختراقه ، ولا توجد فيه أية خطوط اقتراب مستوية ، لحاية

المهاجمين من وابل طلقات الرصاص ، مما يؤدي الى اضطراب القتاتلين الى اختيار أحد سبيلين : « الهروب أو الهجوم » - واعتقد قوش ومعلم المفكرين الفرنسيين حين ذاك أن الهجوم مازال أمراً ممكناً ، وبالإستطاعة ايجاحه اعتماداً على الكثرة العددية : « ويقصد بالهجوم هنا الهجوم بأعداد كبيرة ، وبذلك يتحقق تأمين القوات » فإذا زدنا عدد المدافع سيتمنى لنا اسكات مدافع العدو . ويصح القول نفسه عن البنادق والسونيكيات ، اذا تمكنا من معرفة كيفية استعمالها » ، وإذا لم يتوافر للآخرين نفس القدر من الاطمئنان لولهم . قلقه فضل الألمان الذين كانوا مازالوا يذكرون بعد ثلاثين سنة من الذكريات الحية دماء جنود مشاتهم التي أريقتم في معركة جريفولت (*) . وكانوا يفضلون لو أمكن دكتيسيه العدو في مكانه عن طريق البران الوحشية اليه من الأمام ، ولم يدركوا أن الهجوم يجب أن يقسم على أحد جناحي العدو . فلم يكن هناك من يشك حتى ١٩٠٠ بما في الهجوم بالمواجهة من مشقة ، وبغضارة تكاليف الجحاح من الحاسائر الجسيمة للمعاية ، والحق لقد كان هناك قدر كبير من الانقاص مع الحمايات التي ذكرها بلوخ فيما يتعلق بامتياز التفوق عند الهجوم الى أن تكون نسبة تفوق المهاجم ثمانية أضعاف قدرة المدافع لضمان تحقق الجحاح .

الحرب في المستقبل عند بلوخ

مواجهة بين مجتمعين

لقد سبق بلوخ محاسره بخطوات في النتائج التي استخلصها من دراسة الساحة الحديثة للمعركة . ولا يرجع ذلك الى ما بيته وبني هؤلاء المعاصرين من اختلاف ، ولكن مرد ذلك هو عدم اعادتهم للمشكلات التي يحتمل أي اهتمام على الإطلاق .

فلقد تسائل بلوخ عن ماعية النتيجة النهائية التي يحتمل أن تترتب على التوقف في العمليات التي يحتمل حصوله في ساحة المعركة ؟ « فأولاً - سيزداد صفك المعاد ، ويزداد الدرجة بشدة بحيث يفقد من المستحيل دفع المعركة الى نتيجة حاسمة ، ومن ثم وبدلاً من شن الحرب الى نهايتها المروية وخوض سلسلة من المارك الحاسمة ، سيتمتع عثينة الاستمناضة عن ذلك بفترة طويلة من الانسزاف المتواصل لقوى المسكرين المتحاربين وحوادهم » - وسيمتني ذلك « القضاء المبرم على الصناعة وقطع اواصر جميع موارد الامدادات التي يعتمد عليها المجتمع ، والتي يقع على عاتقها وحدها العبء الثقيل للحرب » ان هذا هو مستقبل الحرب :

الاجاعة بللا من القتال ، والخلاس الشعوب بللا من ذبح الانبياء ، واصابة النظام الاجتماعى كله بالتصدع ، وفى مثل هذه الحالة مستحقة الصدورة بين العوامل الخمسة : مستوى الحضوة - القدرة على التحمل - الصبر على الحرمان - العناد فى مواجهة الظروف الماكسة ، والاحتياطات ، ثم سيسمح العامل المؤثر الذى يعتمد على مسلك المتدين هو العامل الحاسم فى الحرب الحديثة أكثر من أى عامل آخر ، ويهتم بلوخ بتعليقنا نقول : « قد محارب حنوك تيمنا لشبيتهم » ولكن القرار الأخير سيكون للحرج ، وسيكون الحرج هو أول من يوجه ضربه إلى العناصر البروليتارية الأكثر استعدادا للشورة ، فى المجتمعات المتقدمة صناعيا .

ومن المهم أن ندرك وقوع بلوخ فى عدد لا بأس به من الأخطاء . كزعجه تطور نهوض السلطات العسكرية المسئولة بالمهام التى تسترق وقتا طويلا والحامسة بالاعاشة ، والتموين ، وإدارة الجيوش الصخبة التى قد يتطلب للوقوف استغلال معدات النقل لتحميلها من مكان لآخر ، وتصوره سرعة إصابة الجيوش فى ميدان القتال بالانحلال والتعرض لفيجوع ، ولأحداث المصيان الجماعية ، أو ككهنه باتخاذ عملية العناية بالمرضى وإخلاء المحرسي أبعادا يصعب التحكم فيها ، وما يترتب على ذلك من تكديس الموتى والمحتصرين فى أوشى المعركة ، مما يحصلهم من العراقيل التى يمتنع الخلاص منها لحماية الأحياء من بران العدو ، وارتاب بلوخ مثلما فعل كثيرون من الجنود المحترمين فى قفوة جنود الاحتياط الذين انتقلوا وهم عارلوا فى حالة محنة من الحياة المدنية - على نحل مشاق القتال ، فمن التملو الاعتماد على الجيوش الحديثة ، واستعدادها للتضحية والحرمان بالقتل الذى يطالب به أصحاب الطريقات من الصكريين ، الذين يناسبون ما لنق أحلاقيات المجتمع الغربى من مكتسبات ، والواقع أن كفاءة اعاشة الحدود الذى تجاوز عددهم الملايين فى الميفل ، والجناح الذى أنتته الخلفات الطبية - مع بعض استثناءات مريضة - للنهوض بالمهام المدنية التى واجهها وحدات جميع القوات للحاربة ، وذكرنا بسجاي الروايج فى الفكر اليونانى القديم قد آتيت قفوة القوات للحاربة على مواجهة مشاق أبشع مما حطر ببال بلوخ ، ولعل هذه النواص كانت من المظاهر الملحوظة والرائعة للحرب العالمية الأولى . وبذلك يكون بلوخ مثل الكثيرون من أصحاب التسمات المثاليين - بما فى ذلك الساملون بالقوات الجوية قبل ذلك بجيل - قد بنسوا قفوات المجتمعات البشرية على تكبيت نفسها فى مواجهة الظروف الماكسة .

غير أن بلوخ كان حاد البصيرة فى نواح أخرى تثير اللحنه ، عنصبا أشار مثلا إلى اعتماد مدبل الخسائر الحربية على براعة القادة ، وعنصبا

حسنا على أن لا تناسي علم تعرض أعداد وفيرة من أصحاب الرتب العليا من الضباط في الحشوش المجهزة لليونان على الإطلاق ، بينما ارتفع معدل التضامن بين صغار الضباط عندها كانوا يؤدون وظائف القيادة (على غير وجه) ، وأخيرا فقد حدثنا عن مشكلة تدبير اقتصاديات الحرب ، وما يحتمل أن تكون آثارها في المدى البعيد ، واستنتج بلوخ من ذلك : « إذا افترضنا أن الحكومات سترغم على التدخل في وضع نظام للأسعار ودعم أهل البلاد ، فهل سيكون من السهل أخذ التدخل عن هذه الممارسة وإعادة الأوضاع الاقتصادية إلى سابق عهدها قبل الحرب ؟ » وهكذا يتضح أنه إذا توقعت الحرب وانتهت بالنصر أو الخسارة ، سيكون النظام القديم مهددا بالتغير من على ، أن لم يحدث هذا التغير عن طريق الثورة من أسفل .

أن هذا المخطط البالغ الثقة للحرب التي انطلقت في أوروبا ١٩١٤ ، واستمرت أربع سنوات ونصف السنة ، ولم تنته إلا بعد سقوط تفويض اجتماعي للمحاربين المنهزمين ، وبعد أن أجهكت القوى الاقتصادية للجميع ، لم يكن هذا المخطط ثمرة لرؤية بعيدة ، وإنما جاء نتيجة لتحليل فاسح دقيق للأسلحة والقوات والأنظمة العسكرية والمقالات الاستراتيجية والبيانات المالية والاقتصادية ، ولقد شغل هذا المخطط خمسة أجزاء مناهي ما زالت ناهية مرجعا مثابرا للأحوال العسكرية والتكنولوجيا والاقتصادية لأوروبا في نهاية القرن التاسع عشر ، ولم يبحث أحد حجج بلوخ الاقتصادية أو مسائل إثبات بطلانها ، لقد تجرعت فحسب ، ولربما تساءلنا لماذا لم يعرها السياسة والقادة العسكريون إلا القليل من الانتباه ؟ ولماذا تابعوا السير في طريق كان سيؤدي حتما إلى تحطيم النظام القديم ، كما تنبأ بلوخ دون أن يقع أي خطأ ؟ والسؤال من الاستمالة الوثيقة الاتصال بصرفنا ، على نحو لا يدعو إلى الإغنياح .

بطبيعة الحال ، الرد على ذلك هو أنه ليس بالمقدور أحداث تحول في نمط العلاقات الدولية بين عشية وضحاها ، بناء على نبوءة واحدة ، مهما كانت درجة المنافع حثتها ، والحق لقد أدت رؤية بلوخ وتأثيره إلى استحداث التغيير نيقولا الثاني على الدعوة لمؤتمر السلام الدولي الأول الذي اجتمع في هيج في مايو ١٩١٩ ، بل ولعلها كانت بعيدة الأهمية غير تحببة الضم العام في شتى أنحاء أوروبا لفأيات المؤتمر . غير أن هذا المؤتمر لم يزد عن فتاة في تيار السياسة الدولية ، إذ كانت المشكلة الأكثر إلحاحا كما أشار بلوخ مرارا - هي علم وجود جهات في أوروبا مستبولة عن مهمة التفكير في مشكلات الحرب بأي صورة من الصور الشاملة ، بقدر اشتغالها بالمسائل الهامشية والمسائل الحزبية التي تخص

بالمسكوبين - أما فيما يتعلق بالمسكوبين المتخصصين ، فلم يكن من المتوقع اعترافهم بأن المشكلات التي تواجههم غير قابلة للحل ، وإنهم سمحوا بالاستعانة بتسيير الحرب بأعلى وتخصيم ، كما كانوا يصرون في الماضي .

دروس من حرب البوير

لقد أكتبت حجج بلوخ ذاتي صحتها ، عندما شئت الحرب في جنوب أفريقيا بعدد أشهر قليلة من نشر كتابه (٩) . وقد تسبب المسكران التجاريان في هذه الحرب لأول مرة بالتكنولوجيا الحديثة كالمدفعية التي تسير من الخربة ، والمدافع التي يستطيع إطلاقها بسرعة الرشاشات . وجرى الأحداث في ميدان الحركة على نفس الوتيرة التي تكن بها بلوخ . فقد كان الجيش البريطاني يحرك في تشكيلات منظمة ، ويطلق وأبلا من النيران ، ولم يكن باستطاعته الإعتدال إلى موقع قريب من العدو ، الذي لم يكن يراه . وقوبل بمقاومة عنيفة من البوير في موالج (١٠) عندما هاجمها بالمواجهة . وتكبد خسائر فادحة . وكما كتب الكولونيل هيلرسون (١١) الذي رافق الجيش في جنوب أفريقيا بعد ذلك بوقت قصير :

« لقد حدثت محاولة مستمرة لمواجهة بين الحركة والرهق القتال حتى يكون نجاحها معتمدة على النجاعة والولاء ، والتكيف بين الذكاء وشخصية المقاتلين والظروف التي يتعرض لها القتال . فلم تكن قد تكشفت حتى الآن الأنموذج عن إمكان حماية أي خط كتيبة من النيران في الأرض الخلاء لنفسه اعتمادا على النيران وحدها ، إذ كان مصدر هذه النيران خارج ارمى المؤثر لنيران العدو . ولم يكن هناك من تنبيه إلى أن المدافع عندما يحتل خنادق متشعبة بذلك ، ويستعمل بارودا بلا دخان ، سيكون مصحفا صليبا - من تأثير كل من المدافع والبنادقية » .

ويجرح الملاحظون الأوروبيون من غير المتماثلين على الجيش الإنجليزي إلى غمط أهمية تجربة جنوب أفريقيا على أساس أن الجيش البريطاني وقادته لم يدرؤا تدريجا صحيفا لمواجهة العدو « متضرر » بعد أن شعروا بالتيه من أثر الانتصارات المتتابعة التي حصلوا عليها في مصر والسودان . وفوق كل ذلك ، فقد أشاروا إلى أثر الاختلاف في أرض الحركة وحيلولة

La Guerre Future

(*)

Magers fontein, Modder River, Colenso, Spion Kop.

(***)

G. F. R. Henderson.

(****)

دون الاستفادة من دروس الحرب مثلما حدث في حالة الحرب الأهلية الأمريكية عندما لم تتوهم دروسها مع ما يجري في المسرح الأوروبي - ويسمى كان البريطانيون أنفسهم قد عجزوا عن انكار علم علامة تكسبهم وتدريباتهم التقليدية للتراس والأحوال المتغيرة للحرب ، إلا أنهم رغم ذلك كانوا قادرين على الإشارة إلى أنهم بمجرد الملمهم بالتقنيات الضرورية قد ألحدوا في التحول نحو الهجوم ، وكسبوا الحرب من جراء ذلك ، وتحقق النصر بعد أن نجحوا في « تدريس » البور في مواقعهم بفضل قوة برابهم ومناوراتهم على أجنحة مواقعهم اعتمادا على العرسان ، الذين لم يتنبهوا بالدور التقليدي القائم على أحداث صدمات في أوضاع المعركة ، ولكنهم أقنعوا على ابتكار نوع من حركة الحركة الاستراتيجية التي اقتضاهها الموقف ، لتذهب على المشكلات الناجمة عما حدث من ازدياد في القوة الصناعية - وعندما أوضح بلوخ (١٩٠٦) لبعض مستلمي في معهد (٢) الخدمات البريطانية الملكية المتحدة ، كيف مثلت تجربة الجيش البريطاني في حروب أفريقيا حجة في صورة مكبرة دقيقة ، كما يتوقع أن يجري في أوروبا ، أشار الحاضرون إلى استاذ الفورد ووبرنس ، الذي ألت إمكان الجسم من المزايا التكتيكية لقوة النيران والمزايا الاستراتيجية لحدة الحركة عند الفرسان وبذلك تمكن من تحقيق النتائج الحاسمة التي ظن بلوخ أنها مستحيلة في المستقبل .

ويبين من أية دراسات للؤلؤات العسكرية الوفيرة التي ظهرت سنذاك (بين ١٩٠٠ و ١٩٠٥) أصحاف المفكرين الاستراتيجيين الأوربيين حول نقطتين : النقط الأولى هي الأهمية الاستراتيجية للفرسان كقوة نيران خفيفة الحركة ، فلو صح الأخذ بما قيل من استحالة إقدام الفرسان على مهاجمة المشاة دون تعرضهم لخسائر فادحة بفضل قوة النيران المتوفرة لهذا الغرض - وهي النظرية التي قبلت على مضض منذ وقوع كارثة الحرب الفرنسية البروسية ١٨٧٠ - فإن الدرس المستفاد من ذلك هو وجوب إثناء الفرسان لقوة نيرانهم بعد تعزيزها بالمدفعية خفيفة الحركة القادرة على إطلاق نيران سريعة وبلاستعانة بالرشاشات ، مع استغلال الفرصة على نطاق لم يعلم به أحد منذ عهد الحرب الأهلية الأمريكية ، ولقد نهت تجربة جنوب أفريقيا الفرسان ، وبخاصة في احتلها ، إلى دراسة الحرب الأهلية الأمريكية ، ربما للمرة الأولى في الأغلب ، وفي الجيش البريطاني تم التسليم بوجوب اتحاد القربى أو المتدنية من الآن فصاعدا كسلاح أساسي للفرسان ، غير أن معظم رجال الفرسان قد راوا انحراف هذا الاتجاه عن الصواب ، فليس هناك أي بلد في أوروبا يرضى بجعل هذا السلاح

والأكثر اكتفاؤه واعتدائه بنفسه ، وأسهل الأسلمة عن روح النصر ، يتعامل في مكانته ويتحول إلى سلاح للفشل المراكبة . فيمكن ترك هذا النوع من الواجبات لمروحي الخيول في المستعمرات ، ولاحظ الجرال الألماني فردريش فون برناردت (*) عبارة في وقت متأخر يرجع إلى ١٩١٢ : « إن الفرسان ينظرون الآن إلى عملية الهجوم في المعركة على أنها ولجهم الأسمى » . ويؤكد كل منهم يفضي عنه في ادراك التعريف الجديدة الأثر إلى طرات على الحرب - وعندما فعلوا ذلك صعدوا الطريق أمام تحقق نجاحات أوفر . ومن هنا تازلت العلاقات داخل صفوف الفرسان في كل جيش أوروبي . ولم يتم حلها إلا بانساع ما يتسه الحل الوسط ، وقد عبرت عنه موسوعة الفرسان البريطانية (**) ١٩٠٧ بقولها :

« يمكن صهر روح الفرسان في الحفاظ على التوازن الصحيح بين قوة الثيران والتحرك لأحداث الصدمات . فلا بد أن يقابل من حيث المبدأ القول بأن السدقة ورغم ما عرف عنها من فاعلية لا يمكن أن نحدث نفس الأثر الذي يحدثه الصلابة بسرعة الفائقة . فلا بد من الجمع بين متناظرة الهجوم والرعب المبعث من الصلب البارد » (***).

ولعل الفصل من صهر روح رجال الفرسان في بداية الحرب العالمية الأولى هو التحصيل الذي تضمنته القيمة العسكرية البريطانية . ونشر ١٩١٤ :

« من الناحية التقنية ، أصبح الدور الحاسم لهجوم الفرسان في الجبهة الرئيسية في ذمة التاريخ . أما التدرب على تكتيكات الصدمة فمن الأمور التي يطالب بها جميع الثقافات في العروسية . فبالذات هذه التكتيكات ضرورية للاستمرار الاستراتيجي للسلاح . وحتى في أوص المعركة ، ما زالت تكتيكات الصدمة في بعض ظروف معينة ممكنة تصورا . سيما مستنح في أغلب الظن يقينا فرص لامة لممارسة القوة التي ستكتسبها القروسية عندما تجمع بين حفة الحركة ، والقوة على إطلاق البول أثناء الحركة . فهما اختلعت التكتيكات التي مستنح ، ستظل الرغبة في اتصال موقف الهجوم دوما بأعنا لطورية القروسية ، وصما يتمزج إجراء تكتيكات الصدمة ، فلا بد أن يعد الفرسان العدة للشمعية بأخر رجالهم أثناء تقدمهم . سيما على الأقدام ، وهم مسكون بالبنقية في أيديهم ، لو كان هذا هو الطريق الوحيد لتحقيق النصر » .

Friedrich von Bernhardi:
British Cavalry Manual.

(*)

(**)

Magnitism of the charge and the terror of cold steel.

(***)

وهكذا استمر التشوب على تكتيكات الصلحة . اذ كان أصحاب النظريات الإصلاحية أنفسهم مرعبين على الاعتراض بسطالبة العروسية بمواجهة فروسية العدو . ودورها . ومن ثم رأينا فون برتاردى يكتب ١٩١٢ : « ميتميز استهلال حرب المستقبل بالمعارك الكبرى للفروسية » .

وبذلك واصلت الفروسية التشوب على القتال بالسيف ، واستمرت المشاة ، لنفس السبب ، في معارضة تصاريح السونكى . ولم ير الكاتب الألماني فلهلم بالك (٢) سببا يدعو الى اجراء أى تعديل للعقيدة العسكرية التى دعا اليها هو الطبعة الأولى لكتابه الجسيم عن التكتيك ، عندما أعاد طبعه ١٨٩٦ :

« لا بد أن يتعلم الجندي علم تهيب الهجوم بالسونكى والتعرض لطحاته . ولكن عليه أن يسعى اليه . . . ولو انتزع السلاح الأبيض من المشاة وإذا ربح استعالة القتال بالسونكى . . . ستظهر مشاة غير لاقاة للهجوم ، وتفتقر الى صفة عظيمة الضرورة ، وهى الروح المعنوية التى تساعدها على الاقتراب من مواقع العدو . . . (واستطرد بعد ذلك مستشهدا بما قاله الجنرال الروس دوجوميرف - وهو من المعروفين بتصميم لهذه الفكرة) . « ليس بالمقدور استبعاد السونكى ، لانه السلاح الوحيد الذى تتحسم فيه ارادة القوة التى تتفرد فى كل من الحرب والحياة اليومية بتحقيق الأغراض التى تسمى اليها . بينما يقتصر دور العقل على تيسير الامتداد الى الغرض ، هذا هو السبب الأساسى ، ان لم توجد أسباب أخرى » .

وعبرت نضرات هيئة الأركان البريطانية عن نفس المعنى مع تعديل طفيف : « ان الأمر المنوى للسونكى أبعد كثيرا من تأخير المادى . وليس أقل هذه المميزات أهمية المساعدة على تعزيز الروح الهجومية وتشابه حركات المشاة من استعمال السونكى هو وحرمان الفرسان من استعمال سيوفهم ، وصيرت على ذلك - الى حد ما - سلبهم الرغبة فى الاقتراب من العدو » .

وتنقلنا هذه النقطة الى نقطة أخرى أثارت اضطرابا أكبر عند محاولة الاجماع عليها ، ونعرف عليها المفكرين العسكريون الأوروبيون كنتيجة لحرب جنوب إفريقيا - أنها الصعوبة التى لم يسبق لها مثيل فى اجراء الهجوم بالمواجهة حتى فى حالة توفر دعم منظم جوى ، والتى حثمت زيادة

انتشار التشكيلات عند الهجوم ، ولقد ثبتت خلالات متواصلة حول هذه النقطة منذ ١٨٧٩ . إذ كان التشكيل المألوف لهجوم المشاة والمروحيات عن عصر فاينبرون يتألف من ثلاثة خطوط : الخط الأول ويتألف من المشاة في تشكيل مفتوح ، يحتص بالسواركل كلما استطاع سبيلا للوصول إلى موقع يستطيع استعماله لإطلاق بران مركزة على العدو الذي يسير في تشكيلات متضخمة . ويتم ذلك بالتعاون مع المشاة ولكسب حرب المبراة . ويسير خلف هذا الخط خط الهجوم الرئيسي في تشكيل متضخم عاكف تحت السيطرة المباشرة للضباط للهجوم بالسوكني . وأخيرا يجرى خط الوحدات المحاولة ، يحتص الاحتياطي التكتيكي المباشر .

وزرع الجيش الألماني دائما بهذه تذكرو الملايح عشائه في الهجوم في بعض المراتك (*) إلى اتباع نظرة ترى أنه بمجرد تعرض المشاة لتيران سيستمر اتباع تشكيلات المنظمة على الطريقة المثيلة . ومن ثم لنيل خط الهجوم الأساسي أن يلتزم ويشق طريقه قداما لتكتيف خط المناوشين ، أو لكي يزيه حطهم اعتمادا إذا شعرو بتهديد لأجسدهم . ومن الناحية الصلبة ، أصبح المناوشون هم الذين يحصلون صدمة الهجوم ، وإن يتحقق النجاح إلا إذا سيطروا ببراعهم ، وإذا حلت واستعمل السوكني ، فاما يرجع ذلك إلى محاولة جسي الحصينة التي اكتسبت بالفعل عن طريق البصقية والمطافح .

هذه هي العقيدة التي اتجه إليها دواجر معروف وأتباعه في كل مكان بأنظارهم . ويتميز الاعتراف بأحتوائها على حركات حقيقية ، فبمجرد تعرض القوات المهاجمة للتفتت ، وتركها على صحتها بعيدة عن سيطرة الضباط الذين تتركز مهنتهم على إلهامهم بسواء السبيل ، وبعدة عن ضباط الصف الذين يسلون على « إفزاعهم » ، لنيل سبيلهم بعد ذلك أي حافز لديهم للتفهم ومواجهة تيران العدو ؟ فبمجرد انطباعهم على الأرض وروه سائر ، هل يتوقع نهوضهم مرة أخرى ؟ لقد حدثت عدة أمثلة شهيرة ١٨٧٠ ، عندما شعرت بالضياع سبة عديدة كبيرة من التشكيلات الهجومية الألمانية ، على سحر لم يعمل حساسه . ونشر أحد كبار الضباط (***) ، من قتلتوا في هذه الحرب ، والذين احتوى كتابه على بعض أذكى الملاحظات التي نشرت عن الروح المعنوية للقوات المسلحة وسفا لشعور الجندي بأمراله المزعج في أية معركة حديثة (وحتى قبل استعمال البادود الخالي من الدخان) بمجرد تحرره من معاناة وفائه للمنتشرين على جانبه بمرس

(*) في معركة St Privat, Wœrth في أغسطس ١٨٧٠ .

(**) Colonel Ardant du Picq وقد نشر كتابه *Trilogie sur le Combat* .

يعد مكتبة .

النجية . وكان لهذا الوضع دور عظيم في تشجيع الرجال على مواجهة الموت منذ أيام الحشود الرومانية : « فالجندي شخص غير معروف حتى عند اقترانه ، ويشعر بافتقاده لهم عندما تضطرب الحركة ، ويعد انصافها قبلي الجسد نفسه وكأنه يحارب وحيدا ، بعد اختفاء الاشراف الذي يساعد على توكيد التضامن المتبادل بين الجنود ، فلقد أصبح كل شيء الآن يعتمد على الروح المعنوية ، وامكان الاعتماد على الوحدات الأصغر . فلقد شابت الظروف بحول جميع المراكز في الوقت الحاضر الى صغار جنود ، فهل يتوقع ان يتحول هؤلاء الرجال المزرعون الوحشة بعد ان حرمهم من صوت الطبول وأبواق الحرب وتشجيع قادتهم وعون رفقا لهم الى شجاعة يلهلون على الموت بصدور رجب ؟ » .

وقد شعر الجيش الرئيس بتقليده في القيادة العسكرية والتشكيلات المنظمة عند الهجوم ، والتي مست من حيث الرمال حتى عصر نابليون ، شعروا بالإحجام عن قبول المطلق الحديث لقوة الشيران . وحاول قاداته بعد عشر سنوات من سنة ١٨٧٠ ، فرض تكتيكات التشكيلات المفتوحة على وحداتهم ، ولكنهم لم ينجحوا نجاحا فاعليا على الإطلاق . وتضمنت تعليمات ١٨٨٤ مرة أخرى الإشارة الى « عبء الهجوم الحاسم ، ورفع الرأس عاليا ، دون ميلالة بالخسائر » . أما تعليمات ١٨٩٤ السبعة البسة ، فقد أضحت صراحة وجوب تقسم القوات المهاجمة في تشكيل منظم تكاد الذرع المتحاربين تتلاصق فيه . ويعلم أحداث تصدع في التشكيل للاستفادة بسمرات الساتر . فيجب أن يتم الهجوم كتلة واحدة (*) ، بعد تدلى الأمر من لوية البروجي والطبول ، « ولم يولد بتفصيل اتباع هذا الأسلوب المؤتمن بهذا الهراء والقرتسيون . فهكذا فعل الروس أيضا رغم تجاربهم التي اقتضت منهم مقتل معركة بلغنا في بلغاريا (١٨٧٧) التي حاصروا غمارها ضد الأتراك » والأمر بالمثل فيما يتعلق بالألماني أيضا . فلقد عادوا هم الآخرون بعد عشر سنوات من حيرتهم متأثرين بأحداث ١٨٧٠ لتفادهم القديمة . ففي التعليمات التي صدرت ١٨٨٨ كتب المفيد هنتوسون :

« لقد أعاد السونكي تأكيد دوره مرة أخرى . ومبعده للخط الثاني المزود بالصلاحيات الأبيض (السونكي) وحده - كما كان الحال في عهد شبه العبرية البريطانية - سيمهد اليه بواجب التعجيل بانتهاء المعركة . ويرجع الاضطراب الذي حدث في المراكز الرومية الى حد كبير الى اعتناقهم المادى الثابتة التي لا تتميز للتكتيك . وهم قدوة سيئة علينا أن نغادى التأثير بها وتقليدها » . إن حكمة شعونا مرشد إكيد ، وإذا أردنا الاقتداء

بعد ١٨٧٠ بأحد فلتكن هذه القلوة تكتيكات الحرب الطبى الأنحة التي
شنتها الجنود المتحدثون بالانجليزية »

وكان الأمريكان في الجانبين (الشمال والجنوب أثناء حربيهم
الأهلية) يشنون دائما هجومهم بالواجهة في تشكيلات منضمة بعد أن
اكتشفوا : » انه للحيلولة دون تصور الحركة وتحولها الى صراع مستمر
مستد بين جيشين مصنعي في الحنادق ، ولتحقيق نتائج سريعة وحاسمة ،
فإن مجرد الريادة في النيران لن تدميرا كاميا » . وكان الدرس واضحاً :
» النظام (التشكيل) المنظم مهما يحسر ذلك » ويتحصر الاتجاه الى
التشكيل المفتوح عندما يكون الباعه امرا لا ملوحة عنه » .

وفي ١٩٠٠ . لوداد هندرسون شعورا بالأمي . وازدادت آراؤه
انصافا بالحكمة . بعد ان بينت أحداث جنوب افريقيا للعالم انه عند التعرض
لنيران فال التشكيل المنظم لن يكون ميسورا ، وما يقال عن اثره الشديد
على الروح المعنوية يتبع الضحك : » عندما تعاني أغلبية العدو من حائل
خسائية ، وعندما يشعرون مثلما يشعر آخرون أنه كان بالاستطاعة
الباع سبل أخرى اقل تكلفة لتحقيق الغاية ذاتها ، فاطننا نعرف ما الذي
سيحل بروحهم المعنوية ؟ ويرد هندرسون فيقول : » ان أعظم الانتصارات
الهجومية المعية لم تظهر في المعارك التي كانت أقرب الى عراق بالموهم » .
والتي استنزفت أكبر قدر من الدماء ، وانما هي التي اكتسبت عن طريق
الحاجة والمتابعة الحاذقة ، وتمعية الممو وتفيليك ، بعد حسن الاستقابة
بشفاويس الأرض . انها المعارك التي قلت فيها الدماء (أي الخسائر)
فيها الأرقام المثبة في قاتورة البرورة) . وبعد ذلك بجيل رأينا ليدل
هارت مواطن هندرسون يسي علم الفكرة البصيرة ويعولها الى فلسفة
كاملة للحرب . ولكن قبل ١٩١٤ بفترة طويلة ، تخلي العيني البريطاني
من هذا الاقتراح الهدام والذي مؤداه أن التبصر وبما كان أفضل جواب
الجسامة .

على أنه عند المقاضلة بين التشكيلات المنظمة والتشكيلات المفتوحة
عند الهجوم ولدى ان تجربة جنوب افريقيا تعد بوجه عام قد حسست علم
المسألة . فحتى القيادة الفرنسية العامة ، فانها بينما نسبت الكوارث
التي لحقت بالبريطانيين الى ما يتصف به الانجلوسكسون من نيلد ،
فانها عندما أعادت كتابة تعليماتها ١٩٠٤ ، تخلت عن التشكيلات القائمة
على التصاق المرافق (٣) التي اتبعتها ١٨٩٤ . وأشارت بالتباع انضم في
شكل جماعات صغيرة تستر بعضها بعضا بالنيران . أي نوع تكتيكات

المقاسة التي عم اتباعها في الحرب العالمية الثانية . ومع هذا فمن المشكوك فيه أن تكون هذه الإرشادات المأثلة قد تركت انطبعا عند جيش أصيب بأضطراب ادأرى يقرب من الفوضى اثر قضية دريفوس . ومن المؤكد أن أداء المقاسة الفرنسية ١٩١٤ لا يكشف عن أى دلالة على ذلك . وعلى الصوم فإن هذه التكتيكات تتطلب من الجندي العادي قدرا من المهارة والاعتماد على الذات لم يتوقعه الجيش الفرنسي . أو أى جيش أدربى آخر (مع إمكان استثناء الألمان) . ولم يتأولوا غرسه في صغار الضباط أو الرتب الأخرى .

وبقيت دون حل المشكلة الأساسية الدائمة الالاحاح . يعنى مشكلة الروح المعنوية التي استطلعت بهه أن أصبح السواد الأعظم من جميع الجيوش يتألف من جنود احتياطيين ممن يعنى أن تكون معنوياتهم قد تسلفت إليها عناصر هدامة من تأثير موهنات الحياة المدنية . واتجه المحكرون الأوروبيون المسكرون إلى التصميم واعتبروا الاهتمام بالروح المعنوية للجيش متصلا بالروح المعنوية للشعب في حملتها . ولم يتركز هذا الاهتمام على حل مستطيع هذه الشعوب السوداء أمام ما سيغيرى الاقتصاد من تضطرس - والذي يكاد بلوغ أن يكون قد الفرد بالتكن بأهمية هذا العامل - ولكنه تركز حول حل سيكون باستطاعتها غرس ذلك الأزدواء الرواقى للنوت في شبابهم ، حتى ينسى لهم مواجهة فطائع الهجوم ، ولغيرها .

الحرب الروسية اليابانية وانكسار الروح الهجومية

وحدث عندما بلغ الاهتمام بقيمة الروح المعنوية مدوته أن شبت الحرب بين اليابان وروسيا في الشرق الأقصى . ففي فبراير ١٩٠٤ . شن الأسطول الياباني هجوما مباغتة على الأسطول الروسى في بورت آرثر . وبعد أن نجحت اليابان في السيطرة المحلية على البحر ، أنزلت قوات برمائية على ساحل كوريا ومنشوريا ، واستغرق الجيش الياباني ستة أسابيع لتوطيد أقدامه في المنطقة المتنازع عليها في منشوريا ، واستولى على بورت آرثر بعد هجوم يري ، وشن طريقه في صاعدة السكة الحديدية بالاستيلاء على القاعدة الروسية الأساسية في موكلن في معركة دامت أسبوعين ، اشترك فيها أكثر من نصف مليون رجل . وكانت حربا استعمل فيها الطرفان أحدث ما أنتجته التكنولوجيا . فلم يقتصر الأمر على استخدام الجنادى التي يصير من الخزنة وملفعية الميدان ذات الطلقات السريعة .

وإنما انتحرت أسلحة ومعدات أخرى كالمناجم الثقيلة البحرية الحركة
والرشاشات والألغام والأسلاك الشائكة والأتوار الكاشفة والاتصالات
التليفونية ، بل وقامت الحادق بنور مهم في هذه الحرب . وابتدت الحرب
الروسية اليابانية بما لا يتطرق إليه الشك أن أقنع سلاح جندي المشاة
بعد البسكية هو المجرفة (٣) . وعلى الرغم من اتصاف هذه الحرب بطابع خاص
تسيرت به ، وهذا أمر معهود ، إلا أن الطرفين حاربوا في النهاية بعد أن
امتدت خطوط تموينهما في مناطق قاحلة غير آهلة بالسكان ، فبدت
قديريهما على الرءخ بقوات إضافية للاشتراك في الحرب . وهذه مسألة
لا يصح الامتهان بها ، كما فعل مدعيون من الفكرين المحافظين في أوروبا
عندما لم يقدروا بحرب البوير باعتبارها مجرد حرب استعمارية بعيدة
العلاقة بالحرب بمعناها الصحيح . وكان الجيش الروسي وأسلحه من
أعظم جيوش أوروبا ، وأشرف على تدريب القوات اليابانية ، وتجهيزها ،
أوروبيون ، وبخاصة من الألمان ، على أعلى المستويات الأوروبية . وأرسل
الأوروبيون - والأمريكان - مراقبين عسكريين وبحريين لمراقبة القوات
المسلحة ، ورجعوا بتقارير فنية عن الصليبات التي استوصيتها لبياداتهم ،
وأعتمدت النظر فيها عليها ، وقاتل الجيوش البريطانية والفرنسية والألمانية
جندوة ما كتب من تاريخ الحرب الروسية بالمديد من المؤلات المتعددة
الأجزاء . واستمر زهاء عشرات السنوات تحليل دروسها تحليلًا ضافيًا
دقيقًا من قبل بعض البحادر في المجالات الحربية ، إلى أن خبا الاعتدلم
بها من قاتير الأحداث القريبة من بلادها . ولم تكن حرب البوير أو الحرب
الأهلية الأمريكية ، أو حتى الحرب الفرنسية البروسية هي التي خُطرت
ببإل المتخصصين العسكريين الأوربيين عندما نشرت قواتهم ١٩١٤ .
ولكن ما شغل أذهانهم حينذاك كان القتال الذي جرى في منغوليا
(١٩٠٤ - ١٩٠٥) .

وجنح المتخصصون - كما جرت العادة - إلى تفسير نجاح الحرب
على النحو الذي يرضى أمواسهم ويتجلوب وأمانهم ، فلاحظ رجال الفرسان
المحافظون أخفاق الفرسان الروس - الذين تدربوا على استعمال البندقية
- في تحقيق أي شيء على أكمل وجه لا دسل الحركة أو خارجها . إلا أدى
الافتقار إلى الروح الهجومية إلى صبح غاوت هؤلاء الفرسان واستكشافاتهم
بطابع عديم الفاعلية ، وعلى عكس ذلك ، لاحظ المصلحون كيف تكن
اليابانيون من بحر لرساتهم بكفاءة ، وكيف نجحوا في استئثار قوة التيران
الخفيفة الحركة ، ولاحظوا أيضا الدور المهم الذي قاموا به في معركة

موكدين ، واتفق الجميع على الاعتراف بالأهمية الفائقة التي اكتسبتها المدفعية بفضل ما لديها من دقة وقوة على إصابة الأهداف البعيدة وارتفاع معدل النيران ، وزلوا وجوب حرصها دوماً على امتصاص النيران غير المباشرة والشرابيل أكثر من اعتمادها على المقذوفات شديدة الانفجار باعتبارها أشد فاعلية ، وإن كانت هذه المميزات لا نسيئنا نهم المدفعية في استنفاد ذخيرة - وتلقى المشلولون دروساً ثمينية تخص مشكلات الامدادات والاتصالات وضرورة ارتداء زي لا يلفت الأنظار - وسرعان ما أعاد الجيش الأوربي اللمس ببوشه زياً عسكرياً من اللون التني والرمادي يختلف دجاجة - ويرجع تأخر الفرنسيين في الاحتذاء بالآخرين إلى أسباب سياسية معالطة وليس لأسباب عسكرية ، مما عاد عليها بالمواقف الوحشية ، ولكن الأهم من كل هذا هو الاجماع العام على اعتبار هجوم المشاة بالسونكي مارال ممكناً ، بل وضرورياً ، بالرغم من تجربة جنوب أفريقيا - فلقد اتبعه اليابانيون للمرة تلو الأخرى ، وحقق عادة نجاحاً حاسماً .

ولم تكن هجمات اليابانيين بالسونكي تجري إلا بعد عمليات تقليدية طويلة حذرة - وكانوا يقتربون منه اللبيل بقدر الاستطاعة ، ويسطرون مواقعهم قبيل الفجر ، ويسترحون بالنهار ، ثم يكروون في الأيام التالية نفس الخطوات إلى أن يتعدى تقسيمهم إلى ما هو أبعد - ثم ابتعدوا تماماً عن التقليد الأوربي الذي يتيح التقسيم في خطوط مترابطة ، فكانوا ينفضون أو ينطفون قداماً في جماعات صغيرة تتألف كل منها من عشرة أو عشرين جندياً ، وينفذ لكل جماعة هدف خاص بها ، وتغفل من صائر إلى آخر إلى أن تقترب إسرائيل كالقاصد - للهجوم - ووصف له المراقبون الفرنسيون حالة يقول :

« لقد أصبحت الجبهة اليابانية بأسرها تتوجه ببريق السونكيات بعد انتزاعها من جرابها - وغادر الضابط الملاحي مرة أخرى ، وهم يصيحون صيحات مبهجة - بأمرى ١ - تردد صداها بين جميع الرتب - وتعلموا متلهين ، واب وجب علم انكار مجاحهم في شق طريقهم رغم الأسلاك الشائكة والأكام والخفر ودابل الطلقات التي لا ترحم - وتعرضت وحدات بأكلها للإبادة ، وحلت وحدات أخرى مكانها - وتوقفت الوحدات الزاحفة للحطاط ، ثم عودت الزحف إلى الأمام - ولقد أصبحوا بالفعل قيد أمتار من حنادق العدو - وبعد ذلك رأينا على الجناح الروس جبهة ترتدى اللون الرمادي وتطلق بطورها غلظة من النيران ، وبعد أن تطلق بعض القناصين العلوية في نهاية السلسلة ترمع بسرعة إلى الطرف البعيد من التل » .

وتكبد اليابانيون خسائر جسيمة في هذه المعارك ، ولكنهم نجحوا ، ومن هنا يصبح القول بأن مثل هذه التكتيكات مستتبع مرة أخرى . هكذا رأى أصحاب النظريات من الأوربيين ، وكما عبر عن ذلك أحد الكتاب العسكريين الإنجليز : « لقد أثبتت تجربة منشوريا المرة تلو الأخرى أن السونكي ليس على أي نحو سلاحا عفا عليه الزمان » إذ ربما اعتبر الاقتحام أهم من الحصول على التفوق في النيران التي يسقطه ، لأن الاقتحام بمثابة لحظة الذروة في القتال . ويعتمد عليه في حسم النزاع ... ومن هذه الأشلة المعبودة يصبح من مستخلص وجوب علم النظر إلى أي واجب قتالي مهما بلغت درجة صوبته على أنه مستحيل ، إذا اضطلع بانجازه جنود مظلة حصنو التدريب ومنضبطلون يتمتعون بروح معنوية عالية » .

نعم لقد كان ما أسر انتباه جميع المراقبين هو « هذه الروح المعنوية وهذا الانضباط » ، وأجمعوا على الاتفاق بأن هذه الخصائص لا تنفرد بالتميز بها القوات المسلحة ، ولكنها سمة الشعب الياباني هي بكرة أبيه . ولأحظ الجنرال كوروبالكن قائد القوات الروسية حاسميا في مذكراته :

« في الحرب الأخيرة ، كانت روحنا المعنوية انخفض من الروح المعنوية لليابانيين » وترجع هزالنا إلى هذا النقص ، وليس إلى انقطاع القيادة ... لقد تأثر إصرارنا على القتال بوجه خاص بالتقاربا إلى الروح القتالية وارتفاع الروح المعنوية والوداع البطولية . وفي حالات كثيرة لم يتوافر لنا التصميم الكافي على قهر خصوم مثل اليابانيين » .

وأكدت نفس المميزات اهتماما مماثلا عند الجنرال إيان هاميلتون مثل الإنجليز لدى حلفائه اليابانيين :

إن ما يقلقني الآن ليس مراعاتنا على الحصان الخامس . ولكن ربما شعر الساسة الأوربيون ببعض القلق عند تناسي شعوبهم وجود ملايين خاتج الحلقة المشرقة للخصامة الغربية على استعداد لانزاع الصولجان من الأيدي الواهنة ، التي سمحت لروحها الرقيقة بالاستكانة ... ومن حسن الحظ أن اليابان حليفنا ... ومن ثم فلهذا اجتازنا الوقت الذي يسمع الذي يساعدنا على إعادة ترتيب شئوننا العسكرية . الوقت الذي يسمع بفرض مثل العسكري الأعلى في أفئدة أبنائها ودعمهم للتملق بها . الوقت للاستعداد للقرن العشرين . وما سيصنف به هي اضطراب وللق . فعليما أن تبدأ بدور الحضارة . ولربما ، وبمدرس الأحد ومدارسنا الحربية . وأن نركز الدعوة لحدث الجميع على الولاء والانزمام بالتقاليد في برامج التعليم حتى يستتب في العقول الفنية لأبناء الجيل الصاعد من

صبيحة الانجليز والفتيات الانجليزيات القصور بالاحترام والاعجاب بالروح الوطنية لدى أسلافهم » -

وبالاستطلاعة الثغور على تعبيرات مماثلة للاعجاب بوشيلو التي انتشرت حيثذاك على نطاق واسع في المؤلفات العسكرية ، أو التي تحدثت عن موضوعات عسكرية ، على أن ما يهمنا بوجه خاص لا نسعى تأكيد هو الاعتراف العام بأن الأداء الياباني قد أثبت التفوق المعنوي والعسكري الكامل للأسلوب الهجومى . فلقد أدت سلبية اختفاء خطة الحركة عند الروس - بالرغم من جميع المميزات التي كان يوسعون التمتع بها بحكم اتخاذهم موقف الدفاع - في المدى البعيد الى تأكيد هيمنتهم . كانت هذه هي النتيجة التي تسلمها - بقلوب راضية - العسكريون في كل مكان بعد الشكوك السقيمة التي ترتبت على حرب البوير . وكتب اللواء سيرنوكس بكل بساطة ١٩١٤ : « ليس أسلوب الدفاع أسلوبا مقبولا للبريتون على الاطلاق . فلقد أثبت - يقينا - على المدى الطويل أنه وراء كل مرسة لحقت بهي هزيمة » . أما وزير الدولة للشؤون العربية هالدين فكان له كتب قبل ذلك ١٩١١ : « ليس التركيز على مبدأ الدفاع السليم هو الذي ساعد جنودنا على تحقيق المجد الذي تنعم به بلادنا حاليا » . وعندما تقاعد الجنرال الألماني هون شليفن كرئيس لهيئة الأركان ١٩٠٥ لمضى خلفه بالحرص على أن تتبع الجيوش النموذج الذي اتبع في الحرب السبميية : « الهجمات والمزيد من الهجمات الفرسية » . صحيح أنها أحدثت خسائر منقطعة النظير ، ولكنها خلقت النصر أيضا . ومن المحتمل أن يكون من الصحيح أيضا القول بأنها هي التي تحسم الحركة . « علينا أن لا ننسى أيضا تأييد فون مولتكه الأصغر الذي خلف شليفن في منصبه لهذه الرصية : « لقد تعلمنا العمل الذي سمي (شليفن) لتطبيقه وهو هم الحصول على نجاحات محدودة ، بل يجب توجيه ضربات قوية قاضية . فالهدف هو القضاء على العدو ويجب أن توجه جميع الجهود لتحقيق هذه الغاية » .

على أن الدوس لم يقابل في أى موضع آخر بالمزيد من الامتنان إلا في فرنسا . فكتب يوسف المارشال جوفر ، الذي ينظر الى عمليات الهجومية (ابتداء من ١٩١٤ عبر ١٩١٦) على أنها سلسلة من المهالك الثقيلة الموطاة . وصف رد الفعل الفرنسي بعد الحرب الروسية اليابانية في مذكراته بأنحلاله وكونه شعور ، يأبى أصف ، فكتب :

« بعد حرب البوير ، تعاطلت سلسلة كاملة من العقائد العسكرية الزائفة ... التي نرعت الى تضامف حتى المشاعر الهجومية الواضحة التي ظهرت في حلفينا العربية » . إذ أدت الدراسة المتبورة للأحداث التي

وقعت في حرب واحدة إلى اعتقاد صفوة المفكرين في جيشنا أن ارتكابه
الأسلمة النازية وقوة توجيهه النيران قد عززا من مبدأ اتخاذ الموقف
الدفاعي ، حتى فقد الموقف الهجومى المقابل له جميع مبرراته .

ومع هذا فبعد الحرب الرومية اليابانية رأيناه يقول

« اخيرا برا شباب صفوة مفكرينا في آثار المرض الذى ألم بالعالم
المسكرى من جراء تملقه بهذه الاكليسيات ، ورجع الى تصور اسلم
للأحوال البلهة السائدة في الحرب » .

واعترف القائد الفرنسى جومر بأن هذا الولع الجديد بالهجوم ، له
اتخذ طامعا يمتدح عن الطفل الى حد ما . « واستشهد بمحاضرات الكولونيل
جرانيزون الشهيرة ١٩١١ كثال . فقد صرح جرانيزون لتسميه « بأن
الاصبح هو وصف هذا الاتجاه بأنه اجتمع تماما عن الطفل » . « لدينا
حدا ان نجح دائما عندما نقاتل في ايجاز أشبه ببدو مستحينة اذا نظرنا
اليها نظرة فائرة . فمثلا . . . النقم تحت وابل النيران . . . علينا ان نعد
له العدة . وان نعد الآخرين له فان مفرس في كل واحد منهم ما يحصل
طابع الروح الهجومية . وربما دل اتباع هذا الطريق الى حد الفلاة ،
على أننا لم نسترسل في متابعتها بالقدر الكافى » .

ولم يتضمن كلام جرانيزون أية لمحة لبيان الاستسالى الحريص
للأرض ، والتعاون المتبادل بين الأسلمة ، أى الميزات التى تميزها بها
التكتيكات اليابانية الفعلية . وهى تكتيكات القربت على نحو ملحوظ من
البادى ، التى وجدت في التعليمات الفرنسية للشاة ١٩٠٤ ، والتى نظر
إليها بعد ذلك بازدراء . غير أن جرانيزون لم يكن يطرح عقيدة عسكرية
مقدرة نروعه الى تربية شمولية غربية مستندة الى توكيد الذات والتعصب
الشوقيين الذى كان مهيمسا على المؤسسات الفرنسية من مدنية وعسكرية
على السواء في سنة ١٩١١ و ١٩١٢ . انها روح بذلت جهدا كبيرا
لاستعادة الروح الملوحة لجيش محطم ومضطرب ، بعد ما حدث في قضية
دريغوس من تجاوزات ، ولكنها لم تكن قادرة في ذاتها على ابتكار مهارات
مبدئية ، كذلك التى تدير بها الجيش اليابانى . وبدونها لا تكون الروح
الهجومية « مجرد تأكيد لامتددة القومية بقدر كونها رغبة عامة للنوت ،
وكانت هذه الروح هى التى صحبت الفضايل الفرنسيين عندما قادوا
الهجمات فى أغسطس وسبتمبر ١٩١٤ ، والتى تمخضت خلال ستة
أسابيع عن وقوع خسائر تقدر بـ ٣٦٥٠٠٠ من بينهم مائة ألف من
القتلى » .

وكانت بلوخ ١٩٠٢ ، ولكن كان مقدوره الشعور بمزيد من الارتياح
 لما أسفرت عنه تجارب الحرب الروسية اليابانية • اذ كانت مشاركتها طويلة
 ومكلفة وغير حاسمة • لقد تحقق النصر عن طريق الاستحقاق ، وعنت
 الهزيمة بالنسبة لروسيا الثورة التي تولدت عنها • ولكن نقاد بلوخ
 يلقونهم القول بانفل بان فكرته الأساسية قد اثبتت عدم صحتها ، فلقد
 اثبت استمرار الحرب انها ليست مستحيلة ولا التحارية ، بل ظلت أداة
 فعالة للسياسة ، تتبعها أية أمة عندما تتوافر لها الشجاعة لمواجهة أخطارها
 وتتوافر لها القدرة على تحمل أعبائها وتمقائها - خصوصا ما تتكبد حتما
 من خسائر في الأرواح البشرية يمكن التكهّن بها ، وقال هؤلاء النقاد : هل
 الشعوب التي لا تملك نفسها لجعل مصيرها موقّع اختيار ، عليها أن لا تتوقع
 أية رحمة أو شفقة في الحرب الشرسة للصراع على البقاء التي تميز بها
 دوما التاريخ البشري ، والتي بناء محتملا أن تشن في القرن الثالث بقدر
 أكبر من الشراسة • وبهذه الروح وهذه الآمال ، توجّهت الشعوب الأوروبية
 صوب الحرب ١٩١٤ •

المراجع

- L. Albertini, *The Origin of The War of 1914* (3 Vols-) 1952, 1957.
- T. Ashworth, *Trench Warfare 1914-1918 . The Live and Let Live System* 1980.
- V. Berghen, *Germany and the Approach of War in 1914* (1873) (1981).
- W. Y. Curman, *A History of Firearms from the Earliest Times to 1914*, (1935).
- F. Fischer, *Germany's War Aims in the First World War* (1967).
- O. J. Halle, *The Great Illusion 1900-1914* (1971).
- P. Kennedy, *The Rise of the Anglo-German Antagonism 1860-1914*, (1980).
- P. Kennedy, *The War Plans of the Great Powers 1880-1914* (1978)
- L. Isfere, *The Long Peace* (1965).
- J. H. Miller, *Military Strategy and the Origins of the First World War* (1985).
- J. H. Morrow (Jr.) *German Air Power in World War I* (1982).
- D. Porch, *The March to the Marne : The French Army, 1871-1914*, (1981).
- K. Robbins, *The First World War* (1984).
- Z. Steiner, *Britain and the Origins of the First World War* (1977).
- L. C. F. Turner, *Origins of the First World War* (1970).

اضطرابات عمال بتروجراد في الحرب العالمية الأولى

تسيوشي هازيجانوا

انفجرت الثورة في روسيا ١٩١٧ ، وفي نوفمبر ١٩١٧ ، سيطر البلاشفة على الثورة ، وعلى الرغم من أن النظام والانتقال للكلمة والسلوى الاجتماعية التي سميت الحكومة القيصرية ، كانت وراء الأسباب بعيدة المدى للاضطراب السياسي في روسيا ، إلا أن ما حدث كان نتيجة لتجربة الحرب العالمية الأولى التي جعلت بالأوضاع على نحو لم يتقبله أحد البتة قبل ١٩١٤ . ولقد ترتب على النجود الحربى الروس سلسلة من الهزائم العسكرية المهلكة على الجبهة وعلى الأحوال الكفلة للإنتاج داخل البلاد ، مما زاد من حدة ضغط العمال ، الذى كان مستعرا بالفعل قبل وقوع الصراع .

وكانت بتروجراد (سان بطرسبورج الآن ، والتي سميت في مرحلة التسوية بلينتجراد) محور اضطرابات العمال . وتضم المدينة أكبر تجمع عمال في المصانع المتصلة بالحرب . ولقد تزايدت قوة العمال أثناء الصراع ، وفي ذات الوقت ، وبمستويات قليلة ، طبقت الأجور العالية هيوجة جدا ، بعد زيادة ساعات العمل ، وبعد أن تزايد النقص في الغذاء ، وبدأت الحكومة بالفتح السلع على ضغط العمال . وبالرغم من ذلك ، سعى عمال بتروجراد إلى حماية مصالحهم بالاستقالة بالشبل القانونية القليلة المتاحة لهم ، مثل حركة التامين والتجارات العمال وتعاونيات العمال ، واتبعت القردة والتملة . وتعددت جميع هذه المؤسسات إلى منابر للأنشطة السياسية والتنقضى السياسى بين الكسرات السياسية المتعددة للطبقة العاملة .

(*) نقل عن كتاب: The February Revolution - Petrograd 1917.

الطبعة: Daryal, Hamegawar (1984)

به ان الوسيلة الكبرى لاحتجاج العمال في بترولجراد كانت
 الاضراب . وتنظم العمال والتوريون المحروكون الاضرابات على الرغم من
 الجور السائد القاتل بالهزيمة العسكرية والصفوف القيصرية ضد اعضاء
 البرلمان الروسى (النوما) للبرلين . اذ كانت اسباب الاضرابات
 واهدافها متصلة اتصالا مباشرا اكبر باهتمامات العمال انفسهم ، التي
 تركزت على الأجور والنفذ ، والقمع البوليسى . وبين ١٩١٥ و ١٩١٦ ،
 لوتفع عدد المشاركين في الاضراب لارتفاعا طرعا . فضلا عن ذلك ،
 اشترك عمال ينتمون الى مختلف الصناعات تدريجيا في هذه الاضراب ،
 واصلفت موجة الاضرابات التي بدأت في فبراير ١٩١٧ بروحها التضالية
 وبغشيتها ، وادى ما حدث من اضطراب الى تصدع حكومة القيصر ولشوب
 الثورة . ومن بين الجماعات الثورية المختلفة الساعية لالغاء النظام
 القيصرى ، نجح البلاشفة بمهارة فائقة في اقناع شيابكهم التي ضمت اهدافهم
 السياسية وسط احتجاج بقوة العملة بترولجراد على الأوضاع الاجتماعية
 والاقتصادية .

لم يكن هناك ما هو أخطر على النظام القيصرى من « العزلة السياسية
 الاجتماعية للطبقة العاملة التي كانت تحيا بمعزل عن النظام الاجتماعى
 القائم » . فلم تحظ بأى نصيب في امتيازات المجتمع ، وشاكرت في إثارة
 « العديمة المتصورة الهدامة للطبقة العاملة مهادن كثيرة كالتركيز الشديد
 للعمال في القليل من المدن الكبيرة ، وغلبة الأنشطة الصناعية الكبيرة
 النجيم . والحديث الغريب الذى يجمع بين التكنولوجيا المتقدمة وتحذوف
 التقدم الصناعى الروسى . نعم لقد رحب العمال بإمداد الحروب ، ولكن
 حماستهم الوطنية سرعان ما انطفأت خنوتها ، بعد وقوع الهزيمة
 الحربية ، ولحماد الحكومة ، وشعورهم بالإحباط ثم القسب ، بعد أن
 اوفىبت تكاليف الحياة ارتفاعا حادا . وأدت سياسة القمع التي اتبعتها
 الحكومة ، التي امتنعت من الناحية الفعلية جميع السبل القانونية
 الرئيسية للاحتجاج الى انفعالهم نحو الاشتغال بالتطرف . وفى أواخر
 ١٩١٦ ، اتهم العمال بعد ان أجبروا على التزام الصمت بعد هذه الحرب
 الى الاتصاف بغير الشعب ، وهم ينادون بمطالبين بقلب النظام القيصرى .
 ومن هنا رايانا الاحتكام بفسى مصدر التوزيع السريع نحو المتطرفه التي
 حلت بينه عمال بترولجراد .

كانت بترولجراد أهمهم مركز صناعى في روسيا ، ففي بداية
 ١٩١٧ كانت تصمم ٨٣٪ من صناعات البلاد داخل حدودها ، وتنتج
 ٢٢٪ من الناتج الصناعى الكلى ، وكان أكبر عدد من العمال متركزا في

بتروجراد . ففي بداية ١٩١٤ ، بلغ عددهم ٢٤٢٦٠٠ أو ٦٩٪ من المجموع الكلي للمصانع في روسيا ، وارتفع هذا العدد في أول ثلاث سنوات من الحرب إلى ٣٩٢٨٠٠ ، أي بزيادة قدرها ٦٢٪ ، وهذا ٢٤٠٠٠ أخرى كانوا يقيمون في المناطق المجاورة خارج العاصمة حيث توجد بعض المصانع الكبرى (٣) . وبذلك وصل عدد المصانع في بتروجراد وضواحيها إلى ٧٤١٠٠٠ ، أو ما يقدر بـ ١١٩٪ من جميع المصانع في روسيا .

وارتبط هذا التوسع السريع في صناعة بتروجراد ارتباطا وثيقا بالحرب . ففي أغسطس ١٩١٦ ، عمل ٦٤٪ من العمال و٦١٪ من مصانع بتروجراد في الإنتاج الحربي ، وأحدثت الحرب تغييرا بالغ الأثر في تكوين العمال ونوعية عملهم ، فقتضت عدد الضحايا بالتصدي إلى ٢٣٧٠٠٠ أو ٦٠٪ من المجموع الكلي للعمال في بتروجراد . وعلى الرغم من حدوث تضائل في عدد عمال النسيج خلال الحرب ، إلا أنهم كانوا يحتلون المركز الثاني بين عدد العمال في روسيا (٤٤٠٠٠ أو ١١٩٪ من العدد الكلي للمصانع) ويأتي بعدهم عمال الصناعات الكيماوية الذين ازدادوا بنسبة ٨٠٪ ليبلغ عددهم ٤٠١٠٠٠ ، أو ١٠٢٪ . وثمة أثر مهم للحرب هو الزيادة عدد مصانع الكيماوية . إذ ارتفع متوسط عدد العمال في المصنع من ٣٦ (١٩١٣) إلى ٩٧٤ (١٩١٦) . وفي بداية ١٩١٧ ، ضم عدد ١٣٢ مصنعا فقط ١٢٪ من مجموع العاملين بالمصانع ، التي كان يعمل بها ٣١٧٣٧٨ أي ٧٢٪ من المجموع الكلي لقوة العمال في بتروجراد . وكان متوسط عدد العمال في المصنع من هذه الفئة هو ٢٤٠٠ ، وأبرز المصانع هو مصنع بورتيلوف . وكان يعمل به أكثر من ٢٤٠٠٠ ويلييه مصنع الأنايب في بتروجراد (١٩٠٤٦) ، ترويجوليك (٣٨) (١٩٣٨) ، براويخوف (٣٩) (١٠٠٦٠٠) ، وإيجرلاند أوجنا (١٠٢٠٠) ، ومصنع الخراطيش بتروجراد (٨٢٩٢) . وجميع هؤلاء العمال يشتغلون في الإنتاج الحربي . وتلك الدولة يبيع هذه المصانع باستثناء مصنع ترويجوليك .

ولابد من ملاحظة أن إعادة احياء حركة العمال أثناء الحرب كانت مصحوبة في خلفيتها بحركة توسع هائلة في الصناعة الروسية ، وخاصة في القطاعات الرقيقة الاتصال بالانتاج الحربي ، وخلق هذا التوسع أزمة نقص حادة في العمال ، وعلى الأخص بين العمال المهرة المشتغلين

ومصادر العالم
Schlusselburg
Tromsdorf
Oshkoff

(Schwarz, Bestenreiter)

(*) مثل مصنع الأسلحة

(*)

(*)

بالتمدين - واضطلع هؤلاء العمال بالثلاث بدور نشط في حركة الإضراب. وكانوا أقبلوا على التبرير عن مطالبهم من أقرانهم المستغلين بالصناعات الأخرى الذين لم يتسائلوا بهم في حالة الرجاء التي نصموا بها أثناء فترة الانتعاش التي خلقتها الحرب - وبعد الحرب بوقت قصير - توقفت الحكومة عن تجنيد العمال المهرة في الجيش ، وعاد من سبق تجنيدهم تدريجيا إلى المصانع

ولم يكن من تصدروا الحركة الراديكالية للعمال من العمال المميزين في أكبر المصانع ، حيث كانت الأجور والظروف المرحية أفضل حالا من مثيلاتها في المصانع الأصغر حجما ، وحيث توجبه الحكومة مريدا من العناية ، وتمارس أسلوب الثواب (الجرة) والعقاب (العصا) . إذ جاء معظم المشاركين النشطين في حركة الإضراب أثناء الحرب من بين عمال مصانع التمديد في مقاطعة فيبورج التي كان يحصل بها ما بين ألف عامل و ٨٠٠٠ عامل ، ومن ليستر الجديدة (١٩٥٠) وباريسين (٢) (٧٣٠٠) واييز (٣٥) (٢٠٠٠) وبروميت (٣٠٠٠) وفونكس (١٩٤٠) واريكسبور (٢٠٢٠) ونوبل (١٦٠٠) وعلى الرغم من احتياج النتائج الأكثر دقة إلى إجراء المزيد من البحث والتعليق ، إلا أن الظاهر أن عمال مصانع الذخيرة الكبرى التي تملكها الحكومة كانوا أقرب إلى التظيم في السن ، وعملوا بنفس المنتج لسنوات عديدة - أما عمال مصنع فيبورج فكانوا أقرب إلى صغر السن ، ومعدل استبدالهم بعمال آخرين أعلى ، ولو صح هذا الاستنتاج ، فالغلب الظن أن المباحث الأكبر لنزوح عمال بتروجراد نحو الطرف لد جاء بتعريض من عمال التمدين الأعلى مهارة ومن شباب المصلين بالتمدين ممن كانوا يستمرون بمميزات الاقتصادية أفضل من العاملين في القطاعات الأخرى من الصناعة ، أن لم يتسائلوا في المهارة هم والعمال الأقدم في مصانع الحكومة الكبيرة ، كما أن حجم هذه المصانع لم يبلغ حفا من الضخامة يحول دون الاتصال السريع بين عمال المصانع ، ولم يتصف بضاكنه بقدر كان يجب للمستغلين عن إدارة المنتج والشرطة لقمهم بسهولة ، مما سهل سرعة تعبئة العمال .

وأول مؤثر شارك في إعادة احياء حركة العمال إبان الحرب هو حدوث انقماش في الأجور ، وعلى الرغم من أن أجور عمال بتروجراد كانت أعلى بقدار مرة ونصف من المتوسط القومى للأجور ، إلا أن التضخم ألهم هذا الاختلاف ، إذ كانت الأجور الفعلية لعمال بتروجراد (١٩١٦)

ما بين ٩٠٪ و ٩٥٪ من مستوى أجور ١٩١٣ ، وفي فبراير ١٩١٧ سجلت بمقدار من ١٥ إلى ٢٠٪ ، على أن هذه الأرقام لاكتشف التقلبات الراسفة بين مختلف الصناعات ، مثلما تكتف ما بين العمال المهرة وغير المهرة من اختلاف ، فلم تحدث زيادة في الأجور الفعلية إلا في قطاعات من قطاعات الصناعة : قطاع صناعة التمديد ، وقطاع الصناعات الكيماوية ، وكانت هذه الزيادة ما بين ٢٠٪ و ١٣٪ على التوالي ، وفي المستعاعات الغذائية وصناعة النسيج ، حيث كانت العمال الغالبية من النساء والأولاد كانت الأجور أقل من نصف أجور عمال التمديد . وتمت الزيادة فيع السادة في تكاليف الميمنة مسئولة بصفة مباشرة عن تدور الأمور الفعلية . وفي أكتوبر ١٩١٦ ، عندما قومت الأسعار بامسار ١٩١٣ اتضح حدوث ارتفاع في سعر القمح بمقدار ٢٤٣٪ ، وفي مصر تلقى القمح بمقدار ٢٦٩٪ وارتفع سعر الحنطة السوداء ٢٣٠٪ وسعر اللحوم ٢٣٠٪ وسعر السكر ٤٥٧٪ والأحذية والملابس من ١٠٠ إلى ٥٠٠٪ . فلا عجب اذا رأينا أهم مطلب الاقتصادى للعمال أثناء الحرب يتركز على زيادة الأجور .

ويستند بعض الكتاب (٣) في وجود عيال أروستقراط خلال الحرب ،
 ارتفعت على اكتافهم الدعامة الاجتماعية للانترفاكيين المتدلين ، وبينهم من
 البيانات الخاصة بتوزيع الأجور في لستر الجديدة ما يأتي : ٢٧ / كانوا
 يحصلون على ما هو أقل من ٦٠ روبل و ٢٥٪ (ما بين ٦٠٠ و ١٠٠٠ روبل)
 و ٢٠ / (ما بين ١٠٠ و ١٤٠ روبل) و ١٩٪ (ما بين ١٤٠ و ٢٠٠ روبل)
 و نظرًا لكانت أن ما بين ٥٪ و ٧٪ من عيال أروستقراط كانوا ينتمون إلى
 العيال الأروستقراط الذين يحققون أكثر من ٢٥٠ روبل شهرياً .
 ولا يستبعد وجود تعاسب عكسي بين مقدار الدخل والاستعداد للمشاركة
 في حركة الاضراب ، ولعل شباب العاملين المهرة بالمدن الذين مثّلوا
 صميم حركة الاضراب لم يكونوا من بين من يحصلون على أقل أجور ،
 ولكنهم كانوا يحصلون على ما هو أكثر من العامل المتوسط . ومع هذا
 سائرنا النتائج الأخرى تنتظر دراسة إحصائية أولى وأفضل .

ومن العوامل المؤثرة على الإقبال على الاشتراك في حركة الاضراب طول ساعات العمل . إذ كان متوسط ساعات العمل في مصنع التمديد (من ١١ الى ١٢ ساعة) يوميا . وكثيرا ما كان بعض العاملين في مصانع النسيج والحلود يعملون أكثر من ١٢ أو ١٣ ساعة يوميا . وأدت هذه الاطالة في ساعات العمل الى حدوث زيادة في القسوة لمخاضات وجالات

المرضى لا يفرج من مصفى مستوى ١٩١٢ ، ومصفى ونصف هذا المصفاة ،
 والكشف يقتضيه المصانع (١٢٧٢ حالة انتهاك للشروط الصحية وتعليمات
 الأمن) ١٩١٥ ، ولم يحكم بالفرامة الا على عشرة من اصحاب المصانع
 بما قيمته ٣٦٥ روبل ، وفي ذات السنة ، كانت هناك أحكام بالفرامة تقدر
 بمبلغ ٣٢١ و ٩٩٨ وقست على العمال ، وبذلك بلغ مجموع الفراملات
 ١٠٩٦٣٣ و كثيرا ما أدى التهاون في تطبيق اجراءات الأمن الى وقوع أحداث
 مأسوية ، ففي ١٦ ابريل ١٩١٥ ، دحر انفجار وقع في مصنع ذخيرة
 للدافع « أوجتا » ورشتها ومناخية ابدية سكنية في الصومبي ، وقتل
 ١١٠٠ شخص وجرح أكثر من ٢٢٠ ، وفي ١٥ نوفمبر ١٩١٥ ، أدت
 ردة الهوى في إحدى ورش كرويلنك الى اصابة ٣٦ من العاملين
 بالتسمم بالإضافة الى ظهور أعراض مستمرة تمثلت في شكل صياح وبكائيات
 وضججات ، وبعد ذلك بخمسة أيام ، أصيب أحد عشر عمالا بالتسمم في
 الورشة نفسها ، وفي ١٠ أكتوبر ، أرسل خمسون عاملا في لاجنتير -
 لم يذكروا اسماهم - الشماسا الى مفتش المصنع يطلبون منه التمسك
 لصالحهم لانشاء أبروتين وفنتين للهوى تركبان بالورشة بعد أن شكوا
 جميع العمال من المصنع الناشئ عن « الدخان والرائحة الزيت » ، ورفضت
 إدارة المصنع الطلب ، وردت عليه بقولها : « لستم بحاجة الى مثل هذه
 الأنايب ، لأنكم مستعمرون بالبرودة ، غفلة كثرهم البسكونة من فحمة
 الأنايب ، وسيلحق الهواء ضررا جسيما بكم » .

وفيصل العمال الكد والكدر طيلة اليوم في ظروف خطيرة ، ولم
 تتوافر لهم أي ميوعة سبل الراحة أو اليسر ، ولقد سبغت الاصابة الى
 خدمة الاندحام في مجاميع العمال ، وأدى اكتظاظ العمال الجدد في بتروجراد
 الى نشوء أزمة سكن حادة في الأيواء ، ولما أقدمت إدارة المصانع الكبرى
 على إنشاء عمار للزوم في مجاميع المصنع ، وارتفعت قيمة الايجارات
 الى أن بلغ عتاف النسبة متوسط الايجار الشهري ١٦٦٦ بمقدار ١٢ روبل ،
 بالمقارنة بثلاثة روبلات أو ثمانية قبل الحرب ، واضطر كثير من المستأجرين
 الى المهيت بالطرق لاجرمهم عن دفع قيمة الايجار .

غير أن أهم مشكلة واجهت عمال بتروجراد بعد صيف ١٩١٥ ،
 كانت موارد الغذاء ، إذ صطت كميات المايق التي تنقل الى قطاع بتروجراد
 بمقدار ٦٥ مليوناً بود (البود يعادل ثمانية عشر كيلوجراما) ، والى ٢٨٢٦
 مليون بود ١٩١٧ ، أي أنقص بمقدار ١٤٪ من مستوى ١٩١٣ ، وفي حريف
 ١٩١٥ ، اختلت اللحوم ودميق اللحم والسكر والزبد من الأسواق ، وتقلد
 هذه الكميات والصابون والشموع والكبروسين ، واضطر العمال الى

الى الجبهة ، وذكر المؤرخان لايفروف وشيخارثان الأرقام الآتية : لقد تم تجنيده ما مجموعه ستة آلاف من متزعمي الاشراب بالجيش خلال الحقبة بين يوليو ١٩١٥ وديسمبر ١٩١٦ ، وبينهم كالاتي : ٣٠ عاملا من لستر الجديدة واركنسون وحوض السفن : سيفا ، وعلى يوليو ١٩١٥ جند ثمانون عاملا من مصنع التمديد بيتروجراد و ١٧٥٠ عاملا في المصانع الرئيسية في أكتوبر ١٩١٦ . ويدين من هذه الأرقام التجنيد الحكومة الى العقوبة لتتبع الاشراف كون أن تدرك مضرة اتساعها لهذه الوسيلة التي ساعدت على نشر المظاهر الثورية في وحدات الجيش .

واستمر أصحاب المصانع يشعرون استوب القوائم السوداء - يعني توزيع « قائمة باسماء غير المرغوب فيهم سياسيا » على أعضائه جمعية أصحاب المصانع لعدم تشييل كل من ذكر اسمه في القائمة ، الا أنه النقص في المال الحرة ، وسهولة اخفاء الحركيين لهويتهم قد جعلت « القوائم السوداء » عديمة الجدوى .

وعلى الرغم من اجراءات القمع التي قامت بها الشرطة ، فقد حرص عمال بيتروجراد على الحفاظ على شبكة المصلطهم المشروعة وغير المشروعة . فخلال الحرب ، حاولت اربعة أمتاط من التنظيمات القانونية حماية مصالح العمال ، وهذه التنظيمات هي منظمة التأمين واتحادات العمال وكماليات العمال ، والاندية والحلقات النقابية والتنظيمية .

ومنح قانون التأمينات ١٩١٢ العمال حق إنشاء ادارة لصندوق المرض بالمصانع من اختصاصه افراد مجلسي مجالس التأمين والاكرليم والمدن ، وعلى الرغم من أن مجالس التأمينات قد تآكلت أساسا من مجلس أصحاب المصانع ، ووضعت تحت الاشراف الدقيق لوزارة العمالة والصناعة ، إلا أن العمال حصلوا على متنفس قانوني ييسر لهم حماية مصالحهم الجسدية ، وشي العمال في الحقبة الواقعة بين ١٩١٢ و ١٩١٤ حصة لشر التأمين ، فأنشأوا صناديق للتأمين على المرض بالمصانع ، وانتخبوا ممثلين للعمال في مجالس التأمينات وأنشأوا مجلة (*) ، وخضعت هذه المجلة لتأثير البلاشفة ، وأصبحت الصحيفة الشرعية للبلاشفة ، وبعد اندلاع الحرب ، منعت الحكومة صفور المجلة ، وألقت القبض على أعضاء الحركيين في الحركة التأمينية ، وإن كانت لم تستمد تماما جميع المنظمات التأمينية ، وعلى الرغم من توقف الجبايات العمالية في مجالس التأمينات من العمل ، فإن صناديق المرض في مستوى المصانع واصلت انشطتها ، وزودت العمال بمنظمتهم الشرعية الحيوية الوحيدة ، وفي

بواكير ١٩١٥ ، شرع الحركيون في منظمات مستندون المرضى ، معاودة الاتصال فيما بينها - يوما أن جاء شهر فبراير حتى بدأت جماعة تأميم العمال تماس عملها ، وعادت مجلتها للظهور ، وتولى تنظيم هذه الحملة - كما كان الحال قبل الحرب - البلاشفة الذين عاودوا مرة أخرى الاشتراك على مجلة التأميم ، واستعانوا بها لنشر نفوذهم بين عمال بتروجراد ، وشغل محرمون من الثوريين البلاشفة (*) ، عمل الحبراء في مسائل التأميم في جملة مصالح مختلفة ، وشن الحركيون حملة انتحائية في ديسمبر ١٩١٥ ويناير ١٩١٦ لشغل الأعاكس الأحد عشر التي خلت بعد القبض على ممثل الأعضاء الخمسة عشر في مجلس التأميمات ، وأسفرت النتيجة عن التصار ساحق للبلاشفة الذين انتخبوا في عشرة من القاعد الضاغرة ، ولم يغفلوا عن أكثر من مقعد واحد للمناشفة (المنصفك) واعتبرت مجلة لوجرالا المنظمات التأمينية ككتائب احتياطية للاشتراكيين الديموقراطيين ، وكانت محقة في ذلك ، واضطهت الحركيين بلا عومة ، فمن أغسطس ١٩١٤ حتى ديسمبر ١٩١٦ ، شنت الحكومة ٧٧ حملة تفتيشية وتدميرية ، على منظمات صندوق المرضى ، ولما كان قد تم القبض على أربعة من العمال في خريف ١٩١٦ ، ولم يبق منهم سوى اثنان ، لذا أجرى انتخاب آخر في أكتوبر ١٩١٦ ، حصل فيه البلاشفة على أربعة مقاعد من خمسة .

لقد زودت « حركة التأميمات » العمال بمبادئ التنظيمية المفرومة ، وصلى الحركيون في صناديق المرضى للحصول على الحد الأدنى من الحماية للعامل ، كما نص عليها قانون ١٩١٢ . وعلى الرغم من تنبئها بالرقابة الحكومية ، إلا أنها صمدت لاصفار مجلة دنوية - أو بصلة شرعية - ترمي إلى تعريف العمال بالمشكلات الاقتصادية ، ولحسم ما تصبته من صفحات أيضا . بحيث بأمر الرقابة ، واستفاد البلاشفة من قادوا حملة التأميمات خلال الحرب من كل منسوبة لشر فشالواتهم السياسية المتخفية وراء الأنشطة التأمينية ، وما أن حلت نهاية ١٩١٦ حتى لم يعد منظمات صندوق المرضى في بتروجراد ثمانية منظمة ضمت بين صفوفها أكثر من ١٧٦٠٠٠ يعني ١٥٪ من المصروع الكلي لعمال بتروجراد .

وكانت المنظمة الأخرى التي حاول العمال استعادتها خلال الحرب هي اتحاد العمال ، ولقد كثر العمال التماسهم للحكومة بالسماح بإعادة تشكيل الاتحادات المعترف بها شرعيا . وقدم خمسة عشر اتحادا مختلفا مثل هذه الالتماسات بين ديسمبر ١٩١٤ - فبراير ١٩١٧ ، ولكن الحكومة

M. T. Kaljander, V. V. Kulkyshev, N. Rodal, A. A. Andronov: (١٤)

لم تسمح بإعادة أكثر من خمسة اتحادات . وبعد أغسطس ١٩٦٦ ونفى انشاء أية اتحادات عمالية جديدة ، وأثناء الحرب ، وحتى فبراير ١٩١٧ ، كانت يثروجراد تضم أحد عشر اتحاداً للمعال يعمل سراً ، وثلاثة اتحادات شرعية لحزب العمال (للكتبة في مصانع الطباخة والمصايد والبوابين) . ولم يضم حتى أكبر الاتحادات (يسمى اتحاد عمال التعدين) أكثر من أربعة آلاف عضو من بين ٢٢٧٤٠٠ من المشتغلين في هذه الصناعة . وتوسعت موارستهم لواحدهم للتفويض من أثر انحصومات الحرية بين البلاشفة والماشفة . والصراع على السيطرة على الاتحاد ، ولم تشرف بنى الاتحادات على أكثر من خمس مئات من العمال ، على أكثر تقدير ، ويوجه عام ، فإن وجودهم غير القانوني قد جعل وضعهم عديم الفائدة ، ومن هذا فصل الحركيون بذل جهدهم من خلال صافى قانونية أخرى .

ودفع التضخم الذى لم ينته قط الى انشاء نوع آخر من المنظمات القانونية : تعاونيات العمال ، وألغيت المنظمة التمهويه الاولى في نوفمبر ١٩١٥ بفصل النجود المشتركة لأصحاب المصانع ، وبعض رعاة الحسبيك وكانت النجوة الرئيسية للتعاونيات شره الاثنية ، وغير ذلك من الظروف وتوردها بأسماء مختصة على المستهلكين . ول أقل من عام ، ظهر أحد عشر جمعية تعاونية للمعال في مصانع أنحاء المدينة ، وبجهد في تجييد ١١٠ عضوا . وفي فبراير ١٩١٧ ، كان هناك ٢٣ جمعية تعاونية تضم جسمى المعضوا ، وإذا كانت الحركة التعاونية قد نمت برعاية البلاشفة ، فإن المناشفة المتفعلين هم الذين ترمعوا الحركة التعاونية ، التى أشرفت على تحرير مجلة « تروود » ، وهى المجلة التى تخصصت في الدعوة للحركة التعاونية . وفي ابريل ١٩١٦ ، تشكل اتحاد يثروجراد لرابطة المستهلكين كمركز للتنسيق بين جميع الجمعيات التعاونية في يثروجراد . بيد أن الحركة التعاونية لم تبق مجرد منظمة اقتصادية . فقد استغل المناشفة الجمعيات التعاونية كنقطة اتصال بين حركة العمال والمعارضة الليبرالية ، وأيضاً كصاعدة لتدعيم نفوذهم بين الجماهير الواسعة من العمال . وفي بداية ١٩١٦ ، ذكر أحد المخبرين الصحفيين لمجلة « أوراها » : « ان العناصر ذات العملية الثورية تحاول استغلال الجمعيات التعاونية كمجرد شكل من أشكال الامكانيات القانونية » .

وضمت شبكة أخرى لحركة العمال الاتنية الثقافية والحلقات الثقافية في المصانع والنموز السائبة التى نظمها الحركيون الليبراليون للخدمات الاجتماعية . وفي بيوت الشعب وفي الكثير من المصانع الكبرى ، كانت هناك أندية شبه قانونية وحلقات للبطالة . وكانت مادة المطالعة والمناقشة والمناظرات في هذه الأندية شعبية مألوفة ، وشملة للمرس

الوعي الطبقي بين جموع العمال ، وعملت أيضا كمراكز سرية لالتقاء
الحركيين . وتجنسد رفقاء الكفاح . وكثيرا ما استعملت بطريقة غير مشروعة
كأماكن تجمع لطى الأحراب لوصح المختطلات . ولا يعرف عدد ما وجد من
مثل هذه الأندية والخلقات ، أو كيف شارك الصديون من العمال فيها ،
ولكن دورها في تزويد الحركيين بكل يلتقون فيه لا يعد أمرا بعيدا عن
الأهمية .

ومالرم من كل هنا ، فإن أعظم صلاح توافر للعمال ظل هو الاضراب ،
وان كانت هذه الحركة صراع ما عدت حديثا فور اندلاع الحرب . ففي
١٩ يوليو ، واستجابة لحركة التمسنة . نظم المتشدون في حركة العمال
ـ وعندهم حوالي ٢٧٠٠ من بين المصانع الكبرى للتعمدين في مقاطعة
فيبودج مظاهرة ضد الحرب . ولكنها طوردت على صجل من قبل الشرطة
الراكية ٠٠ ورحست مظاهرة عابرة أخرى تضم حيسس شخصا ـ بجراة ـ
صوب بيمسكي بروسسكت ، ولكنها تعرضت لهجوم ساحط من الجماعير
اوطسية الفاصب . وبعد هاتان المظاهرات رد فعل حركة الاضراب التي
بلغت ذروتها في الاضراب العام قبل لشوب الحرب باسبوعين ، وبعد ذلك
توارت حركة الاضراب حتى صيف ١٩١٥ . فبينا بلغ المضربون ١١٠٠٠٠
عاملا في ٩ يناير ١٩١٤ (ويستل ذكرى الأحد المموى) لم يحتفل بذكرى
هذا اليوم التقليدي للاحتجاج ١٩١٥ سوى ٢٦٠٠ عاملا . وعندما نص
على المصنوعين البلاشفة ، في الموما ، في نوفمبر ١٩١٤ ، لم تحدث أية
اضرابات ، وعبينا قموا للمساكنة في فبراير ١٩١٦ . نظمت الاضرابات
في ستة مصانع فقط . وصست ٢٤٠ عاملا . واهدت الحرب تأثيرين.
سبكلرجيين على العمال . أولا ـ لم تشتمل الحياصة الوطنية الا عند حقة
صميرة من العمال في بتروجراد . وما أثار دهول الثوريين من قصاه
المحاربين ل المقاومة السرية ان هؤلاء العمال قد ساروا على رأس مظاهرات
وطنية وهم يغلبون ، حفظ الله القيصر ! . وأسف أحد الحركيين
اللائقة وقال : « ان صراعنا الطبقي قد انطلعت المجاري » أو ذهب في
أدراج الرياح . وفي بعض المصانع . طالب العمال بطرد المهندسين وبلاطى
العمال من يحصلون أسماء الألمانية . ثانيا ـ لقد شاع الهلع بين العمال من
احتمال تحبصهم في الجيش . ان العمال (يتشلقون) بالمخرطة .
مثلبا يتعلق الفريق بقشة حتى يلقون بالمصنع . »

بعد ان هزيمة الجيش الروسى في ربيع وصيف ١٩١٥ بدلت روح
العمال الى حد كبير . ففي ٤ يوليو ١٩١٢ ، أضرب أكثر من ١٥٠٠
عاملا في لستر الحديده مطالبين بريادة الأجور . وبذلك أعطوا إشارة البدء
لموجة جديدة من حركة الاضراب . وعند ذلك الحين فصاعدا ، اتخذ عمال

لستر المدينة الصدارة في كل اضراب رئيسي حدث ابان الحرب في بئرو - جراد - ففي غضون اسبوع ، نفضى الاضراب وعم المصانع الاخرى ، بما في ذلك دار صناعة المس في هوبلوف ودار صناعة السفن في تيفل واريكسون - وفي المصنعين الآخرين ، تشكلت لجنتان من قبل الحركيين في المقاومة السرية الثورية لتنظيم الاضرابات غير المشروعة ، وصحت بلاشفة ومباشرة - وازعج التزايد للباغث للاضرابات السلطات المسئولة ، وحيد قائده الحامية العسكرية في بئروجراد الجبرال غرولوف باحتمال توقيع عقوبة على المساكين في الاضرابات - وفي ١٢ يوليو ، قبضت الشرطة على أعضاء لجنة الاضراب في دار صناعة السفن في بئرو ١٠٣ من المضربين في اريكسون عني امتنعوا عن العودة لأعمالهم -

وفي يونيو ، أدى الاضراب في مصنع كبير للفزل والنسيج في كوستروما - وهي مقاطعة شمال غربي موسكو - الى اطلاق الشرطة لسران. قبلت ١٢ عمالا وجرح ٤٥ ، ولم يحدث رد فعل فوري لذلك كاثارة الاحتجاج القوي من عمال بئروجراد - ولكن في ١٠ أغسطس ، بلغت الشرطة في رد فعلها ضد مظاهرة شمال الفزل والنسيج في ايدانوفو بوفوريسند ، فاطلقت الرصاص عليهم وقتلت ٣٠ وجرح ٥٣ . وفي ١٧ أغسطس ، وضعوا بلغت الأتداء بئروجراد . اضراب العمال في مصنع ايفار - وفي اليومين التاليين ، انتشر الاضراب ، وعم المصانع الكبرى في ليدودج وتاولا ومقاطعات بيتروف ، واشترك فيه ٢٢٥٠٠ عمالا ينتمون الى ٢٣ مصنعا قاموا جميعا بالاحتجاج على مذبة ايدانوفو . وتوافقت الاضرابات في أغسطس أيضا هي وتساعد الاضرابات الاقتصادية - فلاول مرة منذ ٩ يوليو ١٩١٤ ، اصطدم المضربون بالشرطة ، وحدت بعض حالات سلب وجوب لمعاوز الاغذية - وفي أحد الشوارع القريبة من ثكنات لواء سمبولوفسكي ، انضم بعض المجهدين المستجدين في لواء ايجر الى حشد من النسوة وهاجموا الشرطة ، وجرحوا عشرين من رجالها ، واضطروا الى الانسحاب الى الشرطة العسكرية لاستعادة النظام -

وبادرت السلطات برد فعلها ضد حركة الاضراب في اسرع وقت - ففي الفترة الواقعة بين ٢٩ أغسطس و ٢ سبتمبر ، قبضت الشرطة على اثنتين الحركيين في المقاومة الشعبية في حركة التأمينات - وفي مصنع بوتيلوف وحده ، قص على ثلاثين عمالا ، كان من بينهم ٢٣ من البلاشفة (خمسة منهم أعضاء في لجنة بطرسبورج للششفة) ، وسنة من الاخرين الثوريين وأحد المناشفة - وأثارت عمليات القضي الجماعية اضرابا عاما في المدينة كلها - ففي ٥ سبتمبر اضراب أكثر من ٦٠٠٠ عمالا في مصنع بوتيلوف ، وتجمع عمال من مصنع ووش مختلفة في بوتيلوف في قناه

لمسئع ، وأخذوا قرارا تفضي بطعم مطالب : أولا - استدعاء المسجونين
 لبلانشة من المنفى - ثانيا - الإفراج عن عمال بوتيلوف المقبوض عليهم ،
 ثالثا - تعيين وزارة مسئولة ، ورابعا - تجسيد رجال الشرطة بال جيش -
 خامسا وأخيرا - زيادة الأجور بمقدار ١٥٪ واحتجوا أيضا على تعيين
 بعض مقاعد لشخصيات يالقات في المراك ، واشتعلت القراة على بعض
 ملامح متشعبة قوية ، وردا على هصراب بوتيلوف ، عمل الحركيون في
 مختلف تنظيمات المقاومة الشعبية بتشكيل لجنة للاضراب تمثل مختلف
 أنحاء المدينة ، وتحمي عمال المصانع الأخرى لمؤازرة هصراب بوتيلوف ،
 ولانشاء سوفيت يضم مسجونين من الصال - ورد عمال بتروجراد بإعلان
 الاضراب أربعة أيام ، وفي ٢ سبتمبر ، اشترك ٣٧ مصصا في الاضراب
 الذي ضم ٢٥٨٠٠ عاملا ، وحدث اضراب ثان في ٤ سبتمبر (في سبتين
 مصصا) وضم ٧٠٠٠ عاملا ، وبلغ مجموع الضربين المشتركين في
 الأيام الأربعة ٨٢٧٠٠ ينتمون الى سبعة مصصا .

ومن المتبر للاهتمام أن يلاحظ نايب « لجنة الاضراب في جميع المدن »
 لفكرة انشاء رابطة لبعوثي الصال السوفيت ، وقامت عقد الرابطة بدور
 أساسي في ترعم حركة اضراب الصال في بتروجراد في ثورة ١٩٠٥ .
 وبالرغم من تطور التيقن من أي يقات للمبادرة بانشاء « سوفيت » أثناء
 اضراب سبتمبر ، إلا أنه من الجدير بالذكر أن لجنة البلانشة في بتروجراد
 هي ولجنة المناشفة قد اهدتا الفكرة ، ولذا رأينا عدم وجود تنظيم عمالي
 نشط يقوده تسميق الاضراب واللهوض بدور فعال في نزعم الصال
 بالمدينة ناسرها ، فاننا لن نجب إذا رأينا كيف عادت لصياغة فكرة
 « السوفيت » بين الحركيين ، فلا بد أن يكون بعضهم قد شارك في الكفاح
 ابلان ثورة ١٩٠٥ . وقبل ان عمال بوتيلوف قد شرعوا في انتخاب مبعوثيهم
 الى السولست في ٢ سبتمبر ، وأن انتخابا قد جرى في اليوم التالي في عدد
 من مصانع فايبورج .

غير أن الاضراب العام قد كشف وجود اختلافات بينة بين زعماء
 الحركة العمالية ، إذ حتى مبعوثو الاشتراكيين الى البرلمان أنه في
 حالة الفلات حركة الصال في رقابتهم ، فانها مستتفرغ للانفصاح أو التحالف
 المنسل لكنلة التفضية ، وتبعده عن الكفاح ضد الحكومة ، وفي مساء ٥
 سبتمبر ، ناقش الاجتماع الموسع للجنة الاضراب في صالر أمص المدينة
 مسألة امكان مواصلة الاضراب ، ودالعت جميع الجماعات ماعدا جماعة
 البلانشة عن صرف النظر عن الاضراب ، الذي انتهى في سبتمبر .

وتوافقت حركة الاحياء للفاخرة لاضراب الصال في بتروجراد
 - آنيا - هي وهزيمة الجيش الروسي والأزمة السياسية التي حدثت في

علاقة الحكومة بالبرلمان (الدوما) • قال أي حد أثرت هذه الأحداث في حركة الاضراب ؟ وهل كانت اضرابات العمال احتجاجا ضد هزيمة الجيش الروسي ؟ وهل أعلنت كرد علي مع الحكومة لحرية البرلمان ، ومن قبيل التعاطف على المعارضة الليبرالية ؟ لقد حدثت اضرابات الأيام الثلاثة (من ١٧ الى ١٩ أغسطس) كرد مباشر على مذبحه أيفانوف ، وليس هناك من دليل على أن العمال كانوا مهتمين بمصير الجيش الروسي في الحركة ، أو أنهم نظّاهموا تعاطفا على الكتلة الليبرالية التي تشكلت . ولعل التعاضد البروليتاري وعدم الاكترات السام بالبراز القائم بين الحكومة والمعارضة الليبرالية كانا من بين مؤثرات الاتجاه الذي تتوى الحركة العمالية اتباعه في المستقبل • ومن العوامل المؤثرة الأخرى على حركة الاضراب في صيف ١٩١٥ ، الصيق والمصعب في الأوضاع الاقتصادية • فإذا صح القول بأن حرية الجيش الروسي قد ألوت على حركة العمال ، فإنها ستكون قد أهدت تصديا في « الوحدة المتقسمة » ، وكففت من حالة وهي استغلتها العمال للتعبير عن غضبهم •

وتوافقت الموجة الثانية من موجات الاضراب (من نهاية أغسطس الى بدايات شهر سبتمبر) هي وتطيل البرلمان (الدوما) غير أن إجراءات التسع التي اتخذتها الحكومة ضد الليبراليين لم تكن عاملا أساسيا • إذ كان ما الشغل فتيل الحركة هو الاحتجاج على القبض على عمال بوتيلوف • وعلى الرغم من أن القراء الذي اتخذ عمال بوتيلوف قد اشتمل على الاحتجاج على تعطيل البرلمان وعلى المطالبة بتشكيل وزارة مسؤولة ، إلا أن هذا يبدو استغله • فلم تحو تقارير « أخرنا » التي روت أحداث اضراب الأيام الأربعة بالتفصيل ، على أية إشارة أخرى للبرلمان • ومن لم فالظاهر أنه كما بعد اضراب الأيام الثلاثة من سبتمبر رد فعل على مذبحه أيفانوف ، كذلك يعتبر اضراب الأيام الأربعة من سبتمبر رد فعل على قبض الشرطة على المضربين في بوتيلوف • ولقد اتخذت حركة اضراب العمال أثناء الحرب طابعا طبقيا ملحوظا • فلقد تمت معزل في المعارضة الليبرالية وصراعا مع الحكومة • ولم يكن هناك قاسم مشترك بين الليبراليين وحركة العمال وميلوكوف وماكلوكوف وغيره من الليبراليين للمستقلين الذين كانوا يخشون اضراب العمال أكثر من خضعتهم اتمام الحكومة على قمع الحركة • وكان لدى الحكومة مبرر قوي لذلك •

وعلى الرغم من تعرض الاضرابات السياسية للوهن الشديد بعد اضراب سبتمبر ، إلا أن الاضرابات التي حدثت لأسباب اقتصادية • حافظت على المستوى الجديد للاضرابات التي قسمت في يوليو ١٩١٥ • ولم تتجاوز الاضرابات الاقتصادية عشرة اضرابات في الحقبة الواقعة بين

يوليو ١٩١٤ و يوليو ١٩١٥ ، ولكنها جمعت الى التدهل في الضربة والكثرة بين ١٢ و ٩ ، من يوليو وخلال ديسمبر ١٩١٥ . ولم يكتف العمال بالمطالبة بزيادة الأجور ، ولكنهم طالبوا أيضا بالحلول محل المسبب بالمصنع وإعادة العمال المرفوضين الى الخدمة ، وتحسين أحوال المعيشة (كانشاء نظام جديد للتقوية واصلاح صفوف الألية وصرف صابون للعورات الية) ، وحسن معاملة الادارة للعمال . وتحدث الاشارة أيضا الى أن كثيرين من عمال السبيج ممن لم يشتركوا في الاضرابات السياسية قد شاركوا في الاضرابات الاقتصادية في النصف الأخير من سنة ١٩١٥ . وأيضا في حريف ١٩١٥ ، اشترك عمال بنروجراد في محاولات حدة تتعلق بانتخاب ممثل العمال في مجلس الصناعات الحربية .

وتكشف التمتع في روح العمال الذي بدأ خلال السنة على نحو جل في الاضرابات التسمية التقليدية في يناير ١٩١٥ و ١٩١٦ . ففي ذكرى « الأحد العموي » ١٩١٦ ، لم ينضم الى اسراب ١٩١٦ أكثر من ٦١٠٠٠ عاملا يتمنون الى ٨٦ مصصا . وتستمرى هذه الأرقام الانتباه ، اذا راعينا المعارضة المعتدلة للمنتفعية وجماعة العمال في مجلس الصناعات الحربية ، على أساس علم اجماع العمال بالفدر الكافي لكي يصبح الاضراب حاسما . وفي ذلك اليوم ، أظهر العمال روحا تضالية غابت الروح التي كشفوا عنها عند مواجهتهم للشرطة ، وبخلاف السنة السابقة ، لم يجر أى تظاهر في مقاطعة فيبورج . وعندما واجه المتظاهرون الشرطة (٣) ، اندفعت شاحنة عسكرية تحمل الجنود ، واصطدمت ببعض حيالة الشرطة كانوا يهاجمون المتظاهرين ، وسط تهليل الحمود التي شاعت العادة

وبلغت حركة الاضراب مدوتها مرة أخرى في فبراير ومارس ١٩١٦ . ففي فبراير ، أضرب ٢٢٣٠ من عمال الزئبق الكهربائية في مصنع بوتيلوف مطالبين بزيادة الأجور بـ ٧٠٪ ، وعلى الفور ، استغل الحركيون في المقاومة الشعبية اضرابهم الاقتصادي . فقد قررت المجموع البلشفية التي تراوح عندها بين ٨٠ و ١٠٠ من مصنع بوتيلوف بالتعاون مع المجلس المنطوف في البلشفية (٣) التوسع في الاضراب بحيث يضم المصنع بأسره . والتقى جمع حاشد في قماء المصنع ، والتي بعض الخطباء البلاشفة خطبا عارية تستهوى العمال (٣) ، وتلحوم الى مؤازرة عمال الكهرباء . وفي ٦ فبراير ، أغلقت الادارة المصنع ، وأعلنت احتمال طرد العمال الذين لا يعودون قورا الى العمل ، والتقى زعماء الاضراب في مكتب مستوى

Sampolevskii Prospekt.
Mezhrazlonitsky

(*) في

(** في)

(*** في) شطب بعض النسخة من أمثال إيغوروف ، عضوا لجنة فيلبيسورج وإيفغوروف

من Mezhraklonits . Z. I. Podolskaya .

فكرضى ، وفرروا دعوة باقى العمال لمؤازرة اضراب بوتيلوف . واوفد
اييجوروف الى مقاطعة فيبورج لتسسيق عملية هجوم العمال بين اضراب
بوتيلوف ومقاطعة فيبورج ، وشعر العمال من مختلف المستويات فى مصنع
بوتيلوف بالارعاج لقيام النوريين المحرفين بالهبة على حركة الاضراب .
وبعد ان احس العمال بالقرع من احتمال فقدانهم لوظائفهم ، وبعد ان
اقتنعوا باستعداد الادارة - جزئيا - للاستجابة لمطالبهم ، عادوا للعمل فى
١٠ فبراير ، غير ان الاضراب العام الذى كان الحركيون البلاشفة يأمون
فى وضعه موضع التنفيذ لم يتحقق .

ولم يرض العمال عن تنازل الادارة ، الذى تمثل فى زيادتها الأجور
بمقدار مراح بين ٢٪ و ٢٨٪ لم يتجاوز اقل من ١٠٠ روبل شهريا .
فى ١٨ فبراير ، اضراب العاملون بالورشة الحديثة للقبائل ، وطالبوا
بزيادة فى الأجور تصل الى ٧٠٪ . وما لبث الاضراب ان تفشى وانتقل الى
باقى الورش . وفى ٢٢ فبراير ، لجأت الادارة الى تعطيل العمل مرة
اخرى ، ودفعت للمصريين ، وصعدت الأوامر لاكثر من ألفى من المصيرين
فى بوتيلوف بانظار ادارة التحديد بأسماهم ، وفى ٢٩ فبراير ، قدم
المجلس الخاص للطاح تنحية المسئولين عن مصنع بوتيلوف ، واىكال
عملية ادارته لخصصى فى المنفعة . واستفز هذا الاجراء العنيف عمال
فيبورج ، ودفنهم الى القيام بحد فعل قوى . وفى ٢٩ فبراير نظم عمال
من جهات مختلفة (*) اضرابا تضامليا . وفى الأيام الثلاثة التالية (من
اول مارس الى ٣ منه) اضراب عمال المصانع الكبيرة واشترك فى الاضراب
٧٣٠٠٠ عمالا ينتمون الى ٤٩ مصنعا .

واصر عمال نيولستر على تزعم حركة الاضراب فى بئروجراد ١٩١٥
و ١٩١٦ . قمن بين ستة آلاف عامل ، كان أقوى المشاركين من البلاشفة
الذين ناهز بعضهم ستة آلاف عامل ، ومن بينهم أربعة أعضاء من لجنة
پترسبورج (**) تولوا قيادة المقاومة الشعبية السرية . وفى مارس اضراب
١٧١٦٠٠ عمالا فى ورش القبائل الصغيرة والمعدات فى نيولستر ، وطالبوا
بزيادة الأجور من ١٠٪ الى ٦٠٪ . وفى اليومين التاليين ، انضم الى الاضراب
١٩٢٠ من عمال الورش الأخرى ، وطالبوا بزيادة الأجور وحسن المعاملة ،
ورفع مستوى الخدمات الصحية ، وأنشئ مجلس للاضراب يضم خمسة
أعضاء تحت قيادة أحد البلاشفة (***). وفى ٢١ مارس ، اضراب جميع

Parvialnen, Nobel, Baranowski, New Lombar

(*)

T. K. Kondratiev, — H. R. Bolozhkov. N. P. Komarc

(**)

V. V. Schmidt

N. V. Kopylov

(***)

عمال المصنع ، ولجأت الإدارة الى تعطيل العمل له ، ورفض المصريون ، وحسد منهم ستمائة عامل ، وكانت حريصة اضراب نيولستر باهظة التكاليف . إذ أسفرت عن استبعاد معظم العمال السياسيين من المصنع ، ومن بينهم جميع البلاشفة ، وبجهد وقوع هذه الهزيمة ، خمدت الحركة على الفور .

وبلغت حركة اضراب العمال مرحلة جديدة ، وطبعاً لما جاء في دراسة لايبروف . فانه في غضون ثلاثة عشر شهراً (بين يوليو ١٩١٤ ويوليو ١٩١٥) ، اشترك في الاضرابات الاقتصادية ما جئته ٧٦٣٦٢ ، ينتمون الى ١٤٧ مصنعا . وارتفعت هذه الأرقام الى ٥٤١٨٥٨ (في ٦٤٣ مصنعا) ، وارتفع المتوسط الشهري من ١١٣٪ مصبعا و ٨٧٤ مصبعا فستريكس في الاضراب في الشهور الثلاثة عشر الأولى الى ٤٨٧٪ مصنعا و ٤١٦٨١ مصبعا في نفس المدة الزمنية التالية . وفي الشهور الستة التالية من سبتمبر ١٩١٦ الى فبراير ١٩١٧ ، أي قبل ثورة فبراير ، ارتفع المتوسط الشهري مرة أخرى الى ٨٨٣٪ مصنعا (٩٨٢٢٥ مصبعا) .

وما من شك أن تردى موقف الثوريين وازمة السلطة المصانة ، قد صاحبا في تجديد حركة الاضراب في خريف ١٩١٦ . ويبلغ استياء العمال من التشفيم وتقص المأكل حدا دفع حتى الزعماء المعتدلين لجماعات العمال في مجلس المصانع الحربية الى الاعتراف ، بأن حدوث مجرد استنزاف واحد ككثير ناشمال ليرتد الفلاح في العاصمة مما قد يسفر عن ضحايا يقفرون بالآلاف بل وبسترات الآلاف . ولو صح أن جماعات العمال قد استنصحت في ذلك امكان اقسام وعاء حركة العمال على عملية لكبح الجراح ، لان البلاشفة حاولوا استغلال أزمة التفلية لصالح الكفاح العام ضد النظام القيصرى . وفي بداية أكتوبر ، انحطرت لجنة بطرسبورج عمال الحزب : « بأن يشبوا لجوع الشعب وثوق الصلابة بين ارتفاع تكاليف الحياة والكفاح من أجل إقامة حكومة جمهورية ديمقراطية وامناء الحرب » ، وعقدت جماعات العمال في عدة مصانع (*) سخر الاجتماعات اجتداء من ١٤ أكتوبر لمناقشة مشكلات التخصم والتقص الشيوى ، وحاول بعض العمال إقامة مظاهرة في الفوارع الرئيسية ، ولكن الشرطة نجحت في تفريقها . وأدت هذه الامتنازات الى حدوث انتفاضة مبالغية في ١٧ أكتوبر . ومما أدهش حتى الحركيين المتطرفين اشتراك بعض العمال (**) في الاضراب وتظاهرهم في الميدان الرئيس (***). وعندها

Thickon, New Lancers, Phoenix

وحيارات رينو الرومية ، نيولستر -

Thickon, New Lancers, Phoenix

(*) مثلاً

(**) من مصانع

(***) ميدان

اقترب المتظاهرون من تكتات اللواء المشاة ١٨١ حيث قوبلوا بترحاب من حشود الجنود الذين كانوا يخرجون على المظاهرات من وراء أسوار التكتات ، حاصت الشرطة المتظاهرين ، وغضب الجنود لهذا المسلك ، فقدفوا الشرطة بالحجارة وهم يصيحون : « اسربوا الشرطة ! » ونظر الجنود من فوق الأسوار ، ورحبوا تحت سور التكتات ، ونظرا لثقتهم في المند على الشرطة ، فقد تمكنوا من محاصرة رجالها وتجريفهم من سيوفهم ، وصعداتهم . ولم تهدأ الحالة الا بعد أن وصل القوزاق وتم التدرج في لواء موسكو الى منطقة الصدام ، وتعا لما ذكره أحد الجنود صر شاوكونا في المظاهرة واسمه إيفانوف وكان عاملا سابقا في مصنع بوتيلوف . كان هناك كثيرون من بين جنود اللواء ١٨١ من اشتركوا قبل ذلك في الاضراب ، وواصلوا عمليات الشعب السياسي في الوحدات العسكرية ، وقبضت السلطات العسكرية فيما بعد على ١٨٣ جنديا ، واقصى لواء المشاة ١٨١ عن بتروجراد . وعندما شارف اليوم على الانتهاء ، كان عدد المشاركين في الاضراب في مقاطعة فيبورج ٢٧٣٠٠ عاملا ينتمون الى عشرة مصانع . وفي اليوم التالي (٨ أكتوبر) انتشر الاحزاب ، وبلغ عدد العمال المشاركين فيه ٤٦٣٠٠ ينتمون الى ٣٤ مصنعا في مقاطعات فيبورج وبتروجراد وقاسيفسكى . وفي ١٩ أكتوبر ، ارتفع المند الى ٧٥٤٠٠ عاملا و ٦٣ مصنعا في جميع أنحاء المدينة .

وتبع اضراب الأيام الثلاثة هوجة أخرى من الاضرابات في نهاية أكتوبر . وكان الاضراب الثاني اضرابا سياسيا بحتا . وكان البلاشفة هم الذين تبوه . فلقد قررت لجنة طرسبورج التوصل الى العمال لتنظيم اضراب سياسي للاحتجاج على محاكمة البحارة الثلاثة في أسطول البلطيق الذين قبض عليهم لتساقطهم الثوري . وللاحتجاج أيضا على القبض على جنود لواء المشاة ١٨١ . وفي اليوم المحدد لهذه المحاكمة (٢٦ أكتوبر) شارك ٢٥٠٠٠ عاملا من عمال المصانع الثلاثة عشر في الاضراب الذي عم تشمل ٥٢٠٠٠ عاملا في ٤٧ مصنعا في ٢٧ أكتوبر ، وفي اليوم الثالث . بلغ عدد العمال المشاركين ٧٩٠٠٠ في ٧٢ مصنعا . ولو بداكريا أن نداه لجنة طرسبورج ودعوتها للاضراب (ضد القبض على مبعوثي البرلمان البلشفي) لم يستجيب لها سوى ٣٤٠ عاملا في ستة مصانع ، في فبراير ١٩١٠ ، سبب من عدد المشاركين في اضراب النصف الثاني من أكتوبر مدى تزايد التطرف بين عمال بتروجراد ، والتأثير المتزايد لبلشفية . وأدى ذلك بدوره الى نزوح جماعة من العمال الى التطرف . بعد ادراكهم ما اعتبرى تأثيرهم من ثمر ، فحاولوا استمالة أعضائهم المفقودة .

وبعد أكتوبر ، هدأت حركة الاضراب ، وهذا هو العصر المحرم لكل تفجير ينبعث من اصواب العمال ، وقبض على الزعماء ، وقطعت أواصر

شبكة الاتصالات والأنظمة ، واحتاج العمال الى بعض الوقت للبرء مما اسباب مشاعرهم من احقاد ، اذ كان من طردوا في حايه الى البحث عن أعمال اخرى ، وكثيرا ما كانوا يحصلون على عمل اذا اشعوا حودهم . ومع هذا فلم تكن حالة المد في حركة العمال في نوفمبر وديسمبر اسبابه السائل بالتيلد والخوف ، صحيح ان الاضرابات قد خفست ، ولكن المصحات الفردية المتفرقة على عتازن المواد المعدنية انتشرت ، وعندما استمرت حركة الاضراب قوتها الدافقة مرة اخرى في يناير ١٩١٧ ، بعد توقف دام شهرين ، فانها حرصت في هذه الاثناء على استتراج جمع اكبر من عمال بتروجراد بحيث يستطيع في نهاية المطاف اشغال ديران الثورة .

وبالتالي تقسيم عمال بتروجراد الى اربع فئات تبعاً لاشتراكهم في الاضرابات التي ولعت اثناء الحرب . أولا طلائع حركة الاضراب ، وينتج في هذه الفئة عمال التمددين في ايسار (٤١٠٠ عامل) وبارابوتسكي (١٢٠٠) وفولكان (١١٠٠) ودينامو (٢١٠٠) وبوبل (١٦٠٠) وبروميت (٣٠٠٠) وبارفاناي (٧٠٣٠) ولسر القديسه (١١٠٠) ولسر الجديدة (٦٥٠٠) وفوبكس (١٩٠٠) وديالمون (٨٢٠) واريكسون (٢٢٠٠) ويناهر عند هذه المجموعة ٢٢٠٠٠ ويسيون الصوه النقاري لكل اضراب كبير حدث اثناء الحرب . وكانت جميع هذه المجموع الانسي عشر تمثل مواقع في مقاطعة فايبورج مالهيا ديساو (مقاطعة زرا) وفولكان (مقاطعة بتروجراد) وديالمون (مقاطعة بتروجراد) . ويسك جميع هذه المصانع الفراد بأمنشاه مصنع ديساو . واذا استتبنا مصنع ديفالون واريكسون سنرى ان جميع هذه المصانع كانت تشتغل بصناعة الاسلحة والذخائر ، اما مصنع ديفالون فكان يمشج الآلات الكهربائية والآلات الميكانيكية . وتخصص مصنع اريكسون في صناعة التليغرافات . والباء الحرب توسع في الانتاج وعمل بصناعة الاسلحة أيضا .

ثانيا : تضم الفئة الثانية العمال الذين يوسع انضمامهم للاضراب أساسا الى اسباب اقتصادية ، وان كان بعضهم قد انضم في بعض حالات متفرقة الى الاضرابات السياسية ، وتنتمي الى هذه الفئة ثلاث توعيات مختلفة من العمال . ١ - عمال اكبر مصانع الذخيرة التي تمتلكها الدولة كدور صناعة السفن في نيفا (٦١٠٠) وارتشوف (١٠٦٠٠) والتمددين بتروجراد (٦٧٠٠) ودار الصناعة بوتيلوف (٤٣٠٠) ، ولكن هناك مصانع ذخيرة اخرى لم تشترك في أية اضرابات اثناء الحرب من أمثال الترسانة (٤٠٠٠) وبتروجراد للخرائط (٨٣٠٠) وأوريدنسكي (٢٣٥٠٠) وكابل (٢٣٠٠) وفلا حفلة سفن الاميرالية (٤٥٠) تراوشنا للخرطعات (١٠٢٠٠) ولوخا لانتاج ذخيرة للناقل (٥٧٠٠) ،

وتتضمن النوعية الثانية عمال مصانع التعدين المستقلة في إنتاج الأسلحة :
 ووريكراتس (٣٨٠٠) ولانجنتسبين (٢٠٠٠٠) وإكسفال (٣٠٠)
 وريو الروسية (١٧٠٠) وسيمتوف (٧٠٠) وإوماتوني (١٠٠٠)
 وسيمس شوكرت للأشغال الكهربائية (٢٠٠) وكوبل (٦٠٠)
 ويتروجراد للمركبات (٢٠٠٠) وبورييف (٢٠٠) والمركبات الروسية
 البلطيقية (٤٠٠) وشركات أخرى (٣٠) - وتتضمن النوعية الثالثة ،
 عمال النسيج (٣٣٠) . ويبلغ العدد الاحتمالي لهذه النوعية مائة ألف اشتراكوا
 في الاضراب ، وكانوا لتحقيق مكاسب اقتصادية ، ولكنهم لم يكونوا
 دائما أحرارا فعليا للاضرابات السياسية ، وعلى الأخص عمال الخرز
 والنسيج ، الذين لم يشاركون في الاضرابات السياسية الا بعد بداية
 ١٩١٧ .

٣ - وتتضمن الفئة الثالثة عمال المصانع الذين أضرَبوا مرة أو مرتين
 خلال الحرب ، ولكنهم على العمدة قد التزموا موقفا ماليا ، وتضمن هذه
 الفئة عمالا ينتمون الى مصانع الورق ، والخشب ، والصناعات الكيماوية
 الخ ، ويبلغ عددهم جميعا ٥٤٣٠٠ . أما مجموع الفئات الثلاث فيقدر
 بـ ١٨٧٤٠٠ . ولما كانت هذه الأرقام تمثل عمال جميع المصانع التي
 أضرمت فلا يستبعد أن تكون قد جنتحت الى الاسراف في الاتجاه نحو الحدود
 القصوى ، ومن ثم فيعتقد أن التشاركين الفعليين في الاضرابات أقل بكثير
 مما يفترض ، ومع هذا فإن هذا العدد المبالغ فيه لا يمثل أكثر من ٤٧٪
 من مجموع العمال في بتروجراد في يناير ١٩١٧ ، أي حوالي نصفه
 العمال . أما النصف الآخر فيمثل الفئة الرابعة ، أي فئة من لم يشاركون
 في أي اضراب طيلة أيام الحرب .

فيه أنه لا مبرر للاعتقاد بأن الأغلبية التي التزمت السكينة من
 هؤلاء العمال قد قبلت حالة العتقاء التي كانت تزوج فيها باستسلام . إذ
 يسير من الاتجاه العلم لمحركة الاضراب أن الحركة التي قادتها طلائع من
 عمال التمدين كانت تستهدف تناعا الأفراد الذين اعتادوا التزام الحذر
 من حال المصالح الكبرى ، وأيضا القطاعات الأقل تنظيميا من الطبقة العاملة .
 ولقد بينت الاضرابات السياسية والاقتصادية التي تمت على أوجه مختلفة
 خلال ١٩١٥ وبداية ١٩١٦ ظهور اتجاه لضم الصفوف في تيار واحد في
 أواخر ١٩١٦ .

Blumenshtein,

Russian — Baltic Anarchists

(*)

Nitolskaia, Chashev, Lush. Voronin

(**)

كان عمال بتروجراد هم المصدر الأساسي للاضطراب في السياسة الروسية خلال الحرب ، وسرعان ما تنفخت الروح الوطنية التي تكتسفت عند اندلاع الحرب . بعد أن اصططحت بحقائق الواقع ، فإننا نراعي استبعاد العمال من النظام الوطني للجمع وحرمانهم من تأليف التنظيمات الفرعية للتنظيم على شكائاتهم ومطالبهم - ه وإن كان قد طلب منهم الاستمرار في النضحية بكل مرتضى وغال في سبيل الشرف القومى والعزة القومية ه - فامنا لى تجنب اذا استجاب العمال لهذه معنى الشغب الناعمين الى التطرف ه

المراجع

- J. H. Burck, *St. Petersburg : Industrialisation and Change* 1976.
- W. H. Chamberlin, *The Russian Revolution 1917-1923* (3 Vols), 1950-53.
- J. L. H. Geop, *The Russian Revolution. : A Study in Mass Mobilisation* (1976).
- L. H. Harrison ed, *The Politics of Rural Russia 1905-1914*, (1979), and the July 1917 Uprising 1968.
- N. M. Naimark, *Terrorists and Social Democrats : The Russian Revolutionary Movement under Alexander III*.
- R. Pearson, *The Russian Moderates and the Crisis of Tsarism 1914-1917*, (1977).
- A. Rabinowitch, *Prelude to Revolution : The Petrograd Bolsheviks and the July 1917 Uprising* 1968.
- A. Rabinowitch, *The Bolsheviks Come to Power* 1968.
- S. Schwarz, *The Russian Revolution of 1915 The Workers' Movement and the Formation of Bolshevism and Menshevism* (1967).
- T. H. Von Laue, *Why Lenin ? Why Stalin ?* (1964)
- A. Uiam, *The Bolsheviks : The Intellectual and Political History of the Triumph of Communism in Russia* 1963.
- A. K. Wildman, *The End of the Russian Imperial Army. The old Army and the Soldiers Revolt (March-April 1917)*, 1980.

حشود الشباب الفاقدين من الانجليز

روبرت وول

استعدت آثار الحرب العالمية الأولى إلى أبعد الحدود ، فحدثت لغزا من العناية التي تدير الرؤوس وتلفد الصواب ، وترتبت عليها تسريحات اجتماعية شديدة الألفة للذهول والفرجة ، وجبت نسوة السلام مغيبة للكمال مما دفع الكتاب إلى تأملها ومعلومة التمعن فيما جرى ، وتظهرت في العالم الغربي في نهاية عشرينات القرن العشرين شعار وروايات وسبع ذائقة ومذكرات تدور حول الحرب ، ولم يقتصر ما جاء في هذه المؤلفات على إعادة رواية قصة الحرب العالمية ، ولكنها تضمنت تسريحات أولي لمعنى ما حدث .

وشتت هذه الكتابات في الجحش اسطورة او خرافة تزعم ان الفضل اينه شباب الجبل من الراشدين قد دفعوا للهلاكه في اتون الحرب العالمية ، واسفرت هذه الفسافة التي جلبت بمواهب ولغزات عن المتعدد تمويضا عن تعرض طابع الحياة الانجليزية ومكانتها في الامبراطورية البريطانية لتدهور شنيع ، وتستاهل هذه الأقولة الكثر من الشك - ولا تكلفا وفائع هذا الموقف هي وما تزعمه هذه الخرافة - غير انه في العقود التي أعقبت الحرب العالمية الأولى استند الادعاء السائد عن فقدان الانجليز لما كانوا يتمتعون به من حظوة ونفوذ على ما حل بهم من خسارة بعد ضياع هذا « الجبل الذهبي » .

هناك خرافة تطلق بتاريخ اسجلت في القرن العشرين ، وكثيرا من حرافات فانها تستل في صور شتى ، اشتركت في صنعها عدة عقول . وعلى الرغم من انها لم تسجل بحداثتها في أى مكان ، الا انه بالاستماع للاعتقاد ال شمولت عنها في كتب عديدة . كما أنها تمش في الذاكرة

القومية والتراث الشعبي - وتتخذ هذه الحرافة صورة مماثلة للصورة الآتية :

في يوم من الأيام قبل الحرب العالمية ، عاش جيل من المذاذ الشباب ، يتميزون بالشجاعة والجرأة والاقسام والوسامة ، وجمع هذا الجيل بين القوة البدنية وعمق العلم الكلاسيكي ، ولما كانوا شعراء في صمم أعتقدتهم ، فانهم كانوا يشقون كل ما أبدعه العقل لداته ، واستمتعوا بصفاقة من الكلاخ العام . وعلى الرغم من اتحادهم من شتى ربوع اسجترا ، الا أنهم كانوا موجودين على الأخص في أكسفورد وكيمبردج ، وفي حالة صبحاء الفنية ، فأنسا كنا صادفهم بين أفضل أبناء المدارس الارستقراطية ، وعندها شبت الحرب تطوعوا للخدمة في القوات المسلحة ، وقاموا بما كان في مقدورهم القيسام به للتجيب بتعريضهم حتى يتحقق لهم اللطاف ببيداه الحركة ، وكان أحس ما يختوبه هو أن تنتهي الحرب قبل أن يصلوا الى الجبهة ، فلقد شبروا على تنظيم انجترا ، وأداء واجهم ، واعتنقوا قضية بلادهم ، وقبلا عن طيب خاطر احتمال موتهم وهم في ريمان الشباب . ولقد قتل معظمهم على أرض الحركة في غاليجولي دايس ولوس والسوم وباسنفسديل وكمبراي ، ومن لم يقتل منهم تعرض لاصابة في عقله أو يده . ورجعوا الى بلادهم ١٩١٩ وهم عرجي ، واكتشفوا أن تصفحتهم ضاعت هباء منثورا . فلقد عاد أصحلب الوجوه الجبهة والقلوب المتشجرة من المعازير الى الاصاك بزمام السلطة بقبضة من حديد ، لقد ظهر المعازير فتوتهم ، وتلفت الحضارة خربة قاصية - وكانت أعدادهم قليلة . ولقد اجهدوا وأصابتهم صدمة القنابل المتفجرة ، ثم شعروا بالاحاسل لما رأوه في عقر دارهم - ولقد جلسوا ماحرين شلال سبلوات ما بين الحربين يفأمون شيوخ الساسة ، وهم يصترون لجزمهم ، ويبددون المكاسب التي حققها هؤلاء الشباب . وضاع السلام ، وضاعت السيادة الانجليزية على العالم ، وصاعت الامبراطورية ، بل وضاعت أيضا القيم الاسعيرية . بعد أن خضع الانجليز لطغيان المادج الأجنبية المستوردة . وأخيرا شبت حرب عالمية ثانية لكي يصفق بغاتها على فطائع الحرب الأولى ، وانزلت انجترا بعد خوار عزمها . وانحطت قوتها الى مستوى دول الدرجة القاسة . ان كل شيء كان سيختلف لمره لولا ما حدث من اعلان لم شباب ١٩١٤ في مساحات الفلانترز وسوانجل غاليجولي .

وزدد شعراء الحرب ، لنا ، مؤداه أن القسبية التي كتبت عليها اللجنة قد ساءها المعازير غلاظ القلوب - دون تبصر - لكي تلقى حتفها لجرد أنها كانت في ريمان الشباب . غير أنه كان لابد من مرور عشر سنوات حتى يزدهر هذا اللحن ويترجم الى كلمات منثورة على بحر منهجيد

أو عدم بالادلة . تتفق في سبل من الكتب عن جيل ١٩١٤ وتجاربهم في الحرب . وحظي كثير منها بالاعجاب ، واعتبر من أروع ما صنو من كتب ، واتسمت هذه الكتب بروحها المتشامخة وشدة الخيش ، وأحياناً بالوحشية ، وبما ينصح منها من مرارة ، وبلدت جميع هذه الكتب ، وكأنها أصابت النية لحكم ياربورسا في كتاب « تحت النار » (٣) التي وضعها ساسون (زيغريد) في صدر مجموعته الشعرية ١٩١٨ ، والتي لال فيها ان الحرب قد كشفت عن كل ما يتصف به الإنسان من سفالة : « الحش والشفوة الى حد السادية ، والأناية الى حد الشقاعة ، واشتهاه المتعة الى حد الجلل » . وألف معظم هذه الكتب أشخاص ولدوا في تسعينيات القرن التاسع عشر ، ممن تخرجوا - بالكاد - من المدرسة عند وقوع الحرب ، وعلى الرغم مما يدا في هذه الكتب من فطنة عند كتابتها ، الا ان أفكارها لم تتوارد لخالط مؤلفيها بسهولة ، لان كثيرين من حاملوا الكتابة عن تجاربهم فور انتهاء الحرب ، استقوا أو أصيروا بالإحباط الذي حال دون استمرارهم في الكتابة ، ولم يستأنفوا المحاولة الا بعد ان شعروا بأن عامة الناس قد أصبحوا على استعداد لسامع أشيء عن الحرب ، فبحثوا عن مخطوطاتهم في خزانهم ، وبدأت الصحافة تتأوه وتطلق منها عقمرات الكتب عن الحرب ، ارتفع عددها في نهاية الأمر الى مئات حتى صاح النفاد طالبهم الرحمة بهم ، والتمهل في إصدار الأحكام ، وبينما ركزت هذه الكتب على حقة الحرب ، الا أن أكثريتها حاولت الإحاطة بالكترات السابعة للحرب ، والنائية لها أيضا - وهكذا جمعوا - على أنل تقدير - في ذاكرتهم بين عالمي وشعرتي من الحياة مزجتها الحرب أربا . واتخذت بعض هذه الكتب شكل الرواية ، وفي كثير من الأحيان ، تخيل المؤلفون عن الزعم بأنهم يؤلفون روايات ، وأسموا مؤلفانهم « بالذكريات » أو « المذكرات » أو السير الذاتية ، التي قد تلقى الضوء على التجربة الجماعية لجيل بأكمله يشترك في نفس السن والمسير .

وظهر أول الأمر كتاب ادنود بلوندن (٤) وكتاب ساسون (٥) . وتكفي بلوندن المولود سنة ١٨٩٦ بشكل الحرب التالية ، وساعد على التبريف بطام الحرب التي ستجى فيما بعد أن تحل عن أية محاولة لوصف سياق أحداث الحرب التي صادفها في تجربته الشخصية ، مكتفيا بالتركيز على « الأشياء التافهة » التي تشغل صدر الحياة فحسها باستهلال الكتاب . وكان في أفضل حالاته عندما استرحم الذكريات المريرة لا يئيد ، وكيم نيت هذه المראה ١٩١٧ ، بين من ظلوا على قيد الحياة بعد معركة

(٤) Under Fire

Overtones of War : Edmund Blunden.

(٥) ★★

Memoirs of a Fox Hunting Man. : Sassoon

(★★★)

الموسم، وكتب ذلك بأسلوب أدبي جميل في أغنية الأحيان وحكايته بقصه :
 - عدم جدوى الاتجاه الهجومي ، والتباين من حيث الكيف بين وبين
 الملامح العامة للسنة السابقة ، والاعتقاد بأن الأحوال المستقبلية لا يدركون
 شيئاً عن حالتنا ونموذ الفكر ، وتفاقم المصيبة واكتساح القوى الهدامة ،
 وتسبب هذه النظرات في خلق روح أنامية مثلما تلحظ في عبارة : سموت
 جيمبا - كما يفترض - حول (يسر) أما مذكرات ماسون التي جمعتها
 نوعاً للطابع القصصي ، ونشرت أول مرة دون ذكر اسم المؤلف في طبعة
 صغيرة ، فكانت تكبر الإحجاب أساساً لما فيها من تركيز على السخرية
 (بطريقة علي القوم) والتي لجأ إليها الشاعر - الذي أصبح مشهوراً
 الآن - عندما مقارنته العالم الذي لنا فيه - العالم العرودي - الروضة
 الحضرة المحاطة بسياج النباتات الشائكة المليئة بالمدى ، والتي ازدادت
 نالقة وبهاء عندها المنكست عليها مساء شمس الصباح ، ولا وجود فيها
 لمناعب الإغلاقات ، وفيها خيول رفاق وسيدات ذوات حسب ونسب
 تفيض للوهين بالرحمة والمحب ، وحطم من مختلف الأشكال والألوان
 والصومح ، حفرج ، من دساكر لندن في مقابل الحجة الغربية في الحرب
 العالمية الأولى يقتاتنها وتجهها وقبحها - وقد عاش يطل وروايته حورج
 شرستون ١٩١٦ في شعار عالم الحرب والقبح الذي لم تهينه حياته السابقة
 لثمة - وعندما ينتهي الكتاب في يوم الأحد في عيد الفصح ١٩١٦ ترى
 سايس شرستون قد مات في الجبهة بعد إصابته بالالتهاب الرئوي
 وقتل صديقه ديك تلتود الذي كان بمثابة « خلاصة لأمة لجيله المصلح
 بالمرارة » أثناء توليه إصلاح السلوك ، ويدرك شرستون أسفاً أن الحرب
 ستجمل ماضيه ، وعندما وقف في « الخندق الموحش » لم يهتد إلى أي
 عراق وسفوان ، عندما تذكر صعود المسيح إلى السماء .

ويبلغ نشر كتب الحرب ذروته ١٩٢٩ ، عندما نشر في هذه السنة
 ما يقرب من تسعة وعشرين كتاباً بالمقارنة بواحد وعشرين كتاباً نشرت
 ١٩٢٨ ، وستة كتب فقط نشرت ١٩٢٦ ، وكان أهمها هو ترجمة كتاب
 كل شيء هادي في الميدان الغربي (٣) ، وكتاب روبرت جرافر (٣٤) وكتاب
 ريتشارد ألديجتون (٣٥) - وتتسائل علاقة هذه الكتب الثلاثة بكتابه
 بلودن والمذكرات النطبعة لماسون بنفس صلة أحداث أحد الجنود بأحدى
 صوملت بروك ، وبعد كتاب « ريمارك » الذي صانف نجاساً بأهراً في
 إنجلترا ، وبيع منه ٢٥٠ ٠٠٠ نسخة في السنة الأولى لنشره بعد أن

In Western nichts Neues كتاب Richard M. Kromm (٣٦)

Goodbye to All That — Robert Graves.

(٣٧)

Death of a Hero.

(٣٨)

لغير ممسلا في صحف يوم الأحد ، ونافس بذلك صرح الرئاس الشهور
 جويليه (٣) في شكل قوطي مجعد . فالجنود هند ريمارك يتساقطون
 كالذهب ، وتتناثر أشلائهم عند جدار الخندق . مما يسر لك كسها
 يمتلئ ودونها في صحيفة قمامة ليس (مكان تناول طعام الصباط) .
 وقيل موتهم . يفرون من الخطة ، ويرفضون الطاعة خشية التعرض
 للتهلكة ، ويسرقون ساعات وعاقهم الجرحى ، ويتساقون للاستيلاء على حذاء
 صديق مات . ولا يكشفون عن أى اهتمام يظن اهتمامهم يشبهونهم
 الجسدية ، وكما أوضح ريمارك في رسالته الى الجيرال سيه ايان هاملتون
 قائلة حملة المردليل : « ان ما يرمى اليه هذا الكتاب هو تصوير صعب
 جيل من الشباب سبقوا لمواجهة الموت عندما كانوا في ريمان الشباب
 يتهيئون للاحاساس بجهنم الحياة » .

أما كتاب « وداعا لكل ذلك » ، فاعتمد على روح الكتاب السابق .
 وتعامل فيه الشهور بالمرارة . وازداد اقتربا من تقاليد المدارس
 الارستقراطية البريطانية ولهجتها التعمالية . وساعدت هذه الصفات على
 تقريبه لفرق النقاد الانجليز الذين وصفوه « بالكتاب المرح الجريء له فيه
 من محاولة لتنفذ والحماط على روح الدعابة » . بيد ان هذا الكتاب الذى
 ألفه جيراز قد استهزا ايضا بالقيم المنطوية للشجاعة المستهتمة من
 الروح الوطنية عند القوات ، عندما اشار الى توقف على كاعلية أى ضابط
 من الضباط فى المعاة من اللواقظ على سط النار وحماسته الى حد كبير
 على المدة التى مضى فيها فى هذا الخط . ، والنساء هم الضباط الذى عاشوا
 الأمرين مستعين او يزيد من الخدمة المتوسطة بالخدائق . وأصيبوا فى كثير
 من الحالات بنوبات من الضل . ان هذه الملاحظة البادية البراة لم تعد
 تصلح احدا فى أيامنا هذه ، ولكنها احدثت صدمة عند نشرها ١٩٢٩ ،
 عندما كان التظاهر ما زال سائدا . فكانوا يعتقدون ان الاطراف فى الشراية
 مرض من امراض الأوساط الدنيا ، وليس مصفرا للشجاعة عند الضباط
 واولاد القوات . ولا يحارب الجنود - عند جيراز - فى سبيل الله
 والوطن أو الله ، وانما من أجل شرف لوأهم ، أو لأجل خاطر أحد أصداقهم .
 أو احبائهم لأنهم يستمتعون بذلك ، وهم لا يتصفون بأية صفة دالة على
 الشجاعة . فالحق أنهم يهربون من عدم الاحساس على نحو مؤسف مصير
 رفائهم ، ولا يتذكرون دائما مطونتهم اسم أحد من الأعداء ، ولأنه ان يكون
 حوافر قد قصه بطرله احداث صعبة . وان كان الكتاب كاد يقترب
 أحيانا فى لهجته من الكتب الهزلية . ولكن عندما أحس الكاتب بالانزياح
 من احتمال عدم ادراك القارئ لنظرته الى الحرب أوضح ذلك فى رسالة

الى رئيس تحرير ملحق التايز ، استخفت بالحرمان قال فيها : « ان
الجنود البريتانيين الماديين في حرب ١٩١٤ خلّقا لأسلافهم من ضحايا
السجون الذين بهوا باياريد ، كان من الضروري ان يختصوا عن طريق
الدعاية الكددة ، وبجملته ترسي الى اقارة اشبهاتهم لندمها بأن يقال لهم
ان أهم شرط للمحارب الناجح هو الفطافة والعدل الخلق - وعنده هم
السمة الفترة التي اُسِّمَت بها الحرب العظمى » - ولا شيء في مثل هذا
الكلام يستل في باب الهزل »

وكان كتاب الديويتون « موت بطل » أعلى هذه الكتب صوتا .
ولا يوصي النقاد أسدا - بوجه عام - بقراءة هذا الكتاب اليوم ، وان كان
لايه من نصح كل من يحاول فهم نفسه من استطاعوا الاقالات من الموت
في الحرب بقراءة الكتاب ، الذي كتب في صورة رواية حملت انهماك ضحايا
لجبل اواسر عهد فيكتوريا الذين لم يدركوا ضربة ارسال ايمانهم للموت
في مارك فرنسا والفلاذرز ، وحاول الديويتون (١٨٩٢) القامة علاقة
بين السائق الجنسى في عهد فيكتوريا وروح الوطنية المسرفة التي صادت
انجلترا في الحقبة الواقعة بين ١٩١٤ و ١٩١٨ ، وصاح قائلا : « لقد
كانت اساليب الجسجة قبل الحرب هي التي جعلت الاتجاه للجسجة ايمان
الحرب أمرا سهلا بدوئة ملحوظة » وعندما بلغنا من الرشد ، سلمنا
الفيتكتوريون صكا صغيرا لطيفا بمبلغ مئتين جنيهها مقابل واحد وخمسين
شعرا في الجسيم ، وما تبع ذلك » - ويلعب بطل رواية الديويتون الذي
صماه « جورج ولترتون » ، بعد أن اوكفى رى البطولة للقاء حظه في
نوفمبر ١٩١٨ « في صورة حطام السان جرفه شلال الحرب الدوارة »
ولم تفقده زوجته ولما لأنهما اعتديا الى ما يشغلها ، أي عشاقهما ،
أما أبوه فقد أفلح في تحرير ما حكت بلمسته الى ارادة الله الخفية ، ولم
يسبق لأي كتاب آخر من كتب الحرب أن قام بمثل هذه الجبانة اللاذعة
بين من لم يقدروا على دافعهم وظلوا قايضين حلب الخطوط - وبخاصة
السلة - وبني الصاملي بالجيبة ، الذين تعرضوا للشقاء دون أن يستوا
بالفراسة والفسوة ، وحاربوا وماتوا في سبيل قضية لم يعد هناك من
يؤمن بها ، وأعجب الملقق الأدنى في ملحق التايز - وكان من المحاربين
الساقيين - بالكتاب فقال : « اننا ما كنا مرغوب له ان يكون البطل في
كتاب (موت بطل) شخصا آخر غيره ، أي الصابا دعر من الاساسيات
التي حملت فجأة بين كايوا في زهرة الشباب ، ويأطون كل حيز من
الحرب ، ثم نلبوا ظهر المين ضد من اعتبروهم مستولين عما قاموا به من
تفسيحية لم يدروا عنها شيئا »

وتلاحق ظهور كتب الحرب سنة ١٩٣٠ • وأهم ما ظهر منها هو كتاب ساسون (*) وكتاب ماينج (**) وكتاب صبرى وليمسون (***) ، ولخص هذا الكتاب الأخير في لغة مثروقة فظة أشبه بطلقات « المفلريرز » مغاربات الجندي جون بولوك وهو من الموظفين الكتابيين الذين تطوعوا للخدمة في أغسطس ١٩١٤ ، وعاد إلى دياره بعد إصابته بمرض ١٩١٧ ، وتكشفت له حقيقة الحرب ، وأدرك في بعض اللحظات « أنها نوع من العبودية » • وعرض وليمسون في نص ثقل صفحاته عن المائتين ومثل بالمرسوم الكاريكاتورية كوكبة من الأحداث المخزية قصد بها الكشف عن جوهر الحرب وحطتها ، كما كان يحياها هو وصى تماثلوا معه في المرتبة ، ويعرف الكتاب القاري في شريط من الأحداث السريعة المتلاحقة حكاية جندي أطلق على نفسه الرصاص لئلا يصر عن جعل صروح الحياة في الجبهة ، وحكاية صبيان في القوات البريطانية بعد أن تعرضت لمصيبة قمع شديده ، وحكاية مجروح مات فيه ستانة جندي من يدي سببالة قتلوا في المعركة لوطهم ، ومحاملة بطل لجأ إلى وضع الكوديت (الذي يستعمل في المفرجات) لكي يصاب بحصى ثقبه بعيدا عن خط النار ، وزيارة لومس المرحبة ، إلى جانب عقوبة ميدانية لثمة أصمعيه ولعها عقيد لظ • والمركبة الثالثة في البحر والتي لفظ فيها أعر أصدقاء جون بولوك قومه • ويتقدم ١٩١٧ ، لم يعد جون بولوك يسأ بالوتى من المقاتلين أو يس جرحا أو حبسوا في النفايات ، وكان ما دفعه للاستمرار هو أمل واحد : الأمل في أن « يخرج لينقل بعيدا عن الحرب » • وفي كل مرة يتعالى فيها طنين القذائف وتحول إلى أزيز مبالغت عميق ووحشي ينطو باقتراب القنابل المدو • كان يجس على ركبتيه ويتربص ويتصبب المرق من بديه وهو يرتجف • وعندما يؤمر جون بولوك بالانحناء ، كان يلسى الماء وهو يقشعر من الخوف ، ثم ينتهي الأمر بسقوطه في إحدى حفر القنابل ، ويمود إلى دياره دون أن يرى جنديا ألمانيا واحدا ، مما أثار تفرز والده ، وإرتابه • إذ كان يأمل أن يعود ابنه حاملا بين ذراعيه واحدا من الهوى (الألان) على أقل تقدير • وفي نهاية الكتاب لرى جون بولوك بساق واحدة ، جالسا يستنشق الهواء في إحدى حدائق لندن في يوم وقف النيران • ولا يخفى أن الوثلى الفيور قد تحول آخر الأمر إلى اسنان رائدة عن الحاسة صرعان ما صلتى كصحيته •

Memoirs of an Infantry Officer : Sasson. (*)

Her Privates We : Fredrick Manning. (**)

The Patriot's Progress : Henry Williamson. (***)

وهذلت جهود المناهضة هذه النظرة إلى الحرب وبدد فعلها على الجيل الذي اكتوى بإرصادها ، فالف دوجلاس جيرولد (١٨٩٣) كتابا غامضيا كتشف فيه عن « الأكاذيب والأباطيل التي رويت عن الحرب » ، ووصف كتب الحرب التي صدرت (١٩٢٩ - ١٩٤٠) بأنها زائفة ، لأنها حاولت ما هو نادر المألوف إلى شيء شائع ، واكتسفت عن الحقبة التاريخية عنصرا ذهبت أن من حاربوا فقدوا كل إيمان بما كانوا يحاربون من أجله . ويصر جيرولد على القول : « لا أحد يتحلى بالإمامة والاخلاص والابتعاد عن اليهودي عندما يتذكر ما جرى في الحرب » ، صيرى أن ما صادفه المتواضعون المتفاد من أصحاب الضمائر الحية من ذكريات ومعان قصصية لا يمكن التعبير عنها بالكلمات ليس يومنها أن تنكس سوى مزيج من الخير والشر ، لزدادت سرعة تكتفه في الزمان عما يجري في أوقات السلام ، وإن كان نسبيا هناك تكافؤ أساسي بين الحالين . وأشار جيرولد أيضا إلى أن كتب الحرب الجديدة قد أحدثت تأثيرها الفعّال بأن ركزت على معاناة الجندي الفرد ، وفصلته عن الوحدات الأكبر التي كان جزءا منها ، وعيدت إلى التمييز وأغفلت النظر إلى الدور الجماعي للحرب ، وأن هناك قضايا جسيمة هامة قد نجت في خطر . وذهب تشارلز كارينجتون ١٨٩٧ (٥) إلى زيف خرافة إزالة الوحش التي لجأ إليها الأنهراميون . فما يقال عن « إزالة الوحش » لم يظهر إلا بعد أن ساد السلام ، وليس أيام الحرب . لقد كان الحديث عن السلام في البداية « كلاما فارغا » ، وشر محارب سابق آخر بعد قراءة هذه المؤلفات واختلافه الحرب عن الوصف الذي جاء في هذه الكتب الجديدة :

« لم تكن في حالة هجوم دائم ، كما لم تكن يوما معرضين لوابل النيران . ولم يحتل أصدقاؤنا دائما ، وفي تلك الأيام كان لدينا أصدقاء ، أما الآن فنكاد نكون بلا أصدقاء إلا لينا ندر ، وكانت الصداقة حثوة في فترات الراحة الوحيدة في بعض القرى الفرنسية حلب خطوط النار ، حيث كنا نقيم لحيانا بالربيع ، وكانت هناك أشجار فواكه ما زالت لتثمر وتزدهر ، وطيور تفرود ، وشجيرات تنبع في أول مراحل نموها . وحتى بعد حدوث أول حالة احتياط شديدة أغلقت معركة السموم ، التي وصلت أخبارها إلى أنجلترا من طريق الجنود المقاتلين إلى أرض الوطن ، كان صفار الملازمين ما زالوا يتخرجون من المدرسة ولطوبهم طمعة بالخاصة . إذ كانوا يشتهون النحاب إلى هناك بأنفسهم ، لكن يروا ما يجري في الميدان حتى وإن عرفوا مسبقا ما ينتظر أن يرونه » .

Charles Carrington

ألف كتاب A Soldier's War

(*)

نشر ١٩٢٩ بأمره حكيم ١٩٤٠

ولكن هذه الأصوات المتفرقة ومعدية التأثير أُنقضت في نهاية السواد الأعظم من الانجليز المتحفظين بالكتابة ، أو لفهم من عزلهم في الاسترسال في ترديده ما أصبح يعرف الآن بالفكرة المستوحاة ، أو أصلاً تردده ما فاته مناصون بأن الحرب كانت حيلة فلول لمبة الجيل الآكفم ، وتحاول بها على الجيل الأصغر ، وأنها كانت جريئة ضد الإنسانية ، وأنها مستوثة عن عظم السلايا التي ابتليت بها انجلترا ، ان لم تكن مستوثة أيضاً من جميع الأخطاء . وعندما نتذكر الآن ما جرى مستبصر لنا فقد كلف لهم ثلثاً قتلوا ذلك . فعمل نهاية عشرينات القرن العشرين . اعتقد جميع المفكرين الانجليز أن الحرب كارثة علمية يجب أن لا يستهان بها ، وأن ابتصار انجلترا لا يريد - في الحق - عن حربية لحقت بهم ، ومن ثم فإن من تسبوا في دخول انجلترا الحرب والقتال والخوض في مذابح دموية ، أما أن يكونوا ثوغاداً من المرتزقة ، أو من الحصى الضالين . وربما اشترك في ترديده مثل هذه الفضة المتطلون والرجيون على السواء .

نحن المنظور المخالف ، بلنا وإسما أن الحرب قد قضت على العالم القديم ، بحيث لم يعد هناك أي أمل في أعدائه إلى سموا السيل ، واكتشف أبناء الطبقة الراقية صفوت ترابهم في تهيه الدولة لأعمالهم ، وأصبحت حقوقهم الموروثة مهددة من حزب العمال واتحادات العمال ، وتعرضت ثرواتهم للتضائل بعد صفوت هبوط وتقلبات في سعر الجنيه الاسترليني . وأرغمت ضريبة الارث بعض ملاك الأرض من الاستمرار على تقسيم أملاكهم وبيعها للتجار الذين اختاروا من الحرب ، أو أنسأوا لروايت جديدة إلى ما لديهم) في الوقت الذي تعرض فيه الملاك الأصليون للثوت في الميدان . ومن الحق أيضاً صفوت تصور في قوة الانجليز ، وتوذهب على العالم ، إلى جانب أنه لم يعد هناك من يهده نفسه بتوهم أن بريطانيا تسيطر على موجبات جميع البحار والمحيطات . لو أن انجلترا تطل الصداقة (٢) في نادي القوى العالمية ، فمن كان يعرف في الكناية ١٩٢٩ مثلما كتب صحفى معروف بنقطة قبل ذلك بمصر سنوات : : بأن الامبراطورية واتمة من استعمارها في البقاء نفس تلك التي عاشها الامبراطورية الرومانية في أقل تقدير ؟ . قصارى القول لقد نالها انجلترا عهتي فيكتوريا واودرد دولي عهدها إلى الأبد .

ومن منظور اليسار ، بلغت الأشياء في صورة القتل نوعاً ، ألم فساعد الحرب على تيسير شق الطريق نحو مستقبل جيد أكثر دينامية ؟ فلقد أينت الصفوة المرفقة برعاية سلال بطون والسياسي الممثل ورئيس الوزراء في الثلاثينيات) أنها عاجزة عن صفقة القتل إلى سابق عهدا . ولكن المستكرين قد تمأالا في علم رؤايتها المتطلون عن دنام

السلطة ، ودلها يتنحنح من شدة الإهراق ، ومن تنازل لأخر كجيشي متحسر مجهد يتراحم على مهل . وظهر حرب العمال لفترة وجيزة في عظمير يشير بعمائم المستقبل ، ولكن ما أن هلت ١٩٣٦ حتى أجبت هذا الحزب آمال أصحابه . فقد حصلوا على أغلبية كبيرة في انتخابات ١ٹ٣٩ ، ساعدتهم على الاستيلاء على السلطة ، ولكن دعه الحزب أسرعوا بالتصبر عن ولائهم لأنحلهم المحافظ في المسائل المالية ، وكشفوا عن الخوف والارتعاب من الأفكار الجديدة ، واتضح عدم وجود اختلاف بين الاشتراكي وإيمري ماكدماله والمحافظ بلدوين . كما أن الحرب لم تحقق السلام لأوروبا . إذ استمرت حالة التوتر بين بلدان أوروبا ، والموجة الصاعدة للقومية الجرمانية كمواهل تذكرة ضافية بأن « الحرب لانهل الحرب » كانت سيئة جوفاء . ولم يجد فيلدا ، فهل هناك ما هو أكثر مسايرة لطبيعة الأشياء من القاء الذلوم على « عواحير » العهد الفيكيتوري المتشددين غلاط القلوب من المتفروا إلى المشجاعة والرحمة والتخلل . وهكذا شعر بالأسف المفكرون الذين صحت أصداهم بتذكر عالم ما قبل الحرب . وإن كانوا قد تماثلوا هم والفتية السذج إلى حد ما لمي أسفهم على جيلهم « الفادخ » وترحمهم على الأيام الخوالي التي كانت حافلة بالصداقة من الرجال . وتكلموا باتجاه إنجلترا - كاردنيا - نحو كارثة مطلقة . وإن كان لقلل قد ارتدوا النحلب بيدها مثلما فعل سير أوزوالد موسلي (١٩٢٦) الذي أنسل من حزب العمال ١٩٣٠ ، وأعلن الحرب على العواجيز « الذين ضلوا جيل . وصاقوا إلى حرب ١٩١٤ ، والذين عكروا صفو نياتنا ١٩٣٠ ، وأولمونا في أزمة ١٩٣١ » انهم العواجيز الذين بلدوا سلعطان إنجلترا وأصحابها » .

وانزلق موسلي نحو الفلانية ، وثبه هنري ويليسون وحلقة من المفكرين . ووصف موسلي الاتحاد البريطاني للقاضيين الفئاض في أكتوبر ١٩٣٢ بأنه تحالف بين « جيل الحرب » والشبيبة الانجليزية موجه به زمرة العجزة المسنن . غير أن إنجلترا اختلفت عن ألمانيا ، لأن فكرة الأجيال ربما كانت أكثر شعبية فيها أكثر من شبيبته عنده مفكري اليسار . ولقد تحدثت عن الكتل الكلاسيكي للجيل الانجليزي الضائع في الأدب ، الذي عرسته فيرا بريتان (٢) فكان بمثابة شهادة لاحراء تؤمن إيماناً قويا بالزومة الاشتراكية وحقوق للفنساء . وكانت بريتان طالمة في أكسفورد عندما شمت الحرب وتطوعت للخدمة خارج إنجلترا كمرشدة . بعد أن قتل خطيبها أثناء العمليات الحربية في فرنسا ، وقبل أن تنتهي الحرب ، فقدت أخاها واثنين من الأصحاب الفكور كانت متعلقة بها . وصممت ١٩٢٥ على تأليف رواية مستندة إلى تجاربها . على أنها لم تشرع في كتابة

مصدرة الكتاب حتى نولعب . وفي ذات الوقت ، وبعد أن واث ما صادفته رواية « نهاية رحلة » من نجاح ملحد ، وبعد أن قرأت كتب الحرب (١٩٢٨ - ١٩٢٩) ، اقتضت مجددة قصتها بالكتابة . وإن عليها أن تصوغها في صورة ذكريات تمثل جيلها : « بعد قراءة هذه الكتب ، بدأت أتساءل لماذا يحكر هؤلاء الشباب الحرب لأنفسهم ؟ ألا توجه حرب للنساء أيضا ؟ » ودرست مذكرات بلوندين وميلتون وحريز بصاية علمية دقيقة ، واقتنت عدم اختلاف قصتي عن قصصهم من حيث الطرائف ، وإلى جانب ذلك ، فلقد مروت بتحارب أخرى لم يعرفها أحد منهم ، كما أن رؤيتي لبعض ما رأوا تمثل منظورا مختلفا .

وكتاب « شهادة الشاب » صرف في الاستعراق في الذاتية ، وشديده الانتماء على الذات . ويعتبر انقادوا كثيرا إلى الاستهانة بالناووية المسهجة ، مما لا يبيح ادراجهم ضمن الأدب الجيد ، ولكنه حقق نجاحا كبيرا في ميقاته ، وحققت لؤفته شهرة كبيرة عندما نشر سنة ١٩٣٣ . ويدين هذا الكتاب يتجاسه إلى أنه عرض ، على المكشوف ، مرد مسلسل اتبعه كثير من الأسجنير الذين بقوا أحياء بعد الحرب عند تذكهم لاصبح ، وهو ما لم يخله أي كتاب آخر عن الحرب . وهذا الشكل الأدبي صورة « مكيفة » لرومانس القرون الوسطى . ويبدأ الكتاب بمرحلة البراءة أو السذاجة التي تزامنت هي والسنوات السابقة لسنة ١٩١٤ . وبعد أن تخرج الشباب من أبطال ليرا يرتان من مدرستهم الاستقرائية في يونيو ١٩١٤ ، لم يلمحوا أية قدر بما يتوقعهم من كرب ، وبالشهادة التي ستعثر فيها أقدامهم . وجلت بعد ذلك صدمة الخشمة بالحرب في فرنسا . وعندما تطوعوا كانوا يشعلون حماسة ، ونفخوا أوهامهم البطولية قبل أن يموتوا في الحرب التي أصبحوا ينظرون إليها على أنها شريرة عديمة الجدوى ، وتأتي المرحلة الثالثة في السرد بعد العودة إلى إنجلترا . وبعد أن اقتلعت « الريح العاصفة » كل شيء ولم يبق سوى قلة من الأحياء فقد لهم العودة إلى ديارهم ، اكتشفوا تحولهم إلى أشباح واثنين من رمان ليس بمقدور أي مستقل تحسب الحياء فيه . بلقد حكمت الأقدار عليهم بالتحوال على غير هدى بقلوب مطمة ، دون امتداد إلى بر أعاد يرسون عليه ، ويحيى آخر أحياء عندما يكتشف الأحياء أن تضمة من ماتوا اند ضاعت حياء . فلم يزه الانتصار المزعوم من ردة للحضارة ، ومستعاد للحرب الاندلاع ، وسيتعلم جيل آخر من أصحاب المزع الخال .

وتختتم رواية « شهادة للشعب » بهذه التهمة المقصدة بالتشاؤم . فلقد فشل جيل الحرب في رسالته ، أما من قوا أحياء ، فلا يريهم من ملائكة ، وحنت عرائسهم من تأثير مخلولتهم تهرط السجائن من السلطة . « لعل أفضل ما تترك لنا لكم نعلمه هو أنه نرفض النسيان ، ولأنه نعلم

أخلاقنا ما نذكره العالم أن تتوافر لهم عندما يحين يومهم قوة أكبر لتغيير الحال في العالم ، أكثر مما استطاع أن يحققه هذا الجيل الفلس والمثقتة - ولربما استطاعت توجست قيرا بريتان أن تلمس بعض المشاعر النبوة عند جمهور القراء الانجليز ، ففي غضون سنة ستينات ، بيع من كتابه و شهادة تهاب ، ١٢٠٠٠٠ نسخة ، ثم أعيد إصداره ١٩٧٨ .

وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ، استمرت فكرة الجيل الضائع في أذهان الانجليز ، وكانت على وشك التجدد والتحول الى تفسير مألوف لتاريخ الانجليزى القريب العهد ، وما من شك في شيوع هذه العبارة في أقاليم المحيطين وكتاب المذكرات وفي مرأى الوثائق وأحداث النوازل الأكاديمية ، غير أنها تسلمت أحيانا الى كتب المؤرخين الجادين ومقالاتهم ، وفي ذات الوقت ، حدث تحول مثير للاهتمام في استخدام هذه العبارة ، إذ ترايد النظر الى عبارة « جيل ضائع » على أنها مرادفة لعبارة « الجيل المفقود » ، فقد حصمت فكرة فقدان الاتجاه والاتصال للأجيال بالقياس المألوف ، الى حد أن العبارة تستعمل أحيانا ، وكأنه لم يعد هناك من استمر على قيد الحياة من تمتص شخصيته العلوية بها إطلاقا .

ولقد انتشرت هذه الفكرة الغريبة مثلما تنتشر العائمة ، وتعرض للتحريف في كل مرة يصاد فيها ترددها ، فلقد نشرت ١٩٣٠ مجلة الانجليزية رالت (٣) مقالا جاء فيه ما على ، لو نظرت حولك فأنك لن تجد في إنجلترا في عالم السيلسة أو سيدان الأصايل أى شاب من ذلك الجيل يشغل الوظائف التي تلقاها أبورا أسمى وأفضل ، ولم يتعرض أحد من رؤساء التحرير على هذا الكلام ، ويردف الكاتب على سبيل الاعتراض ، لم يمه هناك الا قلة من الأجيال من الجيل المفقود ، والقلائك الذين بقوا منه قد نشطوا في العمل خارج إنجلترا في السنوات التي قلت الحرب مباشرة ، وكان استمرارهم على قيد الحياة كان غلطة بحق ، وكانهم من الأشياء التي كان يتمين توارثها حتى ، ينسى ، أمرها ، وفي ١٩٤٣ ، غير المؤرج وودود من شعور بالمرارة وخيبة الأمل من المعاملة التي عومل بها جيل الحرب من قبل الأكبر سنا ، ولاحظ في غلو : « ان من عاودوا من الحرب قد انسلطت قيسنهم في العالم السياسي لبلادهم في أغلب الظن أكثر من أى جيل أبان القديس أو ثلاثة القرون الماضية » ، وعندما ليم ديجنالد بلوند - وهو كاتب سيعة معروف ، وكان ممن تطوعوا في الحرب لتفسير التاريخ على هذا النحو - في كتاب عنوانه الجيل الضائع (٣٩) ، استخلص حدوث المفاسد الحقة في الحرب العالمية في الإمكانيات الثقافية

١٩٣٩

١٩٣٩

وفي الشخصيات : « لم يحدث تدقيق للقي ما حل بالفكر الخلاق من ضمور ، أو لا أصاب التعليم والادب والعمام من جراء تطلم كثير من أصحاب المقول الشخصية القوية » وقال باوند متعجبا : « ألم يكن مفقود هؤلاء المفقودين أن يقاوموا القوى الشيطانية التي غزت الفنون ؟ ألم يكن يروسمهم الجيولة دون استغلال أصحاب المواهب من الدرجة الثانية لمواقع الموضوعي من الدرجة الأولى ، أو ألم يكونوا قلنديين على اختلاف تحول انحدار انقصاب النسوى إلى نسامع خال من البطولة » ورثى باوند أن الحياة القومية البريطانية قد كسفت - « كما لم يحدث من قبل - عن حالة تشوش جسيمة - نعم لقد حدثت أجذاب في مختلف القوميات » - وتأثر ناشرو هذا الكتاب بهذه المخاطر لدرجة أنهم وسعوا حجبسات منها في الصفحة الاستهلالية ، وأعادوا ذكرها عند التنويه في نبذة قصيرة على ظهر الكتاب بما جاء فيه - والخلافة خلقتة لفضاه لحد أن أسد المؤرخين وضع فريسة لها عنما حاول تصحيحها - وتسلل حديثا روبرت سكيدلسكي (*) ، ألم يكن بإمكان موسلي عدم التراجع في تمرده ضد الأحزاب المتينة ١٩٢٠ ، لو أنه لم يقتل في الحرب مثل هذا المدد الوفير من القريبين له في السن ؟ واعتقد سكيدلسكي بعد أن راجع نفسه أنه لم يكن هناك عدد كاف من شباب المحافظين والمسال والأحرار لتأييد وجهة نظر موسلي عندما ألهم على إنشاء حزب جديد ، « ولكن لذا بحثنا بين أساء الجبل فأننا كنا نسمثر على المديدين من بينهم » ولعل تاريخ إنجلترا كان حينئذ آنذا .

إن أي مؤرخ ينوي إعادة كتابة التاريخ البريطاني من منظور الطبقات التي لا تتخطى الصدارة لن يصادف أية مشكلة عندما يحاول تطلم أسطورة الجيل المفقود - إلا كانت الخسائر البريطانية أقل سببا من خسائر البلدان الأوروبية الرئيسية الأخرى التي اشتركت في الحرب ١٩١٤ . لقد مات في فرنسا - التي تضمواى قريباى وانبجترا في عدد السكان - ضعف العدد - ولو أن خسائر بريطانيا تساوت في عددهاى و معدلات خسائر ألمانيا لارتفع عددها إلى مليون ومائتى ألف بدلا من سبعمائة ألف . ثم لقد ضبط عدد الذكور (الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٠ سنة و ٤٠ سنة) في كل ألف من السكان بين ١٩١١ و ١٩٢١ - ولكن هذا الانخفاض لم يرد عن الهبوط من ١٥٥ إلى ١٤١ - ويصعب القول بأن ما حدث كان تعبها مهلكا أو ولديكاليا ، لو نظرنا إلى هذه المسألة نظرة إحصائية - فبعد انتهاء الحرب بثلاث سنوات ، ضم تعداد السكان أكثر من خمسة ملايين سن ولغوا بين ١٨٨٢ و ١٩٠١ ، وتحصلت للفئات التي ضم سها في هذه المرحلة من العمر صفعات التعممة في الصفوف الأمامية للحرب .

وجاءت الخسائر بينهم مريعة ، ولكنها لم تكن بالجساماة التي تؤدي إلى القضاء على جيل ، إذا عرقنا الجيل في جعلته بأية مجموعة من الأشخاص الذين يتفادون في السن ويرتبطون سوية بتجربة تاريخية مشتركة .
ويمتصع مشترك .

غير أن مثل هذه الأرقام التي ذكرناها لا توضح صميم أسطورة أو خرافة « الجيل المفقود » ، لأن الأسطورة تعتقد أن أفضل الأشخاص قد ماتوا ، أي يفترض أن من سقطوا صرع في ساحة الوغى كانوا الأعظم مربية والأسسى والأشجع والأعظم ثقافة ، وأن من استمروا أحياء كانوا الأضعف والأقل شجاعة . ويعنى هذا الانتقاء المكوس ، ويجز في ذبلة ما حدث من أحداث وبلايا في كل فرع من فروع الحياة الإنسانية . ويقت هذه الظاهرة عند بعض كأنها المسئولة عن تسود العجول ونشوب الحروب العالمية الثانية .

وهناك شعور بالميل إلى رفض هذه الفكرة باعتبارها هراء ومن أوهام النخبة . فالأول - كان من بين الصفات المميزة لحرب الخنادق خلال الحرب العالمية الأولى أنها لم تكن موجة ضد أشخاص ، وإن الموت كان يصيب الشجاع والحيوان بلا تفرقة ، إذ كانت هناك احتمالات أكبر في تعرض أحد الأشخاص لموت من رصاص وشاش غير حربي أو قنبلة تسقط « مميانيا » من خندق العدو ، أو إصابة عرقية للسفعية أكثر من التعرض لرصاصة أحد القناصة ، أو لطعنة سونكي فيسا يشبه الضال المبادر . أو وجها لوجه . فلهذا مات عديدون دون أن يلحقوا العدو ، وليست هناك علاقة بين من استمروا أحياء وبين الطهر والسمو ، وإن أمكن المجادلة والقول بأن الأقوى والأفضل تفضية من القطاعات الأوفر حظا وميسرة من المجتمع كانت لديهم فرصة أفضل لتحصل صرامة الجور وأطوار العلوي والتعصب الترتيب على العمل المختصر وعدم انتظام النوم ، فلهذا مات كثيرون من تأثير الاجتهاد مما حال دون تمكنهم الاحتماء بساتر ، أو لأنهم كانوا شديدي التبلد أو المؤس مما جعلهم لا يحرصون على التفرقة بين الحياة والموت . ومساعد الذكاء أيضا في انقاء بعض أفراد أحياء ، فلهذا رفض بعض جنود - يمان - ارتداء أقنعة الغاز ، أو تجاهلوا الانتباه إلى وجود قناصة ، عند ارتيادهم بعض القطاعات لأول مرة . ولعل هذه الحالات هي التي خلطت ببال حرائز هتفعا أحدث صفقة لقس الإبرشية ورفاقه قريبا في إحدى الصلوات التذكارية التي أقيمت فور انتهاء الحرب هتفعا قال لهم : « إن من سقطوا في الحرب وتحلوا كأنهم سقطوا من فوق برج » سيلوأم ، لم يكونوا فضلا بوجه خاص أو آثمين بوجه خاص ، ولكنهم كانوا أوساط البجود . وجاءت نصيحته لمن بقوا أحياء « أن

يشكروا الله لأنهم ما زالوا أحياء ، وأن يبدلوا ما في وسعهم للحيولة
دون وقوع حروب في المستقبل . *

من هذا يتضح علم وجود مرور للاعتقاد بأن الجماعات المشتركة في
صن واحدة متى قاتلوا في الحرب قد تناقص عددها بما صعب بهوصها
يدور في اقتبلوا في أعقاب الحرب ، أو لظن بأن من استمروا أحياء
كانوا أسوأ حالا - أو أفضل - من الذين ماتوا ، فما الذي ساعد على
تقليل تصور ه الجيل المفقود ه في الجلترا على هذا الوجه ؟ أولا - أن
هذا يرجع بلا شك لما تتميز به الصفوة الانجليزية من صغر في حجمها
وتحديده للامحها ، ولأنها لم يسبق لها الاشتراك في في قتال فعلي في
الحرب . لما أسهل نسيان استتلاف بريطانيا عن القوى الأوروبية الأخرى
في نظام الخمسة العسكرية . فقبل ١٩١٤ . لم تكن هذه العظمة اجبارية
بصفة مقسمة وطروضة على جميع المواطنين المذكور من أصحاب البنية
السليمة ، ولكنها كانت حرفة تمارسها فئة معينة . بوجه عام ، يعني
الأقل تسما بللوعية من أبناء الطبقات العليا ، وملاذا وخاتمة مهلكة لأبناء
المراتب الأدنى ممن عجزوا عن شق طريقهم في الحياة المدنية ، أو لم يرغبوا
في ذلك . وتقر هذا الوضع ناسره في الفترة الواقعة بين ١٩١٤ و ١٩١٨ ،
وتحول الجيش الى صغر اشترك فيه السواد الأعظم من الرجال المولودين
بين ١٨٨٠ و ١٨٩٩ ، وتعرض لهذا المصير رجال من جميع الفئات
الاجتماعية . على أنه في السجلات التي بقيت للأخلاف وفي الحوالات التي
ضمت أسماء من حصلوا على أعلى قدر من الثقافة ، ارتبط هذا المصير
بأبناء الطبقات الوسطى والعليا ، وربما اقتصر عليهم .

وعندما نذكر ما حدث سيتفصح بما فيه الكفاية لماذا حدث هذا .
وكيف ؟ فعلى الرغم من تعلق اناس من جميع الطبقات الاجتماعية على
مكتائب التطوع في المراحل البكرة ، فإن من كانوا ينتمون الى الطبقة العليا
والطبقة المتوسطة ، كانوا اسلم صحة ولتمن بيانا . وكانوا أقدر على
التخلي عن اشغالهم في وقت السلام (لو كان لديهم مثل هذه المشاغل) ،
ومن ثم كان تقرير صلاحيتهم للخدمة في الميدان أقرب للاحتمال . فأولعوا
الى فرنسا أو الفلاندرز حيث قتل خمسة محاربين من بين كل تسعة ، أو
أصيبوا بجراح أو فقدوا - وحالت الخسائر من بين خريجي الجامعات
والمدارس الثانوية العامة (الاستشرطية) عالية بوجه خاص ، لأنهم كانوا
المفضلين لتقبل وظائف صفار الضباط . وتعرض الضباط الأصغر
لخسائر أفدح مما تعرض لها الرجال الذين خلفوا تحت قاداتهم . إذ
كانت مهمة الضباط الأصغر هي تولي القيادة في الهجمات والانتحلات .
وتسيير الحملات ، والاطشاش الى اصلاح الأسلاك الشبكاتية المحيطة

يحتلدهم . وكانوا يهاذرون بحياتهم عندما يطلبون منهم ذلك . لأنهم كانوا يذكرون أن واحدهم يحتم اتخاذ رجالهم هؤلاء الضباط قنوة لهم . ومن ثم كان هناك تناسب طردي بين صغر من الضباط وامتناعه وتقله واعتمالاته .

وأحداث الخسائر الثقيلة التي لم يسبق لها مثيل بين جماعات حصار السن من أبناء الطبقة العليا والطبقة المتوسطة جرحاً جدياً اشتدت حدته بمرور كل سنة من سنوات الصراع ، وكان من بين الوسائل التي لجأ إليها حيي غوا على كوشهم انجذرا لمواجهة هذه الخسائر حسب جام غضبهم على هؤلاء الكائنات . وبالتجسس عن الجواسيس المزعومين للثقلاتسي . الذين لا يزدحمون واجههم على الوجه الصحيح . والوسيلة الأخرى هي تكريم الوفي ، والقطامي بأثر من ماتوا قد استشهدوا وحالفهم الحظ . وكانت جريفة التأييد تنشر لدى القتل في ميدان الشرف . وترفعها بمزاة من أمانهم وأمانهم وأصدقائهم ومعلميهم ، وتلصق لافتات تتضمن الإشادة بطولتهم . في نظام لهم كالميل بصلية في المدارس والجامعات . وفي حالات كثيرة ، كانت تجتمع اشجار الضباط الشهيد ومراسلاته وتنفرد . وباختصار ، كانت تغلف جميع الوسائل التي تساعد على تخليد ذكرى المفيد . أو ففيد الصخرة بمعنى أصح - حتى تبقى ذكراه حية عطرة في قلوب أجياله . ولجأ بعد وعندما انتهت الحرب وتكشف شبح ثاموها ، تحولت صلوات الضباط الى وسيلة - في نظر الشعب - للتدليل على ما حدث من تهوور كجبري طائفي .

لم يكن هناك ان أساطير تتعلق بهذه الخسائر ، ولا يحزنون . ولعل الأساطير قد ظهرت في الحكايات التي رويت لاستغلال هذه العكرة فيما بعد ، فلهذا سقط الأولاد الأبطال من أبناء انجلترا بأعداد مريعة خلال الحرب الكبرى . وبالتسود تصوير ذلك بهذه الأرقام التي احتوت بطريقة شبه عضولية . فمن بين ٥٥٨٨ من خريجي كلية إيتون من خسروا بالحرب . قتل ١١٠٩ وجرح ١٦٤٩ . ولقد روبرت ليقولس عدد من ماتوا في السنوات ١٩١١ و ١٩١٢ و ١٩١٣ من أبناء كلية أكسفورد . ممن اشتركوا في الحرب بواحد وثلاثين قتيلاً ماتوا أثناء العمليات الحربية أو متأثرين بجراحهم من بين ١٣٦ . و مات ١٢٨ من كلية تشامسان في أكسفورد . أما في كلية المسيح فمات عدد يمثل المئتين في هذه الكلية خلال ثلاث سنوات ، وقدمت عائلات كثيرة من كلية القوم أذكراها ، بينما قدمت بعض عائلات أخرى الذين لو ثلاثة من أبنائها في بحر سنة واحدة .

غير انه ما زال بالاستطاعة القول بأن الخليل من خطمو بالمدان ، حتى عند سقوطه في حروب خائفة . وحقق النكاح منهم منصب رئيس

وزراء إنجلترا : الطوني ايدن وهارولد ماكميلان - والتحق عدد لا حصر له منهم في البرلمان ، وشغلوا مناصب أقل مكانة ، وإن كان لها أهميتها في الحياة العامة - فقد كانوا من المستقلين في الوزارات والأحزاب السياسية ودور النشر ، ومن المستقلين بالكتابة في الصحف أو النalfif أو المكتابات النقدية - وكان من بينهم من أسسوا مؤسسات عامة أو عملوا أساتذة بالجامعات أو أقادروا معاهد علمية أو معامل ، أو بنوا بلادهم في الخارج ، وكان لهم دور في تشكيل عقول مواطنيهم على انشاء شئ عديده ، وتركوا هذكرات تملأ العديد من رفوف المكتبات ، وسى قلائل من بينهم الاشارة في كتبهم بمن كانوا يحصلونهم ، أو كانوا ألغ منهم من ماتوا من أصحطب الأعمار المائلة أو المقاربة ، وتثير هذه الحالة سؤالاً يطرح الى البحيرة ، انه سؤال أشد مراوغة من التساؤل عن الأصول التي اتصروا منها ، والذي نرغى من التحدث عنه . هذا السؤال هو : لماذا ثبت الأحياء الذين خرجوا من الحرب العالمية هذه الأسطورة ؟ وما هو السنه الذي يحتمل أن يكونوا قد ارتكبوا عليه في حفاظهم على بقاء فكرة الجيل الضائع أو الفاتك ؟

والرد على ذلك هو أن أسطورة الجيل الفاتك قد أتت بصورة ذاتية عامة لمن بقوا أحياء من داخل دائرة صفوة المثقفين ، وجاءت أيضاً بتفسير مريح سيكولوجيا ، بل وضروري في أغلب النل لما جرى لهم بعد أن عادوا من الحرب ، وهكذا غشت ، عبادة ، الخولى وسيلة لتفسير ما حدث من إحباط في الحاضر . وما من شك أن أصل هذه ، العبادة ، يرجع الى تجربة الحرب ذاتها ، فهي تمكس الشعور بالذنب المتوقع عند من بقوا على قيد الحياة ، وكانوا يرفضون أن الحياة لم تعد من حقهم بعد أن مات من كانوا حولهم . وتمكس مشاعرهم الفاضبة التي تميزت بقوتها في إنجلترا أكثر من أى بلد آخر . لأنهم كانوا ضحايا حيلة قلقة ليهما التاريخ المتجسم في الصورة الفريزة للجيل الأعجز . ولقد رجحت اشمار لويين (*) عن الحرب بالتفعل معظم هذه المشاعر الأساسية - الاشارة بالقوات المقاتلة - خيانة الأكبر سناً للنسبية - الطبيعة المأسوية لمسير جيل لويين ، غير أن المشاعر التي عبرت عنها قصائده ، ربما يكون أثرها قد أصيب بالوهن بمرور الأيام . أما ما حدث من تجدد في الانشطة فقد تأيد به العودة الى إنجلترا ، ومن تجربة الحياة أثناء الشريرسات ونهايات الثلاثينيات - فما رآه الباقون أحياء لدى عودتهم لم يكن داراً تليق بالأبطاله وإنما كان مظهراً طويلاً لنهاية الأسبوع ، شمروا حلالها ، بأن الحياة في أفسطو هبستر ، « ويتشاعر ضعيفة » ، وفى هذا الجو المشعل للانحدار

الناشر:

الطبعة

قامت عدة مؤثرات كالحنين للماضي والأزمة المؤجلة التي مرت بها إنجلترا بين الحربين وأسطورة الجيل الماقد بكل ما تحمله من اشارات ومعاني لدور هام في نظر من استمروا أحياء . فقد استحضرت ذكريات عالم الطفولة الذي فقدوه . ومن احتل في الحرب من أصدقاء ومعارف ، و « التوحان » والإغراب الذي صادفوه لدى عودتهم لديارهم . والمشارك التي حاربوها وخسروها . خلال عقدين من الزمان أعيا ١٩١٨ . وفي ذات الوقت ، قامها فسرت عجزهم عن تحقيق أحلام العطلة التي شبوا على الاعتقاد بأنها ستكون من نصيبهم والتي اعتقد كثيرون أنهم حققوها . حتى وإن كان ذلك بصورة عاجلة عابرة في ميادين قتال الحرب العالمية . وحسادتها . وفسر الأحياء من أبناء الطلقات المميرة التفاوت بين إسلامهم ومنجزاتهم بالتركيز على الفصائل الفنية التي اتسم بها من سقطوا في ساحة الرعي ، وبالأشارة إلى ما في مراتبهم من لغرات وفجوات . وألغوا قيمة ما حل بهم على مقاومة الجيل الأقدم .

وألغرد لورنس (توماس إدوارد) ، وكان من بين أشهر من بقوا أحياء من المستعربين في الحرب من الإنجليز وأصبحهم يسانا باستمهانه للاستقلال الخطير لأسطورة « الجيل الماقد » . ويثير هذا الموقف الكثير من المعضلة . لأن لورنس بالذات . كما يبع من لقائاته وكتاباتاته قد ساهم في تثبيت هذه الأسطورة ومصلحتها في الفترة التي أعقبت الحرب مباشرة . وتماثل لورنس هو وروبرت بروك في قيامهما بتحويل نفسيهما إلى أسطورتين ، قبل أن تبدأ الحرب . بيد أنه في حالة لورنس ، كان هناك قدر كبير من المولد المسعة للأسطورة . والكثير من الخفايا الحقيقية التي أساطت بأسواق معيشته . فلقد هجر أبوه توماس تشامبان - وهو من النبلاء الأيرلنديين الذين يفتنون البروتستانتية - له وأربع بنات ، ومكانة مرموقة وهرگزاً مالياً متيناً هلوباً برفقة مربية الأسرة الاسكتلندية ، وبذل الاثنان اسميهما إلى لورنس ، وأنجبا خمسة أبناء . كان لانيهما توماس إدوارد المولود ١٨٨٨ ، واستقرت الأسرة في نهاية المطاف في أكسبورود حيث عاشت حياة متوسطة بفضل ثلثمائة جنيه استرليني سنوياً . وأدى هذا الوضع الاقتصادي إلى اضطرد توماس تشامبان إلى التخل من أسلوب الحياة الذي اعتاده في إيرلاندة ، وأزعم الرومان على حياة الضيق . واستماضة الماديات بالروحانيات . ودلت جميع الدلائل على أن هذه الروحانيات كانت عطفية الأثر . إذ كانت سارة لورنس من أكبايح كالفان في شدة التزامها بالفضيلة ، وإيمانها العميق ، مما دفعها إلى السعي عن التكفير عن خطيئتها العظيمة باشتغال زوج امرأة أخرى . بالعيش حياة طاهرة زاهية لا تغبار عليها . ونجحت بفضل عزميتها الصليبية وتمسكها الذي لا يلح في فرض قيمها على زوجها وإبناتها .

واختار أحد الأبياء الخمسة العمل مبشرا فيلبا ، وتزوج آخر ، وتأثر جميع
الإنسان بمنحة لهم بموجب قيام الزوج بدور الخادم الصالح والتصديق
لتشبهاته بالجسد وردائه - وعلمت صورة أبنائها أيضا بأن يتخذوا كمال
الإنجاز غاية لهم ، وإن لا يقنعوا بأنصاف الأفعال ، واتخذ هذا الثمور
في حالة توماس صورة تطلع للمغامرة ، وحرص على إبقائه حيا وحاراً
في صباه وصرافته بفضل قراءة رومانسات العصر الوسيط .

وإذا تأملنا الصور الفوتوغرافية لوردس ، ستجد كم تصعب
المواصلة بين الصورة والأسطورة . غير أن من عرفوا لوردس في شبابه عن
كتب يذكرون أنه كان صبيا قذا وسط رمة من الأخوة الأقداد ، في
« ذكر حطائر السود » ، كما وصعهم حريج أكسفورد ذلك أرسيت
باركر - وكان توماس هو أسرعهم وأكثرهم انطلاقا وتحررا ، وأظهر منذ
حدثاته قذوة على تعلم اللغات ، وتحمل الجهد البدني ، وتمتع بذاكرة
ساعده على حفظ أدق التفاصيل الأثرية . وكان ميهورا بصفة خاصة
بالفن المصاير للقرن الوسطي ، ولا سيما بطريقة إنشاء الأبيد القصبية
باللخ العسكري . وعندما بلغ الثامنة عشر من عمره ، كان قد اكتسب
معرفة وجيزة بيهان القتال . وكان مولعا بالرحلات ، ومن محبي
المغامرات - بكس بروك ، وبين ١٩٠٦ و ١٩٠٩ ، زار القلاع والكنائس
الفرنسية وأكاد دواحة ، وأحيانا كان يقطع لوف دواحة مسالة تقارب
ما التي ونسبها كيانو مترا في اليوم ، ويقتصر طعامه على اللبن والجبن
والفاكهة ، لو تمكن من الحصول على هذه الأصناف ، ولعل هذه الرحلات
كانت تقريبا على المغامرات الكبرى التي سيقدم عليها في السنوات القليلة
التالية . ففي ١٩٠٩ ، زار الشرق الأوسط لأول مرة في رحلة على الإقدام
في سوريا لجمع بيانات للرسالة التي قدمها لجامعة أكسفورد عن قلاع
المسيحيين . وعلى الرغم مما لاقى في رحلته من مرس وعناء والزعاج ،
إلا أنه أبهر بالولاء وأصلها حتى أنه عاود الرجوع إليها في ديسمبر ١٩١٠
للهوض بمهمة التنظيم في الحريات في كارثميش (موقع كه فينة
حضرية من عهد آشور وبابل) على نهر الفرات ، وأثناء الإقامة في
كارثميش ، اتقن اللغة العربية ، وأثبت قذوته على اكتساب احترام
العرب ، وثقتهم . وعلى الرغم من أنه كان قادرا على التطلع إلى تحقيق
مستقبل باهر كعالم أثري ، إلا أنه أثار خلال هذه الحقبة تصور نفسه
فنانا متميزا ورحالة يبحث عن الأكفاء المثيرة ، وما كاد يعود إلى أكسفورد
في اجازة قصيرة حتى بدأت الحرب .

وتطوع ثلاثة من الأخوة لوردس هم (توماس وفرانك وويل)
للخدمة العسكرية ، ووقوا إلى دية الضابط . - وفي سبتمبر ١٩١٥ ،

فارق اثنان منهما الحياة في فرنسا - وكان توماس الأوفر حظا وتلقا ،
 ليبدأ عام ونصف إقامتها في القاهرة في أشغال جمعية نسجيا عن الخطوة
 في مكتب المخابرات الحربية الإنجليزية ، طلب نقله الى المكتب العربي
 المنشأ حديثا ، وعلى الرغم من سفر سنة وحفاة رتبته فقد استطاع القيام
 بدور محوري في تخطيط الثورة العربية على الأتراك ، وتفتيحها ، وفي
 أكتوبر ١٩١٦ ، قام بأول رحلاته الى بلاد العرب حيث توصلت صلته
 بالأمير عبد الله والأمير فيصل (الملكين بعد ذلك) نجل الملك الحسين
 شريف مكة - وفي ١٩١٧ و ١٩١٨ ، أصبح القائد العمل ومخطط
 استراتيجية فيصل ، ورافقه عند دخوله دمشق طائفا في أكتوبر ١٩١٨ .
 أما قصة حملات لورنس في الصحراء ، وما أمهر وما عجز عن اتجاذه ،
 وما زعم أنه خلقه فما زالت موضع خلاف ، ولا يستبعد أن تظل على هذا
 الحال دوما . وما يهنا من منظور بحثنا هو ان لورنس قد نجح في عالم
 الواقع في تحقيق أحلامه الرومانسية التي حلم بها كثيرون عندما شاركوا
 في الحرب ١٩١٤ - فلقد نسف معاير ، وأجرى عمليات استكشافية
 وتجسسية ، وراه خطوط الأتراك ، وشارك في سرب المصائب ، ولم يعرف
 قط حرب الخنادق الساكنة ، التي لا تساعد على إبراز الشخصية الفردية ،
 والتي أصابت بالكرب أمثال ساسون وحراق وفوين ، فلقد أصبح بطلا
 بالمعنى الحقيقي للكلمة واعترف به العالم كذلك .

بعد أن لورنس تأثر بتجاربه في الحرب ، وانعكس ذلك على طباعه
 وأرائه . فبعد أن كان يمثل المتطوع الوطني المتسامح (في ١٩١٤ -
 ١٩١٥) تحول إلى شخصية حاملة ، وما عرف عنها من تماسك وشكوك
 في الذات ، حتى أصبحت هذه الشخصية ترمز الى فقدان الإيمان بالحرب
 عند من قاتلوا فيها ، ولقد عرفنا لورنس نفسه الدلالات الكثيرة التي تفسر
 لماذا وكيف وقع هذا البشير . فقال لقد احتل جسمه من تأثير لمانية عشر
 شهرا من الكد والحرمان ، وتضطبت روحه المصوبة وتداعى اعتراذه بنفسه
 بعد وقوعه في أسر الأتراك لفترة وجيزة تعرض فيها للضرب المبرح ،
 وربما أيضا للانحصار . وازدادت صورة النقاء تفاديا عنهما اكتشف في
 نفسه القدرة على استنهاض الدم والثار التي نسها قبل ذلك للشعوب البدائية
 وغير الأوروبية . ان أية تجربة من هذه التجارب كانت كفيلة بأشغال فتيل
 التفكير الذي حدث لشخصية لورنس ، غير أن الواقعة الكامنة وراء الأصل
 الحقيقي لبحرجه السيكلوجي تكس في موضع آخر . فلورنس بوصفه
 شخصية جمة التفيد ، لم يكن قادرا على تحمل أعياه نجاحه . قلنا كان
 ابنا غير شرعي لتوماس تشاباس فانه لم يستطع التخلص عن الشعور بأنه
 يفتقر طموحات وأوهام طفولية على حساب اناس يموتون وشعوب يستهان
 بمصائرهم في مصالحها . لقد عجز عن التوفيق بين الموروث الكاثوليكي كمال

يقوم بهما ، إلى كميل للمصالح البريطانية القوية في الشرق الأوسط ، وكبحرود للعرب من السيطرة الأجنبية ، لأنه أدرك - أو على الأقل - فهم تعارض كل دور مع الدور الآخر . ولتمتزجت دوايته للتزايف بمجره عن الولاء بوعده للعرب بالآلام الناتج عن تصوره للمدس لنفسه ، صا خلق عنده موجة عارمة من التقزز وكراهيته لدائه . وفي ١٨ يوليو ، انتهى لورنس أو تصور « ضخماته » المهمة الملقاة على عاتقه ، وترامت له جميع الأشياء في صورة أوهام . ، وكأنه قد تحول إلى عالم يقظة ، أو مثل عمل مسرح أحدي (يودى ربا من الأزياء التكرية ويتكلم لغة غريبة) . ويتوقع أن يوجه إليه اللوم ، إذا لم يحقق كل شيء على غير وجه « . » « فالانحياز إذا تحقق سيصبح احباطا ، ولكن هذا الاحباط لن يكون بالجمامة الكافية للتفاداة على إيقاف الانسحاب الكاس داخله من ميماه » .

وتحقق الانحسار . وإن لم يحدث ذلك بسهولة . وعاد إلى لندن ، ثم انتقل منها إلى باريس أثناء امطار مؤتمر السلام في فرساي ، وحارب لورنس من أجل مصالح فيصل والعرب ، وساعد كوله عقيدا يحصل على صوره التياشي والميناليات ، واشتغاله مترجما ومشتشرا للأمر فيصل ، واسمه (لوين توماس) على تحوله إلى شخصية عالمية شهيرة ، قادرة على التحرك . وانما لفترة وجيزة ، في قمة الأروقة السياسية ، وأصبحت إليه جورج تويد وكنينسو وويلسون ومكتب المستعمرات . وكان واحدا من المحاربين القدماء الذين شهدوا مؤتمر السلام من داخل فروقته . غير أن ما شاهده لم يرضيه . فخلقه شعر بالأذى والاحباط المتلاحم لما حدث عندما أطبع بالامكانات التي أتاحتها النصر لأحداث التفجر ، ففي حالة الشرق الأوسط ، تمت التصفية بفضية العرب نجسا للأصطفاط بطوحات الفرنسيين ، فأوكل أمر المملكة السورية التي حارب فيصل في سبيلها ، والتي عهد البريطانيون بتسليمه عنها إلى فرساي في صورة مند تحت الانتداب الفرنسي ، وتلاشى حلم لووانس بأشياء ثلاث صالك عربية ترتبط برياط حر ببريطانيا العظمى ، وتوازي حلف غبار اليهود التي لم تتحقق . وعبر لورنس عن مشاعره بالخيانة والهرية في تمهيد غريب وجميل لأول طبعة من طبعات كتابه اعظم الحكمة السبع (*) التي روى فيها تاريخ الثورة العربية . وعلى الرغم من امتلاء هذا الكتاب بالاتهامات إلى العمليات العربية . وما بها فيها من روح ايجابية عند عرض تجربة العرب ذاتها ، إلا أن الكتاب يقع ضمن الكتب التي اتبعت طريقة السرد التي تميزت بها المؤلفات الثورية الانجليزية في أواخر العشرينيات وبواكير الثلاثينيات

يعنى البراءة المتبوعة بالفسور بخيانة الجيل الإخس والتعرض للهزيمة على يديه :

« لقد كان كل منا مولدا بالآمر ، وجمعت بيننا ذكريات الزحف في الأماكن المقتوحة ، وتلوق الرياح الماتية وشبه الشمس والآمال التي كانت تغلفنا للصل ، وبما الوقت كاته نهار ، تنعشه لسيام العالم الذي لستنه . لقد عشنا حصة أعمار في هذه المازك المواتة ، دون أن نلصر ومما لفيبحث عما هو خير وما هو شر . ولكن بعد أن أنجزنا مهمتنا وأشرف صجر العالم العديد ، خرج المواتير مرة أخرى من حصورهم ، وسلبونا نصرنا ، وأعدوا لتبكيه على غراز العالم القديم الذي عرفوه . أجل ! ان يتفرد الشباب أن ينتصر ، ولكنه لم يتعلم كيف يحافظ على النصر ، وشعر بالضعف الى درجة تنير الشفقة في مواجهة الطاعين في السبي . ولقد تأنانا وتلجلجنا عندما لنا اننا عملنا في سبيل تحقيق مثل جدية وإنشاء بلد جديد ، وتلقينا شكرا عطوفا ، ونبعه عملية السلام . وعندما سنكون في نفس سنهم ، لا آظننا سنمتلك نحو أبنائنا نفس القبلك » .

وسمى لورنس لتحقيق السلام لنفسه ، فهرب من طريق الشهرة التي حصل عليها - غير أن صيته له طارده ونمقيه بلا هوادة كظله وعاد لفترة وجيزة للاهتمام بالسياسة (١٩٢١ - ١٩٢٢) بناء على طلب تشرشل عندما انهارت تسوية الشرق الأوسط التي وصفت في لورساي ، وساعد في اجلاس فيصل على عرش العراق ، وتخصيص مملكة شرق الأردن لعبد الله (شقيق فيصل) ، ثم انتهر أول فرصة للانسحاب من الحياة العامة . وما أدهى أسفله وأذهلهم ، وكانوا آنذ يشعون حيرة العقول الواثمة والشخصيات السياسية التي تزعمت الجبلترا ، أن يتخلى لورنس عن دوائه في إحدى كليات أكسفورد ، ويغير اسمه الى روس ، وينضم الى سلاح الجو البريطاني كتطوع بسيط . ولم يكن هذا الاجراء مثاليا لتحق ، كما بدأ لأصفائه حين ذاك . اذ كان لورنس يمشق الآلات والحريات السرية . وشعر شعورا قويا « بأن غزو الفضاء هو أعظم مهمة يتمكن على أبناء جيلنا الهوى بها » ، فلقد حل قيادة الآخرين ، ولما كانوا قد نسبوا اليه صفات لم يعتقد أنه يستحقها ، لذا أراد أن يجرب السبل بالقوات الجوية من أول درجات السلم . والأهم أنه كان يتطلع للهروب من نفسه وعاصيه التي تخيله كأبوما يجثم على صدره ، ولعله كان يأمل أن ترد اليه الكوابل الجوية الاحساس بوجود هدف لحياته ، وتعيد اليه الشعور بالرمالة الحميمة والانضباط الذي اقتلعه منذ ترك الجيش .

وهي ذات الوقت ، أكمل لورنس كتابه عن تاريخ الثورة العربية ، وكان يأمل أن يكون من آيات النصر ، وفي نفس مكانة مفاتيح التراث العالمي ككتاب الأخوة كارامازوف لموستوفسكي وزينيتس لنيشيتش وموبى ديك لميلفيل ، كلاسيكياته الأثيرة . واعتقده أن مستقبه يبعده إلى احترام الكتابة . وشرح يتعلم هذه الحرفة ويقتنها اتقانا تاما حسب طه مرة أخرى ، وعلى الرغم من شدة إعجاب أصلها من الكتاب ، وانفلاتهم الفصح عليه عندما قرأوا كتاباته ، فإن كلب إعملة الحكمة السمعة قد حاسه التوفيق . وأدرك لورنس ذلك . إذ اتسم الكتاب بظايمه الشخصي والقصاده على مشاعر الكاتب وبجاريه . بحيث لا يصح النظر إليه كيان عن الحرب ضد الأتراك . وفي الوقت نفسه ، فإنه أغنى الكثير ، واتسم بطابعه الفيسى بحيث لا يجوز وصفه بالصورة الصادقة للرجل الذى قاد الثورة العربية . فلا هو تاريخ ، ولا هو رواية أدبية ، ولكنه خليط عجيب من الشينى ، أغفلت فيه جميع الروابط التى كان لابد من وجودها لفهم القصة ، ودرع لورنس بالذات إلى الإحساس بما أصاب رؤياه للحرب من صرخ من تأثير حالة الإحباط التى كانت تلازمه عندما ألف هذا الكتاب ، وانضم لوردريك ماينينج أنه لو أقدم على تأليف الكتاب فىما بعد لما كان من المستبعد أنه يحى أكثر إثرائاً وأكثر موسوعية .

ودفع عدم رضا لورنس عن كتبه التى ألفها عن الحرب إلى التوسع إلى النظر بمعنى الارتياح إلى كتابات الحرب التى ألفها معاصروه . ففي ١٩٢٩ ، عندما بدأت حركة اهتمام كلب الحرب فى الانحدار ، وتحولت حالة الإشفاق عند من ظلوا على قيد الحياة بعد الحرب إلى اتجاه يعطى بالتقدير ويحقق الكسب ، حذر لورنس أصغاه من القاء المسئولية على الحرب . ولاحظ كيف ظهرت الحرب بظهر مربع عندما تحولت إلى ذكرى ماضية . أكثر مما بدت لهم عندما حاضوا غمارها . واعتقد أن ما طرأ على من بقوا أحياء بعد الحرب من تغير وتحول هو الذى أغشى رؤيتهم ، وعندما ظهرت الترجمة الإنجليزية لكتاب « كل شيء حادى في الميدان الغربى » فى إنجلترا ، شجبه لورنس ووصفه بالصل المتبعث من حالة تشويق عالم لحياة ما بعد الحرب . انعكس على الحرب ذاتها ، وبأنه « مرحلة السان ضعيف » وشكا إلى هري وليامسون بأن أسوأ صفة يتصف بها حيل الحرب عندما ينظرون داخل أنفسهم من البحر عن الحفاظ على الروح المزدهرة من دخولهم ، وكرر مرة كلو الأخرى « وجوب تجاوز الحرب باعتبارها فترة مضنية فقدنا فيها مواطن أقدامنا المعقاة » . والظفر أن لورنس كان يخشى أن تغدو أسطورة الجيل المعاد بمرورا للفتاعس والاستغراق فى الذات عند كثيرين من أمثاله ممن حاربوا ، وحفظوا امتيازاً فى الحرب . وقال على سبيل الاعتراض : ليس صحيحاً ما يقال بأنه لم يبق بين

الناجين من الحرب أي فطائل أو جهابذة • فكم كنا جيلا وحشيا محيطا ،
نحن أبناء فترة الحرب • لقد قالوا أن أفضل الأشخاص قد قضوا نحيبهم •
غير أنه ما زال هناك كثير من الموهوبين على قيد الحياة •

لقد أصبحنا الآن أقدر على الاعتماد عن الأسطورة على نحو لم يتيسر
للمورس تحفيظ • وغدونا أقدر على التفرقة بين الحقيقة ، والسوء •
وتماثل الأسطورة الإنجليزية عن الجبل الفاقد هي ومعظم الأساطير هي
وجود تناظر بينها وبين الواقع • فبالاستطاعة ردها إلى الخسائر المريعة
التي لحقت بنخبة صغيرة من الطبقة العليا ، ذات الملامح المحددة ، وردها
أيضا إلى الصعوبات التي عانها أبناء هذه الطبقة (وآخرون ينتمون إلى
طبقة أدنى) للتوافق مع الحقائق السياسية والاجتماعية في إنجلترا بعد
الحرب • نعم لقد عانت عائلات من مختلف شرائح المجتمع ، ولكن الأباكر
في الصفوة السياسية والثقافية الحاكمة ماثوا بأعداد لا تناسب وضائقة
عدمهم • وتقررت أخبار لفهم على نحو غير متناسب مع الحدث ، كما
يظهر لنا الآن • إن فهم هذا المنع على وجه الصحيح ، لقد عني مصطلح
الجبل المفقود في إنجلترا الصفوة المفقودة • وعلى مصطلح الصفوة المفقودة ،
الإنابة ، والفساد الجزئي ، والاضطراب الأرضي ، سيكولوجيا • بالنسبة
لخبرجي المدارس الأرستقراطية والجامعات الذين حكموا إنجلترا خلال نصف
القرن الماضي • وإذا قرأنا مؤلفات الجبل الفاقد فلما نذكر أنه من بين
سببائة ألف من المثاليين الذين ماثوا خلال الحرب ، لم يكن بينهم أكثر
من ٣٧٤٥٢ من الضباط ، وإن كان هذا العدد الأخير ، وليس الوحدات
التي تولوا قيادتها ، هو الذي خلق هذه الأسطورة •

ومن المؤكد أن كثيرين من أبناء الصفوة قد غابوا عن ساحة ما بعد
الحرب • بيد أنه حتى إذا استمروا عائشين ، فإنهم كانوا سيكتشفون
— مثلما فعل سيمون د سيمسون — أن عالمهم قد ولّى بمد أن سرعت
(بشد الرأى) الاتجاهات الراسخة والتي لا تقبل الارتداد اتساع فرصة
الصعود للسلطة السياسية وتفاقم بيروقراطية الحكومة والتطلع لمجتمع
الرفاهية • وبزوغ أنظمة تضم رجال أعمال وعائلة تتعاقب حكم أولاد
الثروات والأعيان الاتطاعين • وسيستلمون انحلال الإمبراطورية ، فلا عيب
إذن إذا شعروا • بسقوطهم في الضربة التي تفصل بين الحربين • •

من هذا يتضح أن ما اعتقده إنجلترا أثناء الحقبة الفاصلة بين
الحربين لم يكونوا أصحاب القدرات والمواهب ممن سقطوا في ساحة
الوعي • إن ما فقد كان الظروف الضرورية لتحقيق أحلام • الأباكر • بين
من خرجوا صائحين من الحرب ، وأيضا أحلام اليقظة بالاستمتاع بالسلطة

والهيدمان التي نشأ في ظلها أبنة المستوطنين من جبل ١٩١٤ . وكان من الضروري النجلى عن هذه الأحلام كما أدرك لورنس فيما بعد ، وإن تحل محلها أحلام أخرى أنسب للتراث والحفلة التي التي الانجليز والأوريون والآخرون أنفسهم يسمون في ظلها الآن . وكانت هذه المهمة صعبة وباعثة على الكبر ، وهجر السموات الأعظم من أبناء هذا الجيل عن الانسلاخ بهذا الدور أو عرفوا عن القيام به . مثلما فعل لورنس عندما تقبل على أوامام السلطة ، وانضم إلى القوة الجوية الملكية كطيار بسيط . لقد ألقى الجيل الانجليزى ١٩١٤ باللائمة على الحرب واعتبروها مسئولة عن قتلهم لمأثم . ولكن الحقيقة هي أن جريمة إيشاكا - التي سددنا عنها هوميروس في الباذنة - قد بدأت علامتها تتغير قبل أن يبحر الجيش إلى طروادة بفترة طويلة .

الراجع

- B. Bergonzi, *Heroes Twilight - A Study of the Literature of the Great War* (1980)
- F. Field, *Three French Writers and the Great War : Studies in the Rise of Communism and Fascism* 1975.
- P. Fussell, *The Great War and Modern Memory* 1975.
- H. Klein, ed, *The First World War in Fiction : A Collection of Critical Essays* 1976.
- A. Marwick, *The Deluge . British Society and the First World War* 1965.
- M. N. Stromberg, *Redemption by War : The Intellectuals and 1914.* (1982).
- A. J. P. Taylor, *English History 1914-1945.* (1982).
- M. P. A. Travers, *German Novels on the First World War and Their Ideological Implications 1916-1933.* (1976).

ثامناً

المواجهة السلطوية والدبلوماسية في منتصف القرن العشرين

ظهرت أوضاع سياسية ودبلوماسية جديدة من تأثير وحشية معاملة السلام بباريس ، وتفكك المجتمع في أعقاب الحرب ، وانتصار البلاشفة في الثورة الروسية .

في ألمانيا ، اضطرت جمهورية فايمار الحديثة الناشئة إلى التوصل لتدابير التي وردت في معاهدة فرساي ، والتي ألزمتها بملح التبعيضات للعودة المنتصرة في الحرب . غير أن ، سالي ماركس ، ترى أن التبعيضات التي احتسب الحمل حولها وبما كانت أقل أثارة لتتصدع الاقتصاد ، ما اعتاد السياسة ومطمح المؤرخين الزعم ضد ذلك الحمل . وتلاحظ ، ماركس ، أيضا كيف اعترضت حكومة فايمار على التعديلات التي طوالت بفعلها .

وبالرغم من كل هذا ، فقد ظلت التبعيضات هي نظر كثير من الألمان خلال عشرينات القرن تبعو كرمز للهزيمة . وصاغت الحالة العقلية والتمزق الاجتماعي المرتب على الحرب ، والتضخم في مساويف المشرقات على ظهور الأحزاب السياسية المتطرفة . ويصف رينهارد هارس كيف جند أوائل أعضاء الحرب الباري ، وكيف تحولوا من جنود إلى مهرومين ومتطلعين عن العمل في الحلب الأحياء إلى أعضاء حزب مخلصين وغيبوري .

وأثناء كفاف جمهورية فايمار لتطبيق الامتثل والمثل والاحترام في الخارج ، شرعت الحكومة البلشفية الثورة في إعادة تنظيم روسيا

وتحويلها إلى اتحاد سوفيتي - واثناء عزلة روسيا على باقي العالم إبان العشرينات ، شب حراع طويل على السلطة والسياسة داخل الحرب الشيوعي الحاكم - ويصل إلى روبرت تاكر كيف وولد ستالين اقتلعه كحاكم اوحيد للدولة والحزب الشيوعي السوفيتي في وجه منافسة حزبية طاحلة ضاربة .

وساعد استيلاء النازي على السلطة ١٩٣٣ على حد الألمان على بذل الجهد لمراجعة تسوية السلام ، وقبول استهزاء الألمان بمحاكمة قسري والتعهدات الأخرى بسياسة مهادنة بلغت ذروتها في أكتوبر ١٩٣٨ ، بعد توقيع ميثاق ميونخ - ويصحت رونالد ميلسر الأملات السياسية الألمانية من وجهة نظر رعاة الحزب النازي كمشكلة لهم حل كانت هناك فرصة لنجاح سياسة المهادنة . ثم يخص بعد ذلك وليمسون موري الموارء العسكرية تقوى ١٩٣٨ ويتسائل حل كان الأصوب الدخول في حرب مع ألمانيا ١٩٣٨ بدلا من ١٩٣٩ .

وأتمت الحرب العالمية الثانية السيادة الأوروبية على العالم . فبعد ١٩٤٥ ، انصهرت القارة الأوروبية بين قوتين عظميين ضخمتين تستمان بالقوى نفوذ الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . وفي ١٩٤٩ ونتيجة لامتداد النفوذ السوفيتي بعد الحرب في شرق أوروبا وفرض الحصار على برلين ، أشادت الولايات المتحدة وبلدان أوروبا الغربية منظمة الناتو التي تضم دول شمال الأطلس ، والتي تم بمقابلة الصود القاري للتحالف الدبلوماسي بين الولايات المتحدة وأوروبا . ويصحت ميكائيل جاندلباوم كيف تأسس التحالف ، وحظه في البقاء في العصر النووي .

حُرَاقَةُ التَّعْوِضَاتِ

مسائل ماركس

تُرِكَتْ كَسْوَيةُ بَارِيسَ لِلسَّلامِ ١٩١٩ عِدَا مِنْ التَّطَلُّعَاتِ الَّتِي لَزِمَتْ
الْجِبَلَاتِ الدَّوْلِيَّةِ ابْنِ السُّتُوْبَاتِ الْعَامَّةِ بَيْنَ الْعَرَبِيْنَ الْعَالِيَيْنِ ، وَصُمِتْ
فِيهِ الْمَسَائِلُ مَضَى الدَّوْلَ الَّتِي نَشَأَتْ حَدِيثًا فِي أَوْرُوبَا الْإِسْرَائِيلِيَّةِ ،
وَعَمِيَّةِ الْأَمَمِ الْمَشْكُوكِ فِي أَمْرِهَا ، وَرَسَائِلُهَا ، وَالَّتِي انْتَهَى بِهَا لُطْفَانُ آلِ
لَنْ أَسْبَحَتْ بِلا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ ، وَخَلَقَ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّصَةِ فِي التَّصَدِيقِ عَلَى
مُعَامَلَةِ الْأَنْضِمَامِ لِلْحَضِيَّةِ ، يَدُ لَنْ أَكْثَرَ الْمَشْكَالَاتِ الْخَالَةِ لِلْمُنْتَظَبِ ، وَالَّتِي
لَزِمَتْ مِنْ حِلَّةِ تَعْقِيدِ الطَّلَاكِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْدِيْپْلُومَاسِيَّةِ ، وَانْطَلَقَتْ فَتِيلُ
الْقِتَالِ السِّيَاسِيَّةِ الْمُخَالِفَةِ فِي لَانْيَا ، كَانَتْ فُرْصَةُ التَّعْوِضَاتِ عَلَى
لَانْيَا ، وَالزَّمَنُ بِمَسْئُولِيَّتِهَا عَنْ الْعَرَبِ الَّتِي ارْتَبَطَتْ بِهَا .

وَالْتَعْوِضَاتِ مَهَادَةٌ عَنْ مَشْكُوكِ مَطْفُوعَاتِ تَنْجِجِ لِقَاوِي الْمُنْتَصِرَةِ حَقَّ
الْحَصُولِ مِنْ لَانْيَا عَلَى مَوَادِّ مِثْلِ الْخَشَبِ وَاللَّحْمِ وَبَعْضِ الْمَمْلُوكَاتِ الَّتِي
تَمْلِكُهَا الدَّوْلَةُ الْإِسْكَانِيَّةُ ، وَفَلَا لَمْ نَصَبْ عَلَيْهِ مُعَامَلَةِ فُرْسَانِ مِنْ حَيْثُ الْمَبْدَأُ
وَوَفَلَا لِلْيَبَانَاتِ الَّتِي طَرَحَهَا الْمَطْلُوفُونَ الْمَجْعُولُونَ مِنْ قَبْلِ الْعِلَّةِ ، وَاللَّحْمِ
الرَّأْيِ بِدَوْرَةِ مَطْفُوعَةِ بَيْنَ الْقُوَى الْمُتَعَالِفَةِ ، لَاسِيْمَا بَيْنَ فُرْسَا وَبِرِيطَانِيَا
حَوْلَ قُدْرَةِ لَانْيَا عَلَى النُّفُوعِ وَالْوَسَائِلِ الْخَالِفَةِ لِلْإِبْرَاجِ لِلزَّمَانِ عَلَى ذَلِكَ ،
وَحَدِثَمِ الْخِلَافِ بِوَجْهِ خُلُصِ ١٩٢٣ عَمَلُهَا غَزَتْ فُرْسَا حَوْضَ الرُّوْحِ
عِنْدَمَا لَزِمَتْ مُشْكَالَةٌ حَوْلَ دَفْعِ التَّعْوِضَاتِ الْأَخْصَرَةِ ، وَفَرَرِ الزَّمْعَاءِ الْأَلَانِ
مِنْ شَرِّ الْإِجْتِهَادِ السِّيَاسِيَّةِ الْإِعْتِرَافِ عَلَى هَذِهِ الْخُطْوَةِ ، وَالْإِمْتِنَاعِ
عَنْ كَلْبِيَّةِ الْمَشْكُوكِ الْمَطْلُوبَةِ ، وَلِجَاوِزِ آلِ جَمْعَةٍ سَبِيلَ تَحْقِيقِ ذَلِكَ ، كَانِ
مِنْ بَيْنِهَا تَقْلِيضُ قِيَمَةِ الْفَرَقِ بَعْدَ غَزْوِ الْفَرَنْسِيِّينَ لِلرُّوْحِ ، وَاجْسَرَهُ
سَلْسَلَةً مِنْ بَلْبَاحَاتِ كَلْبَةٍ لَوُزِ (١٩٢٤) وَخُطَّةِ بُونِجِ ١٩٢٤ ، وَعَلَى

مَرْكَزُ
The History of the Republic of China
Chinese Historical Society Vol. 1.
Dagong
١٩٢٤

الرغم من التعاطف التقليدي مع الألمان واعتبارهم ضحية عاجزة نسبياً لجنس الحضلة ، فإن هذه التكتيكات نجحت بدرجة كبيرة ، ودفع الألمان نسبة صغيرة من المبلغ الكبير المطلوب سدادته . والواقع أن مقاومة الألمان للتعويضات قد وفرت عليهم الكثير وحرمت الحضلة من الأموال التي كانت ستذهبها لألمانيا ، وتدفق كمياتها للمحتارين من الحضلة .

وكانت مشكلة التعويضات في جميعها سياسية أكثر من كونها اقتصادية . إذ كانت فرنسا تتوقع أن يساعد دفع التعويضات على إعادة تأكيد هزيمة ألمانيا ١٩١٨ ، وكان اعتراض الألمان على دفع التعويضات يظهر من جملة المظاهر التي أثبتت لآلباتهم رفض الاعتراف بأن الهزيمة نهائية ، وتأكيد دورهم في العلاقات الدولية التي أعقبت الحرب ، ولقد تطرق هذا الهدف للسياسة الخارجية في ظل جمهورية فيمار قبل استيلاء النازي على السلطة .

[ملحوظة : على القارئ أن يلاحظ أن معدل تبادل العملة في هذا التقابل كان أربعة ماركات مقابل الدولار الواحد ، وأن مصطلح بليون يمثل بمصطلحاً أمريكانياً قيمته ألف مليون] .

بالاستفادة تقسيم التعويضات بعد الحرب إلى نوعين . تعويضات لا ألمانية متبقي إلى حد كبير ضمن الموضوعات المجهولة من المؤرخين ، وتعويضات ألمانية أشبه بغاية كثيفة متشابهة الفروع ، لم يمار سوى قليل من المؤرخين البواصل بالتفاهل فيها والكشف عن أسرارها ، ولا يخفى أن معظم دارسي تاريخ القرن العشرين قد آثروا السلامة ، وتجنبوا التعمق بمجال المسائل المالية الجمة التعقيد . وترتب على ذلك شيوع عدة أخطاء لتصور تاريخ التعويضات الألمانية ، وليست هذه الخلاصة المرسرة موجبة للمثقفين الكلاسيكيين الذين يستحق جهنم كل تقدير ، ولكنها تخص الكتبة الذين تعبوا الكد والبحث ، ووثقوا في الخرافات التي تروى عن التعويضات ، وما زالت تزدهر بها دراسات تاريخ جمهورية فيمار وتاريخ ما بين الحربين العالميتين .

وتبدأ حراثة التعويضات الألمانية بمصلحة فرساي . ولم تخصص المادة الخامسة « بحرمي الحرب » ، التي طالما تعرضت للاشتداد (المادة ٢٣١) والتي قصد بها أصلاً وضع أساس ثاقوي للتعويضات . أية إشارة إلى مجرمي الحرب ، فهي تخص بالذكر « مسئولية ألمانيا وحلفائها والمرتطنين بها من جميع الخصائى والأعداء التي تعرضت لها بحكمات الحضلة ، ومن أربطوا بهم وبشعوبهم نتيجة للحرب التي فرضت

عليهم من اثر اعتناء الامانيا وحفظها ، * ولم تكن مسألة اعتناء الامانيا على بلجيكا موضع نزاع على الاطلاق ، وتبعا لنظرية المسؤولية الجساعية حسن المتصرفون الجثة ذاتها بعد اتباع مبدأ نزاع علم تناسى بعض الاختلافات التي تقتضيها الضرورة (٤) المصاراة قضيا عند توقيعهم للمصادقة مع المسا والنجس ، ولم تقرر أية دولة من هذه الدول المصاراة على انها تملك مجرمي الحرب ، وفي السنوات الأخيرة ، ادعى المارتون والدعاة الألمان وأريبنوا وإماضوا الكلام في مجرمي الحرب من طرف واحد ، واكتفوا بالكثير من من لم يقرأوا المصادقات بما في هذه المصاراة في تمسك .

وبينما طرحت المادة ٢٢٦ احتمالات نظرية لا حدود لها ، رأينا المادة ٢٣٢ . تبصر نطاق المسئولية الآتية في حصار المدنيين ، كما تضمنت في الملحق . ولقد سكب الكثير من اللباد لإيضاح استعمال الأفراد التي شُكِّت بالمدنيين على معاشيات أرواح الحرب ومكافآت من اعتمدت أسوأهم على الحرب ، وفي واقع الأمر ، ولما كان مشروع التوقيعات قد كتب ١٩٢٦ على أساس تقرير الحلفاء للجنة ألمانيا على الطمع . وليس على أساس مطالب الحلفاء ، لذا لم تعرض هذه التودد لدى استبعاد ألمانيا للدفع . وإنما اقتصر على تمثيل ما يورث مما يخص من توقيعات . وبمبادرة أخرى ، لقد زادت إضافة المعاشات والاعتماد إلى التوقيعات من نصيب بريطانيا في الخيبة ، ولكنها لم تضخم الخيبة ذاتها . وكانت أعظم آثار تضخم ما يطالب به الإنجليز هي الريادة الهائلة في مصاصب الاتفاق بين الحلفاء على إجراءات تسوية للتوقيعات ، وارتفاع أصوات الضغط ضد الأثلاث ، بعد ما قبل من استبعادهم لدفع هذه الديالغ الطائلة ، (وكانت هذه الدعوة من قبيل الفضائل) مما أثار رد فعل قائم عند الرأي العام الألماني . وفي هذه المسألة ، كما هو الحال في الكثير من جوانب التوقيعات لمة تفاوت بين الظاهر والواقع ، مما ساعد على ضيوع كثير من نوايا التوقيعات .

ولقد تار كثير من الجدل أيضا لأن المصاحفة لم تعد مقدار اليك
الكل الذي تستطيع ألمانيا دفعه كتروضات . وعندما تارت بعض التكميوك
عند الإنكس والدول المنتصرة حول هذه المسألة المالية ، نجحت ألمانيا في
شن حملة شعافية مؤثرة عن مدى ما حل بها من ظلم . همد أرقامها على
« توقيع شيك على يهاض » . وكان التأخر - في الحق - لصالح ألمانيا ،
وأدت الغالاة في مطالبات شعوب البلدان المنتصرة إلى بلوغ مستوى
التروضات التي توقفت في مؤتمر السلام رقما فلكيا يتجاوز سنة عشر
ضعف المبلغ الذي أدرج في نهاية المطاف ، وكان الصيران البريطانيان -

اللود مسامر وكاتيف بعيدين عن الواقع حتى أطلق عليهما اسم
« التوامن المسابين في ملكوت » - ويسود الوقت ، استخضت أرقام
التقديرات قياحا ، واقتربت (١٩٢١) من الواقعية إلى حد ما .

وأخيرا حدثت مقابلة مرساي لفترة زمنية تنتهي يوم أول مايو
١٩٤١ ، تدفع ألمانيا قلها مبلغ عشرين مليوناً من الماركات الذهبية ، إلى
أن يتسنى للجنة التمويضات حصر المجموع الكلي للدين ، والواقع أن
جولة ما دفعته ألمانيا خلال تاريخ التمويضات بأسره لم يتجاوز عشرين
مليوناً من الماركات ، ولم تدفع خلال الفترة المخصصة سوى ثمانية مليون
ماركا على مديبل الألمان نظير صكوك املاه حكومية ، ومن الناحية
المالية ، لم ينظر إلى أي شيء منها على أنه ضمن التمويضات ، يصد أن
التمهنة المتصارف الدولية التهاما كاملا . وعلى الأخص نفقات الاحتلال
وتكاليف اعانة الألمان الأسرى ، بيد أنه يسود الزمان ، تزايد الاعتراض
خسبا - بالبلاتين الثمينة كتمويضات .

وتقرر أن تدفع التمويضات على جملة القساط ، فكانت هناك مبالغ
تدفع قسطاً من حين لآخر ، وأخرى تدفع « عينييا » من طريق مواصلة شحن
بعض السلع ، وعينت عبارة « الدفع العيني » عند الألمان تسليم سلع
مثل الفحم والحديد والأسلحة الكيميائية والنفطية الطبية ، وفسرت عبارة
أن تكون قيمة الشحن بالنحاس على أنها تسمى الدفع بضمان فائزوة
التمويضات الكلية المطلوبة من لاتفيا . وباستثناء حالتين هما التمويضات
اللاتفية التي تضمنتها ممتلكات الدولة في المناطق التي استولى عليها
المتصرفون مثل مناجم الفحم بالقليم السار وسكك سديد ألمانيا في الأقاليم
التي تم اقتطاعها من ألمانيا وضمت لبولاندا ، وباستثناء حالة الالتزام
واللودين ، فإن البلدان التي كانت تتبع ألمانيا قد نظر إليها على أنها جزء
من ألمانيا الإمبريالية ، وحصلت نفقات الدين ، كما كان الحال في لود
أغسطس ١٩١٤ ، وأخيرا تضمنت التمويضات بعض مطالب لا يحم الولاء
بها غير مرة واحدة ، فلم تصرف تمويضات الثمانية من عودة للفاس
الفن ، واكتفى بطلب ترميم مكتبة لوفان (٣) للمرة ودلي بثلثي خصم
امانات الدواجن والأدوات الزراعية وآلات المصانع ومواد البناء
التي طلب تسليمها على مديبل التمويض عن عمليات الإزالة الشاملة
لبناء الانسحاب الألماني ، من حساب التمويضات .

وتماثلت « فواتير » الترميزات في مباحثتي النمسا والمجر في الخطوط العريضة في تلك التي فرضت على ألمانيا ، فلم يذكر أيضا مجموعها الكلي ، واحتسبت تكاليف تنفيذ مباحثتي السلام كصاريح أولية ومقابل للمنغوعات ولا تضاعف لحسابات الترميزات ، ومع هذا فقد دلى منع التماثلات للدفع القوي ، والتسليم العيس ، ونقل ملكيات الدولة ، بينما تقرر أن تتكبد الدول التي سلت محل الدول التي انتهى أمرها بعد الحرب ، مسئولية دفع حصص جوهرية من الدين المستحق على دولة النمسا والمجر قبل الحرب ، وحسبت المصادرة الإضافية مبلغا محددا حرمان ما دوح وتم تخفيضه ، وفي معاهدة سيفر ، التي لم يصدق عليها ، خفض الدين المستحق على الأتراك تخفيضا حادا بعد مراعاة فضالة جسم ما خسروه من أراضي ، وفي معاهدة لوزان ، امتنعت الدين اسماءا تاما ، وبلغت النمسا حقا من الفكر دفعا إلى عدم دفع أية ترميزات اكتفاه بالتحويلات المستحقة نظير الممتلكات المفقولة ، بينما لم تنفع المجر إلا القليل ، ولا بدأ واضحا أن للثانيا هي الدولة المهزومة الوحيدة اللادرة على الدلم ، لذا تركزت الحركة على إرغام ألمانيا على دفع الترميزات

واستخدم الخلاف حول التماثلات مشكلات الدولة المفقولة ، وعمليات التسحي ، وإن كانت المتماثلات لم تتوقف حول مختلف الترميزات الألمانية ، المقدرية والعينية على السواء ، ورغم حدوث الكثير من الصعوبات في شحن مواد الصبغة ، إلا أن معظم المشكلات لم تكن من صبغ الألمان ، وفي هذا المقام ، ينبغي أن يصبح الاعتقاد الشائع في هذا الشأن ، مانحقيقة هي أن الولايات المتحدة كانت تطالب ألمانيا بما يفوق بيليون ونصف دولار أو قرابة ستة بلايين مارك ذهبي ، وأنها كانت تنلقي شحنات منتظمة من مواد الصبغة حتى وقت متأخر ، على حتى ١٩٢٢ ، ثم تخلت عن هذا في الحصول على ترميزات قيمة من مواد الصبغة ، وإذا سمنا المطالب المقتطعة للأشخاص بصفتهم الفردية وتكاليف احتلال الراين وترميزات الحكومة سيبين أن الولايات المتحدة قد تلقت في نهاية الأمر ما يتوف عن رصاصاته مليون مارك ذهبي .

على أن مواد الصبغة كانت مشكلة حافية ، كما كانت مسألة الترميزات بالنسبة للولايات المتحدة مسألة حاشية ، وتركز الانتباه على الدلم نقلا ، وعن طريق أصناف كالفحم والخشب ، بينما كانت هذه المسألة تلقى أكبر رعاية من قوى الحلفاء (فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وبلجيكا) ، وقد تلقت نصيب الأسد من هذه الترميزات ، وكانت مصاريح شحن الفحم أقل من الحصص المقررة من البداية على وجه

التقريب ، واتفق المتصرون في مؤتمر سينا (٢) الذي عقد في يوليو ١٩٢٠ على دعم قسطنطين ، يقدم بخمسة ماركات عن كل طن قطن ، وذكر في التقرير الرسمي لهذا الاجراء أنه لرفع مستوى تغذية عمال الماسح ، وتقديم قروض كبيرة لألمانيا لتيسير عمليات شحن الفحم ، غير أن هذه الحصص لم تمتد . فقد توفقت مسألة احتلال الملقاه بحوض الروهر لارتقاء ألمانيا على الوفاء بالتزاماتها لأول مرة في مؤتمر لندن (مارس ١٩٢٠) وأعيد بحثها جديدا في مؤتمر سينا . ثم أثرت المسألة عند ذلك مرارا بعد أن تواصلت المفاوضات في المخطط العالم الذي حل محل مشروع الاتفاقات الوقعية ١٩٢١ .

وبناء على ما طالبت به معاهدة فرساي ، أعلنت لجنة التمويضات في ٢٧ ابريل ١٩٢١ أن جلسة اللديونية الألمانية تقدر بمبلغ ١٣٢ بليون مارك ذهبي . وبعد هذا الرقم حلا وسطا انتهى اليه البلجيكيون بين المصروع الفرنسي والمصروع الايطالي الأكبر الذي يطالب به الفرنسيون والمصروع الأدنى الذي قدره الانجليز ، ويشغل أدنى قدر يرضى به الرأي العام في الدول المستحقة لتمويضات ، وكانت الضغوط البريطانية من أجل تخفيض المصروع الكلي للديون . وتخطيط التمويضات الألمانية مستمدة من المفراض اوتكان استعادة الاقتصاد البريطاني انتمائه على الرجوع السريع لأنشطة التجارة التي كانت حثيثة قبل الحرب ، والتي كانت تحتاج بدورها الى إعادة احياء فورية للاقتصاد الألماني . ولما كان الزعماء البريطانيون قد افترضوا أن أية مدفوعات ألمانية كبيرة لتبلغ التمويضات قد تخلق خسارة بالانتعاش البريطاني . لذا عارضوا أي ارقام على الوفاء بالطلبات الأساسية للتمويضات من ألمانيا .

ولقد ركز المؤرخون على الرقم ١٣٢ بليون دون فحص لطبيعة القدرة على الوفاء بتسديده . فلقد استودعت قائمة لندن للبدفوعات في ٥ مايو ١٩٢١ هذا المبلغ . وقامت في ذات الوقت بالفاء وجوده ، وقدرت اللديونية الكاملة لجميع القوى المركزية بجمعية د وليس ألمانيا وصداها - مقداد ١٣٢ بليون ماركاً ذهبياً تحت الصجر والريادة ، وصنف القرض الألماني في ثلاث مجموعات من المستندات : أ و ب و ج و د . ومن بين هذه المستندات ، كانت المستندات ج ، التي شملت الجزء الأكبر من الصكوك مصممة على نمو قومي ، اذا كانت بعيدة تماماً عن الواقع ، ومصممة الأولى هي تضليل الرأي العام في البلدان التي مستزول بها وإيهاها بأن الرقم ١٣٢ بليون هو الرقم عند الألمان . وكان خبراء الحلفاء

يرمى أن المانيا ليس بمشغولها دفع ١٣٢ مليوناً ضمن المراكات ،
 وإن ما يستطيع دفعه قوى وسط أوروبا دفعه لا يتجاوز مئتي مليون من ذلك
 بكثير ، وهكذا عثرت السندات أ ب ج - التي كانت صحيحة - تقدير
 القيمة الفعلية لا بوسع ألمانيا دفعه . فكانت السندات « أ » والتي تقدر
 بمبلغ اثنتي عشر مليونا من المراكات الذهبية تمثل الرصيد المؤقت المقدر
 بمئتين مليوناً ، بينما تقدر السندات « ب » بمئتين وثلاثين مليوناً ،
 وهكذا تمت السندات « أ » و « ب » جملة تعويضات اندونيسية الألمانية
 التي كان على ألمانيا مواجهتها (القيمة الاسمية) بخمسين مليوناً من
 المراكات الذهبية ، أو ١٢٥ مليون دولار ، وهو مقدار أصغر من المقدار
 الذي عرضت ألمانيا دفعه . وتضمن جدول لندن أيضاً اختلافات الدفع
 في حالة استرجاع السندات أ و ب بعد سداد قيمتها ، وتضمن جدولته
 بالحدود القصوى السنوية للحدود الثابتة والحدود المتغيرة .

وفي صيف ١٩٢١ ، واجهت ألمانيا أول عملية دفع فورية لمبلغ مليون
 مارك ذهبي كاملاً ، ولقد بلغت هذه العملية ، لأن تقاضي رسوم الجمارك
 كان تحت امرتها المختلفة ، كما كانت المنطقة المحيطة بمدينة دوسلدورف
 محتلة من قبلهم الهولندية ، وافقت هذه الاجراءات في مارس ١٩٢١ ،
 أولاً كمحاولة لجلب الألمان على دفع مبلغ مقبول ، واستمرت لارغام الألمان
 على قبول « جدول » الملوحة التي وضعتها لندن . وبعد الدفع التقدير
 الصوري ١٩٢١ ، أسس الحللة عن تقاضي الرسوم الجمركية ، ولكنهم
 طالبوا بوسلدورف بها ، ثم دفعت ألمانيا بعد ذلك جزءاً صغيراً جداً من
 الديونية المستحقة الدفع في نوفمبر ١٩٢١ . ومقادير صغيرة من الأقساط
 السنوية المستحقة في أوائل ١٩٢٢ ، ولكنها لم تدفع أى شيء لهذا بعد
 ذلك حتى بدأت خطة « دور » في وقت متأخر ١٩٢٤ . وخلال ١٩٢٢ ،
 استمر النقص المتزايد ، وإن لم يكن كاملاً البتة ، بينما أجريت شتى الجبل
 لاصدار سندات كبدل للدفع النقدي ، ومع هذا فقد تعطل موعد انتهاء
 هذه الاجراءات الخاصة بالسداد المؤقتي بنهاية ١٩٢٤ ، ودلى بعضنا
 إما أن تفرض خطة جديدة للتعويضات أو تضطر لندن بموجب ما جاء في
 جدولها إلى فرض مطالبها بالقوة .

وفي صيف ١٩٢٢ ، بدا واضحاً استحالة استعادة ما ورد في جدول
 لندن - والذي كان معلقاً بالعمل - غير أنه لم يحدث أى اتفاق على ما يتعين
 القيام به - واتخلص حينذاك سعر الصلة الألمانية انخفاضاً حاداً ، وبدأ هذا
 التدهور في رسم العملة أثناء الحرب المالية الأولى ، واستمر في خطوات
 شاردة ، واقتربت الحدود القصوى للتعويضات بالترجح القليل لتضخم

المشارك ، وأرجع الألمان ما حل بصلتهم إلى تأثير التمييزات ، بينما اتفق الحبراء البريطانيون والفرنسيون على اداة ثانية لتطبيقها المشارك عليها تجنباً لاحداث اصلاحات في الموارثة والنفذ ، والأهم من ذلك لتحجيبها دفع التمييزات ، واصاب حبراء الائتلاف الودي في هذه الناحية وجه الحقيقة ، أما المؤرخون الذين قبلوا الرعم الألماني بأن التمييزات كانت سبباً لحثوث التضم ، فقد تناسوا أن التضم قد مسبب التمييزات برصياً ، وتناسوا بالمثل أن التضم قد انتشر في الحصة الواقعة بين صيغ ١٩٢١ ونهاية ١٩٢٢ ، عندما كانت ألمانيا ذليلة بالمثل يدفع القليل من التمييزات ، ولقد أخفقوا أيضاً في تفسير لماذا توافقت الفترة التي انقضت فيها التضم هي لفترة دفع أكبر قدر من التمييزات في أواس عشرينات القرن العشرين ، ولماذا دعم الألمان بعد ١٩٢٠ ، أن هذه التمييزات هي التي أحدثت التضم ، وليس من شك أن اريكانه البريطانيين والفرنسيين في أواس ١٩٢٢ كان له ما يبرره ، أو بين من المروع أن محفوظات مستشارية الرابع أن دعاء ألمانيا ١٩٢٢ و ١٩٢٣ قد اختاروا تأجيل الاملاجات الضرورية واجراءات تثبيت العملة ، يحلهم الأمل في الحصول على تمييزات جوهرية في التمييزات .

حل أن ، الاتفاق الودي ، على الوقائع ثم يند بأي حلول ، بعد أن استنطس الفرنسيون والبريطانيون نتائج سياسية متعارضة من نفس التدابير ، إذ رأى البريطانيون أنه لما كانت ألمانيا قد بجهت في تحكيم هائلتها ، لذا يتوجب منحها حق عدم الدفع لمدة أربع سنوات كاملة لجسيع المبالغ المدفوعة كتمييزات لتيسير عملية إعادة اصلاح موازنتها المالية ، بينما اعترض الفرنسيون على منح فترة « مورتوريوم » طويلة ، كأنها تكلفة على سوء السير والسلوك ، والصرت على قيام الحلقة بمصادرة كل في كائناتهم أو الغابات للدولة للدولة ، ورسوم الجمارك أو أي شيء من هذا القبيل ، كضمان بطر للمدخل يساعد على استئناف الدفع في آخر الأمر ، وعارض البريطانيون الاستيلاء على الضمانات الانتاجية ، متذرعين بأن أي ارقام قد يساعد على تطبيق مداوله عوثة الألمان لسابق عهدهم ، بينما رأى الفرنسيون أن أي مورتوريوم سيبر عند صفاء نهاية التمييزات ، وأبان الجزء الأخير من ١٩٢٢ ، لم تشهد لجنة التمييزات ولا مؤتمرات الحلفاء إلى أي حلول وسط .

ومصاعده التوتر في ديسمبر ١٩٢٢ عندما أعلنت لجنة التمييزات وصفه تأييد ثلاثة أعضاء واعتراض عضو واحد هو (انجلترا) تقصير ألمانيا في توريده الأفضلية ، ولم يحدث أي اختلاف حول ما حدث من تقصير أو أساءه ، وعلى عكس ما تردد في الصحافة التاريخية ، بأن

التصريح في توريد الأخشاب كان عملا جسيما ، حتى وبالرغم من أن حصص الخشب قد زوجت في كثير من الفئات على أدنى النصوص المقدمة في الألمان ، ولم يحدث خلاف أيضا حول تصدير أسياخ القصور ، الذي دل على وجود سوء نية عند الألمان . غير أن بريطانيا عارضت إعلان التصدير خشية أن يؤدي الإعلان إلى اندلاع الحرب . وكان الاجراء المبدئي الوحيد ، للاتفاق الودي ، احتلال حوص الروهرس ، والذي مارسه بريطانيا ممارسة شديدة عندما اقترب موعد تقديمه . وبمما لم يتخذ أي إجراء فعلا لمواجهة التصور في عملية توريد الألمان للأخشاب ، إلا أن إعلانه أثار مظاهرات حامية حول الاعلان الرسمي عن حدوث قصور في الوفاء بتوريد الفحم في يناير ، بعد أن قد سبر فرنسا ، وسم الرعاء الفرنسيون على اعتبار عملية تكرار التصدير عن توريد الفحم ضررا للأرقام على تنفيذ معاهدة غرساي بحدودها ، وكانت حصص الفحم تسلم شهريا . وولت ألمانيا يومها في يناير وأكتوبر ١٩٢٠ ، ولكنها فيما عدا ذلك قصرت بانتظام ، فكانت تسلم هذه الحصص بمقادير متفاوتة بالرغم من المراجعات التي أسفرت عن إجراء تخفيضات عديدة في الحصص المقررة ، وبخاصة - بعد أن غلقت ألمانيا حقول الفحم في شيليزيا . لذا بلغ عدد مرات التصدير في تسليم الفحم في بحر ستة وثلاثين شهرا (في يناير ١٩٢٢) ٣٤ مرة .

وفي يناير ١٩٢٣ ، اتفقت دول « لاتفاق الودي » في باريس ، وقدمت كل بلد - معاهدة بلجيكا - مطلقا وشرته على الفور ، وبذلك انتهت حساسة الرأي العام في كل مكان . وجاءت الحقبة الألمانية - التي قدمت ميثاقا لأرض الراين حجت به ميثاق لوكاتزو - محاولة غير ناجحة للإلهاء عن تصدير ألمانيا في دفع التعويضات . وطالبه مطلقا فرنسا وإيطاليا بتوقيع عقوبات اقتصادية محدودة ، وبإقامة وحدة تستند إلى « الاتفاق الودي » . بالرغم من أنه فرنسا قد أعلنت أنه في شبة أي اتحاد كامل ، فادها مستتخذ خطوات شديدة ، واستتبعه الإنجليز المخططين جاليا ، وأصروا على اعتبار مشروعات الأسماء للمشروع الأوحده الذي يصلح قاعدة للتفاوض . وقبل رئيس الوزراء البريطاني الجديد ألبورن يونغولو الذي كان حريصا ومهذب الخيرة بالمقويات وغارقا لأذنه في السياسة الداخلية والأزمة التركية ، قبل خطة جيون براد يرى المفوض البريطاني في لجنة التعويضات . وكان هنا المشروع مجرد صورة أخرى من مشروع آخر سبق أن رفضته فرنسا ، ووصفه الألمان بأنه « يتخذ النفيذ » . وكان مقبلا لدرجة تتلذذ لها ، مما دهم كابل برجمان الخبير الألماني إلى التامل والقول بأنه يفضل دفع التعويضات

على قديم زناد فكره لفهم مشروع براد بيرى . وكان من بين عناصره غير المستساعة الأخرى امكان قسمة المشروع البريطاني على جميع المناطق التي ستجيبها بلجيكا من التوقيضات . بعد ان منح المانيا حق الاعتناع عن الدفع نقداً وعينياً لمدة اربع سنوات (اى صنف ما طلبته في ديسمبر) دون الاستناد الى أية ضمانات انتاجيه . ومطالبته بالالفاء الصريح لمسلطات « ج » (وهو اجراء صعب التنفيذ من الناحية السياسية) ، واتخاص صعد افراد هيئة التوقيضات ، واعادة تشكيلها لانهاء غربة الفرنسيين فيها ، ومنح الانجليز حق فعلاء سياسة اتفق الجانبان على التوقيضات غير الألمانية . ولما كانت هذه الخطوة قدسعت الى نهاية الأمر تصفية التوقيضات ، لذا لم يكن ينفور سياسة أوروبا قبولها ، واستمرار بقدرهم في ماصيهم ، ولم يقرها احد ، وعمل المؤتمر .

وفي ٩ يناير ١٩٢٣ ، أعلنت هيئة التوقيضات حدوث تصغير في تسليم الفحم (وكانت نتيجة التصويب ٢ : ١) وصيغت في نفس الاقتراح على احتلال حوض الروهر . وفي ١١ يناير ، سئل الفرنسيون والبلجيكي والاطاليون حوض الروهر للحصول على الفحم بمحتويين بعض قوات الطوارئ من الفرنسيين والانجليز . ورفضت انجلترا مؤلفا بمتفرج ، ورفضت الاحتلال بوصفه لاحاقيا وغير مشروع ، ولكنها قدمت بعض التفسيرات للممارسة هي وهذا الرفض عندما واجهت على استعمال خطوط السكك الحديدية الألمانية في ارض الراين . وبينما اعتبرت وجهة نظرها على اساس اجلاقية في اغلب النش . فان الرأي القابولي الانجليز قد استند أكثر من ذلك على تفسير بعض الرعاة الانجليز لمعادية فرنساى أكثر من اعتمادها على ما قائته بالفعل . وعلى الرغم من عدم امكان وضع القرارات موضع التنفيذ لاستحالة تحقيق اجماع في الراى بين وعبد التوقيضات ، الا ان أية قراءة دقيقة لمعادية فرنساى تبين شدة اعتماد نظرية الانجليز على أساس مشروع .

ولما كانت المقاربة السلبية الألمانية لاحتلال حوض الروهر قد تصاعدت وتحوّلت الى عملية حربية رئيسيه ، لذا رفضت بريطانيا الانعياز الى أى طرف . ومن ثم طالبت الأزمة وأوغرت صدور الطرفين ، وختم يوناتلو (رئيس وزراء بريطانيا) حدوث فجوة في العلاقات مع فرنسا ، ورفض الاعتراف بوصول هذه القوات . ولما كان قد وشب عوق كل شئ ، آخر عدم وصول الحلف الى حد التفاهق وتعدى رأب الصدع . لذا لم يتخذ أى قرار لصالح أى طرف من الطرفين . كما أنه فشل في فهم وجهة نظر رئيس الوزراء الفرنسي الميسوريمون يونكاريه ، وتحامل يوناتلو القرائن التي يمتدح سمي يونكاريه لتجنب مثل هذه الخطوة

العديدة الوطنية - ولم يدرك قط أنه لا اشتراك مع اليمين الفرنسي ،
 وبخاصة الكسندر ميرابو (*) غامه قد أوغم بوانكاريه على حصول حوض
 الروهر بأن بعض الحصول الأكثر اعتدالا ، وبسجرد ابعاد الحصول ، إدراك
 بوانكاريه أن فرنسا قد نهبت آخر ورقة في جيبها ، وأنه من الواجب أن
 تبيع ، لأن البديل سيكون هزيمة صراحة ، إذ كانت فرنسا أمام
 خيار من ألمانيا ، كما يجب من انخراطها الفشل رغم الأمان على تسليم
 حوض الحرب المزعومي والحصول على قبول ألمانيا لطعرات عسكرية
 من المعاهدة ، أو الحصول على أي مشاركة فعالة في عمليات التصدير
 المكلفة للمناطق المهذبة في فرنسا - ولو أن ألمانيا لم تدفع التوجهات ،
 وخضعت بعض الأعباء من فرنسا ، لأدى تهوكتها الاقتصادية الناجم ،
 بالإضافة إلى ما حدث من تضخم متزايد لمعاهدة فرنسا إلى قلب ميزان
 القوى رأسا على عقب ، وعندما طبق بوانكاريه العقوبات على ألمانيا في
 آخر الخفاف ، واحتل حوض الروهر ، غامه كان يقوم بمحاولة أخيرة
 لإرغام ألمانيا على الاعتراف بهزيمتها في الحرب العالمية الأولى ولجوبها
 معاهدة فرنسا ، وكان يدرك تمام الإدراك أن المشكلات الأساسية لا تنصب
 على الفحم والخبث ، ولكنها تخص بالأحرى استمرار سريان المعاهدة
 وانتصار فرنسا في الحرب ، ولم يدرك الانحياز البتة أنهم يتعاملون
 امتدادا للحرب العالمية الأولى ، ولما كانوا لم يدركوا المشكلات الأساسية ،
 ولم يدركوا أيضا حاجة فرنسا الحقيقية للفحم ، والمال ، لذا لم يتكاثروا
 من تفسير لماذا طار صولف بوانكاريه ، وتجهيم ، عندما تنازلت إيطاليا
 وبولجيا ،

وأعلن البريطانيون الذين كسبوا معركة الدعاية - كما لا يخفى - أن
 احتلال حوض الروهر عملية غير مبررة ، ووقعوا في ضلال عندما قدرنوا
 إيرادات حوض الروهر بمجمول لندن للدفعات ، وتجاهلوا أن حصول
 لندن على هذه ، ولم يعد بالإمكان احتياؤه ثانية ، وأن الاختيار الذي
 أصبح ميسورا لهم الآن هو بين إيرادات الروهر أو لا شيء ، والواقع أن
 احتلال الروهر عملية مبررة - حققت فرنسا مقاصدا في المعاهدة ،
 ولكنها حققت أرباحا طائلة بعد مقاومة صلبة - فبعد استبعاد المساهمة
 وتكاليف احتلال أرض الراين ، نتضح أن ما حصلت عليه القوى الثلاث
 المشتركة والولايات المتحدة صافيا من حوض الروهر قد بلغ حوالي
 تسعة مائة مليون مارك ذهبي ،

(*) Stenno Alexandre Millerand (١٨٥٩ - ١٩٤٢) سياسي

ومصلح فرنسي -

واستفاد آخرون أيضا • فلما كانت الحكومة الألمانية قد مولت المقاومة السلبية من حزانة خاوية ، لما بلغ المارك حد الخراب ، وكان التضخم الخرافي الذي نجم عن ذلك من نتائج السياسة الألمانية ، ولم يكن نتيجة للاحتلال بالذات • ويسر التضخم للحكومة الألمانية دفع ديونها المحلية ، بما في ذلك قروض الحرب ومشروعات الدولة مقابل ماركات لا قيمة لها • وكسب بعض أشخاص مصرفون من رجال الصناعة المقربين من مجلس الوزراء الألماني أرباحا طائلة أيضا ، واستفاد الاقتصاد البريطاني المحتل كذلك بدرجة كبيرة من تفكك الصادرات الألمانية ، وإن كان المسئولون الرسميون البريطانيون لا يعترفون قط بعلم الحقيقة ، حتى يبلغهم وهي أنفسهم • فلما كانوا مقتنعين بأن بيئتهم الاقتصادية لا تتصل بأية صلة بالعائلة المبررة (يعنى معاهدة ترسانى) لذا لم يتوقفوا أبدا عن الدعوة لحل الأزمة •

غير أن دعواتهم قد أصبحت ضرورية بعد أن ألف جوستاف اشترومان حكومه جديدة • وتحلّى عن المقاومة السلبية في سبتمبر ١٩٢٢ ، وما لبث أن أنهى التضخم • وبات واضح تعطيل جديد للتوصيات أمرا ضروريا إلى جانب إعادة بناء السياسة المالية الألمانية • ووضح مشروع لاتزاع حوض الروهر من أيدي فرنسا وبلجيكا ، وما لبثت قوى أخرى أن شاركت لتخفيف وطأة الدمار الذي حل بألمانيا ، وشيئا فشيئا ألقت فرنسا نفسها بمنزلة • وساعد هبوط قيمة الفرنك على زيادة وزن مركزها الدبلوماسي ، وهناك أوضح الرئيس كالفن كوليدج (٣) أنه بالتدور اشتراك الخبراء الأمريكيين بالمساعدة كمواطنين بصفته الشخصية لوضع خطة جديدة للتوصيات حتى تيسر المشاركة الأساسية للمصارف الأمريكية • كان لابد أن يحدث قدر معين من رد الفعل لذلك • وحاول بوانكاريه تعطيل تنفيذ هذه الفكرة ، وتمكن من اتخاذ الاجراء ، لكنه لم يكن قادرا على العبولة دون وقوع ذلك ، وهكذا بدأت لجنة (٥) العمل في يناير ١٩٢٤ • ودلت وأثبتت جهودها أنه ليسا يصح القول بأن بوانكاريه قد كسب الحرب ، إلا أنه قد خسر السلام •

وهملت خطة دوز في ٩ إبريل في مستويين ، وتدين تفاصيلها التقنية الدقيقة بالكثير للدراسات الطبيعية (٣) في ١١ يونيو ١٩٢٢ ، التي أجريت من المصادر المحتملة لارادات التوصيات ، بينما تصد التسوية السياسية - أساسا - والتي احتوت على فقرات غامضة متصلة

Calvin Colledge. (★)

281212. (★★)

من وضع خير أمريكي (ارن ٠ ٥٠ ٠ يونج) - وعلى الرغم من أن لجنة
 دوز قد بينت أن مشكلة احتلال الروهر خارجة عن نطاق جدول أعمالها ،
 إلا أنها قد احتوت - ضمنا - على اقتراح بالإنهاء الفوري للاحتلال
 الاقتصادي ، وتخفيف الاحتلال العسكري ، بحيث يقتصر على قوة رمزية
 (لا تعداد وجه الفرص) ، وطالبت الخطة بأقامة تنظيم كاملة للمالية
 الألمانية ، على أن تخضع للاشراف الخارجي ، وتقديم قرض كبير لألمانيا ،
 وتسيير مغرض عام لتعويضات في برلين للاشراف على التنظيمات الاثرافية
 للسلطة ، وطالبت الخطة بزيادة الإيرادات حتى تتمكن من دفع التعويضات ،
 مع رضى الصناعة الألمانية وسكك حديد الدولة ، وعودة الحكومة الألمانية
 للاقتراض من الخارج ، وفرض ضرائب كلسحة لانهاء الانحراف
 (وانهاكات معاهدة فرساي) كما يجب من فرط تدنى معدل الضرائب في
 ألمانيا بالقرارة بما يمانها في الدول المنتصرة ، وبينما أثبتت بعض السياسات
 عكس ذلك ، إلا أن الواقع قد أثبت أن انماج تكاليف الاحتلال ونفقات
 اللجنة وجميع المصاريف السابقة الأخرى تمت اسم التويضات الألمانية
 السنوية قد خفض من المجموع الكلي لهذه التويضات ، بالرغم من أن
 حجم التخفيض لم يمد واضحا ، وأن مدة سريان الخطة لم تتحدد ،
 وطلب من ألمانيا دفع بليون مارك في السنة الأولى ، من القرض الدولي
 أساسا ، ويرداد مقدار المبلغ المحصل بعد ثلاث سنوات ، ويضع مليونان
 ونصف المليون ماركاً ذهبياً لمدة سنة ، وفيما بعد يطلب من ألمانيا دفع
 بليونين ونصف البليون ماركاً مضافاً إليها نسبة مئوية لتحدد بالرجوع
 إلى دليل مصلح يسترشده منه على مدى وفاء الألمان بموادمهم

أما مسألة المطالبة بفرض ضريبة مكافئة في منطقت دوز ، فكانت
 هلا سياسياً خفياً على فرار ما حدث في سنوات « ج » في حدود لندن ،
 ولم تعرض معدلات ضريبية مكافئة للمعدلات السارية في البلدان المنتصرة
 لأن الخبير البريطاني الرائد سبرجوشيا متعصب قهر احتمال تحقيق مثل
 هذه المعدلات فاقضا يمكن الانشاع به في التويضات بمقداره أربعة ملايين
 مارك ونصف في السنة ، ورأى أن هذا المقدار يلوغ ما بالأمكن تحويله ،
 وكانت مشكلة التحويل (يعني الصعوبات المتضمنة في تحويل موارد
 حقيقية من بلد لآخر ، أو بمعنى أصح لتحويل الثروة الألمانية إلى عملة
 احتسية للتعويضات دوز - حظ من قبة المارك) مشكلة ابتلى بها تاريخ
 التويضات ، وساعدت على الحملولة دود دفعها ، وبوجه عام ، لقد لاذ
 بالصمت فيما يتعلق بالاستئثار على نطاق واسع لرأس المال الأجنبي في
 ألمانيا قبل التمسج التي حظ اثر احتلال حوض الروهر وبعده ، حين
 تقدموا لاصحاب مياحية وادوا ضرورة إقامة الرأبيل أمام تحويل

التعويضات . إذ كان هذا الاستثمار يمثل تحويلا لأموال حقيقية فقلدها المستثمرون لأحابيهم بعد أن استعمل التضخم أو الامساع عن تسديد ديون التعويضات ، وقد تزوجت معها ألمانيا بعملة أجسبة لدفع التعويضات ، أما مدفوعات الأكلان ذاتها ، فإن صعوبات التحويل التي ظهرت عند دفع السحبون الأول (١٩٢١) ، والتي مثلت المدفوعات الأولى التي لها قيمة قبل أن يسرى مرسوم محظوظ ، فقد كانت مدفوعة الى حد كبير من ألمانيا كمحاولة للتهرب من التعويضات . وفي اواخر عهد التعويضات ، بعد تخصيص المدفوعات ، بناء على ما ورد في خطة بونج ، فإن التحويلات لم تحدث أية مشكلة ، قطبنا لما جاء في خطة دور ذاتها ، فقد نجحت الحماية ضد الصعوبات المحتملة للتحويلات ، بعد أن تحدث قيام ألمانيا بدفع التعويضات في تلك الرابع الألمانى الجديد ، وتقويض لجنة تحويلات الجلفة التي يرأسها المفوض العام الأمريكى للتعويضات بتقرير المرحوم الذى استطاع فيه اجراء التحويلات بطريقة آمنة .

وعندما صدرت خطة دوز في ابريل ١٩٢٤ ، أصبحت البلدان المعنية على عدم التحصن لها لأسباب شتى . وإن كانت كل بلد من هذه البلدان قد قبلتها لعدم عتورها على بديل لها . وبعقبت معلقة حساسات آليات تطبيقها ، وإعادة تكوين لجنة التعويضات ، والترتيبات لاجلاء فرنسا من سويس الروجر . ولم يبت في هذه المسائل الا في مؤتمر لندن في يوليو وأغسطس ١٩٢٤ . وبعد القرار الذى اتخذه حين ذاك انتصارا شخصيا للمسيح دامزاي ماكفونالد رئيس الوزراء البريطانى ، الذى يستأهل التقدير لأنه أرضى المتبرعين ودفعهم الى قبول حل وسط ، وإن كان افتقار الوزير الأول الفرنسى ادوارد هريو للخبرة هو الذى ساعد على تبسيط مهمة ماكفونالد . ومع هذا فقد حدثت ضغوط حاسمة من وراء الستار قام بها صتلو شركة ب . مورجان التى كان رضاؤها ضروريا لدفع فرض كبير لألمانيا كما نصت خطة دوز ، وفضلا عن ذلك ، فقد واسل الفريك الفرنسى الببوط ، واحتاجت فرنسا - بالحاج - الى قروض من المصارف الأمريكية ، كما احتاجت لموافقة مورجان . وهكذا اضطرت فرنسا لقبول المشروع النهائى بالرغم من أن وكلاء شركة مورجان طالبوا ببعض التعديلات التى تصعب موقع أية عقوبات مستقبلا ، في حالة التقصير ، لأن القروض الأمريكية كانت مستحقة ٢٥ سنة ، بغض النظر عما يحدث في أمر التعويضات ، وأوغست الأثرة المالية والمزلة الدبلوماسية فرنسا على ابتلاع أى شروط غير مستساغة . وكما لاحظ أحمد الانجليز المتخصصين : « لقد هذا مؤتمر لندن لرجل السيلار الفرنسى استمرامنا سافلا لتتخلى عن غلفائس التى كانه يستر بها » . فقد رأى كيف تخلى

المسيو هريو عن الاحتياجات التي حققت العناية للفرنسيين في لجنة التصويت ، الواحدة تلو الأخرى ، كحق توقيع القويات في حالة حدوث قصير من الألمان ، والاحتلال الاقتصادي لحوض الروهر ، وحلوط السكك الحديدية الفرنسية البلجيكية ، وأخيرا الاحتلال العسكري لحوض الروهر في بحر سنة واحدة ٠ ٠ ٠

وبفضل خطة دور ، تمكنت ألمانيا يوما من مواجهة التراماتيا بالكامل تقريبا ، ويرجع الفضل في ذلك الى حد كبير الى سبيل القروض الأجنبية التي تساهل على أقل تقدير هي والمبالغ المأثية الى دفعته من قبيل التعويضات ، وكان يحدث في كل سنة بمقدار عشرين في المائة لا يكون متساويا والتكليف الأخلاقي ، ولكنه لم يرتفع الى درجة نثر الاعتزاز ، غير أن ألمانيا نظرت دائما الى الخطة على أنها إجراء مؤقت - كما لاحظ الفرنسيون - وكانت تأمل في مراجعتها قبل أن يصبح الدفع مفرما ، وبعد أن طالب للحوض العام للتعويضات بمشروع أكثر استمرارية في أواخر ١٩٢٧ ، قسمت ألمانيا احتلالها المبرور ١٩٢٨ ، أي عندما التزم بمرجع دفع القسط للقرود وفدوه عليان ونصف المليون من الماركات ، وفصل على ذلك ، ففي ١٩٢٨ طالب اشتريمان مراحة بالإحلال القوي غير المشروط لحوض الراين ، ولا أحس زعمه فرنسا - بعد أن أصابهم الأزمة المالية بلمحة قوية (١٩٢٦) ولشموهم بأن المساومة على إخلاء حوض الراين قد ضمت أثرها - بعد أن اقترن الموجد المحدث في المساعدة للاستحباب - قرروا الانتفاع بالمبادرة بالنسحاب القوات العسكرية الفرنسية ، وتأمين موقفهم المالي ، وهكذا طالب المشروع المقدم لاجتماع جنيف الذي حضرته بعض البلدان لتوقيع ميثاق التفاهم مع الألمان بوضع خطة دائمة للتعويضات النهائية ، وطالب أيضا بالإخلاء المكنر للراين ، وتعيين لجنة لتقصي الحقائق تتولى بحملات التفتيش المستمرة للمنطقة المزروعة السلاح .

ولما كانت خطة التعويضات هي المبدأ عناصر الصلحة ، لما رأى البلد بالنظر فيها ، وبناء على ذلك اقترحت اللجنة التي رأسها أولين يولج أعداد خطة جديدة في ربيع ١٩٢٩ كمحاولة ، لتتصلى النهاية لأفكار الحرب ، ونسوية مسائل ما بعد الحرب ، ونصت الخطة على أن تتولى ألمانيا دفع أقساط سنوية بمقادير متفاوتة ، تقل جيها عن الرسم السابق اقتراده في خطة دور (٢٤ بليون مارك) لمدة ٥٩ سنة ، وهي المدة المزمدة لدين الحلفاء لأمريكا ، وتشتمل هذه الأقساط على جميع المصاريف بما في ذلك خدمات قرض دور ، وراعت الخطة تحديد مبلغ ٦٦٠ مليون مارك (نحو الثلث بوجه عام من كل قسط

مستوى) يدفع دون قيد أو شرط . ويؤجل الباقي في حسابات الضيق الاقتصادي والمال . وساعتئذ هذه الوسيلة على مبد الفجوة بين توقعات (ميثاق التفاهم) ورؤيا المائيسا لما هي كقوة على مبداده . ولم يلتفت لمطالبة الرئيسين بتأمين حصولهم على استحقاقاتهم ، واكتفى بسلحهم خمسة أسداس أسماطهم السنوية غير المتروطة . وفضلا من ذلك ، فقد نجحت المائيسا في تخفيض الأقساط السنوية للمبوعات العشر الأولى الى ما هو أقل من بليون مارك ، اد كانت تتوقع من هذه الأئساء إما إلغاء التوضيحات بهاتيا ، أو اجراء تخفيض آخر خلال هذه الفترة ، وأجريا حدثت محاولة للنظر الى مشكلة التوضيحات على أساس تجارى صرف ، بعد أن خفت حدة حياية التحويلات بقدر جوهرى ، وألغيت لجنة التوضيحات ، وهيئة الاشراف الخاصة « بنور » إلغاء تماما ، وحل محلها مصرف التوضيحات الدولية في مدينة بازل بسويسرا لتلقى التوضيحات وبوزيمها ، بالإضافة الى الاضطلاع بنور وكالة للصلوات بين اخصاف المركزية ، وكانت الحاجة ماسة لوجود مثل هذه الهيئة ، ومازال البنك موجودا كدكاكر أنرى للقضية التوضيحات ، ويططلع بشأنى الأدوار التى أشرنا اليها .

والشغل مؤتمر هيج الأول بتطبيق خطة يونج فى أغسطس ١٩٢٩ - الى حد كبير - بتزاع دول « التفاهم » حول توزيع الحصص الثلاثة ، وبالمسائل السياسية المتعلقة بهذه الناحية . وكان ما أفرى اشتريمان - الذى هدفت غايته الى « اخلاء حوض الراين دون قيد أو شرط » استنادا الى شرط آخر وهو اجراء تخفيض آخر فى مدفوعات التوضيحات - هو تأليف ودارة معالية جديدة فى البجلترا ، التى نجحت فى صماها الحصول على نصيب الأسد من الأقساط السنوية المتروطة . والى أعلنت احتمال السحاب القوات البريطانية من الراين قبل حلول عيد الميلاد ، ولم تظهر الا القليل من الاعتماد بأمر فرنسا . وهكذا اضطرت فرنسا الى التخل عن بملة تقصى الحقائق وتقديم موعد انسحابها من حوض الراين ، حتى يتسنى لها كسب التسوية المنخفضة للتوضيحات والتى يقتضىها أبدا دائمة . وعلى الرغم من اتخاذ بعض القرارات الاساسية فى شهر أغسطس . الا أنه بات من الضرورى عقد مؤتمر كان يهيج فى يناير ١٩٣٠ لحسم الأمور ، ووضع تسوية شاملة لتوضيحات البلدان غير الألمانية . وفى هذه الأئساء ، اشتمت حدة الملء لخطة يونج يكالاليا ، وقد عبر عن ذلك الاستفتاء الذى جرى فى ديسمبر ١٩٣٠ ، وأندى استغله أنولف هتلر لفتت الأنظار اليه ، وأثاروا القياء الكفاة .

وكسب هتلر بفضلها تمويلا قويا من مصنعك البين ، وبعيدا عنه ، لكن
 ١٩٣٥ مليوناً من النازيين ماوشتهم لحظة يونج . وعلى الرغم من أن هذا
 الاجراء قد أثار التساؤلات حول النوايا الطيبة للألمانيا مستقبلا - والتي
 تمه الضمان الوحيد لتنفيذ الخطة - إلا أنه لم يلع التصديق الألماني على
 الخطة ، التي كانت مصممة بحيث يبدأ تنفيذها في أول سبتمبر ١٩٣٩ ،
 ولكن تنفيذها بدأ ياتر رجى . فكانت الدنيا تسمع أقل من نصب ما هو
 مستحق عليها تبعا لحظة دوز ، وكوفلت نظير قبولها هذا التخفيض
 باغلاة الراين في ٣٠ يونيو ١٩٣٥ .

وعندما انزلت ألمانيا الى الأزمة الاقتصادية العادة التي جاءت في
 أعقاب انتحابات سبتمبر ١٩٣٥ ، هكف الرعاش الألمان على الحصول على
 الاطف من دفع التويضات ، بالرغم من أن الأزمة المبدئية للائتمانات داتها
 فرجع أساسا الى الهروب الدوامي لرأس المال كرد فعل لتجاذع هتلر في
 الانتقابات ، ولكنها لإتراجع الى التويضات - ولا كان الفرنسيون قد
 تصدوا لهذا الاجراء بوضع شروط سياسية ، وبخاصة فيما يتعلق باقتراح
 القسامة جسر كمسوى للنازي ، لذا انتهى الأمر الى العرض مازل يسمع
 الرئيس هيربرت هوفر في التفطب عليه عندما اقترح لجنة اعلان
 اللوراتوريوم لمدة سنة تماما بحلول يوليو ١٩٣٦ على القروض التي تجري
 داخل الحكومة . وبمثل هذا التوقف عن الفلح رد فصل المستثمرين
 الأمريكيان لمواجهة الموقف المتدهور في ألمانيا ، وقصد به ضمان تأخير
 الاستثمارات الخاصة التي كانت معلقة من اللوراتوريوم بصفة خاصة ،
 لصاري القول ، فيالنسبة للملندان الثالثة ، بما في ذلك أمريكا ،
 وفي وضع الاستثمارات الخاصة في صدر الجسادات العامة .

وأدركت فرنسا ، التي كان من المتوقع أن تعاني حساسة لأدلة
 من جراء تملك المشروع ، أن التويضات يمحرو وقفها ، فانها لم تستأنده
 وبالإضافة الى ذلك ، فانها كانت تأمل الحصول على موباتوريوم (توقف)
 سياسي عن مراحمة المعاهدة ، أي وقف إعادة تسليح الأسطول الألماني .
 وأقامة الاتحاد الجسركي في مقابل التوقف عن دفع التويضات ، وكان هو
 منوط ، استجبت فرنسا على اقتراح هوفر ، ولاحظت أن مشكلة ألمانيا هي
 الدين ، وليست التويضات ، وأنه حتى في حالة وجود التويضات ،
 فإن المراتبة الألمانية يتقدموها تحقق التوازن المشهود بعكس مبالغات
 معظم الملندان الأوروبية . فمن المؤكد أن جاستطاعتها دفع القساط متتوية
 غير مشروطة ، وكانت ألمانيا تتوقع حتى دفع مثل هذا المبلغ الكبير . فقد
 سلحت وزارة المالية البريطانية بتمتع للاليا بهذه القدرة ، ولكنها أصرت

على القول بأن المستثمرين لن يرضوا بما هو أقل من « المورتوريوم » ،
يبد شعورهم بالارتعاج ، ولاصاد ما وجه فرنسا ، وللحفاظ على اعرافه
الشوائية من استمرار النتح ، أصدرت ألمانيا صكوكا تنص على امكان
دفعها التعويضات نفسها ، وبذلك أصبح المورتوريوم سائر المقبول .

وخلال السنة التي أعلن فيها حوفر المورتوريوم ، تقام الكساد
العالمى . ولما اكتشف حوفر انه من المستحيل سياسيا إعادة مديرة
المورتوريوم فى سنة الانتخابات الأمريكية ، دعت بريطانيا وفرنسا
فى وقت متأخر دول اتفاقية التفاهم هي والمانيا للاتفاق فى لوزان فى
يوليو ١٩٣٢ لوضع تسوية دائمة . أما ما قاموا بإيجازه فكان انحسب
من الخيال . إذ طلب من ألمانيا مقداراً من المال كمدفوعات تقدر بثلاثة
بلايين مارك ذهبي . بعد التصديق على الاتفاقية ، التي لم يصدق عليها
قط ، لأن المستفيدين الرئيسيين الأربعة دفعوا اتفاقاً بعدم احراء ذلك ،
الى أن يتم الحصول على قرض الفوت من أمريكا ، وعرف أن هذا المطلب
مستلزم التحقيق . وبذلك أصبحت اتفاقية لوزان حبرا على ورق ،
ولمينا بعد ، ظلت الأحداث على مسألة التعويضات . بعد أن بدأ واضحا
للجميع عدم جدوى دعوة هتلر لمناقشة مسألة المدفوعات ، ولم يتم
انفاء التعويضات رسميا قط ، ولكنها انطوت فى ذوايا النسيان ، بعد أن
كواحدة أنظر الجاهل أنها مسألة بعيدة عن الواقع .

وبعد ماهدة لوزان ، لاقت التعويضات حتفها ، وإن ظلت المشكلات
التي صممت لحلها باقية . وجاءت النتيجة النهائية لاحصاق الألمان فى
دفع التعويضات بمقادير لا بأس بها فى صورة تحول الذهب على كاهل
المختصرين لو كان مازال من الضروري دفع تكاليف إعادة بنسأة وتعمير
المنطق المنكوبة ، ودفع ماضيات للمحاربين القدماء الموقوفين وأرامل
الحرب . وعهد بهذه المهام الى قروض الحلفاء ، وبذلك دفع المختصرون
الذين فى نهاية الأمر . ولا يخفى أن النسخة الصافية للحرب العالمية
الأولى وتسوية السلام هي الزيادة الضائلة لغرة ألمانيا النسيية فى أوروبا .
وبصفة بالنسبة لجبراتها المباشرين . وكما لاحظ جراحات فاندبرج :
« لقد أدى تحويل عبء التعويضات من كاهل ألمانيا الى أعدائها الى تركيز
هذا العبء » .

والى جانب تعزيز التفوق الاقتصادي لألمانيا ، فقد خلق تاريخ
التعويضات استقحالا فى المظاهر النيودرامطية تنص فى تلال من
المستندات العظيمة والكثير من المروءة والنفاية التي لم تقف عند حد ،
خلق خرافات تاريخية فلكت الحمد ، وما يوفى عن حشرين بليوناً من

المراكات المغربية ، أو ما يلحق خمسة بلايين دولاراً ، كانت تحول في الأغلب من القروض الأجنبية - وانتهى الأمر بعدم اعتراف هتلر بدينير منها - وكان من الواضح أن بقنود ألمانيا - لو أودت ، إذ ترفع قنوداً كبيراً ، وبخاصة لأنها لم تستطع إلا القليل من مواردها الهائلة - غير أن ألمانيا رأت عدم وجود ما يدفعها للدفع ، واعتبرت مسألة التوضيحات من أولها لأمرها إمامة بلا مسوغ ، ولما حل كان من الحكمة الممضى وراء الحصول على توضيحات من ألمانيا ؟ لمسألة تحتمل الخلاف . وإن كانت عواقب علم السعي لذلك ربما كانت أوسع عاقبة ، عندما أثبت الاتفاق في الحصول عليها بمرور الزمان . وما من شك أنه لم يكن من الحكمة إلحاق الإحالة دون الاستناد إلى إجراء إرغامي صارم ، على أنه يسه البحث والتحقيق ، ورغم أن مطالب التوضيحات قد قصد بها تحويل الثروة الاقتصادية الحققة من ألمانيا إلى المنتصرين إلى قوى لدميرية تحت إمرة المنتصرين - ورغم التفتيدات المالية للمشكلة ، إلا أن مسألة التوضيحات في صميمها كانت مشكلة سياسية ، يعني : الصراع على السيطرة على الكثرة الأوروبية ، والمخاطة على القرار العسكري ١٩١٨ . أو العكس .

وبعد أن شرد ذهن المؤرخين من جراء تعقيدات مسألة التوضيحات ، فانهم إما تجاهلوا الكلام في هذه المسألة تجاهلاً كاملاً ، أو لجؤوا إلى التكبر على بحث فترة ألمانيا على الدفع ، غالباً على أساس الفرضيات مشكوك فيها ، بدلا من أن يوجهوا الاهتمام إلى المسألة الأكثر ارتباطاً بالمشكلة وهي رغبة ألمانيا في الدفع ، أو تعميمها على عدم الدفع ، لو توخينا الدقة في التعبير ، لقد أدرك زعماء ألمانيا بكل جلاء ما تعرضه مشكلة التوضيحات - ضمناً - من عواقب سياسية ، ومن ثم كرمسوا جهودهم من البداية للنهاية على تجنب الدفع ، أو تضييق المدفوعات ، ولما غدا الجو السياسي أكثر اتساعاً بالروح المتوافقة لمبدأ الانسحاب إلى القوة إبان العشرينات ، لذا شقت في نهاية الأمر طريقها في مسيبل تأكيد وجودها وتكديس في سبيل ذلك تمداً باعظا ، تكبدوا الآخرون أيضاً ، فلما كانت لا أماناً ولا يلدن وسط أوروبا قد توافرت لها ثمة الدافع ، لذا انكشفت مسألة التوضيحات أن أن قضيت لبعها ، ومبطل التاريخ الملموس للتوضيحات يعبر المؤرخين ، ويثبت أيضاً عدم جدوى فرض مدفوعات ضخمة على بلدان أما أصعبت بالفاقة ، أو بالتبرم ، وتوافرت لها القوة الكافية لترجمة هذا التبرم إلى خاتمة فعالة .

- D. H. Aldcroft, *From Versailles to Wall-Street : The International Economy in 1920* (1976).
- E. W. Bannett, *Germany and Diplomacy of the Financial Crisis 1931* (1962).
- R. E. Bunsemeier, *The Cost of the War 1914-1919 : British Economic War Aims and the Origins of Reparations* (1975).
- M. L. Dockrill and D. Gould, *Peace without Promise : Britain and the Peace Conferences 1919-1923* (1981).
- C. Kindleberger, *A Financial History of Western Europe*, (1984).
- C. S. Maier, *Recasting Bourgeois Europe . Stabilization in France, Germany and Italy in the Decade after World War I* (1973).
- K. L. Nelson, *Victory Divided : America and the Allies in Germany 1918-1923*, (1976).
- D. P. Silverman, *Reconstructing Europe after the Great War, 1902*.
- J. A. Schuker, *The End of French Predominance in Europe . The Financial Crisis of 1924 and the Adoption of the Dawes Plan* (1976).
- M. Trachtenberg, *Reparations in World Politics . France and European Economic Diplomacy (1910 — 1923)* 1980.

تجنيد المناضلين وتدريبهم في بداية عهد النازي

ريتشارد • في • هاملتون

من أين يجتلب الحزب الاشتراكي القومي أعضاء المناضلين إبان
عشرينات القرن العشرين ؟ والسؤال عويص ، لأنه في يواكيم الهفد بدأ
الحزب النازي وكأنه مجرد حزب آخر من الأحزاب السياسية المتطرفة التي
للهرب في جمهورية فايمار المضطربة • ويعرض ريتشارد • في • هاملتون
صورة مختلطة من بوغيات الاضطراب الذين انضموا للحزب ، وساعدوا على
نجاحه ، بدءاً من استغلال تصوره من بعض الدراسات الحديثة الظهور
والبيئة في البينيلوجرافيا • وتمثل الصورة التي استخلصها المؤلف رجلاً
حاربوا في الحرب العالمية الأولى ، ثم انتقلوا إلى كتائب للتطوعين (١) ، وانتهى
الأمر بعد تسريح كتائب التطوعين بالزج بهم في الحزب الاشتراكي
القومي (٢) • لقد كانوا النسا ممن لاأوا صعوبات جمة للتوافق مع الحياة
المدنية في جمهورية فايمار • وكثيراً ما تعرضوا لصعوبات عند بحثهم عن
عمل • ولقد أدت تجربتهم كمتجندين إلى الجيش الألماني الهزيم وكثرت
في الجماعات العسكرية غير النظامية التي اعتادت التنظيم في يواكيم عهد
جمهورية فايمار إلى سيطرتهم على تسوية السلام بوجه خاص ، والأذلال
الساكنة ، التي فكسوا أن ألمانيا قد تعرضت له • وتشابكت مشاعرهم
بالغضب هي وما تصوروا أنه كلام بالدم •

وبعد منتصف العشرينات ، وبعد ذلك ، بدأت في الظهور الاعتداءات
الكلامية الكبرى بالاشتراكية الوطنية أو القومية • وكثيراً ما كان الطلبة
المشاركون يتمنون إلى الأندية الوطنية أو التسمية (٣) • وكثيراً ما سحر

من كتاب Who Voted for Hitler ؟ تأليف Michael F. Hamilton (١٩٨٢)
Fricorp. (★)
H.S.D.A.P. (★★)
Volksach. (★★★)

هؤلاء الفطيلة الذي كانوا يطلقوا أثناء الحرب ، ومراقبين النساء تشتتت
 جمهورية فيمار باختلاق الجمهورية في اندراك المصنع القومي لألمانيا ، وكما
 هو الحال فيما يتعلق بالطربين القسما للمتضفين ، انتهى الفطيلة الى
 الاعتقاد بأن « النازي » قد جاء بقاعدة تنظيمية يمكن ان تنطلق منها
 أصوات السطك الشخصي والقومي .

وحرص الحزب الاشتراكي الوطني أيضا على التعرف على الحاجات
 الاقتصادية والسيكلوجية ، وجه بإطار اجتماعي وبعض الوظائف لأعضائه
 ممن لا ينسبون في الأغلب القوة الفعلية المدنية . وبعد ١٩٢٥ . عندما
 اتبع الحزب بناء على اصرار هتلر سياسة السعي المشروع عن السلطة ،
 انشا الحزب بعض المدارس التي تحدث باسم الحزب ، وغير ذلك من
 الأنشطة الأخرى التي خلق الاشتغال بها عاكسا عالميا متواضعا . ربما اعتبر
 مستكملا لما كانوا يتفاوضونه من أجور . وعلى نهاية العقد ، عندما كنت
 ضغوط الكساد التي زيادة تفكك المجتمع الألماني ، والاضطراب الوطني ،
 انشا الحزب نظميها اجتماعيا يستطيع الأفراد المشحور تعباه بالولاء ،
 والاعتماد عن طريقه الى الهدف .

كولتد الحزب الاشتراكي القومي

لغنى عى اليبس ان الحرب النازي كان يضم أعدادا كبيرة من المشاهير
 والأهم من ذلك هو من صيهم من أصحاب الاقتصاد . علينا أن نبحث سر
 ذلك . وبمبادرة أخرى ، علينا أن نتساءل كيف استطاعوا حشد هذا الجيش
 من المناضلين . ولما كان موضوع هذا الفصل مقدما لمطلعه من المفيد أن
 نلقى عليه نظرة مقتضبة في البداية .

ان كل شيء يبدأ بالحرب . فالحق انطلقت جميع خطى التقدم الفردية
 والتنظيمية على سحر لو آخر من تجربة (١٩١٤ - ١٩١٨) . والحرب في
 ذاتها قادرة على تهيئة الظروف الضرورية لما يحدث فيما بعد . فهناك
 بلدان أخرى كاسلنترا وفرنسا شاركت بأثقل بدور رئيسي في الحرب ،
 ولكنها لم تتعرضا لتطورات مكافئة من حيث الكم للحركات الفاشية .
 ولكن ، وكما سرى ، فقد كانت هناك بعض تطورات تنظيمية مميزة داخل
 النظام العسكري الألماني . ولقد نمت هذه المصاير وازدهرت ايان فترة
 الحرب . وتفرقت ألمانيا بين السلطان المتقاتلة باعتقادها السائد والحساس
 بأن النتيجة النهائية للحرب لم تكن عادلة . ثم هناك أيضا تصور الألمان
 بأن الحرب لم تنته في نوفمبر ١٩١٨ . ان طين كثيرون أنها قد استمرت
 على حدود الراين شرقا وغربا وفي مدن الدولة . وكان أهم تنظيم في هذه

الأوضاع - بطبيعة الحال - هو « كتاب المتطوعين » - وفيما لذلك ،
 تزود أحد المقاتلين تجسسا بتجربة عسكرية متواصلة استمرت عنه بعضهم
 حتى ١٩٢٣ »

وبعد هذه النقطة ، وبعد انتهاء حالة التضخم واستلام القروض
 الأمريكية ، لم تعد الحكومة ولا أصحاب الأصيل تهتم بمساعدة هذه
 الجحافل المطنقة على سجيبتها ، وكان من الضروري للحصول على قروض
 التحلي على أقل تقدير مظهر النظام والاستقرار . ولقد تم تسريح الكتاب
 الرسمية للمتطوعين ، وإن كان هذا التسريح لم يخل من بعض الصعوبات .
 وكبح حجاج عميدات الكتاب غير الرسمية به الاصطراط للجوء لآسى
 الإحراجات - وقد تيسر هذا التحكم بعد أن تحقق قدر من الحكم المركزي
 خلال فترة التضخم ، وبعد أن توفقت المصادر الرسمية ، لم يبق إلا كبار
 رجال الصناعة ، الذين كانوا في حالة تسمح لهم بتفقيهم العون المحبوس
 « تحت الحساب » على أن يتصرفوا كما يروق لهم . ولله تعرض الأفراد
 الذين يصب كبح شكيتهم للضياح ، بعد أن أصبح في غير مقدورهم تلقي
 إلى شيء من « حشود الفهم »

وظهرت بعض بوادر الإحباط في جميع الصفوف آنثا ، إذ كان
 المقاتلون الموالون يودون الاستمرار في الكفاح للبر ، غير أن التنظيمات
 المقاتلة الرئيسية المسورة قد حلت من استطعتهم ، وكانت هذه الحقبة لفترة
 استكشاف وتحركات انتقل خلالها المقاتلون القدماء من تنظيم شبه عسكري
 لأخر . ولقد ذكر بعض الكتاب أن قواعد اليسار واليمين على السواء قد
 تضبط معيتها خلال هذه الفترة الوسيطة المدمرة للجمهورية . غير أن
 هذا الرأي مثار شك ، لأن عضوية دواب الحوادث (٢) التي تحولت إلى
 فرق المصافة فيما قد تزايدت بأفراد وبلا انقطاع خلال هذه السنوات ،
 وشعر بعض مقاتلي « كتاب المتطوعين » بلادده - كمادة المهرلين -
 للاشتراكين الوطنيين ، بعد أن رأوا انتفاضة ميونخ ، ووصفوها بأنها
 مجرد عرض دت لبعض الهواة - إذ بها لأصحاب الخبرة الزحف خلال
 أزقة ضيقة بلا أسلحة أو سوتر ، والاتجاه قعما صوب العدو عملا دالا على
 البلاهة . غير أنه في السنوات الطبية لهذه فيما ، أثبت الاشتراكيون
 الوطنيون غير المتقادين أنهم أشبه الناس بأما بين أساء التنظيمات
 المسورة ، وأنهم - تماما لذلك - قد نجحوا في اجتذاب المقاتلين إلى
 صفوفهم - ولعل إغناهم في الحصول على عون حشاعي دتسى هو الذي
 منحهم حرية اتخاذ موقف التطرف . وكانت هذه الحرية هي الشرط الذي

صمغ لهم يتكسب اصار ومجولين مما سكتهم من التحرك في بنايات
الثلاثينات *

فالجانب الموحب من الصفحة اذن هو تشكيل كواد كاتائب الحزب
الاشتراكي الوطني من اساس قد تطفوا بهذا العمل القريب آباء الحرب من
الهداية ، ثم في السنوات الخمس التي دار فيها قتال متقطع بعد الحرب ،
والتطفوا بعد ذلك بستين في التنظيمات العسكرية في الفترة الوسيطة ،
ثم انضموا في نهاية المطاف في اعداد متردية الى الاشتراكيين الوطنيين
(الحزب وروى الماسفة) وتميزت هذه الكواد التي وفقت من جميع
ربوع الالبان بدائق سرعتها (بالمعنى الحربي للكلمة) ، وسبوزوا ايضا
بعضونهم ومفتونهم وسعة حيلتهم وبغيرهم الواسعة ومهاذتهم في استعمال
تكتيكات قتال الوحدات الصميرة ، كما أنهم احدثوا مظهر القدوة الطويلة
للأبطال التي ظهرت فيما بعد من الشمسية الآلالية ، وبخاصة العناصر
الشديدة التحمس للربعة القومية من أبناء الطبقة المتوسطة ، ولقدت هذه
الكواد رسالة الاشتراكية الوطنية : أولا - الى المدن الكبرى ، ثم وحدها
هو الأهم الى الأقاليم وحرآكرها وقراها ، وهناك كانوا مسئولين عن
انتصارات الحرب العاسفة في الانتخابات ، وثمة نتيجة أمد تترتب
خسما على هذه الحجة : هل كان في مقدور هذه الكواد الاعتماد على عدم
الظروف لحسب (من تاريخية واجتماعية وثقافية واقتصادية) لتحقيق
هذه الانتصارات ***

كتاب المتطوعين

عادة لا تؤثر حالات السخط ، حتى اذا اتصفت بشيوعها وعمق اثرها
على الأحداث ، وفي الحالات التي يتجسع فيها أولئك المتطردون فقط ،
علما تتبلور اوجه ضررهم في شكل التنظيمات ، فأن احتمال التصادم
يصبح أمرا ممكنا ، وعلى هذا صبح القول بأن التنظيم موصح السمك ،
يعنى وكتائب المتطوعين (م) كان من خلق الحكومة الثورية ، وتلقى هذا
التظيم - ولو لمحي - عونا وتأييدا ليس من الحكومة وحدها ، واما أيضا
من بعض المؤسسات الرئيسية ومن الاعيان الارستقراط وعلية القوم ،
ومن الصحافة الرسمية ، ومن الصحافة الحرة (م) الى أن حدثت الانتفاضة ،
وبرجه خاص من بعض الصحف الرئيسية *

SPD. (M)

Berliner Tageblatt, Vossische Zeitung. (**) مثل

ونعم ثورة الألمان ١٩١٨ مثلا مميزات لا يحد حد للعلوم الثورية . فكمما أشار على كتاب قامها لم تتضمن قلبا لنظام الحكم . وإذا توخينا المقة قلنا انها كانت بمثابة انسحاب الحكومة لثابة . فلهذا عبد الأمير ماكس (يادن) آخر مستشاري النظام القديم ينقل سلطات الحكومة الى دهم أغلبية الديموقراطيين الاشتراكيين وقال : « يا هو ايسرت ! اننى أعهد بالامبراطورية الألمانية لرعايتك » ، وطلب ايسرت دهم الحكومة الثورية ، وكان يعرفها بوعا عن قبول هذا العرض من سلطة الاستمرار والاضطلاع بالأعباء الادارية . ولكن الأمير رفض .

وافلت الحكومة الجديدة نفسها فى موقف لا تحسد عليه . اد لم تكن قوات شرطة البلدية تتمتع بقدر كاف من القوة يساعد على التعامل والقوات الثورية المحتشدة فى شوارع ألمانيا . وكانت وحدات عديدة من الجيش قد سرحت بمجرد وصولها الى مقر دأوما . وكان الاعتماد على القوات الباقية متار شك . وباحتصار ، كان هناك قلائل من القوات الحزلية الميسورة لمساعدة الحكومة الجديدة . وكان فى مقدور أية مجموعة صغيرة من الرييريين فرض ارادتهم على الحكومة . وظهر احد الأمثلة الدالة على ذلك قبل عيد الميلاد ، عندما تظاهرت كتبية من التجارة الثوار فى برلين بانها تصل على حماية الحكومة ، ولكنها بدلا من ذلك لجأت الى احدى النقاط الى أسر الحكومة حتى تساند مطالبها الخاصة بالأجور . ولما واجهت الحكومة مثل هذه المشكلات شعرت بضرورة الاعتماد على قوات عسكرية أكثر على حمايتها حماية حقيقية .

ولابد أن نذكر ما كان يجرى عند تجميعه « كتاب المتطوعين » . ومستخدم بحثنا على كتاب هام ألفه روبرت وبت (*) . وكان شافلو الوظائف ابر رئيسية فى الكتابات من صفات الضباط . وأغلبهم من رتبة الملازم او النقيب . وفى البداية ، اتهم منهم احدى هذه المجموعات الباركة الى الاستعانة بالقضاة الاقدم متجبا مبادئ الجيش الامبريالى ، ولكنه ما لبث ان عطف عن هذه الفكرة وقال : « لقد تعلمت أن نظريتي الأولى كانت بسيطة تباعا من الصواب . فلقد لاحظت كتيرين من صفات الضباط يتمرسون لواقف صعبة ، وكانوا يتصرفون على نحو رائع ، فانشباب يتصف ببيئة علم المبالاة وبروح المداورة ، وأهم من ذلك اتصافه بالصحة الوطنية . وهى خصاله يوجب أن لا يستهان بها » .

واقترنت القوات على وحدات المتطوعين . وكانت تجرى عمليات انتقاء دقيقة بين من يتقدمون لمرضى جهاتهم . ونية أدلة شريحة ميسورة

عن تفصيل هذه العمليات - ولكن لا يخفى ضعف اقبال العمال اليدويين بالمقد على التطوع ، وأيضاً استجابة الكثيرين من الضباط السابقين ممن كانوا يحدرون في الأصل من أصول غير عمالية - وهناك بعض دلائل تبين تعرض العمال - خصوصاً من يحدون تجاه اليسار - الى تثبيت الهمة حتى لا يعضون الى عمله المكتائب - والظاهر أن الاحتيار كان مرتبطاً بالاكتكاكات الشخصية - ومن ثم لوحظ ايثار قادة الوحدات الجديدة لاختيار افراد من المستفي من خدماتهم القديمة ممن أنبتوا جدارتهم كحمازيين ، وفي الحالات التي شمت فيها حشود المجهدين اتجاهات شتى لتراوح بين المشجعين للحرب والكارهين لها ساعدت النسبة المرتفعة لاعتماد المتطوعين وعمليات الانقضاء على تشكيل كتائب يكاد يقتصر المنشئون اليها على المتحمسين للخدمة العسكرية ، بل والمفرجين بالحرب بمعنى أصح -

ويلاحظ ومن الزاوية المادية الضخمة التي كانت تتحقق من وراء الانخراط في صفك المتطوعين ، إذ كان الأجر الأصل للمتطوع يتراوح ما بين ثلاثين ماركا وخمسين ماركا يومياً (١٩١٦) - وكان الجيود يحصلون على القلعة وبندل السكر والمخصصات المالية ومكافأة انتهاء الخدمة ، وتصرف لهم ملاسهم العسكرية - وشاع الاعتقاد أثناء معركة البلطيق ، بأن في النية منحهم قطعة من الأرض اذا نجحوا في اخراز النصر في المعركة - والى جانب الميزات المادية ، كانت هناك مزايا مصرية أيضاً - إذ كان يتصور الجنود غير اللاتقي لشغل الوظائف المدنية في المجتمع البلورجوازي أو المدني (٢) ، مواصلة العمل في الوحدات التي سبق لهم العمل بها في السنوات الأربع الماضية - وفيما يتعلق بنظرة هؤلاء الجيود فقد عبر عنها قائد قوات الماصفة بقوله : « لقد قيل لنا ان الحرب انتهت ، وضحكنا من هذا القول - فالحرب وأنفسنا هي واحد ، لأن لهيبتها يشتمل اجتماعاً ثوريا في كوامن لغوسنا - فالحرب متغلغلة في كياناتنا كله - ونحن منبهين بها وبانغرائها لنا بالحاق الممات - - ولقد استجيبا لندائهما - - وسرنا الى عيقات المعركة في عالم ما بعد الحرب مثلاً فقلت قبل ذلك عندما اشتركنا في معارك الجبهة الغربية ، لكننا نترنم بالاناشيد بحساسة وقلوبنا مضمخة بنظرة المفارقة أثناء انجاعتنا للقتال - ولرأسنا الصمت الرهيب ، حينما ولجينا للمعركة وشراستها » -

ولم يمس حكومياً - وكان من المستفي الى الاشتراكية الوطنية - أن تطاع الطرق (٣) (وهو تعبير مستصحب عند أعضاء كتائب المتطوعين)

beurgerliche. (★)

Landknechte. (★★)

لا يزالون كثيرا بالنسازل عى السبب الذى يحاربون من أجله . أو من أجل من يحاربون ؟ فالأهم فى نظرهم هو أن يحاربوا .. (والسلام !) .. لقد غدت الحرب مهنتهم وليست لديهم الرغبة فى البحث عن مهنة أخرى غيرها .. ان الحرب قد أصبحتهم .. وحل هناك شئ ما يحتملوه أكثر من ذلك » ٧

ولقد قدمت أعداد أتباع كتاب المتطوعين تقديرات مختلفة ، فقدموا أرفست لون سالومون المؤرخ الإخبارى لأنشطة كتاب المتطوعين . بعد يتراوح بين خمسين ألف ومائة وخمسين ألفا . وقدرها وزير الحربية جومستاف بومسكه برصالة ألف . لما الاشتراكى للمستقل حوحو حاسه فقد اعتقد أن عدد أتباعها يوفى عى المليون . ويرجع جانب من صعوبة تقدير العدد الصحيح الى أن الكتاب كانت وحدات غير منظمة . ومن ثم كانت أعدادها تتفاوت بين الأسود واليهود .. وهناك مشكلة أخرى ترجع الى تنوع الوحدات التى تصنف تحت اسم كتاب المتطوعين . فإذا خصصنا النظر عى الوحدات الأساسية . منرى هناك أيضا وحدات تدرج تحت اسم كتاب المتطوعين . مثل المتطوعين للطوارئ (٥) والحرس الوطنى وشرطة الأمن (٣) . وتشكيلات الطلبة المسلحة (٣٣) . وكانت وحدات كتاب المتطوعين . الحقة . هى الوحدات الأكثر انحصارا بصفة بالحركة والقوات القتالة التى تتمتع بالكفاية الذاتية . أما الوحدات الأخرى لمعمل فى مهام أكثر تخصصا . فكانت قوات الحرس الوطنى تكلف بواجبات الحراسة وحفظ النظام فى المجتمع بعد تحرره بفضل كتاب المتطوعين . ويقدر . ويت عدد الرجال الذين التحقوا بصفة مباشرة بوحدات كتاب المتطوعين الحقة . بعد يتراوح بين مائتى ألف ورمائة ألف .

وكان الضعف الرئيسى للجندين - كما ذكرنا آنفا - هو الضباط الأصغر . ويرودنا ريت أيضا بتفاصيل عامة . فلقد خلقت الحرب ما لا حصر له من فرصه إصلاح الأوضاع الاجتماعية . إذ قتل فى بداية الحرب ما يقرب من نصف الضباط العاملين بالجيش . ولم يبق سوى ٢٢١١٢ طولا يعملون حتى نهاية الحرب . وتقل منظم الأحياء مهم الى الخطوط الخلفية متى استطاع الاحتفاظ بهم للانطلاق بواجبات اضافية أخرى . وكانت النساء فى الحرب بين الضباط الاحتياط (وعندهم ١٩٢٣٢ . عالية بلوجة قاتلة . فلما كانت هذه الحرب حربا شاملة .

Zufriedenheit: (★) /

Sicherheit: (★★★) /

Alles: (★★★★) /

لذا اتسعت جبهة الضحايا العسكرية . ومن ثم فلا عجب اذا ضم الجيش
 عند نهاية الحرب ٢٧٠.٠٠٠ ضابطا - وكان من المتوقع أن يشغل العدد
 الهائل من الضباط المرحومين حديداً بعض المناصب القيادية وأن يكلفوا
 مسئوليات جسيمة لأول مرة في حياتهم . ولعل كثيراً منهم قد أدركوا
 عدم احتمال حصولهم على مراكز مكافئة مناسبة لهم في الحياة المدنية .
 ونظراً لأن معاهدة فرساي قد اشترطت أن لا يتجاوز عدد الضباط الأربعة
 آلاف في الجيش المؤلف من مائة ألف جندي ، ونظراً لأن هذا العدد كان
 سيختار من بين الضباط الأحياء من وحدات القوات العاملة ، فقد ترتب
 على ذلك اضطراب أكثر من ربع مليون من الضباط الأصغر المدربين على
 خوض المارك إلى البحث عن وظائف مدنية . ولم ترق هذه الفكرة الكثيرون
 منهم - خصوصاً مهاووس الحرب - وعلى حد قولهم : « بمجرد حلوله
 السلام ، فإنهم سيفاجئون مفاجأة غير صالحة ، يحس سيواجهون الحياة
 « التي تزعم الروح » ، التي يحياها المدنيون ، ومن ثم فلم يتحمس أحد
 لضل بعض الأعمال مثل الباعة في المحلات أو مثل شركات التأمين ، أو
 مهم حتى باحتال تعيينه في وظيفة مدير في إحدى الإدارات ، لو كان
 المحظ مولياً »

وبدأت لهم « كتاب المتطوعين » كمتنفس لاهتماماتهم وموحيهم ،
 ولعلها أقرب إلى فرصة ثانية أتيت لهم . وبين من دراسة لضباط ياناريا ،
 وهي من الدراسات القليلة للوظائف التي كانت ميسورة في هذه العقبة
 ومنها يتضح أن ٢٢٪ من الملازمين التوان و ٢٦٪ من الملازمين الأوائل
 قد واصلوا عملهم الحربي في كتاب المتطوعين . ويلاحظ ويت أن النسبة
 بين ضباط الرتب الأعلى كانت أقل بدرجة ملحوظة . ويقول فون سالومون
 (وقد استشهد به ويت) « إن الضباط العظام قد كشفوا عن حساسة
 فائقة للانتماء بصفة كتاب المتطوعين . وهذا امر يدعو إلى التسمة .
 وقد قبل هؤلاء الضباط في قس القوات ذاتها بشيء من عدم الرضا » .

ويذكر لنا ويت أن الفئة التالية لفئة الملازمين القدماء كانت فئة
 الطلبة ، الذين يشكلون أكبر مجموعة التحقت بكتاب المتطوعين ، وحصلهم
 بأهم مثالين صغار ، شسوا على الإيمان . « بالمعركة المنيوية للفضية
 الألمانية » . وفي ذات الوقت ، فقد كانوا من الأشخاص الذين صعدوا من
 حول الانهيار ومباغتته ويقول : « لقد شعر كثيرون منهم بالتحريض للتضليل
 لما أصاب حقهم في القتال في سبيل وطنهم من انتهاك بعد توقف القتال
 وإعلان الهدنة . مما دفعهم إلى توقع فرصة أخرى إذا انفسخ لتكثيفه
 المتطوعين » .

وكانت هناك حركة أخذ ورد بين الأوضاع العسكرية والأوضاع الأكاديمية - فلقد التحق الجنود المسرحون بالجامعات وترك بعضهم الدراسة فيما بعد للانضمام الى كتائب المتطوعين . وكان موسم بعض أبدا الوحدات الأقل انتماء الى القوات المسلحة أنه يتسللوا من حين لآخر الى جامعاتهم في الفترات التي تتخلل المارك . وهكذا نشأت بعض النزعات التي خلقتها الحرب داخل الجامعات . ومثل هؤلاء القاتلون دور القادة لكنيون من شباب الطلبة . خصوصا أصحاب المعتقدات القومية . وهذا أيضا استمرار الاختيار بين التطوع والتجنيد ، مما أدى الى ارتفاع البعض ، وتدنئ مراتب البعض الآخر . وساعدت هذه الاضطرابات على تطبيق الاتصال بين الأجيال ، مما أدى الى ظهور كتائب لا تصم غير الأصغر منا . وهذه ناحية منغذو اليها فيما بعد .

لما الذي خلقته كتائب المتطوعين ؟ لقد أجبت عن هذا السؤال عند تعرضي لبعض النقاط المختلفة في هذا الكتاب ، ومن ثم ليكتسبها هذا القاء نظرة سريعة ومختصرة - فباعتبار كتائب المتطوعين وحدات خاصة لاشراف الرسمي للحكومة ، فانها ظهرت لأول مرة في برلين عند نهاية الأسبوع الطويل للانتفاضة التي انطلقت في يناير ١٩١٩ . وكان لها دور حاسم في هزيمة مسيرة ١٩١٩ (٦) ، وأثبتت قدرتها الفعالة للمرة الأولى ، بالإضافة الى دورها في تطهير المدن الصغيرة كبرسن ولايبزج وجوتا وبروبريك ، وغير ذلك من المدن ، كان أهم ما أنجزته في هذا الوقت المبكر هو تحرير ميونخ في الأيام الأولى من مايو .

ثم شغلوا بعض صراعات حدودية معقدة ، أصعبها معارضة البلطيق ١٩١٩ . وأجرت هذه الوحدات الألمانية عمليات في البلطيق - بموافقة البريطانيين - بدأت بعد غزو الجيش الأحمر (الروسي) . ومن الناحية الأمنية ، استطاعوا التحرر من الارتباط بالانجليز الذي فرض عليهم ، مما أخرج انجلترا ، واتجهوا للعمل في خدمة السلطات الحكومية الوطنية الحديثة الانشاء . فلقد كان معظم هؤلاء المتكلمين يرغبون اشباع شهواتهم لسحب عن طريق خلق دولة يحركوها وفقا لمقاييسهم ، تحت زعامة البارونات المتجسسين بالجنسية الألمانية من استوطنت عائلاتهم منطقة البلطيق في القرن الثالث . وبعد أن وصلوا بالحصول على أرض مستقرة فيها (وهو وعد بصادف عدم وجود مرور له) اكتشفوا أنهم ينهضون بدور طليعة مستعمرة جديدة شرق ألمانيا . غير أن اقتصادهم في تحقيق هذا الهدف ، والانتقال الذي تبع ذلك ، قد ألحق بهم الضرر . وكما قال أحدهم في

أسلوب أدبي لادع : • لقد قتلنا أنفسنا بانتصاراتنا • (*) • فلقد أمرتهم
الحكومة الألمانية بالمودة من حيث أتوا •• وبعد عمليات إرهابية وعصيان
واقعا لثورية شتى عدوا في النهاية إلى ألمانيا ••

والحادثة التالية الرئيسية في تاريخ كتائب المتطوعين هي محاولة
عليه حكومة فيمار • فلقد زحمت مجلة وحللت مختلفة - أبرزها لوزر
المحرارت - على برلين ، ولوعت الحكومة على الهروب • وكانت هذه
هي لائحة الانتفاضة كاب (*) في مارس ١٩٢٠ • وقد سبق أن تحدثنا
عن كيف تمادت حكومة الأيام الخمسة •• ولعلنا نذكر أن السلاح الرئيسي
للحكومة قد اعتمد على الاضراب العام • وهو النقاش الذي دار بعد
الدهاء ، أسس مقاتلو كتائب المتطوعين باللائحة - حراسة - على الجبرالات
والساسة • ولا يخفى أن كتابه كان عديم الاقتران من الناحية السياسية
كما أثبت القائد كالفرت فون كوتفيس (**) عدم كفايته في تدبير الانتفاضة •
ولمضلا عن ذلك ، فإنه في مواجهة الاضراب ، قد قام برد فعل وصقه حتى
المقاتلون منوسطر الكفاية بأنه كان ملهما للقوى وغير مفهوم • وقال
أحداهم : • إن كل شيء كان سيمود بالخير لو أننا قتلنا عددا أكبر من
الأشخاص •• وأقر آخر هذا الرأي ، وعلق عليه بقوله : • الدم هو
أسمت الثورة ••

وبالإضافة إلى ما ظهر من مساوئ عند الساسة والضباط النظام ،
فلقد عسى هذا الاحقاق • كما عبر عنه فون سالومون : • لأول مرة ، أصبح
الطريق مفتوحا الآن أمام التفكير السياسي للشباب • وقال إن إعلان هتلر
الالتجاء إلى القوة في نوفمبر ١٩٢٣ ما كان بالاستطاعة تصوره بغير ما حدث
من تحول في التفكير السياسي •• إذ بدت حركة هتلر في نظريهم ذات
ميزة بالغة الأثر ، لأنها حركة • من صنع جنود المواجهة من المقاتلين ،
وليس حركة ضباط كبير ارتقوا بحكم الإقصية ••

وأخر نفس المصنف لعل كتائب المتطوعين قبل حلها رسميا هو ما قامت
به ضد التديريين في حوض نهر الروهر ، الذين استولوا على مدن مثل
كوسلوف وروهرمولد بلمتارده •• من عدياتهم في محاولة للاضراب
العام • وأمرت وحدات كتائب المتطوعين - بما في ذلك زعيم الانتفاضة هرامق
المحرارت - بالانحسار إلى القصر صليبية مزينة من الحكومة في سوا
الروهر •

Wilhelm von Lützow (☆☆)

Kapp Putsch (☆☆)

Waldemar von Lützow (☆☆☆)

وبعد أن بلغ الموقف هذا الحد ، اضطرت الحكومة خطوها للضغط المتزايد من الحلفاء الى حل هذا التنظيم (كتاب المتطوعين) بعد أن ساعدت على خلقه . ومن المعروف أن أعضاء هذا التنظيم كانوا شديدى الاعتراض على هذا الاجراء . وجرى العمل على عجل عن قناع او واجهة تتخفى وراءها التشكيلات ، التى استقر بعضها فى بقاع من شيليزيا ، أو أماكن أخرى من شرق ألمانيا ، حيث وصلوا انشطتهم تحت ستار أعمال الفلاحة . وعاودت بعض الجماعات الظهور كتطبيقات وطنية للصغارى القدامى . وأسمى رعيم شهر لكثائب المتطوعين يسمى جرهارت روسباخ بعض قوائمه باسم مكتب المباحث ، ويسمى جانيا آخر منها باسم « جماعة القاذى المتجمع » ، التى حكم وزير داخلية بروسيا بدعم شرعيتها . وغير روسباخ اسمها وجعله « اتحاد التعليم الزراعى » ، وصرح بأن يقوده « استحداث تنظيمات أخرى اذا اقتضى الأمر وبسرعة تفوق سرعة حل المسئولين بها » . وانضم البعض الى تنظيمات المحاربين القدامى ، التى كانت موجودة بالفعل ، وانضم آخرون الى جماعة تسمى « أصحاب الخوذات النحاسية » (٣) ، ولكن معظم المحاربين القدامى وصحوا هذه الجماعة باليهود والثرتم . ويذكر ويت ان الجمعيات المناهضة للنسائية كانت اسم الجمعيات الى ثلوث المقاتلين السابقين فى كتاب المتطوعين . يفتل شهرتها بالفراسة والفسوة ، واضطر أغلب من انضموا الى هذه الجماعات الى البحث عن نوع ما من الوظائف المدنية . باعتبار تنظيمات المحاربين القدامى من الجهات التى يشغل مشاغلها الأوقات الحارجه عن مواعيد العمل الرسمية .

وتم تسميت مختلف الوحدات المحلية المحلية للمقاومة الشعبية (٤) . وادراجها تحت زعامة منظمة واحدة (٥) . قبل تحولها للعمل الى المقاومة السرية . ورفضت حكومة بافاريا حل هذه الوحدات ، وبذلك اتاحت الفرصة لاختبار القوة الذى جرى ١٩٢٣ ضد حكومة برلين ، وانضم إلى هذه التنظيمات بعض فلول كتاب المتطوعين المحلة .

ومن بين التنظيمات السرية ذات الأهمية الهائلة منظمة كونسول (٦) . وتركزت مهمتها فى السهر على تحقيق العدالة والانصاف بالقتال مرطفي حكومة الجمهورية ١ ، وعلى الانحس من ارتبطت اسمائهم وانهار ١٩١٨ .

(*) Kampfgruppen

(**) Kampfbereite

(***) Kampfbereite (وتختصر لهم Opposer)

(****) Kampfbereite (وتختصر فى حربين O.K.)

وتنفيذ قرارات معاهدة فرساي ، أو من كشفوا أسرار الصليبات الحربية السرية ، أو عملوا في خدمة أعداء الأمة ، كما فعل على سبيل المثال الانصاليون في « دلاطينة » . وذكر أحد زعماء هذا التنظيم فيما بعد أثناء شهادته في المحكمة أنه قتل ما يقرب من ألفي شخص في شيليزيا وحدها ، وكان من بين ضحاياه منه المنظمة « ماتيئاس اوتسبرجر » (*) الذي ارتكب على حد قولهم جريمة جرائم على رأسها توقيع اتفاقية الهدنة (وبذلك انقلب هتدبرج من الاشتباه في تورطه في هذه القملة) . وأيضا كان هناك فالتر راتيناو وزير خارجية البلاد ومنهتس مياسة الانجار .

وكانت هناك مناسبة أخرى شاركت فيها وحملت كتائب المتطوعين في المادرك . فمن الحروب أن الصراع لم يتوقف على الحدود البولندية . ففي ربيع ١٩٢١ عبرت جماعة من الجنود غير النظاميين البولنديين الحدود لالترار أرض شيليزيا العليا ، وبعضها لبوليفة فترك الأعضاء السابقون في كتائب المتطوعين أعمالهم ، وركبوا القطارات عبر ألمانيا ، وأعادوا تنظيم صفوفهم ، وكسبوا معركة حاسمة . وبعد هذه الواقعة ييوون . وبعد الهجوم عوة على مدينة آنابرج (**) ، صدر أمر حكومي يحل وحدات كتائب المتطوعين حلا نهائيا . واكتسب المقاتلون القمام مرة أخرى أنهم قد طمروا في ظهورهم ، ففي الوقت الذي كانوا يفتنون فيه ألمانيا بأرواحهم ، فقد مجرمو بوليفر (وهو الاسم الذي أطلقوه على دعاء الجمهورية) هذه الفعلة المخسيسة ...

الفقرة ١١ « الحزب الاشتراكي الوطني »

مؤلا . هم المقاتلون المكونون الذين استطاعوا بعد حل وحداتهم شق طريق إلى الحزب الاشتراكي الوطني وكرته المضاربة (***). وأنهم بعضهم هذه النقطة في وقت مبكر ، وتحققت هذه النقطة عند بعض آخر بعد أنه تنقلوا بين أكثر من منظمة من منظمات اليمين ، ول ١٩٢٢ ، لم يكن في وسع من سبق انتمائهم إلى كتائب المتطوعين تمثيل أكثر من جزء صغير من جبهة الأعضاء ، بعد أن تزايد انقسام أشخاص أصغر سنا . ولا يقصد بذلك أنهم كانوا في جميع الأوقات يمثلون الأكثرية المندبة في الحزب ، ولكن المقصود هو القول بأن جهودهم وقدراتهم كان لها دور حاسم في التشكيل الأولي للحزب ، مما ساعد على تحديد اتجاههم قبل التطورات التي تفرض

(*) Matthias Erzberger .

(**) Annaberg .

(***) Sturmabteilung .

لها الحزب بعد ذلك • ولولا حله النواة من كتائب المتطوعين ما كان الحزب لينمو مثلما نما • فلقد زودته بالمواهب التنظيمية المحلية وبأعلى مستوى من القدرات التكتيكية ، وزودته أيضا بالدراسة التي مكنته من تهر حصومه • وفطلا عن ذلك فقد اصطلمت هذه النواة بدور هام في تدريب الأجيال الأحدث حين انضموا الى صفوفه •

ولا تسميح البيانات المتوافرة حتى بالاقتراب من أية احصاءات دقيقة تؤيد هذه الادعاءات • بيد أنه بالاستطاعة الحصول على بعض الاحساس بما حدث من اقبال على الانضمام الى الحزب من مذكرات أعضاء الحزب الاشتراكي الوطني ، ومن السيرة الذاتية التي ألفها نيكودور آبل ، وحلها فيما بعد بيتر ميكاك وروبرت زيت في بحثهما •

ومن بين الذكريات البطولية التي تميزت بها كتب كثيرة من المؤلفات التي صدرت عن داء الشر المركزية للحزب الاشتراكي الوطني في ميونخ اباد الثلاثيات ما ذكر عن أن استهلال الحركة قد بدأ باجتماع ثلاثة رجال في فبراير ١٩٢٥ ، كانوا يخططون لأعادة تشكيل هيئة الحزب الوطني الاشتراكي في شتارنبرج ، وهي منتج يدعى يقع جنوب غرب ميونخ • وتحدث المؤلف عن الرواد الثلاثة فقال أن أحدهم كان موظفا صعبا بالحكومة ، وكان الثاني « ماكس » لاصقا لورق الجدران • والثالث هو جوستل (البنا) • وتستطرد القصة فتذكر عرضا مقتضبا لتاريخهم العسكري النبطي : « كانوا جنودا بالجبهة ، ومن المقاتلين في كتائب المتطوعين » • « ولم يتجاوز سن أكثرهم السابعة والعشرين ، وكان الثلاثة أعضاء في لواءات المناصفة ، واشترك الثلاثة في معركة نوفمبر ١٩٢٣ » •

ويرى الكاتب أن هؤلاء الثلاثة قد خططوا تنظيميا محليا لخدم هذه الصورة لأغراض صلبة • وانضم اليهم - بطبيعة الحال - آخرون ، وبدلوا جهدا كبيرا ، ولكن كان هؤلاء الثلاثة هم الذين قاموا بدور حمزة الوصول بين الحرب القديم (الذي كان موجودا قبل ١٩٢٣) والحزب الجديد او المعالوة الثانية • وهناك فكرة تكررت مرارا واد هذه المساولات التجديدية أخاض المؤلف الكلام عنها : « فوره النصر المستبعد طريق عتيق • سطر • وأمامه جنود الجبهة وكتائب المتطوعين وعتار » • وفي حالة أخرى ، يتركز الكلام على مقاتل قديم آخر • ويتركز الالتاح على نفس المسمى ، فتحصل صيزات الشخص في الكلمات الآتية : لقد كان من جنود الجبهة ومن رجاله كتائب المتطوعين • ومن أبناء لواء المناصفة - ويرتف المؤلف قائلا : « لقد جرت في عروقه أنقى دماء الجنود ، وكان يفضي نفسه لطلاعون ايشار المواقف المتعددة والصنف والمرونة » •

ويبدو أن تعرفنا على شخصية النموذج الذي وضعه آبل لأعضاء الحزب قبل ١٩٣٣ ، قائما في مستطبع بطبيعة الحال الاطشتان الى ما ذكر عن مثليه . ومن المحتمل أن يكون النموذج الذي قدمه أو المينة ، الأقنص نطلا ، وإن تكون لديه خلفية طبقية الفصل من أعضاء الحزب بوجه عام . ومع هذا وما دام هذا النموذج واحدا من النماذج القليلة من أي نوع المتصلة بالموضوع ، فإنه يستاهل قصصا أدبي .

وكان ١٨٪ ممن استجابوا لآبل من سباركوا في بعض أشكال الأنشطة الحزبية فيما بعد الحرب مثل القتال ضد فريق الاسبرطيس (٣) وانتفاضة ه كاي ، وحرب الصنابات في أعالي شيلينيا . أو الملوشت التي وقعت أثناء احتلال الفرنسيين لحوض الروهر ١٩٢٣ . وكان ثلاثة من بين كل خمسة من الذين اشتركوا في المنازعات التي وقعت بعد الحرب من صفار الشباب (أي كانت أعمارهم تقع بين ١٧ سنة و ٣٠ سنة) سنة ١٩١٤ . وفي ١٩٣٠ كان من هؤلاء الأشخاص ما بين الثلاثينات وبداية الأربعينات . وإذا قلنا مجموعة التواة بالصفة يرتها للأعضاء (كما كان الحال ١٩٣٤) سنرى شجرة كانت أكبر منا من مجموعة التواة ، وشجرة أكبر حجما من الأصغر منا كمثال قرابة نصف الأعضاء . وهكذا كان الحرب حليطا يحسم بعض أعضاء من ه العواجز ، و منهم غالبا أشخاصا لديهم بعض اتصالات عسكرية تقليدية ، ولهم نظرات تنزع نحو الاتجاه القومي وتنشئ المدرسة القديمة ، ولواة من المقائيل القديمة ، وأحيار الأكثرية من صفار السن الذين احتذوا للحرب في السنوات الأخيرة للجبهة . ويوسمنا أن نمرؤ النجاح التنظيمي الذي حققه الحرب الاشتراكي الوطني فيما بعد إلى فترة مجموعة التواة على اجتذاب هؤلاء المجتدين الصغار وتبنتهم .

ويحلل ميركل نوعيات أعضاء الحزب التي ذكرها آبل على نحو مختلف نوعا ، فيوجه انتباهنا أكبر إلى هذه الأجيال المختلفة . وإلى أبناط صيول المنظمين والمجندين . وإلى دولج كل فريق من أنصار الحرب . فليس بين آبل أن أقل من خمس من استجابوا قد اشتركوا في مساوشت ما بعد الحرب ، بين ميركل أن الحرب وما حدث في أعقابها قد كان لها بالغ الأثر ، فقد حزت كيان السواد الأعظم من هؤلاء الأشخاص . ويقول أن الحائز الحيوي من الفريق الذي تحطت عنه آبل كان يمثل الحرب والعزيمة أو ثورة ١٩١٨ . باعتباره المؤثرات التي أثرت في حياة كثيرين ممن استجابوا لها ، وإذا لم تأملنا التجربة المعوية أو المؤثرات الكبرى

التي ورد ذكرها في السير الذاتية منرى أن هناك ما يقرب من النصف قد تأثروا بما حدث في الحرب والنزوة والاحتلال الأجنبي .

ويذكر ميركل أيضا أن المتحاربين من تأثروا بالحرب أشاروا إلى ما أثاره جبهة القتال(*) من حاسة، وإلى التفشت التي نجم عن الانهيار ، وندود الفعل المعادية ضد الجماعات التي انصبت عليها النوم بسبب الهرمة . واكتشف أن هذه المشاعر كانت أوسع من التطوعي (بالقدرة بشعار الجنود المحترفين والاحتياط) . واكتشف أيضا وجود تناسب عكسي بين شدة الحاسة للحرب والأداء القتالي وطول النجدة . وتحدث أيضا عن اختفاء التي تفتقت من صفوف العسكريين إلى كتاب التطوعي (أو التنظيمات شبه العسكرية المتصلة بها) . وساعد تعلم الاشتراكية الوطنيين في السير بما فيه الكفاية عند اشتراكهم في تنظيمات ما بعد الحرب المبكرة على الانقسام اختياراتهم . فالتحق المحاربون القدامى - خصوصاً التطوعي - في التنظيمات شبه العسكرية . وجسم من يلتفرون إلى الخبرة العسكرية - بدلا من ذلك - إلى الانقسام إلى التنظيمات اليسارية غير المحاربة ، ينسب إلى الجماعات المحافظة أو المعاصرة (**) ، وظلوا مع هذا يعمرون عن التماثل القوي مع كتاب التطوعي ، والكرهية الشعبية نحو المحردين في المناطق .

بطبيعة الحال ، كانت هناك مرحلتان متبايزتان في تاريخ الحرب قبل ١٩٤٣ . وفي المرحلة الأولى - التي انتهت بحركة الانتفاضة ١٩٢٣ ، كان المتبنون للحرب يندمرون من أجيال ما قبل الحرب أو فترة الحرب ، ويتألف أعضاء هذه المرحلة من الجسوع التي تأثرت بالحرب ، ومن الناقسين على نتيجتها ، ومن الراغبين في مواصلة الكفاح بعد ١٩١٨ . وظل هذا الفريق يعمل في الحرب في المرحلة الثانية ابتداء من إعادة انشائه ١٩٢٥ . وتزايد عدد أفراد بعد الانتفاضة الأخيرة وانضمام مجندين من الشباب . ويقول ميركل : أن شقوة الحرب التي لم تتأثر تأثرا مباشرا بالحرب قد تأثرت مشاعرها بذكريات الزمالة في فترة الشباب والمفاضة وبخالة البطالة .

وعلى غصون هذا التحول ، يبدو أنه قد حدث تحول في الأسس الطبقي للعضوية . وكان آدم قد لاحظ أن ثلثي المشتركين في المناوشات المباشرة بعد الحرب كانوا من أبناء الطبقة المتوسطة . ويلاحظ ميركل : أن من ينضمون بالأمس للاتصال والتمرد على الانطلاق كانوا بين أوائل من

Frontdebat. (*)

Voelische. (***)

انضموا الى الحرب في بداية ايامه . وانه حتى خلال أزمة ١٩٢٣ ، وفي السنوات اللاحقة التالية ، استمر (القنات) ممثلين على نحو اكبر في حركة القمصان البنية . وفي ١٩٣٠ تمسكه بحق بهم افراد من أبناء الطبقة الدنيا .

وتلك وجود استمرارية بين كتائب المتطوعين والحزب الاشتراكي الوطني في السج الثانية المقتضية التي وودت في ملحق كتاب ويت . لذلك بدأ فريدريش البرس (٣) - وكان عضوا في كتائب المتطوعين في موركيه كقائد لحدى قوات العاصمة ١٩٣٠ ، كما عمل فيللي ايمويسون - وهو من الحاديين القدامى في معركة البلطيق ومن المشاركين في استفاضة « كتاب » فيما بعد في إحدى اللجان المحلية للحزب الاشتراكي الوطني . وانهم بعضهم في وقت أبكر مثل كارل بوش الذي ساهم ببلور فعال في كتائب المتطوعين في برلين والبلطيق وأعلى فيلدينزا وبروسيا الشرقية . وانضم الى الحرب ١٩٢٢ . وكان قائداً لكتائب المتطوعين في بروسيا التي اشغل بعد ذلك قائدا لجمعية التربية البدنية ، من بين من انضموا للحزب الوطني الاشتراكي ١٩٢٢ . وشكل بعد ذلك قوات العاصمة في برلين وإشراف على تنظيمها . ومن بين من وود ذكرهم في عرس ويمت : مادكين جودمان ، الذي تولى قيادة أحد الأقسام في كتائب المتطوعين في روسباخ . وعين بعد ذلك في مجلس التنظيم . وتصادف أيضا بعض قادة الحزب الوطني الاشتراكي مثل هانس فرانك وودلف هس وراينهارد هايدريك واريش كوخ وأرنست روم . وهناك أيضا اشتراكي آخر سبك هذا الطريق المبر - وودلف هوس (٤) الذي تولى القيادة فيما بعد في أومسليخس . وهكذا يكون الطريق المؤدى الى الاشتراكية الوطنية قد مر بسلسلة متصلة من الخطوات . فمن الحرب الى وحدات كتائب المتطوعين ثم الى الحياة اكدية بمختلف تنظيماتها الوطنية والشبيبة بالمسكرية الى أن ظهر الحزب الاشتراكي الوطني في نهاية المطاف .

تجنيد صفوف الجنديين

واشتتل ثلثي حوائب تضم الحزب تجنيه مواطنين اصغر سنا واستوعبهم الحرب في صفوفه . ويبدو أن الجهود التمهيدية للحركيين

Friedrich Alpers. (★)

Kurt Daluege. (★★)

Rudolf Hoess. (★★★)

الأوائل كانت وراء هذا التوسع ، أو إذا شئنا القول فإن هذا التوسع قد تحقق بفضل الأنشطة الدبلوماسية للجماعات الصغرى - ولكن بدون كيم تمت هذه العملية عليها الرجوع مرة أخرى إلى ما رواه نويس الذي يعد من الوثائق في هذه الناحية بفضل ما احتواه كتابه من تفاصيل تاريخ التنظيمات - وقد أشار بوجه أيضا إلى مصدر من مصادر الكفاح للنضال على الصعوبات التي واجهها الحزب حتى ١٩٢٢ •

فلقد تمكنت الوحدة الأولى من الحزب الاشتراكي الوطني في صعيد سكسونيا في مدينة هامبورغ في صيف ١٩٢١ • وكانت البداية متعجلة ومضطربة ، ولكن من أسموا هذه الوحدة قد كشفوا عن قوة عريضة عندما ساءوا قديما دون التفت حتى لتحذير هتلر • وامتدت أنشطتهم حتى شملت الأقاليم المحيطة بهامبورغ - وساعد ظهور متحدثين من الخارج - كان بينهم هرممان إيسر من رابطة الحزب ميونخ - على اجتذاب أعداد أكبر من الحاضرين وعلى تمويل الحزب ، وزيادة عدد أعضائه •

على أنه سرعان ما تعرضت هذه الجهود للاحتجاب • فبالرغم من انضمامها خاصة الأقاليم وأكبر مدته قاعدة لها ، إلا أن الحزب لم اكتشف أن هذا المركز لا يتوافر له أفراد مميزون • فبعد أن أفتت المدينة من الكاركتين التواضعين : تمرد اليساريين ، وحده كتاب التطوع لهذا التمرد ، فالها لم تقصص للنس مخلصات الخوف والكراهية والانترام الأيديولوجي الذي كان بمثابة القوة الدافعة في مواضع أخرى • وبعد ١٩٢٠ ، خطمت صفوف المدينة والأقاليم الشخصية جوستاف بوسكه (*) الذي وصفه بولك • بأنه كان قادرا على قمع التطرف أيا كان موضعه • - وقضلا عن ذلك فقد أدت أزمة القصر داخل رابطة الحزب الاشتراكي الوطني والمصراعات الحرة الأضواء بالحزب الأهلية التي تشتت جهود الحزب لمدة سنوات •

وفي نهاية المطاف ، ظهرت أبعد الجماعات أثرا في صعيد سكسونيا ، يعني في المدينة الجامعية الرقعة حوتين • وتولى المبادرة هناك طالب طب يدعى لودولف هاس • وكان قد نشط قبل الحرب في حركة مثيرة للاضطراب ضد البسامية • وواصل هذا النشاط بعد الحرب قبل أن ينضم إلى إحدى كتائب المتطوعين ، ثم وده فيما بعد إلى حوتين ليبدأ دراساته الطبية • وهناك انضم إلى تنظيم شمسي • ونجح في قلب زعامته بإساعته طالبين آخرين • وانتخب بعد ذلك رئيسا • ثم انتقل إلى جامعة أخرى خووية المنزع ومبادئه للسامية ، بعد أن شعر بعدم الرضا عن عدم كفاءة

عضويته لكتيبة المتطوعين - وصالح بعد ذلك الى ميونخ - وكان ما زال يبحث عن وسيلة فعالة ، لكي يتصرف « الى نوع جديد تماما من التنظيم » - سمح به - يسي « تنظيميا يتميز بمروايته الحقة » - ولما عثر على مبتدعه ، انضم الى الحزب الاشتراكي الوطني في فبراير ١٩٢٢ ، وأنشأ فرع جوتنجن للحزب - وكان يضم ١٢ عضوا ، وانتخب أحد الحراس رئيسا لادراكه مدى كراهية المال للطلبة - وفي ذات الوقت كان حاسه يقرود الفرع من وراء الستار - وفضلا عن ذلك ، فلقد صبح المفكرون مؤقتا من العضوية ، ومن ثم اقتضت بحسوبة الجباعة على ائمن من مشي ادى ثلاث الطبقة المتوسطة بنفس النظر عن طالب الطب واحلى المثالات -

وما لبثت جهود فرع جوتنجن ان امتدت الى الاقاليم المحيطة بها - وكانت من بين الوحدات التي انشأتها - وأصبحها ، الفرع الذي انتهى في نورتهام البلدة الجاورة ، والمعروفة لنا اكثر من ذلك عن كذاب الفه وليم فالبرج باسم « تاليدورج » - واشترك في انشاء فرع الحزب الاشتراكي الوطني في نورتهام اثنان من الابهاء البارزين للطبقة الوسطى الدنيا من تنظيم شبه عسكري (٣) ، وقد التقطهما أحد المحتكين بالحزب الاشتراكي الوطني ، وضمعهما على الاشتراك في مظاهرة خطب فيها حاسه - ولما كانا لم يرضيا بما صاد « حزب ألمانيا الفتاة » من عضوي ، وبعد ان تأثروا بخطاب حاسه ، قررا الالتحاق فوراً بالحزب الوطني الاشتراكي ، بعد ان تأثرا بما جاء في كلامه عن المطالبة برفاق حاشين للكفاح (٣٣) ، وليس مجرد رفاق عابرين وهم -

وتكشفت سمة حيلة حاسه في نوفمبر ١٩٢٢ ، عندما صدر قرار ضم شرعية الحزب الاشتراكي الوطني - وبعد ان اعيت المدة لعقد اجتماع حاشد للوحدة في ١٨ نوفمبر ، تمسكحت الشرطة المحلية حظرا لهذا الاجتماع ، الا ان حاسه لم يرحم هذا الحظر ، وطالب المود من التنظيمات شبه العسكرية المحلية ، واشترك عدد كبير من التحطات الطلبة في المسيرات التي طالت شوارع جوتنجن في مظاهرة احتجاج دامت زهاء عدة ساعات - وقضاعت عدد اعضاء الوحدة من جراء ذلك ، وارتفع عددهم من ٢٥ الى ٥٠ عضوا ، بل وانضم اليهم في هذه العملية أحد مساعدي الكيمياء - وترع استاذ الكيمياء في تحريض زملائه بالكلية على الانضمام - ولألى بعض النحاح ، وشكلوا أيضا وحدة من وحدات المصافاة مؤلفة من ٤٥ فردا - أكثرها من الجود السابقين ، ومن المقربين لكتائب المتطوعين -

(*) Jungdeutscher Orden (حزب ألمانيا الفتاة)

Mo'templer, (★★)

Mitglieder. (★★★)

وفي الشهر التالي ، نظم حاسه كطينا جيويا محل محل الحزب
المحطور . وفي الاجتماع الأول ، انضم اليه مسجون من الأعضاء الجدد
واغبيهم من الطلبة ، وساعدت الشرطة في انجاح هذه المحاولة السافرة .
اذ كان كثيرون منهم يدبرون رؤوسهم في الناحية الأخرى ، عندما يشرع
أحد الأعضاء في النشاية علنا وعلى رؤوس الأشهاد . وتلفت الوحدة المكون
أيضا من الصحيفة البورجوازية الرائدة في المدينة (٢٠) ، وطبع صاحبها ، وهو
من المنصريين منذ أيام الحرب ، بعض المطبوعات للفرع بدون مقابل .

وتتم نواك بعض ملاحظات عامة عن الصفات المميزة للأعضاء في هذا
الفرع المحوري . وذكر لنا شيئا ما عن مظاهر حاذبية الحزب الاشتراكي
الوطني ، وقيل لنا أن « حنة من الطلبة الحركيين كانت تسيطر على عرج
حوتجن بلدى كان حاسه يتزعمه ، وارتقى بعضهم إلى مراكز عامة داخل
الحزب الوطني الاشتراكي ، بل وطنى مستوى الرايح » . اذ كانت فئة
الطلبة . كما يجب أن يلاحظ ، وبخاصة حين ذاك ، تسمى شيئا آخر أدنى
من مرتبة الطلبة الوسطى .

ولقد فضل هؤلاء الأعضاء من الطلبة ، وكان أكثرهم كما يلاحظ من
السباب الأصغر سنا ، الحزب الاشتراكي الوطني على غيره من المنظمات
الشعبية بالنظر إلى اتجاهه الراديكالى ، وأيضاً لما « لشكله التطبيعى » من
جاذبية كبرى . فلقد انفرد الحزب الاشتراكي الوطني بوجه خاص ، بجاذبية
شخصية الزعيم « (٢١) » وقوات المصافة . وهما ميرتان لم تتوافرا للأحزاب
السياسية الأخرى ، مما أكسبه ملامح مماثلة للمنظمات التي خبروها .
والتي شكلت شخصياتهم ، يعنى الجيش وكناهب التطوعين .

وفي السنوات التي تلت محاولة التضاضة هتلر واعادة انشاء الحزب ،
شبت مشكلة ساعدت على ظهور اختلافات داخل الحزب ، وتركزت هذه
المشكلة حول مسألة النشاط الانتخابى . وبعد التسليم بالبيود التي
فرست على أنشطة الحزب ، والتسليم بإمكان حصول امر حطر كامل
لالحزب ، أعلن هتلر وحبوب الائتراء بالتزعية . ورفض كثيرون من مقاتلى
الحزب هذا النهج القاتر . وكان لودولف حاسه من بين الرافضين لهذه
هتلر ، ورفضت زعماء هانوفر وزعماء حوتجن الاشتراكي في الانتخابات
المحلية في نوفمبر ١٩٢٥ . وفي ١٩٢٦ ، صمست هانوفر على الصى قديما ،
وتقبلت المرواح التي فرضها هتلر في الاجتماع الوطنى في فيمار في صله

Tagelak . (٢٢)

Postscript . (★★)

السنة . ولكن جوتنجن واصلت الرقعة التام إلى اشتراك في الانتخابات . وفي سنوات ١٩٢٧ ، أرسلت للهيئة الحاكمة برونريك شكاية إلى حشر تبينه اجتماع القيم جوتنجن عن الباع اتجاه الحزب ، والصعوبات التي تنجم من ذلك في الانتخابات القادمة . وتصور هذه الحادثة أسلوب حشر في الزعامة . قبلها من أن يتدخل على الفور ويأمر بإعطاء أوامر مباشرة ، فإنه استمر يسافر الاجتماعات المتطرفة المحادية للبرلمان التي يضمها زعماء جوتنجن ، واستمر على هذا الحال سنة أخرى .

ولا يتضح من الرواية التي ذكرها نواك ما الذي حصل في نهاية الأمر . فلقد أدى اسطال نشاط الاقليم ١٩٢٦ إلى حدوث بعض الاهتمام في البوائر المعد للحزب . ويعتقد نواك أن حاشه ربما عاد مرة أخرى لتتفرح لدواسته . وعلى نهاية ١٩٢٦ ، انطلقت الرعامة الفعلية للاقليم (جنوب هانوفر) إلى طالب زراعي سابق ، واحتفى حاشه من الصفحات الأخيرة للكتاب نواك . ولم يعد التنظيم بعد بلوغ الأحداث هذا الحد يعتمد على قلوب شخص واحد ، وعندما اشترك في الانتخابات في نهاية المطاف ١٩٢٩ في الفترة التي ظهرت فيها ملامح الأزمة الاقتصادية واضحة ، نجح الحزب الاشتراكي الوطني في جوتنجن في كسبه أكبر عدد من المقاعد في أي مجلس يباين في ألمانيا باستثناء كوبورج . وهي من المراكز الانتخابية ومن منتجات المياه المعدنية ، ولها شهرة واسعة كملاذ يجمع إليه الضباط السابقون . ولعل تركيز الحزب الاشتراكي الوطني عليها وعلى جوتنجن المدينة الجامعية قد أحرص السنة من أيدي الافتراض الذي لا أساس له من اعتماد الحزب على عناصر من قاع الطبقة المتوسطة . وعلى أي حال فإن هذه المسألة تساعدنا على الاعتراف بما في هذا التحول الجديد من تطورات .

ويخلص نواك العلاقة بين الاشتراكيين الوطنيين وطلبة الجامعة ببساطة شديدة فيقول : أن الطلبة قد أثبتوا شجعة استهواء النازية لهم . وقد أهد هذا الحكم نتائج انتخابات المجلس حيث كشفت قوائم الطلبة الألمان التابعين للحزب الاشتراكي الوطني عن نجاح منقطع النظير . في سائر أنحاء البلاد . ومن الملامح الملحوظة لهذا التطور أن يسبق تفكك الحزب في ألمانيا كلها . انتشار الإيمان به بين صفوف الطلبة . وظهر من نتائج الانتخابات في انتخابات الطلبة أن ١٨٪ أو يزيد من عشرات معاهد التعليم العالي في السنة الأكاديمية ١٩٢٩ - ١٩٣٠ قد صوتوا في صبيح ١٩٣٠ لصالح الحزب الاشتراكي الوطني . أي ليل أن يحصل الحزب على نسبة ١٨٪ من أصوات المنتخبين في الانتخابات الجماعية .

وأجرت إحدى الصحف الليبرالية (*) تحليلاً لهذه الانتخابات في يوليو ١٩٣٣ ، وبعد أن أعادت ترديد بعض الأوهام المتواترة ففكرة مجتمع الكتل البشرية ، وفكرة الطبقة المتوسطة المهددة ، استعصمت القول بأن الطلبة الأحرار (يسمى أولئك الذين لا يشعرون في أية جماعات احوائية) (**) كانوا الأكثر عرضة لتأثير الحزب الاشتراكي الوطني . غير أن نواك بين أن ما حدث في جوتنجن لم يترتب عليه سوى تبديل بسيط . إذ فقد الإخوان أربعة مقاعد في انتخابات ١٩٢٩ - ١٩٣٠ ، وكسب الاشتراكيون الوطنيون أربعة مقاعد واحتفظ الطلبة الأحرار بمقاعدهم الوحيد .

ومن ناحية الايديولوجيا والمعتقدات ، فقد كان الارتباط وثيقاً للغاية بين تنظيحات الطلبة والاشتراكية الوطنية ، إذ مثلت هذه التنظيمات الطلابية ما يحتمل أن يكون ريادة الحركة المناهضة للسامية في البلاد كلها ، وكان التأثير الجساعي قوياً للغاية . ففي اجتماع وطني لطلبة الطلبة في ايزنباخ ١٩٢٠ ، اتخذ قرار يحظر التعامل مع اليهود ، وشجعت الوحدات الفردية على خرس الاعتقاد : « بوجوب الاستعداد المطلق لفكرة اقدام المواطنين على الزواج بامرأة يهودية لو طلوة » . ونظمت مظاهرات ضد الاساتذة المشتبه في انتمائهم الى اليهود ، اشتركت فيها هذه التنظيمات في عشرينيات هذا القرن ، واتهم مثلاً من طلبة جامعة التكنولوجيا في هانوفر على مقاطعة إحدى المحاضرات ١٩٢٥ ، وامرت الجامعة بإحالة ١١ من الطلبة الى مجالس النادي بينما نقل ١٢٠ من أعضاء الجامعة (منهم ١٥٠) الى جامعة تكنولوجيا أخرى بالقرب من برولزفيك .

وفضلاً عن ذلك ، فلم يكن شعور الطلبة بالاستهواء نحو هتلر من الأمور التي بدأت في أواخر العشرينيات فحسب ، فلقد عقد اجتماع في جامعة مونيخ في ١٢ نوفمبر ١٩٢٣ بعد محاولة الانتفاضة بثلاثة أيام ، وحضره ثلثون من المبدأ وبعض الأساتذة المرموقين . ولقد هدف الاجتماع ظاهرياً الى المصالحة ، وجاء في تقرير الشرطة أن الكلية حاولت تهدئة الروح المتطرفة ، بينما صمدت في ذات الوقت ، الى الاعتراف بالأهداف الوطنية الصحيحة لهتلر ورواياته ، وأدانت - من ناحية أخرى - الحكومة أيضاً ، بيد أنهم رغم كل هذا عبروا عن منع المظاهرة المناهضة المؤيدة لهتلر .

Wendische Zeitung. (*)

Interaktion. (**)

ومرعى هاروله جوردون بعض معلومات عن وظائف أعضاء الحزب في بالماريا قبل الانتفاضة - فمن بين ١١٢٦ من الأشخاص الذين توافرت البيانات عنهم كان هناك عشرون ممن تدبروا على مهنة التدريس في الجامعة (الجامعة التكنولوجية وجامعة اعفاد مطلى المدارس الثانوية) - أما الاعلية فكانوا من مدرسي المدارس الثانوية (الحسازيوم) - وكان هناك ١٤٠ من الطلبة الجامعيين ، واعداد عترة في باقي الطلبة ، و ٢٧ من مدرسي المدارس الاحرومية - ولما بحاجة الى ارقام احصائية مقارنة للتعرف على مدى تمثيلهم العام للسداد بأسرها - ويذكر جوردون ان طلبة ميونخ كانوا يسمون من أجل الحزب في موطن اقامتهم - يسمى في اقليم بالماريا - ولقد تأثر توقيت الانتفاضة عتلى - الى حد ما على أقل تقدير - باشتراك الطلبة - إذ ساعد رجوع الطلبة للجامعة للاشتغال بالفترة الدراسية التي تعقد في الشتاء - على تنظيم اعداد قوات الماصلة بدرجة ملحوظة - ، ويقول جوردون ان هؤلاء الشيب كانوا يفضون حساسة للنضبة ، ولقد بدى التهام لاداء دور ما - ولم يقتصر الأمر على شعورهم بالنضبة لتأخر الاستجابة بهم ، فلقد خضوا أيضاً أن يؤدي انهماء الطلبة في الدواصة الى لتور النشاط السياسي عند أكثرهم - ، ولقد الطلبة مساعدات في مواضع أخرى - ففي مانهايم ، نظمت إحدى الجماعات (*) مسيرة الضمت كوحدة متكاملة الى الانتفاضة - .

ويشمل هذا الفريق من الطلبة طليعة المشتركين في مرحلة فصار . انهم الطلبة الذين اشتركوا في الحرب ، أو تأثروا بها على نحو ما . وكانت دوافع المحدين من الطلبة الذين ظهروا بعد ذلك مختلفة نوعاً . ويذكر سواك ان الجماعة الاخواتية ظلت بمعزل عن الاشتراكية الوطنية بفضل نظرتها التقليدية للمثلة للطبقة المتوسطة العليا ، والتي تعرف عن الاشتراك في السياسة ، إذ كانت الحركة القومية هي شاغلهم الشاغل ، فكانوا يحتفلون بالمظاهرات التقليدية ، ويضعون شعارات حلوة ، ويفرطون في الخراب ، ويمرغون بالاناشيد الوطنية ، ولكنهم - كما قال - يسمون كبما عن الاشتراك في صبرات الشوارع ، ومظاهرات قاعات « البيرة » ، التي اشتهر بها الاشتراكون الوطنيون . بيد أنه في نهاية المطاف ، وبخاصة بعد أن بدأ الكساد ، تأثر المنتبون لهذه الجماعة الاخواتية ببعض الأفكار ، التي استتارت كثيرين من هؤلاء المثالبين الذي ظفروا حتى ذلك الحين بمروقين عن الاعتماد بالسياسة - فآثروا الحركة التي تصدر فيها الناحية العملية على التواصي النظرية ، الحركة التي استغلت اتهام شباب الطبقة المتوسطة العليا بالانتماء بالذنب لمرزتهم الاحتشامية ، والتي

استطاعت أن تقرب على التوثر الحساس لثالثهم عندما زعمت اتباعها
 لسياسة اشتراكية وثيقة الصلة بالمال ، على عكس ما تزويد لمتباره
 اتجاه التنظيمات الماعية الى الاطوائية وعدم الاشتراك في الأنشطة
 الاجتماعية . وإنتاج الباريون لطيلة الطقة المتوسطة فرصة لشباب اهتمامهم
 الاجتماعية ، بينما ظل محصلا لقيمهم القوية النابعة من صميم الشعب ،
 والتي رفضتها المثالية البعيدة لليسار .

وبالاستطاعة عرو ما اتسم به الحزب الاشتراكي الوطني من اجتهاد
 وكفاية وحرس على اتقان حنجراته الى هذه العملية الانتقائية الفريفة ،
 التي كانت تحسن اختيار من يتنصون الى صفوفها ، من أهل الاقتدار ،
 ومن يطمح من يسعون بدوافع مادية لجمهوروية قيسار ومثليها ، وبالإضافة
 الى ذلك ، فتلك كان الحزب قادرا على من صفوه وزيادة أعدادها بالاستمالة
 بالطلبة القوميين ، واختيار مرشحيه بحد من أبناء جبل الشياح .

تدريب أعضاء الحزب

زودت عمليات الانتقاء الحزب بكوادره ومناشليه ، وأندته بمواهب
 متفردة تنصف بقدر غير خالوف من الالتزام . وكانت هذه المواهب تتلقى
 فيما بعد صفلا وتهذيبا ، يجرى عن طريق طائفة من البرامج التدريبية
 الماعية . وقد عانت هذه الواسي على كفاية الحزب وقدرته على الأداء
 بأفضل الأثر . وكان المصغون ، وبوجه خاص المختارون من كتابه
 المتطوعين والوحدات القريبة النسبة بها من المخصصين في تنظيمات القتال
 على نطاق واسع ، وتسييره . غير أن عمليات هتار الخاصة بإعادة إنشاء
 الحزب نصبت على الالتزام بالشرعية ، ومن ثم توجب على الحركيين الاشتراك
 في الأنشطة الانتخابية الروتينية التي تجري عن حين لآخر . وتعارض
 هذا المطلب هو والمبادئ الأولية للمفكرين من قدامى لقاتلتي ، وتسميه
 ذلك - كما رأينا - في وقوع خلافات داخلية كبيرة ، وإن كان بعض هؤلاء
 المقاتلين قد نافلوا بشير عنا ، وسرعان ما شعروا بالإغتماط لفقرتهم على
 سحق العدو باستعمال نفس أسلحته . غير أن بعضا منهم رأى لأسباب
 غنية عدم صعوبة هذا التناقل والتحول ، لأنهم كانوا قاندين على الاسراع
 باصدار الأوامر المناسبة في حالات الاشتباكات المباشرة . أما أعداد المطلب
 الانتخابية فيما لهم أمرا مختلفا عن مضمون تفوقهم .

على أن براعة الحرب تجلت مرة أخرى في طريقة حل هذه المشكلة ،
 فتلقت أنشأ مدارس لاعملد التعريفات الضرورية ، وبالنظر الى أن التطلب
 العام من المسائل الجوهرية لكل الأنشطة الحزب قد وثى دراسة هذه

البلحية دراسة خاصة للتعرف على كل دقائقها ، ومرة أخرى بوسعنا ان نمرك مدى التصاوض بين محاولات الحزب في هذا الشأن ومحاولات خصومه -

وامتقر الرأي على انفسه « مدعوة للتكلمين » ، تكون بالضرورة مدرسة تعميم بالمراسة « ، وبدأت على المستوى المحلي في اقليم بالقاريا العليا « وسرعان ما اعتترف بقيمتها « واتخذت شكل مدرسة الناطقين للرسميين باسم الحزب الاشتراكي الوطني في يونيو ١٩٦٩ « وتمشيا مع ما جاء في مذكرات حمرل اصبح هدفها : « تزويد المتحدث بمادة لا خلاف عليها تصلح لمختلف المناسبات حتى يتمكن له اعتمادا على معرفته الوثيقة ان لا يتعصر من البداية لهزة شبيهة بما يسمى « وهبة المسرح » ، اذا ادرك من البداية « علم قابلية مادته للنقض حتى من قبل الذ خصومه » - ومن ناحية اسمية « كان ما غطته « مدرسة المتكلمين » هو تجميع اصحاب الفواهب الطبيعية ثم المدربة ، وتدريبهم باتساع تعاليم ودينية اسمية تساعد على غرس الثقة عندهم ، وناهيلهم لمهم بهيب محاولات التكلم في المناسبات العامة - وفي ذات الوقت اظهارهم امام من يستمعون لهم بظهور من يملكون ناصية الكلام « وكان الاسلوب المتبع يمر بالخطوات الآتية :

« بعد تزويد الطالب ببعض التعاليم النظرية ، يطلب منه حفظ أحد الأحاديث البسيطة ، والتدريب على القاها امام الرأه - وفي الوقت نفسه يكتب الطالب حديثا من عند يده يرسله الى المسئولين عن المدرسة لتصحيحه ، ويبدأ الحديث مصححا ، وتوفى به المسئلة تعرف الطالب موضوع الشهر التالي ، مثالا : « اذا تلقيت رسالة من عامل مصنع يشكو من انخفاض اجره « فماذا تجيب عليه ؟ » وهكذا كان لمهد التدريب هاديات محددة للغاية ، فليس من اختصاصاته تقديم أية تعاليم سياسية على نطاق واسع « ولكنه يزود أكبر عدد من « المتكلمين » ببعض معلومات عن أوليات أو اصول تقنيات الأحاديث العامة ، ويقدّر كبير من الأحاديث الباهرة وبعض الاجابات التي تحفظ عن ظهر قلب للاستعانة بها في اجابة الاسئلة النمطية المكثفة من المستمعين « -

ويبدأ أربعة شهور من مثل هذا التدريب ، يقف المرشح حديثه الأول في حضرة دعيم فرع الحزب بالاقليم ، الذي يرسل تقريرا بذلك الى المدرسة « ، واذا دعى أن الأداء كان مناسباً ، تخصص الشهور الثانية الباقية من التدريب للممارسة الفعلية ، فيقيم الطالب بعض الأحاديث التي لا يقل عددها عن ثلاثين حديثا عاما قبل اعلان صلاحيته كمتلق رسمي باسم

الحرب • • ويصفه • أورلو • هذا المنهج • بأنه بدائي ، ويمثل نظرة
محدودة الأفق ، وإن كانت عظيمة الفاعلية •

وكان المتوقع أن يعلن زعماء الأقاليم أسماء المرشحين في أقاليمهم
(يواقع اثنين من كل إقليم) • وأرغم الطلبة على دفع مصاريف الدراسة
(ماركات شهريا) • وبذلك أثبت المحضون مرة أخرى وحرب مسلم
تكبّد الحزب أية تكاليف إضافية وزيادة على ما يمكن تحصيله من الضرائب ،
كلما سمحت الظروف بذلك • وإذا انتقلنا إلى ما حدث في مايو ١٩٢٠ •
سنرى أن ألفين وثلاثمائة من أعضاء الحزب • قد شاركوا في المسيرة •
ويقال إن للفريسة أو المعه له دربت ستة آلاف من الباطنيين باسم الحزب ،
في يناير ١٩٢٣ •

وورع الحزب قوائم بالمتحدثين باسمه ، لمحاولة التضييق المحلية في
تخطيط برامجها • ومن البديهي أن يتفاوت مستوى الباطنيين باسم الحزب
قيسا لقدراتهم ، واستمع بعضهم في تجمعات المد الكبرى ، ووجه
الأخرون لمخاطبة تجمعات الريف الأصغر (حيث لا يحتاج الحديث المعه
إلى تفرعات كثيرة) • ولما كان الحزب قد سلم بصورة كثير من هؤلاء
الباطنيين باسمه ، لذا فإنه لم يأمل في نجاحهم في اتباع أية أعداد كبيرة
من الألمان غير المتبعين للحزب بالأدلاء بأصواتهم في الانتخابات أو الانضمام
للحزب الاشتراكي الوطني ، ولكنه كان يتطلع إلى قيامهم ببعض أهداف
الحزب ، حل أهل القرى • والتأثير في عدد ولو قليل من المستمعين ،
واستحثائهم على التوجه إلى أقرب مدينة للاستماع إلى ما يقول المتحدث
باسم الأقدم ، الأصبح بياننا والأعظم تأثيرا • وعمل • الباطنيون • على
تقسيم أنفسهم إلى تخصصات تنمى لموضوع الكلام • فمثلا لم يقتصر
الناطق باسم الإقليم باتاريا العليا على تعيين ناطقين باسمه يتحدثون في
موضوعات متعلقة بمعرفة الحزب الاشتراكي الوطني كاليهودية والماركسية
والجنس والريف والتاريخ • ولكنه حصص ناطقين لمواضيع • حرب الشعب •
البيافري •

لقد تحدثت الفقرات السابقة الذكر عن ما قمته الحرب لوحدها
المحبة • وبالإستطاعة تصور ما هيئت إليه الصليبات بالروح إلى الوضوح
ذاتها ، وإلى نظرات الأشخاص الذين حملوا باطنهم بلسان الحزب ، والتي
يمكن استخلاصها مما ذكره نواك • فمثلا ما الذي يدفع شخص ما للتهدؤ
بهذه المهمة ؟ ولماذا يرضى أعضاء الحزب فترة من الزمن قد تستمر لمدة
سنة كاملة في إحدى الفرق التعليمية ، يتكيفون فيها بالمسروفات المطلوبة •
بالإضافة إلى عملهم الأساسي كأعضاء متطوعين مضطرين إلى حضور العديد
من الاجتماعات ؟ ويرد نواك على ذلك بأن هناك كثيرين كان الحاجة للصال •

إذ كانوا يدفعون « للناطق » سبعة ماركات عن الحديث الواحد ، ويسمح
له بالمبيت مجاناً عندما يتعد عن دائره « ويبدل سفر » ، ولكن عندما
ساعت احوال العمل « تزايدت أهمية الاشتغال بهذا العمل ، بعد أن
أصبح أفراد أعضاء كثيرين يعتمد على عملهم كناطقين رسميين ، وأصبح
هذا العمل مورد لهم الوحيد » .

وتفسر هذه الطبقة ديناميات الحرب الى حد ما . إذ كانت لهذه
حوافز قوية لمواصلة النشاط السياسي بعد انتهاء الحملة الانتخابية .
ففي مايو ١٩٣٢ مثلاً ، وبعد جولتين من انتخابات الرئاسة والانتخابات
البرلمانية ، برز الحزب محاولاته المستمرة بجأته « الى الاستمارة
بالتحدثين عن الاقليم الذين لقنوا وظائفهم الأصلية في سبيل عملهم من
أجل الحرب ، فعلمنا أن نساعدهم على مواصلة عملهم حتى يصبحوا
مستعدين لخوض الانتخابات القادمة » . وفي هذه الدائرة وفي دائرة
جنوب برزغريك ونقليم هانوفر ، كان هناك ٣٢ من أمثال هؤلاء الناطقين .
على أن هذا الإجراء لم يقصد به صالح « الناطق » فصعب : « إذ كان
فرض رسم دخول لحضور الاجتماعات حائراً أيضاً لقادة الفروع للأطلسان
الى اكتمال تنظيم الاجتماعات وتحضيراتها من الناحية الإعلامية » .

وهكذا ساعدت هذه الوسيلة التلقية ، أي فرض رسم دخول على
اجتماعات الحزب الاشتراكي الوطني على تحريك هذه الاجتماعات الى مبادرة
هربية ، إذ أصبح بالاستطاعة دفع مكافأة الماركات المسجلة للناطق باسم
الاقليم من حصيله رسوم إحدى الأمسيات ، وبالتالي أيضاً اطعمته في
دار أحد الأعضاء ، وإذا لزم الأمر فلا بأس أيضاً من استضافته طرف
أحدهم . وحتى إذا اضطر « الناطق » الى تناول طعامه في الطريق العام ،
وتخمية الليلة في دار الضيافة ، فإن التكاليف لن تكون فاحشة - وبذلك
يتمشى اتفاق ما تبقى من مال للأغراض التنظيمية والدعاية التي يحتاج
اليها لتمويل الأحداث التالية ، ولربما تكلف المتحدث الذي يحظى بشهرة
قومية أو عضو البرلمان ما هو أكثر . ولما كان أمثال هؤلاء الأشخاص
يكبدون مصاريف ومطالب أكثر ، لذا لم يكن من اليسير تكليفهم بهذه
المهام ، وإن كان النفوذ الأكبر الذي يتمتع به هؤلاء الأشخاص قد يفرى
منظمي الاجتماعات لغوتهم توقعاً لحضور جمهور أكبر يدر تسماً لذلك
إيرادات أكبر » .

وكان موقف للتفلسفين في الحزب الاشتراكي الوطني في هذه
المسألة ، وبخاصة حفيل الأحزاب البورجوازية هكذا « إذ كانوا
لا يتكاضون أي رسوم دخول ، فكانت اجتماعاتهم تتكبد نفقات طائلة ،
لا يحصلون في مقابلها على أي عائد ، ولم تعوّل لهم أية كوائد جبري

التخطيط المسبق وتنظيم الاجتماعات ، وكانوا يلتفتون الى لوائح معدة من المتحدثين المتخصصين ، وبغضلا عن ذلك ، فقد كان معظم متحدثيهم يستغلون في مهام تفصيل كل وقتهم ، ومن ثم لم يتسن لهم توفير وقت مكافئ لهذا الجهد ، كما هو الحال فيما يتعلق بالناطقين بلسان الحزب الاشتراكي الوطني ، وتسبب الكساد في الحاق خسائر فادحة بموقفهم ، فتشابل عدد الأعضاء ، وترتب على ذلك تخفيض المكافآت المستحقة لهم والإسهامات الطوعية وبذلك وهنت قدرتهم على عقد اجتماعات (أو للدعاية بالصحف) بدرجة حادة ، في الوقت الذي انطلق فيه الحزب الاشتراكي الوطني على نحو لم يسبق له مثيل .

ولا يستبعد أن تكون هذه التجارب التجريبية قد ألزمت على الروح المنوية للحزب تأثيرات متعلصة ، فمثل المصلين في ضروع الحزب الاشتراكي الوطني قد أدركوا احتمال نجاح مصلوئهم ، وأن الممرة قد تساعدهم على حوالة السير والاعداد لمجرلة القادمة ، على أن الأثر المقابل لذلك قد حدث في إحدى قرى برورفيك (٣) في أبريل ١٩٢٨ - فعل الرغم من توزيع عاتى تذكرة دعوة ، لم يحضر أكثر من اثني عشر شخصا ، وكانوا جميعا من أعضاء الحزب الاشتراكي القومي ، وأدرك « المتحدث » أن هذا الاجتماع لن يحقق أى طمع من الناحية التثقيعية ، وأنه أموا ما حضر من اجتماعات ، ه ففي كل مرة أبدا فيها الكلام ، يفاطسي شخص ما ، ولم يكن بين الحاضرين أى شخص من نوعيتنا - إذ كانوا يهابون ومسائل الحزب الاشتراكي الوطني » .

ولما في أول انتخابات رئيسية يشترك فيها الحزب الاشتراكي الوطني في سبتمبر ١٩٣٠ عند ١٠٧٠ - لم أن تصورهم لما يمكن أن يحققه البرلمان قد شمل سواء السبيل ، إذ اتجهت أنشطتهم اتجاها مختلفا . وقد عبر هتلر عن هذا المص قبل ذلك ، أي ١٩٢٦ عندما أعلن : « إن أهم ما ستمنى به هو تدوير تذكرة السفر للسويوت ، لأن هذه الوسيلة ستيسر لنا إيجاد منخصصي في إثارة المصاعر ، وبذلك تكلم مصلحة الحرب ، أن الرجال الذين يمثلوننا في البرلمانات لا يسافرون الى برلين للادلاء بأصواتهم ، ولكنهم يهودون في كل مكان دون أن يترسهم أحدا بفضل التذاكر التي يحملونها ، والتي تعود بالصح على الحرب » ، وكثلا تمكنا باتباع هذه الوسيلة الى حد كبير من عقد ٢٣٧٠ اجتماعا للصحاع في السنة الماضية » . وأشار جريبل الى نفس النقطة بعد انتخابه للرئيسستاج ١٩٢٨ : « د ليست محسوا في البرلمان لانا أسناد في الماعة وأسناد في

تصاريح السفر بالقطارات ، • وباختصار لقد ساعدت تصاريح السفر والقطارات الحزب بأن يسمت له «بقاد ناقلين» باسمه بمقدورهم الظهور في الأوساط المحلية بتكاليف ضخمة نوعا • ولم يكن أعضاء البرلمان يشاركون عادة في الأعمال البرلمانية ، فعلمنا أن لا تنسى أن الحزب قد نظم نظاما تمثيليا عنه حروجه من البرلمان في فبراير ١٩٣٦ ، ومن ثم فإنه اعتم بتفرغ مبعوثيه للمشاركة في هذه العملية الدعائية التي يمتد أثرها إلى تطلق أوسع •

ولقد تقدمت تقنيات السياسة أيضا كنتيجة ثانوية للاجتماعات السنوية التي تعدها الجماهير ، ولقد تركزت معظم اهتمامات المؤرخين على تشكيل جموع دورميرج والاجتماعات التي يلقي فيها هتلر خطبه ، وعلى ما في هذه الاجتماعات من مظاهر تنافس والمثل • إلا أن الصورة بعد معرفة جذور هذه الفكرة ستبدو مختلفة نوعا • إذ كان الأعضاء يؤلفون جلسات تبييت في الغمام ، أثناء فترة إقامتهم ، ويتوالى لهم الوقت لتوثيق علاقاتهم الاجتماعية بطريقة بعيدة عن الرسمية • أما قبل الأحداث الجسام ، أو في المساء المتأخر بعد وقوع هذه الأحداث • وكانت المناسبة تسمح أيضا باستimmung التجربة أو الاستفادة منها • وكتب أحد أعضاء الحزب الوطني الاشتراكي في مذكراته بأن الاجتماع كان يشمره بحجم الحركة ، وبأنه جزء من حركة كبرى متباينة المبادئ ، وتكررت ملاحظة أخرى من ملاحظاته على تنوع أساليب الكفاح • وكما قال : « يختلف الكفاح باختلاف المكان • فهذا يتساجرون ويتخاصمون مع أوغاد ومنحرفين • وهناك ينشب نزاع مع بعض القرويين السمان القتل (المحموق الذكاء) • ويدافع أبناء جنوب ألمانيا عن أنفسهم ضد الكاثوليك الذين يسمعون للحلقة بين الكنيسة والسياسة • ويهدف المتبنون لشرق بروسيا لمعارضة أي ود فعل • وفي لمس الكبيرة • كانت «الكوميونات» تعارض وتناور • أما هرق هاوغر فكانت تكافح ضد «الجويلف» (أي أعضاء الإنماء إلى الحكام الدوقات القديس) - نعم هناك اختلاف بين كل بقعة والبقع الأخرى ، ولكنه لم يحل دون اشتراك الجميع في الكفاح • لأنهم يمتثلون بالحاجة إلى أنواع مختلفة من الحلول والتكتيكات • وهذا اعتراف ينبغي في الأغلب من الكتب الجماهيرية والعملية على السواء التي كتبت في هذا الموضوع •

المراجع

- T. Abel, *The Nazi Movement : Why Hitler came to Power* ? 1938.
- W. B. Allen, *The Nazi Seizure of Power ; The Experience of a Single German Town 1930-1935* (1965).
- R. Bessel, *Political Violence and the Rise of Nazism : The Storm Troopers in Eastern Germany 1925-1934* (1984).
- A. Bullock *Hitler : A Study of Tyranny* rev. ed (1964).
- T. Childers, *The Nazi Voter : The Social Foundations of Fascism in Germany 1919-1933* (1983).
- E. J. Gordon Jr., *Hitler and Beer Hall Putsch* 1970.
- E. C. Heinrich, *The German Churches under Hitler : Background, Struggle and Epilogue* 1979.
- M. H. Kater, *The Nazi Party : A Social Profile of Members and Leaders 1919-1945* (1983).
- P. H. Merkle, *Political Violence under the Swastika* 1975.
- J. Noakes, *The Nazi Party in Lower Saxony 1921-1933* (1971).
- D. Orlow, *The History of the Nazi Party 1919-1933* (1969).
- D. Schoenbaum, *Hitler's Social Revolution : Class and Status in Nazi Germany* (1966).
- M. Steinberg, *Sabers and Brownshirts : The German Student's Path to National Socialism 1918-1935* (1973).
- J. Stephenson, *The Nazi Organization of Women* (1981).
- R. G. L. Waite, *Vanguard of Nazism : The Corps Movement in Postwar Germany 1918-1923* (1962).

كيف ظهر تاليه شخصية ستالين

روبرت • س • تاكر

حصلت جميع الأنظمة الديكتاتورية التي ظهرت بين العربين العشرين في ثنائياتها مبدأ تاليه شخصية الزعيم . وبعبارة أخرى ، فإن الشخص الذي يعترف به كزعيم ، لا يقتصر الأمر على تركيز الانبعاث العام عليه ، وتوجيه قدر عظيم من الاحترام لشخصه ، ولكن أصبح ينظر اليه كقوة مباشرة على كل من السياسة والأيديولوجيا في الحزب والدولة معا . ونسبت قوى خارقة للعادة إلى جانب القدرة السياسية والانتعاشية والبصيرة للزعيم الذي لمسح في جميع الجوانب على وجه التقريب اعظم من الحياة ذاتها ، وكان هذا ما حدث في حالة موسوليني وحتار على سبيل المثال ، غير انه ما لاشك فيه ان اعظم حالات تاليه الأشخاص الرا وأطواها بقا كانت مظاهر القناعة التي إحاطت بشخص ستالين في الاتحاد السوفيتي . ولا يرجع لوطعها إلى كونها نتيجة لا متنى منها للأيديولوجيا الشيوعية ، أو لأنها من موروثة الثورة البلشفية فحسب . فالحق أنها سارت في اتجاه مفاكس للمظهرين ، والأوضح هو أن تاليه شخصية ستالين كان إلى حد بعيد من صنع ستالين نفسه .

وبما تاليه شخصية ستالين يزلح ككشافة ١٩٣٠ على وجهه التقريب . ففي هذه السنة . كان له وقد هيمنته على الحزب الشيوعي السوفيتي . وإن لم يكن ذلك بصفة حذقة . وبوجه خاص ، ولهم جليل من المؤلف . فقد ألقى ستالين نردسكي من الحزب ، واعتبر متكلماته الخطر انحراف من الفهم الصحيح (يعني الستاليني) للأيديولوجيا الشيوعية ، وفي ذات الوقت ، قدم ستالين نفسه كخليفة لينين الطبيعي والدائم الاخلاص والوفاء لهذه طويل . فلا عجب إذا أنهم أحيانا خصوم ستالين

هذا من The Rise of Stalin's Personality Cult
Robert C. Tucker
في مجلة
American Historical Review
الجزء ٨٤ (١٩٧٩) ص ٧١٧ - ٧٦٦

— الذين لا يصح اتهامهم بالتعاطف مع تروتسكي — بالتشقة أو بالإيمان
بنظرة الاشتراكيين الروس الذين وقفوا من بتشقة لينين موقف العداء ،
وعند ستالين لم تغير معاني جميع هذه المصطلحات والأيديولوجيات ،
وأعاد تعريفها بما يتناسب للنظام .

وبان ١٩٢٩ و ١٩٣٠ خطا ستالين خطوتين حاسمتين لتفديم الهالة
للجنة التي أحاطها بنفسه ، واعتبر شخصه المصدر الخلاق فيه والرائد
في تفسير نظريات لادركسية ، وأضيف اسمه إلى اسمه ماركس وانجلز
ولينين ، كإلهيا - وضع عبقة لتصوره لتاريخ الحزب البلشفي ، تزعم أنه
أدى دورا أهم من الدور الذي نهض به بالكل في بواكير حياته ، واحتاجت
إحداثه لتزجوة كصاحب نظريات ومؤرخ إعادة كتابة الماضي ، وتزييفه
على نطاق واسع جدا . بيد أنه بحكم السلطات الرهيبة التي كانت تحت
أمرته ، لم يصادف أية عثقة في العثور على أصحاب القلم القادرين على
الاضطلاع بهذه المهام . ومنذ ذلك الحين أصبح تاليه الثنائي لينين ثلاث
وستالين أحي ، جزءا لا يتجزأ من الحياة السوفيتية إلى أن قام خروشوف
بنقد ستالين سرا في مؤتمر الحزب سنة ١٩٥٦ .

إن تاليه لينين ، الذي عارفه هو بالذات وحاول إيقاله عند حلقه ،
لم أن أصيب بالإعياء فتقاعد إثر نوبة قلبية أصابته في مارس ١٩٢٣ ،
فقد أصبح فيما بعد طاجا صبرا متفلقا في الحياة العامة السوفيتية .
ولا وحرد كسب فوجد يفسر كيفية تعلقه هذه الظاهرة ، وليس من شك
أن البلاشفة كانوا يطمحون بأخلاص المرحم باعتبار الزعامة الشخصية كانت
ذات أهمية حيوية للحركة منذ بنائها إلى أن استولت على السلطة ،
وأياضا لما حلقته عندها وضعت أسس النظام السوفيتي ووطدت أركانه
على السنوات اللاحقة . غير أنه من الحقيق أيضا أنه بعد موت لينين ،
احتاج النظام - بولجياتيا - إلى رمز يعبر عن سلطانه ، وبعد بالكل
تاليه لينين الذي يست أسسونه النضية المتصاعدة متنافرة مع المنصب العلاني
الذي يرسم الحرب الشيوعي اتباعه ، مثلا لكيفية احتواء الثقافة السوفيتية
على عناصر متولدة من الماضي الروسي ، كانت في هذه الحالة هي تاليه
الحاكم ، إذ ظل القصب الروسي ثرونا طويلة مؤلفا من أعداد كاسحة من
القرودين ، ومتملکا بالنظام الموناركي . وقتحت الثورة الباب أمام العديد
من أبناء البلاشفة لشغل مراكز مرموقة في المجتمع الجديد ، وأدى الاتجاه
نحو التصنيع ، وطبع الحياة بالطابع الجماعي إلى تجميد ملايين من
الأشخاص الذين ينحطرون من صلب المزارعين للصل على ميدان الصناعة .

وصحبوا معهم بالاضافة الى تحريرهم الموسيقية ، وتعلمهم على طريقة
المسوغات رواسب من العقلية القروية التقليدية ، التي ضمت احترام
السلطة المتكسبة سواء صدرت عن الرئيس المباشر ، او من رأس الحزب
والدولة . وهكذا كانت الأوضاع الاجتماعية في روسيا عند حدوث التحول
الكبير (١٩٢٩ - ١٩٣٣) مهية لتقبل مبدأ تأليه الزعيم حيا او ميتا . . .

وقبل لينين التذليل المسام على بعض في عيد ميلاده الخمسين
(١٩٢٠) . وحتى آتلف تأليه قزر - بجفاف - من المديح التي تمجده به
رفاقه . وهكذا يكون تأليه ستالين قد الحرف عن التقليد البلشفي المأثور ،
باعتباره مثل اسملاقا عاما لرعيهم حي ، فكيف اذن يزغ تأليه ستالين ومتى ؟

● السياسة الواعية ضد احتلالها بالاحتياجات السيكلوجية ●
كان تأليه ستالين ، الى جانب تأليه لينين - بعد احداث تكلمل بينهما - يرمو
الى زيادة اخصاب مكانة ستالين على نحو يفوق ما كان عليه الحال في
بداية الثلاثينيات ، فعل الرغم من أنه حتى بدون لا ياس به . وربما
بالقصبة داخل دوائر الحزب أثناء السنوات الأولى التي أعطيت موت
لينين ، الا أن ستالين لم يتمتع البتة بأية حظوة يمكن أن تقارن ولو من
بعيد بالحظوة التي نالها لينين ، وقضلا عن ذلك ، فإن شعبيته قد تعرضت
للتصويق في بواكير الثلاثينيات من تأثير السروع بالاكراه الى الجساعية .
وما صاحب ذلك من معاناة (١٩٣٢ و ١٩٣٣) . ولا وجود لأي دليل يوحى
بأنه كان معرضا آنذاك للقلبه . ومع هذا فلم يكن ستالين قد اكتسب
حتى ذلك العهد السلطة المطلقة . الا ظلت الطغاية الجبرلية الانتقادية
بالبية (على أقل تقدير في الدوائر العليا للحزب) . ولم يتوالى له أي
ضمان ضد ظهور معارضة جديدة ودا على ما وقع حديثا من بلايا . ومن
ثم فقد اهتم ستالين - بلا ريب - بصد المتاعب التي قد تطرا مستقبلا
بجعل سيادته السياسية محصنة ضد أي اعتداء عليها ، وتمتع بقدر كاف
من حدة البصيرة جملة يمدرك أن ارتقاءه الى مركز مرموق مشابه لمرکز
لينين في اعلام النظام الموسوشر قد يكون ذا خالفة لتحقيق هذا العرض .
ورغم أهمية هذا التفسير ، الا أن الدافع السياسي وحده لا يمكن أن يفي
لايضاح ما فعله ، فلم يقتصر الأمر على استمرار التأليه في الطفاقم ، بل
أن تزايدت سلطته اتصافا بالطابع المطلق فيما بعد في الثلاثينيات ، الا
أن هناك دلائل مباشرة وغير مباشرة تبين أن هذا الادعاء كان مبنيا لنفسيته
ولسلطته أيضا ، فلما كان ستالين طموحا بلا حدود ، ولكنه لا يهتم
بالأمان بينه وبين نفسه ، فإنه أحس بحاجة تدفعه الى المسمى نحو تأليهه
تأليها مطلويا ، وهو اتجاه فقر منه لينين .

والتي دأى اسم « ستالين » قد ربح الى شخص ما بعد تصويره في صورة مثالية أضحت على صاحبها المثل لصفات أهل الأرض مثل هذه الصورة أمر لم يكن معروفًا على نطاق واسع في روسيا - وتمكس هذه الحالة - هي تسمية - محاولة ستالين المدروسة لتقليد المثل الذي ضربه لينين - هي ملمس - للتحقق في صورة بعيدة عن التكلف للتواضع - وفضلا من ذلك ، فقد كانت ستالين يسه و بين نفسه يردى تكرار التحقق والتلف فرأيناه مثلا يحتتم رسالة بعث بها الى أحد البلاشفة القدامى (شاتوفسكي) في أغسطس ١٩٣٠ بالقول : « أنك تحدثت عن ولاك لي - ولعل هذه العبارة قد انزلت عفوا - فإذا كانت هذه العبارة مجرد قول عابر فإني أعتصمك بالإبعاد عن مبدأ الولاء للأشخاص - فهذه ليست من سيم البلاشفة - عليك أن تكسر ولاك الأول للطقة العاملة ، وحزبها ودولتها - فهذا هو المطلوب ، وهو أمر حسن - وإياك أن تخلط بين هذا النوع من الولاء والولاء للأشخاص الذي يمد ولاء أجوف ، ولا حاجة له ، لأنه من الأعيب لأهل الفكر » -

غير أن الرجل رغم القناع الذي يرتديه من التواضع كان متطشفا للولاء الذي زعم اردوامه ، وكشف عن ذلك بأفعاله ، وأفعاله عملائه المتعجبين له ، وبقبوله التزليد الرسمي الذي ظهر في صورة مكثفة خلال الفلائيبيات - والحق أن ستالين في الشهر نفسه الذي بحث فيه بهذه الرسالة الى شاتوفسكي كذب في تصريحاته الخاصة بهذه النصيحة بالذات - ففي يونيو ويوليو ١٩٣٠ ، شهد مؤتمر الحزب الهادي عشر أمانة المدايح العامة التي توأملت عليه ، وقد حتم لويس فيشر الذي غلب ذلك الحدث (٥) رسالته التي كتبها بعد انتهاء المؤتمر بالقول -

قد ينصح أي صديق طيب أيضا ستالين بأيقاف عربة تمجيد مجالين التي سمح باكتساحها للبلاد ، فبوجها تتدفق عليه مئات البرقيات التي تملح بالجمالات - على الطريقة الشرقية - المبال فيها - أنت أعظم زعيم ! وأعظم من لينين وما أشبه - وأطلق اسمه على ثلاث مدن ، وما لا يعد ولا يحصى من القرى والمدارس الجماعية والمصانع والمعاهد - وبدأ أحدهم الآن حركة تدعو الى تغيير اسم سكة حديد تركيا سبوريا (٥٥) لكي تصبح « خط ستالين الحديدي » ، ولقد تصفحت الجرائد التي صدرت في الفترة ما بين ١٩١٩ و ١٩٢٢ ، ورأيت أن لينين لم يسمح قط بمثل هذه الأساليب المجحوة ، وتمتع بشعبية تفوق الشعبية التي

يتمتع بها ستالي . والتي تأمل أن يسلطها . من هذه المظاهر تكشف عن نقائص صنف في خلى ستالي ، ومن المؤكد أن أعدامه - وهم كثر - سيحتفلون بها ، لأنها تتماهى وروح البلشفية ، كما أنها بصمة عن الحكمة . ولو صح القول أن ستالي غير مسئول عما ، إلا أنه لا يقيق بها على أية حال . ويومعه أن يوقف كل هذا بضغطة واحدة على أحد الأزرار .

وفيما بعد أسر أحد العاملين بالكتب الصحفي في القوسرية الخارجية - وكان من بين واجباته إسطار ستالي بما تقوله الصحف الأجنبية عن الشئون السوفييتية - أسر إلى فيشر بأنه عندما ترجم القصة التي سبق الاستشهاد بها ، عقب ستالي عليها بقوله : « ابني الكلب ! » (٩) . ولا يخفى أنه شعر بغيرة صادق الملاحظة التي بدت من فيشر ، وأمس بمسؤوليته عن ظهور مرعة ناليه ستالي .

ولا يعرف على وجه الدقة متى شاعت عبارة التالية هذه وهذافها . ولم يسهل تحديد ذلك . وإذا اتخذنا الاحتفال الرسمي بميلاد ستالي الخمسيني (١٩٢٩) كمناسبة لهذه الظاهرة ، فإنا لن نحالف حادثة أخرى يمكن الارتكان إليها في تحديد هذه البداية . أو أية سابقة أخرى في تاريخ الثورة البلشفية تدل على سبق ترحيب الآخرين بها . فلفه نظير إلى بلوغ لينين سن الخمسين على أنها مناسبة لم تتكرر قاتية . ولعل كتيرين من شاطئ المناصب العليا قد ولو أنه من المناسب بالمثل الاحتفاء ببلوغ ستالي من الخمسين . وبعد ذلك ستة شهور جاء التبريل لهذه الفكرة في المؤتمر السادس عشر ، غير أن بوجبة العلمانية هذه مرة أخرى ، عمل الزعيم من إذ اسمه كثيرا ما ظهر في الصحافة السوفييتية ، فإن الشهرة المستمرة لتأليه ستالي في وسائل النشر السوفييتية لم تظهر . ١٩٣٠ ومظلم ١٩٣١ . بيد أنه بعد ذلك بفترة وجيزة بدأ استعمال العبوة لتأليه ستالي ، الذي خطا بنسبه بعض خطوات للاستعانة على تحقيق ذلك .

وجاءت إحدى هذه الخطوات في الفلسفة ، وهي ميدان من المبادئ الصلبة التي تسابقت فيها مختلف مذاهب الفكر لاحتلال الصدارة في جو تمدح نسي في حقبة السياسة الاقتصادية الجديدة (١٩٢٩) . وعلى منتصف العشرينيات ، فقد أنصار ما يدعى بالزراعة الآلية المادية مكانتهم المؤثرة السابقة ، واحتلت الصدارة مكرسة من التوازي للجنرال الفصيل

Time

(*)

Time

(**)

برعاية ديورين وجاء موقفهم دنا على دعوة لينين للفلاسفة الروس ١٩٢٢
لتكوين جمعية - الاتحاد الماديون للجدل الهيكل - .

وعلى الرغم من وجود بعض كتابات فلسفية لصالح لينين ، الا انه
لم يكن مستغربا أن يوضع اسمه بعد اسم جيورجي بليخانوف كفيلسوف
ماركسي ، وقبله على ذلك ، فقد جنتح انصار ديورين للنظر اليه على انه
انجلز محصر في ميدان الفلسفة (١) . اما ستالين فقد نظر اليه على عكس
ذلك في دوائر الحرب الشيوعي أي على أنه من العماليين (٢) باستثناء
ما كتبه نظريا عن مشكلة القوميات ، وتدينه للمذهب النيبسي في كتاب
« أمسي لينينية » وهكذا كان دوره في الفلسفة الماركسية صفرًا .
وتوجد أدلة مثيرة للاهتمام لتأييد هذا الرأي في شكل قائمة نشرت ١٩٢٩
للكتابات التي يترجم المام الملتحقين للفصل بالمعهد الفلسفي للأكاديمية
الشيوعية بها صليًا . ولقد أدرج ٣٣ عملا تحت بند المادية التاريخية
والجدلية . يعنى الفلسفة . واستهلكت القائمة بستة مؤلفات لماركس
وباجلر ، متبوعة ستة أعمال أخرى للينين ، ثم أربعة لبليخانوف . ثم
سبعة لديورين - ويحيى بعد ذلك تحت الرقم ٢٣ كتاب ستالين « مشكلات
اللينينية » ، ورغم مثل هذا الترتيب المتشدد ، الا أنه لا يستبعد أن يكون
اسم الكتاب قد أدرج في باب اللياقة فحسب . واحتلت القائمة بديكرات
وهوبر وهيوم وبركلي ، ولعل الفلاسفة الغربيين سيفحصون لذلك .

ولم يكن بقلود ستالين أن يفتح بذلك لأسباب سياسية وشخصية
معا - بوصفه زعيم الحزب (٣) ، وحليفة لينين ، رأى أن واجبه يفرض
عليه تبعا للتقاليد البلشفية أن يكون صاحب عقلية نظرية ماركسية خلاقة
من الدرجة الأولى ، بالمعنى السياسي ، ان لم يكن أيضا بالمعنى الفلسفي
الضيق . بيد أنه لم يحقظ عند هذه التطلعات السياسية التي يفرضها
دوره كزعيم . إذ كان يتطلع تطلعا شخصيا للشهرة كأحد المفكرين
الماركسيين . وأدرك بيترلاي بوغارين - وكان يعرفه معرفة جيدة - وأكد
ذلك في حديثه المبرر مع ليد ، كاتيف ١٩٢٨ - واستمر ستالين لسنوات
يردد زعمه معرفة الفلسفة الماركسية ، وطرح ما تخيل أنه أصول المادية
الجدلية في محبته (١٩٠٦ - ١٩٠٧) . [الموض أم الشيوعية] ، وفي
رسائله (١٩٠٨) التي ضايقت لينين ، وصف ستالين المجادلات الفلسفية

Soviet Marxism and Natural Science-David Joravsky.

١٩١٧ - ١٩٢٢ ص ٧٠ .

Praktik

{٣}

التي هي مع جماعة بوجدانوف حول مذهب الماشية (٢٠) بأنها « رومة في
فصحاح » ، وامتدح بوجدانوف لاشواته « الى بعض أخطاء فردية عند البتس
(ليتني) ٩ »

وواصل متالين في حضم انشغله السباعية في السنوات الأخيرة
محاولة تنظيم احاطته بالماركسية كلفسة . واستدعى جال ستر - وكان
من رواد الفلسفة في مذهب ديورين لاوتاده عند دراسته للجدل الهيكل .
وتضمن النهج (العلمي) لستني - والذي استعمل به فيما بعد في مذهب
الأساتذة الحمر - دراسة متوالية لكتاب رأس المال لماركس وفصولولوجية
الروح لهيكل . وواظب ستالين على الالتقاء بستر ماركس امبوعيا (من
١٩٢٥ الى وقت ما ١٩٢٨) . ثم طالب متالين بعد ذلك باجراء وقعة ،
وشعر ستر بالاحباط من جراء الضغوط التي واجهها متالين عندما أراد
الامام بيجل (٢١) .

وعبر ستالين عن الاتجاه المميز لقبه مستقبلا عندما أحضر مؤتمر
الزرعيين الماركسيين في ٢٧ ديسمبر ١٩٢٩ بحاجة النظرية الماركسية الى
مساهمة المناصرة الجارية خطوة بخطوة . ولم يمض وقت طويل - كما
رايسا - حتى وايسا اتفق من شباب البلاشفة من أجل الفلسفة والبول
الانتهارية في مذهب الأساتذة الحمر . ماغيل . ف ايودي ومارك . ب .
ماثي يؤيدان نفس الفكرة . واشتركا معا وأستاذ ثالث (قد . والتفتش
في نشر طال طويل في جريدة البرافدا ٧ يونيو ١٩٣٠) لمباصرة فكرة
اتباع الفلسفة طريقا آخر في تصور المشكلات النظرية عند بناء الاشتراكية .
وعلاقتها . وأطروا على ستالين لأنه صرب مثل في تمييز مفهوم الجدل
الماركس المينيني . فصاغ نظرية الكفاح في جبهتين . يعني ضد اسراف
اليسار والسبي معا ، ومطالته بفلسفة مناظرة تدعو الى الكفاح في جبهتين .
وعلى الرغم من عدم مهاجمة كتابي ديورين صراحة الا ان مقال ألم الى
تمثيل مذهبهم للمفكر في الحياة الفلسفية الثانية والواقع ان المؤلفين الثلاثة
له اعظموا بدور الريادة كنسوة لمذهب متالين جديد في الفلسفة
السوفييتية . وانعكس رضاء ستالين - ان لم نقل والباياتة أيضا - في
الملاحظة العدة التي نشرت مرفقة بالمقال ، والتي رجعت « ان الحررين قد
ربطوا أنفسهم بالقضية الأساسية للمقال الحالي » .

(٢٠) نسخة الى الميكسوف المسوق أرست مانح (١٩٢٨ - ١٩١٦) ولعل نفس مذهب
المادى الذي يرى نفس الفكر على ما يستلزم تجريده .
ولعل نفس مذهب المادى الذي يرى نفس الفكر على ما يستلزم تجريده .
(٢١) Roy A. Medvedev دعوا للثوار يحكم أصل الستالينية بعراقها .
تعرف روي ميديف على ما دار من حوار بين ستالين وستر ، من صديق ستر .
E. P. Prolov.

وما لبث ستالين أن تسلس بشخصه في البعثة الفلسفية ، ففي ٩ ديسمبر ١٩٣٠ ، تحدث عن التواحي الفلسفية أثناء مقابلة جرت بينه وبين جماعة من الفلاسفة من معهد الأساتذة الحبر ، واستشهد بيني فيما بعد بما قاله عن وجوب ، التجويف والحفر في الأرض المعدة للفلاح ، بعد أن تراكمت فيها مسائل الفلسفة والعلم الطبيعي ، ولابد بوجه خاص : ، من تجويف كل ما كنته جماعة ديورين ، وكل ما اشتغل على اغلاق في مجال الفلسفة ، وكانت مدرسة ديورين صورة فلسفية للذهب التصحيح الذي اضوى تحت جناحه أصحاب المذهب المتغيرة في صوغ انيولجيرمات (أي المصطلحات المنوالية) الحريلة ، ولا بأس من تسمية هذا المذهب ، بالمذهب المثالي المسمى المنوع ، - طبقا لما رآه ستالين - وأردف قائلا : ، من الضروري الكشف في عدد من المواقف الحاطة التي اتبها بلخايف ، والذي كان دائم الازدراء للينين ، واستمر ستالين يؤكد في المقابلة دور لينين في التحليق بنظرية للمادية الجدلية في آفاق جديدة ، وذكر له ، المذهب المادي قبل لينين كان يحالج المسائل بعد تفتيتها الى فئات ، واتبع لينين الخطوات النقدية العلمية الحديثة فاعتدى الى تحليل ماركسي للنظرية الالكترونية للمادة ، ولكن ورغم ما ابتكره لينين من مستحدثات وفيرة في جميع فروع الماركسية ، الا أنه كان شديد التواضع عزوا في النقص في اسماءاته ، وبات لربما على أتباعه توضيح انظار التي استحدثها ،

ومثل ستالين دور الفيلسوف الأول للماركسية الذي ما زال يلهم بالبعثة ، وعلى الرغم مما بدا في كلامه من عفاة ، فانه كان يتحدث وكأنه الفيلسوف الأوجد والمصدر الموثوق الأوجد ، الذي يجب أن يرجع اليه باقي الفلاسفة ، ومعها ورد انشاج الطريق لانهصاره - كي ترتفع قامته وترسخ مكانته - شجع من توسع فيهم القفرة على الهم من أبناء مذهبه الفلسفي على التهجس على ديورين وبلخايف اللذين كانا يحتلان مكانة مرموقة في عقول فلاسفة السوفييت الماركسيين ، حتى يغلو له عرش الفلسفة - وأصبحت كلمات وعبارات مثل « الديورية » ، « والمثالية ذات المنوع المثني » كلمات تتركها الفلاسفة كناية عن الضلال الفلسفي في المجلات الفلسفية كمجلة « تحت راية الماركسية » مثلا وغيرها من المنشورات ، ولم تعد القوائم التي ظهرت بعد ذلك متضمنة أسماء الكتب المنقحة للاستمرادة لطلبة الفلسفة تضع اسم ستالين في المرتبة الثالثة والعشرين ، واختفت من القوائم أحدث ديورين العلمية تماما .

ولم يشر ستالين في المقابلة أية إشارة مباشرة لمؤلفاته الفلسفية . وإن كان قد ذكرها ضمنا في تصريحاته ، غير أنه اتبع استراتيجية غير

مباشرة في توطيد تأليه شخصيته ، تمثلت في الأسلوب الذي تحدث به عن لينين . ولا كان لا يشعر بالكثير من الإعجاب والحماسة لرايا لينين الفلسفية ، فلماذا إذن أنثى - متفقيها - على لينين الفيلسوف ، وحذر المستمعين من الشعور بالاحباط من جراء توافع لينين ، واحكامه عن التحدث عن إسهاماته في هذا الميدان ؟ فأولاً - كانت هناك الرسالة الأثرية - التي تذكرنا بايروب - والتي لا أظنها فأتت على طعنة نصر المختصرين (*) - ، بأن المقصود هو أن عليهم أن لا يشعروا بحياة الأمل إذا اكتشفوا تواضع ستالين . الذي يرجع لنفس السبب ، ولكن الأهم هو أن ستالين كان يضع في صورة لينين ومكانته الفلسفية كوسيلة لهم زعمه بأنه يمثل الأولوية في هذا المجال ، وصور لينين الذي شغل رئاسة الحزب يوم ما في ناحتي السياسة والايدولوجيا على أنه الفيلسوف الأول للحزب أيضاً . وبذلك احتل مكانه ميخائيلوف الذي كان ينظر اليه كرائد الماركسية الروسية قبل تحوله الى أحد المنتهيين . وبذلك يكون ستالين عندما نسب الى لينين دور الزعيم والمرجع الأول للفلسفة الماركسية ، قد ساعد الفلاسفة على ادراك صلاحية هذا المسمى الرحيب للتطبيق على خليفة لينين .

وسرعان ما فعلوا ذلك ! ، ففي ١٩٣١ انتقد البلاط باسم اللجنة المركزية للحزب الفلسفي طفا مرياً « المثالية المنهجية المزعج » ، كما وردت في الموسوعة السوفيتية الكبرى . وكان أول ما تعرض له الهجوم النبذة التي كتبها ديورين في الموسوعة عن هيجل - فبعد أن أنه الكاتب البشني آراء ديورين وآخرين من نفس منهجه باعتباره أصحاباً للمثالية المنهجية المزعج قال : « نعم لابد أن نشرح الجدلية المادية ، ولكن هذا الشرح يجب أن يستند الى أعمال ماركس وانجلز ولينين وستالين » . هنا ظهر الرباعي المقدس (ماركس وانجلز ولينين وستالين) الذين يرمزون مجتمعين الى الفكر الستاليني والثغالة الستالينية التي ترايد انتفاها بعد تعليق الصور الأربع الضخمة بالحجم الطبيعي على واجهة مسرح بولشوى بموسكو عند الاحتفال بيوم مايو في ١٧ نوفمبر وفي مناسبات أخرى .

وهكذا نشأ مبدأ تأليه ستالين كقول فيلسوف شجوعى بجي في اعقاب ماركس وانجلز ولينين ، غير أن هذا الإجراء لم يبد كاتياً . فلهذا نفس هذا التطور غرس بذرة التصلب والتحصن التي عدت الطابع المميز لثقافة الفكرية الستالينية في جميع المجالات ، والتي تميزت به على المنهجية السابقة لستالين ، فلم يكن تناول كتابات لينين الفلسفية - وأقل من ذلك كتابات ستالين - كأنها عمالة مقنعة من الوسائل التي

يكلف أشخاص بتأسيسها على الإطلاق . ولم يعد ستالين مجرد الفيلسوف الأول ، ولكنه أصبح أيضا بمثابة الحقبة الموثوقة في بعض مجالات أخرى ، ويكلف بدلاء له - من أمثال أندريه فيشنسكي في المسائل التشريعية - لاعتلاء عرش الحقبة الموثوق بها . وكان من بين الأدوار التي يتغنى بها أمثال هؤلاء الثواب أو التبرؤ استتالين لتحديد دوره في معرض حادثة الفضائل ، أو لوكييد صديق ما قاله ستالين - وتبعا لذلك كان بدلاء ستالين يختارون من بين العلماء الذين يجمعون بين القراءة الفكرية - في معظم الأحوال - والمجودية المطلقة ، التي يستطاع الوثوق فيها ، أما الشخص الذي يتمتع بأي قدر من الاستقلال الفكري - ويتغنى المظهر عن مدى تحمسه للخدمة الشيوعية - فمرفوض ولطفا بآقا -

وإذا كانت الماركسية الفلسفية هي أول ميدان أخلاقي ستالين لانفصاه صرح تأليهه ، فإن تاريخ الحزب بعد الساسة التالية - وهذا كان يتحرك في ساحة تقسم طبقة الحساسية السياسية ، إذ كانت حوليات الماضي اليسيفي من الفلسفات الموقونة للحركة . غير أن ستالين أقحم اهتماماته الشخصية في هذا المجال أيضا ، يمس سيرته الثورية الخاصة ، ولم يكن هناك ما هو أهم من هذه الساحة في نظر شخص الساق وراء الثغور بأنه ليس الثاني في الحركة اليسيفية في الماضي وأيضا في الحاضر ، واتسمت خطواته الطريقة الموهودة التي اتبعها كثيرون في سعيهم لتغيير سجل الأحداث ، فكثف رسالة إلى رؤساء التحرير ،

وفي بداية الثلاثينيات ، كانت أبحاث تاريخ الحركة الماركسية ما زالت تحرى بحرية أكيدة ، وتناقش القضايا التي تحتل الخلاف بعيدة ، واستمرت المؤلفات الغالة على البحث المخلص الحاد تصدر في روسيا السوفيتية ، وتظهر إلى مصروعة من المسائل كذلك المتعلقة بالحرب الديمقراطي الاجتماعي الألاي والفعولية الثانية قبل ١٩١٤ بقدر كاف من الاهتمام إلى حد قيام أكاديمية التاريخ الشيوعي بتكليف مجموعة خاصة بدراستها ، وكان مكرتير المصروعة الأكاديمية هو سلوتسكي ، ونشرت مقالات مختلفة كتبها أعضاء الجماعة ، وظهرت واحدة منها في جريدة الثورة المروليثاوية ١٩٣٠ . وتركز الموضوع الألاي لسلوتسكي على موقف لستين من الانقسامات المداخلية داخل الحزب الديمقراطي الاجتماعي الألاي قبل ١٩١٤ . وكان إدوارد برنشتين يترجم جناح التصحيح في هذا الحزب ، ويساربه جناح الوسط الذي كان كاول كلوتسكي وأوجست ميلل يتزعمانه ، ورأي كثيرون - وهي بينهم لستين - أن مذهبها يمثل الماركسية الثورية بصديق تمثيل ، ويمثل أقصى اليسار جناح من المتطرفين بزعماء روزا لوكسمبرج . ورغم سلوتسكي أنها منذ وقت بآكر ، يرجع

الى ١٩١١ قد أدركت وأعلنت صراحة الطابع الانتهازي الأساسي لجناح الوسط الخاضع لكاوتسكي ، أما لينين فبرغم التزامه الحق من رعاية كاوتسكي - بيبيل وانتقاده حتى منذ ١٩٠٧ ، إلا أنه استمر يملئ آحاله عليها ، ويعترف لينين نفسه في رسالة ترجع الى أكتوبر ١٩١٤ : « بصواب موقف روزا لوكسمبرج » ، ولم يكتشف ريف الطابع الثوري لكاوتسكي في وقت سكر مثلاً فعل اليساريون المتطرفون الألمان . واستخلص سلوتسكي من ذلك ان لينين « قد كشف عي جانب من اسامه التقدير لحط الوسط في الحرب الألماني قبل الحرب » .

ويثبت نشر هذا المقال أنه بالرغم من وجود تاليه لينين في بواكير ١٩٣٠ ، إلا أنه كان ما زال من المبسور نشر مقال لا يعامل لينين كأنه أيقونة مقدسة ، أو على أنه إله معصوم من الخطأ ، ويتمتع برؤى خارقة تتجاوز حدود البشر ، نعم لقد أسس - كما يبدو - صرحو مجلة « الثورة البروليتارية » من البلاشفة (*) بالخطر المحتمل ، لأنهم أضلوا الى متن كتابتهم حافساً يظنون فيه اتفاقهم مع تفسير سلوتسكي لما قاله لينين وأهم أجادوا طبع مقاله لفرض الفئاش والحيث وحسب ، - غير أنهم لم يكونوا على استعداد لمواجهة الصاعقة التي أثارها ظهور المقال عند أعلى مقام ، فلقد أثارَت صخط متألين ، وكتب رسالة حول المقال عنوانها : « فيما يتعلق ببعض مسائل في تاريخ البلشفية » في نهاية أكتوبر ١٩٣١ .

وعنه ستالين أولاً الى سحق موقف سلوتسكي الى حد تجاوز كل عقل ، وذكر أن اتهام لينين بالاستهانة بخطر « الانتهازية المستترة » ، يعني اتهامه بأنه لم يكن بلشفياً صليماً قبل ١٩١٤ ، « لأن البلشفي الحق لا يمكن أن يستهين بخطر الانتهازية المستترة » . فليس البديهيات لمحببه أن البلشفية ظهرت وترعرعت وسمت قوتها في كفاحها النضوي ضد الوسط بجميع درجاته ، ومن ثم لما كان ينبغي على رؤساء التحرير قبول الهراء والبهذيان والتواكل اللثوية ، حتى إذا ذكرت لحدود الفئاش لمسألة صحة ايمان لينين بالبلشفية ليست من المسائل التي تنتظر الفئاش . ثانياً - احتج ستالين على نظرة سلوتسكي المسببة لرويا لوكسمبرج واليسار المتطرف والحرب الديمقراطي الاجتماعي الألماني قبل ١٩١٤ ، وشعر بشدة التقزز من مجرد تصور احتمال علم لينين أي شيء عن هؤلاء الأشخاص .

(*) مؤلفا المرحومين M. Savolev و V.V. Adoratski

و M. B. O'zminski و D. Barvski و P. Geyn

وتكشف الطابع الروسي القومي المتشدد لبلشفية ستالين أيضا في رسائله . فقلد عرض نظرية تاريخية تمحورت حول دور روسيا في تاريخ الماركسية اللادوية : « البلاشفة الروس محفون لذا اعتبروا موقفهم صحت اختيار لصحة الماركسية الثورية عند الاشتراكيين الديوقراطيين في الخارج » لقد تأكد تكهن لينين (الذي ورد في كتابه « ما الذي يجب ان يجري » - ١٩٠٣ -) باحتمال ان تعمق البيروليتاريا الروسية طليعة البيروليتاريا الثورية الدولية في صورة مثاقفة بفضل الأحداث اللاحقة ... ولكن ألا يتبع ذلك ان الثورة كانت (وما زالت) هي مفتاح الثورة العالمية ، وان المسائل الأساسية في الثورة الروسية كانت في ذات الوقت (كما هي الآن) للمسائل الأساسية في الثورة العالمية ؟ ألا يبدو واضحا انه لن يستطيع تفكير على ثورية الديوقراطيين الاشتراكيين في الغرب الا اعتمادا على هذه الأسطة لحسب ؟ « من هذا يتضح انه لا يحق للماركسيين الغربيين ، لا قبل الحرب ولا بعدها ، إعطاء دروس لاجراءهم الروس » آية العكس فصحيح ! »

اما أي قول خلاف ذلك - أو بجيء في صورة ضمنية أو مضمرة ، كما فعل سلوتسكي . فمن المخطورات التروتسكية « . وكى يعطى ستالين وزنا لهذا الاتهام القبيح ، اعطى أن ما ذكره سلوتسكي عن لينين قبل ١٩١٤ . وبخسه لنور الوسط ، فلا يتجاوز كونه حيلة للايهاء » للقراريه الساذج « بأن لينين لم يصبح ثوريا صميما الا بعد ان بدأت الحرب ، وبعد ان أعاد تسليح نفسه بنظرية تروتسكي التي ورد فيها ان الثورات البيروجوازية الديوقراطية قد نمت وتحوّلت الى ثورات اشتراكية (يعني نظرية الثورة العالمية) » . ويدكر ستالين ان لينين نفسه قد كتب ١٩٠٥ « اننا نناصر الثورة التي لا تتوقف ، واننا لن نتوقف في نصف الطريق » . ولكن « المخطورين » من امثال سلوتسكي لم تفهم مثل هذه الحقائق ، والتي تثبتها كتابات لينين . ولاحظ ستالين في موضع آخر من الرسالة ان سلوتسكي قد تحدث في مقاله عن عدم جدوى بعض وثائق لينين المتعلقة بالفترة محل البحث : « ولكن من جوع امكان اعتماد البيروقراط الميئوس منهم على الوثائق الورقية وحدها ؟ وهل هناك احد خلاف « جردان » الارشيف يشك في وحرب الحكم على الأحزاب والافراد اعتمادا على افعالهم أساسا ، وعدم الاكتفاء بتصرفاتهم ؟ »

وعندما اقترنت الرسالة من هاتينها ، تحولت لهجة ستالين من الوثاقعة الى القدر . فبمما اعطى رؤساء التحرير مبررا لسلوتسكي يدافع فيه عن « المخطورين » ، فانهم اذنبوا وارتكبوا جريمة «الليبرالية الكفنة على نظراتهم إلى الاتجاهات التروتسكية التي كانت شائعة من زمرة من

البلاشفة الذين فضلوا في ادراك أن التروتسكية لم تعد منذ انه طويلا
تتبع الشيوعية ، ولكنها تحولت الى طليعة للوجودية المادية للثورة ،
والتي اعلنت الحرب على الشيوعية والنظام السوفيتي وبناء الاشتراكية في
الاتحاد السوفيتي . ان هذا هو على سبيل المثال ما ترمى اليه المجتمعات
التروتسكية عن استحالة اقامة الاشتراكية في روسيا ، ولايديا
الهيكل البلاشفية .

هنا كرر ستالين علنا البصمة التي كان قد أوردها في مذكرة كتبها
١٩٢٩ ، وقصد بها تحويل الميل الى التروتسكية او التعاطف عليها في
« فئة » الخطأ السياسي الى فئة الجريمة المقترفة ضد الدولة السوفيتية ،
وعن ثم يشني له تسيير أعمال القمع التي اقدم عليها ضد المتهمين بالانتماء
الى التروتسكية ، والآل وبعد أن لفظ ستالين خلاصة حصيه ، لانه انتهى
الى ما يأتي : « ان اليسارية التي تجنب نحو التروتسكية ، بالرغم من
هريمتها واحتجاجها ، الا انها تعد شكلا من اشكال الانحراف التي تقترب
من حافة الجريمة وخيانة الطبقة العاملة » . ويرد ستالين قائلا : « ومن
هنا تكون مهمة رؤساء التحرير (وهما حدث خلط في لغته المجازية) «
وضع دراسة تاريخ الحرب في اطار الدراسة العملية للبلاشفة ، وحذر
من انصار تروتسكي وحسب المرحوم لتاريخ حزبنا الذين يكشفون حقيقتهم
باتظام . وازدادت شروقة هذه المهمة بعد أن وقع مؤرخو الحزب من
البلاشفة الذين عرفوا بصلتهم الاكيدة في اخطاء ايدت الزعماء الذي تنتج
سحائم نفس سلوتسكي وينهي ستالين : « لسوء الحظ ان هذا الشخص
كان الرغبين اميليان اياروسلافسكي (صيد مؤرخي حرب البلاشفة) وايضا
مكتوب البعثة المراقبة المركزية للحزب (الذي احتوت كتاباته عن تاريخ
الحرب ، رغم عميرتها ، على عدد من الاخطاء الأساسية ، وعلى عدم ادراك
لروح التاريخ » .

واذا نعلمنا ما قاله ستالين قبل ذلك عن « جناح الوسط » فيسهل
علينا ادراك لماذا انقضت حجة سلوتسكي التي انتقدت من ليس ، عندما
ذكرت انه استهان بجناح الوسط وخطورته في حزب ألمانيا الديموقراطي
الاجتماعي . لقد رأى ستالين ١٩٢٨ أن القتال ضد خطر انحرافات اليسار
واليسار ، لا يجعل من الشخص واحدا من الوسط ، فلما لا قتل معارضة
ليسار للمنتخبة في جناح اليسار وللمتشبهين (*) في جناح اليسار من
الشيوعية على أن ليس كان من جناح الوسط . « فالوسطية » تمثل
المسايرة والمماثلة ، وطليعا لهذا المعنى « فانها تكون بعيدة عن الليبرالية

وتتناظر معها ، فكيف إذن ، وبغض النظر عن الوثائق والمستندات التي قد
تُخرج في يد قذافي الأرشيف ، يستطيع أي قروي حق (يعني بلشفي)
الاستمارة ولو لفترة قصيرة بخطوة جناح الوسط ؟ - وفيما يتعلق
بالعقوبات التي تفكر على هذا النحو ، بتعني معاملة أمثال سلومسكي معاملة
قاسية ، بل وينبغي عدم اعائتهم من العقوبة الصارمة - وقبض على
سلومسكي في الحركة الإرهابية التي شهدنا سنائين ، وأصعب بضع سنوات
في معسكر للاعتقال (٣) .

بيد أن رسالة سنالين بالاصافة إلى صبيحها عن عصبه ، فإنها التهمت
هنا ثلاثيا في تقرير مبدأ تاليه شخصيته ، فعلى الرغم من أن اسمه لم
يُرد في ميثاق الرسالة (وهل كان يوسمها أن تفضل ذلك ؟) فإنها أكدت
مبدأ تاليه سنالين في تاريخ الحرب ، بحكم كتابته لهذه الرسالة ، وبحكم
لصحتها ومضمونها ، فالولا - فإنه عندما كتبها - أو تصور أنها كتبت
(وفقا للعاني التي جندها وصعدت باسمه) فإنه تسمب لنفسه مكانة المؤرخ
الأول للحرب ، والفصيل في المشكلات التي تنجم من المصوغة في هذا
المجال الحساس ، لذا لم يكن هناك ما يدعو لذكر اسم سنالين ، واكتفى
بجعلها وثيقة تحمل الطابع الفوجاطلي ، من كل ناحية بحيث لا يعطى
أحد في استنتاج تسميتها إليه ، إذ كان مجرد نشر الرسالة يصي توكيد
تصور سنالين لنفسه كاسمي مصدر موثوق في الموضوع ذاته الذي يشل
مبدأ تاليه الشخصية . مثلما بدأ على طريقة العطار في الثلاثينيات ، من
خلال ماضي البلشفية ودوره ودور الآخرين فيها .

ثانيا - اتبع سنالين في الرسالة مثملا حجت النساء لقائه بفريق
الفلاسفة استنتاجية ليرس مبدأ التالين عن طريق ادعاء مصومية لينين .
فعندما ألقى سنالين على الرعيم السابق القداسة التي تتجاوز كل حد ،
وتملو على أي لقد فكانه ذلك لمع في رسالته - بطريقة ضمنية مصورة -
إلى وجوب معاملة حليفته (حليفة لينين) معاملة معاملة ، ولما كان سنالين
هو بالذات الشخص الذي حياها الحرب ١٩٢٩ باعتباره رئيسه المعترف
به وحليفه للسير ، فإن ما عناه ذلك هو الزام مؤرخي الحرب بإعادة
الحرص والكف عن البحت عن حبات أو مواضع رلل في هاشيه السياسي ،
أي معاملة هاشيه بنفس معاملة ماضي لينين . فلقد كان المتخصصون في
فك طلاسم الشعارات الدلغية مثل مفكري الحزب الشيوعي المزمين
ياستخلص مثل هذا الاستدلال في خواطرهم أو في الأحاديث التي تدور

(٣) لا بد أن الكيد يقتل Stephen F. Cohen, Roy A. Medvedev للبيانات التي

نقلها مما حدث بعد ذلك مع اللواء القيص على سلومسكي وميجنه .

بيتهم ، بل لقد لج ستالين الى هذا المعنى قليلا سببا عندما اشار في عبارة واحدة اكثر من مرة في رسائله : « كان يقول لينين عندما يقصد بذلك البلاشفة » - « و ه لينين » بالمر ستالين . فدل على التوريق البلاشفة الصيبيعي باعتبارهم مسايزيين عن أى طائفة أخرى ، أو عن جميع الطوائف الأخرى من يمينية أو يسارية أو وسطية ، والكلمات التي وضعها ستالين بين قوسين قد عدلت حقائقه الثورية ، دون ذكر أسماء ، غير ان أى شخص على قدر لا بأس به من الذكاء يزيله للعمل مؤمرا للحزب ، كان بمقدوره أن يتخس أى الأسماء يتوجب أن يأتي ذكر اسمها في قائمة البلاشفة ، بنفس المعنى للفظ الذي مر بخاطر ستالين .

ثالثا - طالبت الرسالة صراحة تكليم عاض الثوريين في الحزب على أساس العالم وليس بالاعتماد على الوثائق التي باستطاعة فئران الأرشفة الحصول عليها أو الإخفاق في الكشف عن سرها ، وبالطبع لابد من توليق مثل هذه الأفعال بأسرع ما استطاع ، حتى يصبح ستالين أعظم غار في الاتحاد السوفيتي ، أو اذا توخينا البعد أن يكون رعيما لزمرة كاملة من هذه الفئران ، بالرغم من أنه كثيرا ما كان يتطشى لانتلاف الوثائق ، أو احداثها حتى لا يتكشف أمرها ، أو تنشر ، ولما استطاعوا ادراك ما جاء ضمنها في الرسالة ، انهم قد فهموا منها أن مؤرخ الحزب يجب أن لا يستترد بما يستطيع الحصول عليه من وثائق (كما فعل سلوتسكي) ، وإنما بما يعرف مسبقا وسحب انصافه بالصحة ، يعني في حالة لينين أنه بوصفه « بلشليا صريحا » فانه لم يكن بمقدوره الاستهانة بالوسطية ؛ وفي حالة ستالين ، فهو صريحا أيضا بلشليا ، فانه ما كان بوصفه أن يتخذ موقفا غير بلشلي في أى موقف . كما دور المائدة الوثائقية ، أو اختلافا فهو المساعدة في توطيد مثل هذه الحقائق الصليا . واذا استملت على نحو آخر كان الغرض من ذلك هو التشهير أو تزييف الحقائق . بنا عليه ، تكون رسالة ستالين الهجائية ضد المريض هي دعوة الباحثين للتأصب للتزييف (بالمعنى الضالوف للكلمة) كلما سمعت احدى حقائق التاريخ المسبقة - كما قمعت عنها كلمات ستالين أو أحد الباطني باسمه - وبما يتمكن أن تملحه .

والاستطاعة بيان مدلول ستالين فيما يتعلق بمبدأ تأليه الشخصية بالرجوع الى اعتقاده لأحد المؤلفات يسمى كتاب « اياروسلافسكي » ولم يجلد ستالين صراحة طبيعة الأخطاء التي يشير اليها ، ولعل « اياروسلافسكي » نفسه قد شعر بالحيرة نوعا . فلقد كتب ان ستالين حملة رسائل طالبا الإصحاح ، ولكنه لم يترك أى رد . وفي عدة مناقشات دارت داخل « الحزب » قبل ظهور رسالة ستالين ، دافع « اياروسلافسكي » عن صحيح حقوق « الماينينغ »

في الإصلاح من نظرة لينين ، في أية مسألة خلافية ، دون خشية أي اعتراض - ووصف ستالين هذا النهر بأنهم من أبحار جبهة التصحيح (٢) .
 ، وبعد هذا الموقف - قديما - برعه لبرالية غثة ، ، ولما فيما يتعلق بالأخطاء التاريخية ، فإن أية نظرة سريعة للجزء الرابع من تاريخ الحرب ، الذي يتناول الحقبة بين ١٩١٧ و ١٩٢١ ، ونشر تحت إشراف إيداروسلافسكي ، فإنها قد بيست له (لايدروسلافسكي) بناسا واحدة على الأقل من الصعوبات ، فبينما اتصف هذا التاريخ بمسألة المسوم لتروتسكي ، كما يجب مثلا من كلامه عن موقف تروتسكي في الخلاف حول اتحاد العمال السوفيت ١٩٢٠ ، إلا أن الكتاب ناول التروتسكية باعتبارها مشكلة للفكر الجديد الأحدث من الشيوعية ، التي وصفها ستالين بأنها قد توقفت عن الوجود منذ آمد بعيد ، ولم يحرص الكتاب على بيان كيف كانت التروتسكية - حتى في البداية - الطليعة الرائعة للبرعة البورجوازية المشقة التي قال ستالين انها قد أصبحت تنسب اليه .
 وحتى الصور الفوتوغرافية المطبوعة ، فالظاهر انها قد أساء اختيارها في بعض حالات ، فهي أحدها مثلا ، يظهر المجلس الأعلى للبين المؤلف من ١٥ عضوا من قومسيارات الشعب ، ويظهر تروتسكي يسار لينين والكسي ريكون في الجانب الأيسر من لينين ، بينما يرى ستالين في الصف السفلي ، ووراء جدار الكرملين ، وفي صورة أخرى قديمة للمبعوثين السوفيت إلى معادلات برست ، وكان تروتسكي يرأسهم ، نوله في الصف العلوي .
 وبينهم ميسا في ظهره وله شخصية حلابة ، أما ما فات إيداروسلافسكي ولم يهركه ، أو لعله أدركه بعد لاي ، فهو احتياج توكيد شخصية ستالين إلى إعادة النظر في الصورة والتكلم وجره كثيرين ممن أدوا دورا ابرر في الثورة من اليوم الذي لداه ستالين .

وفضلا عن ذلك ، فإن هذا المجلد عن تاريخ الحزب قد أشار باقتضاب إلى جريدة ، الثورة البروليتارية ، .

وبمجرد وصول رسالة ستالين فتحت جوابات جهم على مصرعها أمام تاريخ الحزب ، والمجلات النظرية ، ، وأصرحت أكاديمية الشيوعية بالمبادرة للدعوة للاجتماع لمناقشة ما تضمنته الرسالة أو الوثيقة بالنسبة لستالين . وقررت كثير من المحررين والباحثين من وظائفهم ، وأقبلوا من الحرب ، وبعد أن طرحت صحيفة الثورة البروليتارية المشكلة التي احتوتها الرسالة ، توقفت عن الصدور ١٩٣٢ . وعندما عاودت الظهور في

(١) M. N. Pokrovskii and the Impact of the First . Paul H. Army
 Essays in Russian and Soviet History in Five Year Plan,
 (١٩٦٣) - (١٩٦٤) History of Soviet Turquary Robinson.

بواكير ١٩٣٣ م اشرفت على تحريرها ادارة جديدة كل من بين اعضائها
ايها توفستوشا ، الذي سبق له شغل منصب السكرتير الشخصي لستالين
لبعض الوقت .

ويبين من مصادر الارشف السوفيتي ان جميع المجلات التاريخية
السوفيتية قد تلقت تعليمات بطبع النص الكامل لرسالة ستالين ، ونشر
المقالات المناسبة لتفسيرها من مختلف نظرات تخصصاتهم . وفي رسالة
معزية (في ٢٦ نوفمبر ١٩٣٦) الى رئاسة تحرير إحدى المجلات (الكفاح
الطلياني) قال مخليس (١) - وكان يشغل في سالف العصر والازن وظيفة
مستشار شخصي لستالين ، ويشغل بعده ذلك منصب مكرتر تحرير
اليرافدا : ان ثلاثة الصلة للنشر يجب ان تكتب وفقا لظهور توجيهات
ستالين ، واجتمعت رئاسة الاكاديمية القيصرة في ٣٠ نوفمبر لاستعراض
كيفية الاستجابة لرسالة ستالين ، وبأبيلها وذكر في ج . ١٠ لور
السكرتير الاكاديمي لجمعية المؤرخين الماركسيين انه قد صدرت التوصيات
لجميع اعضاء الجمعية باستعراض كل ما كتب عن تاريخ الحرب ، بطريقة
لقدية ، عل ضوء مقال ستالين ، وتمثل النظر المفروض على
الثروتسكية في حلة اعمال . فمثلا لقد اُحق كليون في اوضح الدور
الرائد الاكبر للثلاثة الروس في حلة الماركسية الدولية . وحج لور
وتقد ثلاثة من الشخصيات المفروقة في الحرب (ايدوسلافسكي وكارل
واديك ومينس) (٣٩) .

ويتضح من الشرات والتقارير الواردة من جماعات اكااديمية اخرى
ان المؤرخين لم يقتصروا في مؤلفاتهم التاريخية على تفسير رسالة ستالين
تفسيراً معتدلاً من الناحية الرسمية ، بل قد استرؤوا على هذه التلوية جميع
اعضاء جبهة المستقلين عن النواحي النظرية وقطاعاتها ، وشجب أحد ممثل
النقد الأدبي النظرية المنهجية الثروتسكية لكنائات مكسيم جوركي دون
ان يبيى سامة هذه النظرات (موضع الشجب) وقال ان رسالة ستالين
قد استوجبت نقد السياسة الادبية التي لم تسجد ايضاً - للثولة
الثابة . واعى كاتب يسمى بونايف ان مهجد الاقتصاد قد عي نظرياً
خاصاً لاعادة النظر في النظرية الاقتصادية على ضوء رسالة ستالين
، والثاء المصروف على حظر ذكر اسم بروتسكي في المؤلفات الاقتصادية .
ومن أمثلة هذه المخطورات ، المظرات المشالة للبورجوارية الصغيرة .
والتي كانت ماراليت سائلة والمعتقدات الثروتسكية التي عرفت الاشتراكية

Malchuk,

(*)

Z. Y. Malchuk:

(***)

بالمذهب الذي يدعو الى المساواة في التوليد والمقام ، والنظرة التي تردت في الكتاب الذي صدر ١٩٣٦ وذكر فيه ان مصانع فورد (الأمريكية) وخطوط التجميع من السلاج التي يتوجب الاقتناء بها في عملية الترفيد السوفيتي عند جولة برامج العمل ، وعنهما تحدث باشو كاتيس عالم نظريات التشريع امام معهد الانسان والقانون السوفيتي ، انفق كتابا الله اثنان من المفكرين (اسمها بوقايف) لانه لم يحتو على أية اشارة الى ما قاله مستالي ١٩٢٧ عن الدولة البروليدارية ، واعترض اوستروفيانوف - من رجال الاقتصاد - على الفكرة التي كانت مقبولة حينذاك ، عن انهية كتابات لينين وستالين في السياسة باعتبارها تمثل موصوعا آخر غير الاقتصاد بينما في الحق فان هذه الكتابات تمثل القواميس الأساسية لبناء الاشتراكية ، والحياة الاقتصادية السوفيتية . فلا غرو اذا اضطلع اوستروفيانوف في السنوات التالية بدور لسان حاله ستالين في المسائل الاقتصادية .

وحاجم مصحدث باسم معهد التكنولوجيا ، النزعة التقنية المحصورة الآن . ، التي وصفها بأنها من سمات التروتسكية ، وادان السياسة التكنولوجية ، للفاشية الاشتراكية ، كما أشار الى الحاجة الى مؤلفات في مختلف فروع التكنولوجيا . ولاحظ مثل معهد الفلسفة بالاضافة الى حديثه عن مهامه الجديدة ، وجوب إصدار كتاب يعرض في القرب فرصة بطريقة نسبية الأفكار الأساسية لماركس وانجلز ولينين وستالين عن التكنولوجيا ، وتعمم مثل رابطة العلوم الطبيعية من أسباب عدم الأخذ بالنسبات المنهجية الأساسية للفرياء التي طرحها لينين في كتابه : « المادية واللق التجريبي » ، والاسترشاد به في محاولة لخلق تصور للفرياء يساهم على امتحانات تصورها الماركسي اللينيني لتكوين المادة » . وتذكر ناديجدا مانيلستام - وكانت تعمل آنئذ في مكتب تحرير مجلة التربية الشيوعية - كيف كانت جميع المخطوطات يعاد فحصها ، بعد شعور بالذعر ، وكيفية قضاها الكثير منها بلا شفقة ولا رحمة ، ويسمى هذا الاجراء : « إعادة التنظيم على ضوء ملاحظات الرفيق ستالين » (٥) .

ان هذا الانطباع السفسر سفسر للتنقيب عن المخطوطات التروتسكية والليبرالية المضفة ، قد بنا بلا شك امرا مجهدا للغاية لكثيرين من شاغلي الوظائف المسئولة ، بتأثير ما تعرضوا له من ضغوط ويلجنة في

(٥) ناديجدا مانيلستام : اكل شه الاكل (لكريات) (١٩٧٠) ص ٢٥٦ . وعلى الرغم من رسلها هذا المثال بأنه رسالة (في مجلة ليليفي) ، لا أنه لا يخفى من السجاق ان ناديجدا كانت تقير في الرسالة التي كتبها ستالين ١٩٣٦ على مجلة القعدة البيوفيتارية ، والتي نشرت ايضا في مجلة « ليليفي » .

بعض الحالات ، بالرغم من أن متائين لم يكن قد تحول بعد الى ديكتاتور مطلق - وأخفق بعض من يتسلق المناصب في ادراك هذه الحالة ، وفي ظلم بواعثها - وسعى عدة بلاشفة من القنصل المرموقين (*) لكبح جماح هؤلاء المجدين (كما سنامم ايايوسلافسكي في ملحوظة كتبها بخط يده هنر عليها فيما بعد في أرشيف الحزب) من تصدروا رسالة متائين كانها انتزيل الجديد ، ويشير كنوري الى اجتماع عقدته هيئة الحزب في جمعية المؤرخين الماركسيين في ١١ نوفمبر ١٩٣١ ، وقررت الاكفلاء بالنظر الى الرسالة على أنها اعادت طرح بعض الاتجاهات الليبيرية الأساسية ، ومن ناحية أخرى ، ذكر « لور » أن تاريخ الحزب قد انتقل الى طابع منهجي قبل ظهور رسالة متائين ، وأن المؤرخين لم يدركوا الصلة بين النظرية والماوساة العملية . وكتبه منتفى - وكان بين السطور - رسالة الى ايايوسلافسكي الذي كان حارج للهيئة قال فيها ان « لور » في حديثه الطير والتخيت قد عرض المسائل بطريقة غالبة من الود . و لقبيل رسالة متائين ، لم يوجد أي شيء . ولم تدرك الصلة بين الناحية النظرية والناحية العملية الا الآن . « غير انه بعد أسابيع ثلاثة ، ابلغ « لور » رئاسة الأكاديمية الشيوعية عن الموقف في جمعية المؤرخين الماركسيين . وفي ذات الوقت تقريرا ، حذر ايايوسلافسكي ، من بعض الأشخاص المعوجين الذين ينفون الترسج من وراء هذه المسألة » ، التي وردت في رسالة متائين ، غير أن هذا البيان بالانحالة الى ملحوظة المكتوبة بخط يده ، والتي تذكر كيف « استطاع المصحون ابداء ١٩٣٦ » لم يقدر لها النشر الا ١٩٦٦ .

وبعد مرور شهر من نشر رسالة متائين ، عكف مركز قيادته على اتخاذ الاجراءات ضد من طالبوا بوضع القيود ... والتي لازار كاجانوفتش خطابا طويلا في معهد الاساتذة الحمر في ديسمبر ١٩٣٦ بمناسبة مرور عشر سنوات على انشاء المعهد ، وعندما ظهر الحديث في جريدة السرافدا ، وجد ذلك ببساطة آهاس ، اتضح أن الخطاب كان موجها لجميع المثقفين السوفييت ، غير أن كلمة « خطاب » لم تكن الكلمة الصحيحة ، واضل وصفت له هو أنه مجموعة من الكلمات التي يزيد عددها عن طمعة آلاف والأوامر القاطمة ، أصدرها الشاوش ، التمليجي ، كاجانوفتش لحشم المثقفين يطلب منهم فيها الإيضاح والاعتراف والامتنان ... لما جاء في رسالة « الجبرال » متائين -

(*) من امثال Ch'vashvili و Izraelvskii و V. Kozlov و N. Lashin.

ومهد كاجانوفتش لحديثه عن الرسالة متوكيد أهمية البائلة لتخليد
 التعاليم الماركسية اللينينية في وقت لم يزد فيه من انخرطوا في سلكه
 الحرب اياي ثلاث أو خمس سنوات عن عدد يتراوح بين نصف المليون
 والمليون مما مجموعه مليونان ونصف المليون من أعضاء الحرب بينما
 كان الكومزومول يضم خمسة ملايين ونصف من شباب الشيوعيين ، ولم
 يكن هناك بين أعضاء الحرب من ينازع في صحة هذه الأرقام ، ودلائلها
 الباعلة . غير أن كاجانوفتش سرعان ما أوضح أن المسألة موضع الخلاف
 هي مصوّن المادة الملقة للحزب . فيجب أن يعرف ملايين الأعضاء الجدد
 أنه إذا صح أن البلد اقصى ضعف يوماً ما بأنه أكثر البلاد تخلفاً في
 العالم قد أصبح الآن بلداً اشتراكياً ، فأننا نذهب بالفضل بذلك للكماج
 القري الذي شبه أفضل الناس . وعلى رأسهم لينين ضد من يعنون أنهم
 الماركسيون الشرعيون والمثاليين والتروتسكيين اليمينيّين . ثم تحدث
 كاجانوفتش عقب ذلك عن بحريم من جرحوا إلى الترييف والتشهير أمثال
 الماوتش سلوتسكي ، وأدفع كاجانوفتش قائلاً : لقد اعترف رادك باخطائه
 لبعض أعضاء الحزب في جمعية المؤرخين الماركسيين . واعترف فوق ذلك
 بأن روزا لوكسمبرج لم تتعق قوماً الموقف الفلسفي الصحيح ، ولكن
 « روزا » كانت مجرد قنطرة لإدعاء الإكتفاء للبشافية عبر فوقها أفضل
 العمال الاشتراكيين الديموقراطيين . والواقع أن رادك نفسه كان قنطرة
 أو همزة وصل بين روزا لوكسمبرج وتروتسكي . كما جاء في اتهام
 كاجانوفتش ، الذي أرجع أهمية رسالة ستالين إلى مهاجمتها لسلوتسكي
 (المثلي السابق) والثالث . الذي مضى ستالين « على الماضي » . وإلى
 أنها كشفت القاب عن « الليبرالية العفّة » التي كشفت عنها محرو
 صحيفة الثورة البروليتارية عندما تحدثوا عن الحرافات البشافية .
 وشوهوا تاريخ الحزب . ولم تكن هذه الصحيفة هي نقطة الضعف
 الوحيدة . فهناك ما هو أضعف من ذلك ، يعني التاريخ الذي كتبه
 اياروسلافسكي ونشره في أربعة أجزاء ، واحتوى على نقد للأخطاء ، التي
 لا يستبعد أن تتزايد إلى ما هو أكثر ، ونوه كاجانوفتش إلى أن من بين
 الأخطاء التاريخية الفاحشة التي وقع فيها « قديراته الخاطئة والضارة
 لدور البلاشفة في الحقبة الأولى التي بدأت ١٩١٧ ، وتشهيره المقلد
 بالبلاشفة » . ووجه كاجانوفتش هذا اللوم المستتر إلى اياروسلافسكي
 لأنه أشار إلى موقف ستالين الخاطئ في مارس ١٩١٧ ، ثم حاد بعد ذلك
 إشارة تخص المنهج التاريخي فالعلامة للشرق في أي تاريخ شامل للحزب .
 يجب أن تتركز على ما تحلت به تكتيكات لينين من مرونة ، وليس على
 المفاهيم التي روجها لينين حملة مرات « كوصله لكاوتسكي بالرخد » .
 قصارى القول ، أن ما قاله أي بلشفي صميم أو فشل في قوله في وقت

بالدات ، أو وقت ما ، ليس هو محك الحقيقة التاريخية للحزب ، فلابد من تفسير الوثائق تبعاً لقاعدة مؤداها عدم احتساب ونوع الثوري البلشفي الحق المنتسب إلى الحزب في أي خطأ .

وانتقم كجائوفتش كلامه بصفاء مستتر يدعو إلى تعديده حملة مطاردة المصلين . فهناك مصائب جمة ، والفنجال لم يتوقف والصراع الطبقي ما زال مستعراً : « والانتهازية تحاول الآن التطفل في صفوفنا والتمسك في مظهر جذاب ، والتسلل محاولة احتراق الشقوق . وكحاوله - بوجه خاص - التسلل من خلال بوابات التاريخ الخاص بحزبنا » . وفي حديث قريب العهد ، أخطأ رائك في تشبيه الكومسترون ففئة تنفر من منها روايد عديدة مختلفة ، ويجديولات تصب في الحزب البلشفي - ولكن الحرب ليس ملتقى الروايد والجدولات ، ولكنه مجرى يتسم بالوحدة المثينة والتمرة على سحق جميع المراقيل التي تعترض طريقه . والحنى واضح ، رغم ما في اللغة المجازية من تشوش ، فعبارة أخرى ، عليك أن لا تخرج عن الصف ، حتى لا تصبح النحلة من نصيبك ! »

ويبادر الطالبون بفرض القيود وآخرون بالانضمام إلى صفوفه المتقدين ، فلمي غضون الأيام الاثني عشرة التي أعقبت حديث كجائوفتش في أول ديسمبر ، سجلت جريمة البرافكا بعض رسائل الاستنكار من واديك وإيادوسلافسكي ومؤرخ الحزب قسطنطين بروف ، واعترف واديك بالذنب من جميع الاتهامات التي أوردها كجائوفتش ، وانضم إلى حملة الهجوم على أنصار روزا لوكسمبرج ، واعترف إيادوسلافسكي بمجموعة كبيرة من الأخطاء الحسية في مؤلفه التاريخي المؤلف من أربعة أجزاء ، والذي اشتمل على نظرة موضوعية لوقف البلاشفة في فترة فبراير وعلاوة من ثورة ١٩١٧ - وكانت هذه النظرة مناصرة لتروفسكي بالضرورة . (ويغترس أن التروفسكية قد جاء ذكرها ، لأن تروفسكي كان واحداً من لغترو الانتباه إلى الحقائق المعروفة تباعاً عن موقف ستالين آنذاك) ، وتصل إلى إيادوسلافسكي من النظرة التي عبر عنها منتس في حديث قريب العهد قال فيه أن مؤلف كتاب التاريخ المكون من أربعة أجزاء قد أخطأ بسبب الموضوعية إلى كتابة . وأن ما يطالب به الآن مؤرخو الحرب ليس الموضوعية بقدر سمجهم للنتائج السياسي . - كلا ! لقد كتب إيادوسلافسكي ، فلم يطالب الحرب بتخلي المؤرخين عن الموضوعية ، وليس بقلودهم أن يغفلوا . ذلك ، إذ كانت المشكلة هي إساءة مؤلف الأجزاء الأربعة إلى الموضوعية ، واستنساخ إيادوسلافسكي للأمر الواقع واتجه لتأليف كتاب عن مسيرة ستالين ، سجله فيها ، ونشرت ١٩٣٩ -

وبعراحة ، لقد رثي ان الاعتراف بالتضليل ليس كافيا ، فيجب
 ان يرج المصلح الى محاكم التفتيش ، لأنه من غير المتوقع ان تؤخذ عملية
 التراجع بمآخذ الحد ، الا اذا وصح المصلحون في قضى الاتهام - اذ يعد
 لبذ التروتسكية المحظورة من قبل الآخرين انما يصح انشاء الشخص
 الى البلشفية الحق . يعنى الستالينية ، وتحوّلت عملية الانكار المشبوهة
 بالنز من مقوس التقاليد السوفيتية السياسية - ولا يزيد انكار
 ياروسلافسكى المفنى لصديقه منتس عن مثل من الأمثلة العديدة الدالة
 على ذلك .

ومع هذا فحتى الآن لم يكن متائين قد مارس السلطة المطلقة .
 ولربما اشار بعض من كانوا يحتلون مكانة اعلى من مكانة ياروسلافسكى
 في مراتب السلطة الى السلطة لوضع كوايج ، وكان من بينهم ، ك - ب -
 بومستشوف ، الذى كان يشغل آنئذ منصب عضو كامل في اللجنة المركزية
 للحزب ، وحضوا في الأورجبيرو (٥) ، واحد السكرتيريس الأربعة الذين
 ينفذون تحت إمرة السكرتير العام ستالين ، وبوصفه سكرتيرا ، كان
 بومستشوف مسئولا عن قسم التنظيم في اللجنة التنظيمية ، وعن لجنة
 توجيه الرأي العام والدعاية . ومن بين اختصاصاتها الاشراف على الصحافة .
 واكد في احد احاديثه في مؤتمر سري في إحدى دوائر موسكو ، الأهمية
 المنظمة لرسائله ثم وجه اللوم لبعض حلايا الحزب لاجلأفعال في التفرقة
 بين الأخطاء الفردية الحرة ، والظلمات السلبية ، لمبطيئة الحال هذا
 أنصارا محتفون لتروتسكى بين صفوف الحزب يتبعين كشف أمرهم
 وانماهم . ولكن هناك أيضا رفقا ارتكبوا خطا ما فحسب ، وبدلا من
 نعتهم باعضائهم منحرفين وطردهم من الحزب - مثلما فعل بعض من
 العالمين الثائمين على أرواحهم - فانهم طالبوا الآن باتاحة فرصة ثانية لهم
 للظهور ، ولا بأس بعد ذلك من عودتهم للوم ثانية ، واعتقد ان الواحد
 يقضى انتقاد الرفاق الملاحين بطريقة أخوية . وكان مصر بومستشوف بعد
 محاولته كبح حياج تجاوزات المصلحين من الدروس المسبقة ، فالحق قبض
 عليه ١٩٣٨ ، وأعدم ١٩٤٠ في أحد معسكرات الاعتقال التي اشاعها
 ستالين .

وكان الوجهة التي وضع فكرة تأليه ستالين هو الشخص موصم
 بالتأليه بلحمه ودمه ، غير أن هناك كتربين تقدموا بالمساعدة لشدة قى ذلك
 ابتداء من بعض أفراد حاشية مسالين أو طائفة من أمثال جادفتش
 ومخيليس الى بعض من يصلون من وراء الستار في ميدان الأيديولوجيا

مثل د. لور ، «وربما تساطنا على هوية المجدين ؟ ولا ريب أن بعضهم كانوا من الأشخاص المتعلقين بتاتلين ، إذ بالرجل الدين توهموا اتصاله بالثالية . وكان بعض آخر مجرد موظفين من افتقروا - في أغلب الظن - إلى ما يؤهلهم للاشتغال بالأسائل الفكرية ، ولكنهم انصغوا بالفطنة أو الهمة » ، أو لعلهم وعدوا قديرا لا بأس به من الاستفادة بمنهم على اتهاز فرص التسلق الكلفة في الطام الساتلين القائم على التمجيد الشخصي ، ومن المتعلقين الذين شقوا طريقهم إلى المقرة بالتراجع هذه الوسيلة من امثال رئيس الشرطة السرية في جورجيا ، لافرتي بريا ، الذي ارتقى إلى وظيفة رئيس لجنة الحزب فيما وراء القوقاز ١٩٢٢ بمساندة ستالين ، والصفة الملحة الوحيدة التي لا غنى عنها التي يشترك فيها جميع المجدين لستالين هي القمرة على تحريف الحقيقة وتزييف الواقع التاريخي - وكما عبر عن ذلك اياكوبسلانسكي ذاته ، ينبغي أن يكون «المجنون» مجردين من المبادئ» ، ولديهم قدر كاف من الطواعية يسهم ضمائرهم بالقدر الذي تتطلبه عملية ترسيخ فكرة ثالية ستالين .

وكانت الرسالة التي أرسلها ستالين إلى صحيفة «الثورة البروليتارية» نقطة تحول في تطور فكرة الثالية ، فاحتله في وقت ظهورها ، أصبح عملية ثالية ستالين من الحرف الثامية في روسيا ، فلا وجود لبلدان غير الثقافة السوفيتية . كان قادرا على الامتثال من البحث عن وسيلة مستنهمة من رسالة ستالين ، وعلى سبيل المثال ، خصصت مجلة «لوسيفر» البروليتارية مقالها الافتتاحي في يناير ١٩٢٢ للتحقيق في الحقيقة المعروفة على سحر وجه ، التي اعترف بها ستالين بالذات في حديث ١٩٢١ بأنه في مارس ١٩١٧ وقتل عودة ليني لرومينيا وتوكله رسالته في ابريل ، كان ستالين يشترك هو وكالينين وموراوف في حط تصور أحد الزعماء السياسية للحكومة المؤقتة (خلفه هاجوا عن موقف الحزب ، وقالوا انه يمارس الضغط على الحكومة حتى تنسحب من الحرب) ، لقد كانت هذه الحقيقة التي تيسر تزييفها عن تاريخ الحرب - كما كتبت ١٩٢٩ - من بين أخطاء اياكوبسلانسكي التي اشارت إليها رسالة ستالين ، وتحولت إلى «لا واقعة» عن تاريخ الحزب ، كما أعاد كتابته اياكوبسلانسكي وآخرون في الثلاثينيات - واقامت عمليات التزييف إلى قرش وقاية استفكارية قام بها ستالين - أو أجريت ارضاء له - لكتابات الأيكر ، كما حدث مثلا عندما حدثت اشارات ستالين ١٩٢٤ للسوق الذي اتخذه في مارس ١٩١٧ من الطلسمات المتأخرة من كتابه «مشكلات الليبينية» ، وزيف كتابه «السلطة» (٣) التاريخ الفعلي للحزب ، حتى يتوافق هو والفسود

المصطنعة بالصبيبة المثالية « البلشفي الصحيح » الذي يعد انحرافه عن الطريق الثوري للثورة مستحيلا . وهي صورة تمثل تصور ستالين لنفسه ، وقد طرح ستالين الأساس المنطقي لهذا المنهج التريفي في رسالة « واجبا في الجبهة البلشيفية » على ضوء الرسالة ، وحمل المقال الافتتاحي للماهر في فبراير ١٩٣٢ عنوان « النيقط البلشفي » في طريقة صك اللطائر في الجبهة « في عدد خاص عن « الحسابات الاشتراكية » . غير أن التاريخ الثوري ودور ستالين فيه ظلا موضوع الاهتمام الرئيسي . ومن الأمثلة البسيطة لذلك ، وأن كان يمثل أمثلة عديدة ، مقال نشر في جريدة البرافدا بعد ظهور رسالة ستالين بفترة وجيزة . وشجب هذا المقال كتابا عن تاريخ الكومنترن لمعم ورود اسم ستالين فيه أكثر من مرتين . وقال : « ما لم يرد دور الرفيق ستالين الرائد في تاريخ الكومنترن . نرى في تاريخ يكتب عن الكومنترن ذاته أن يصح الاعتراض بأي مرجع من هذا القبول ضمن مراجع تاريخ الكومنترن » .

وبعد أن وصف نفسه بـ « زورخ الحزب الأول » ألقى ستالين محاضرة أخرى للرد على عضوين من أعضاء الحزب (٥) ، كانا قد ألفا كتابين أحياا عليهما على رسالته ، ونشر الرد عليهما في ١٥ يناير و ٢٥ يناير ١٩٣٢ في صحيفة البلشفي (ثم في صحف أخرى) في أغسطس التالي . والمقاصد أن ليخولتني قد حاول أن يثبت أنه ستاليني أكثر من ستالين نفسه ، فاشار إلى أن « الثروتسكية لم تكن يوما ما حرا من الشيوعية » ولكنها كانت في جميع الأوقات جزءا من المشفية . « بالرغم من أن الحرب الشيوعية قد انتهت ثروتسكي والثروتسكية في وقت ما - من باب الخطأ - من صميم المشفية . وبعد أن وجه ستالين ضربة قاضية لهذا التلطيح ، كلف من الانقسام الكاس في شخصيته . فقال أنه لا ينكر أن الثروتسكية كانت تنتمي في يوم من الأيام إلى الشيوعية ، ولكنها كانت تتذبذب من حين لآخر بين البلشيفية والمشفية . وحتى عندما كان الثروتسكيون ينسبون إلى الحرب البلشفي ، فاتهم لم يتصرفوا بالمشفية السطة ، ومن ثم أصبح القول بأن الثروتسكية كانت حرا من المشفية قبل أن ينضم الثروتسكيون إلى حزبا ، فأنطوا مؤقتا تحت لواء الشيوعية لم عادوا اندماجهم مرة أخرى إلى أحضان المشفية . بعد انقضاء الثروتسكيين من حزبا « وهكذا يكون الكلب قد عاد إلى كيشه » .

وأكدت هذه التصريحات مرة أخرى لأهل حرفة المتكلمين بأن واجبه يدعوهم إلى النظر إلى كتابات ستالين نظرة تقيدي . ، وكانها كتاب منزل .

ولعل منشورات الحزب ١٩٢٢ قد سعت للاستجابة لمطلبهم - فاعيد طبع الستالينيات المبكرة مثل رسالة ستالين غير المروية بالعمل (١٩١٠) الى لينين من معتقله (٣) ، ووسائله الاكل شهرة ، رسائل من الوقار ، التي كتبها في السنة نفسها ، وفي ذات الوقت ، شرع المجهول في إعادة كتابة التاريخ وفقا لقواعده ستاليني وعلى نحو محسوب - لا يزال دوره وعضائه في الماضي الثوري للحزب ، مع الحرص على الانتفاص من تاريخ أعدائه وحصومه ، وبدأت في الظهور الرواية الستالينية المعروفة لسيرة الشخصية، ولكن كانت هناك عمليات تزيف أدعى وأبشع في طريقها الى الظهور .

ولم يؤد ظهور فكرة تآليه ستالين الى حجب فكرة تآليه لينين - وكل ما هناك هو انها أحدثت تعديلا فيها يرمى الى حذف أحد - فبدلا من وجود تآليهين يتماثلان جنسا الى جنب برج بدلها تآليه واحد تقاسم فيه المصودان لينين وستالين التآليه - وفي بعض جوانب ارتفعت قامة لينين مما جعله يبدو وكأنه البلشفي الصميم الحق ، الذي لا يمكن وقوعه في أي خطأ ، ولكن لما كان لينين ملتصقا بشخصيته وتوابعه السياسي فقد نال هذا التوأم نصيبه من كل ثناء وتآليه ينسب للينين ، ولم يكن هناك حذوثة من حدوث ذلك ، فكل وقائع حياته وأعماله ، التي يستطاع ربطها بستانين كان من الميسور أضله صفة المثالية كاملة عليها - أما الحالات التي يتصدر فيها الربط بين لينين وستالين ، فالحال كانت تعتم اعتماد لينين في الخلفية ، والواقع أن بعض جوانب من حياة لينين كالأد التمثل عن توكيدها ، ومعاد توضيح بعض الجوانب الأخرى أو تحريفها ، أو إضافة بعض لمسات عليها حتى يتسنى إضفاء للمثالية على ستالين .

وعكذا صور ستالين الآن كشارك في مآثر لينين ، وذكر أنه منذ عهد بعيد قام بنور الساعد الأيسر للرجل ، والذي كان يرجع اليه طالبا المصورة والنموذج في النقاط الرئيسية للاطمينان على مسيرة الثورة ومستقبلها - وبوصفنا الاستشهاد بئنا يصور ذلك - انه احتبار ٥ مايو ١٩٢٢ كالسيد المضربى لولده جريدة البرافدا ، وفي البداية ، ذكر المرور في مقاله لاحياء هذه الذكرى : « لقد كان لينين يكتب مقالا للصحيفة يوما على وجه التقريب ، ويشترك معه في هذا الشاغل الرقيق ستالين ، الذي كان ياتنسى برأيه ، وبخاصة عندما كان محبنا النساء انتخاله بالهزيمة السرية . وهكذا يزغت في هذا التآليه المزودج الشخصية الأسمر (ستالين) كأنها « أنا » لينينية بديلة ، وكان هذا الادعاء يتعرض للفضح بطبيعة الحال ، عندما يتضح لينين ذاته عن المشرح المباشر للأحداث .

ومن الأحداث ذات الدلالة ، عرفان صورة كبيرة لستالين ، بدلا من لينين
بالمجال الذي تضمن استشهادات مطولة من ذكريات ستالين عن ١٩٢٢
(في بداية ظهور الصحيفة) .

غير أن هذه الأحداث لم تنحصر عن خروج ايلوسلافسكي عن
النصف فحمي ، ولكنها أدت الى انضمامه الى طليعة المجددين ، فمهما
طلب منه مقال لتحليل ذكرى العيد العشرين لمؤتمر براج في يناير
١٩١٢ ، استطاع اكتشاف وسيلة أدبية لاجلاس ستالين فوقاً على العرض
المؤسس للحزب البلشفي . فكما شهد لينين ، لقد ظهرت البلشفية كتيار
سياسي ابتداء من ١٩٠٣ ، عندما حدث تصدع في المؤتمر الثاني للحزب
للماركسي الروس ، وانقسم الى طائفتين البلشفية والثنشفية . غير أن
الوجود الشكلي للحزب البلشفي لم يبدأ تاريخيا الا بعد مؤتمر براج ١٩١٢
بجميع البلاشفة . ففيه حول لينين ما كان مجرد طائفة الى حزب قائم بذاته ،
لم يعد مرتبطا تنظيميا بالثنشفيين ، وبعد مؤتمر براج ، فرتقى ستالين
(عن طريق الاشتراك في الاختيار وليس عن طريق الانتخاب) للمرة
الأولى الى عضوية اللجنة المركزية للحزب ، وقام ايلوسلافسكي بتقييم
الحقيقة المثيرة للبلشفة أو المحيرة باختيار ستالين عن طريق التصويت
بالقول : « في المؤتمر انتخبت لجنة بلشفية مركزية عمت بعض الأسماء »
(واختير بعض هؤلاء الأشخاص بالاتفاق) . ثم أكد ايلوسلافسكي بشدة
● بأن مؤتمر براج كان بمثابة نقطة تحول في تاريخ الحزب البلشفي ●
وبذلك تصد تصوير ستالين بطريقة غير مباشرة على أنه كان ساعرا عملية
تأسيس الحزب .

ولعل أظن المنظرين من أعضاء الحزب كانوا في بعض الحالات
أعطياه في ادراك ما حدث من تحول في تاليه الشخصية ، وتطبيق طوقوسها
الخاصة . وكان س ١٠ سيف (م) - وهو من المجددين الميويين ،
وكان يعمل مسكروفا اندريا لصحيفة « للأزح الماركسي » - من بين من
صوروا ما حدث من اضطراب في هذه الأيام البكرة - ووضع عنوانا
مرتجلا لل مقال الافتتاحي الذي هدف الى تخليد الذكرى الخمسين لولادة
ماركس (في مارس ١٩٣٣) ، وصحح في هذا المقال الغفال ذكر اسم
لينين قبل صعود المجد . وأنشق سيف في ادراك عدم سيان شخصية
لينين ، وأنه أصبح يذكر كثرين في الرعلة لستالين ويحظى بناس

Belostokil, Ordzhonikidze, Zinoviev, Stalin, Lenin,
Le M, Sverdlov, Spandarian, Goloschekin, Sverdovsk.

(☆)

١٩٤١ - ١٩٤٠ سنوات S. K. Sol.

(☆☆)

مراسم التالية - ومع هذا ومع هذا التالية للزوج ، فقد طغت شخصية الخلق ستالي على شخصية الساب (لينين) ، فمثلا قام أحد المرسلين الأجانب بصهر عدد الأقوال السياسية (من صبور وتسايل وصقية للزعيم) المروضة في الفتريات في بعض محلات بشارع مكسيك جوزكي بموسكو في ٧ نوفمبر ١٩٣٣ ، واضمح ان سبة عدد اقوال ستالي الى عدد اقوال لينين هي ١٠٣ : ٨٨ (١) .

واصبح اسم ستالي يتردد في شعر الأغاني ، وبخاصة عند القصر الواقدين من الشرق العريق في المنظومات التي تحتوي ملقا للحكام ، فلقد نظم ١٠١ - لاخوني قصيدة طويلة يفتني فيها بآثار ستالي ، وسماها « الرعيم » وهي مترجمة من الفارسية الى الروسية ، ومن بين أبياتها الدالة على روح القصيدة :

يا معلم يا حكيم ، يا جنابني للاركانية :

انت حارس اعتاب الشيوعية

لانت تفلح أرضها لكي تنهض بها الى الكمال

والنت بعد لينين زعيم الليسيني

وفي ذات الوقت ، انضم الباحثون في الدراسات الشرقية الى هذه الهلسا ، (كما يقال عندما في عصر في الأوساط الشعبية هذه الأيام) ، واستشهدوا بما حققه ستالي وبليني أيضا في حل مشكلات الثورة الكونية الاستعمارية في الشرق ، ووجدت إحدى المنشورات التي تحدثت عن تاريخ الحزب الشيوعي في الخارج ، لأنها انخرقت في نظرتها الى تاريخ الحقبة الواقعة بين ١٩١٧ و ١٩٢٧ (يعني نظرت اليها بروح جورجياتية متمحبة) بعكس اتجاه ستالي ، وكان من بين من وفي يوم الدعاية بريا ، الذي أداها النشرة المصوابة التي ظهرت في مدينة نغيس ، وبدأت بواكير مشاركة ستالي في الثورة في القوقاز تجتلب الانبياء وتحتل بالتمديد ، فظهرت نفرة في جورجيا تصور ستالي الشاب كزعيم بطول يقود أنشطة المقاومة الثورية الشعبية في بطوم (١٩٠٦ - ١٩٠٩) .

وظلت عليه التالية تتصاعد في المنشورات الرسمية خلال ١٩٣٣ واحتلت صحيفة البرافدا مسرور حصين مسممة على عوت هاركس في ١٤ مارس ، بامتداح المقالات التي نشرها ستالي عن نظرية الجبهة المادية ، واحتتمت كلامها بالقول « بأن اسم ستالي يتساوى في المكانة هو

(١) Morrow Carrouel (١٩٢٥)

والأسماء المطبوعة لأصحاب النظريات وزعماء البروليتاريا في العالم
 (ماركس وإنجلز ولينين) وأصبحت عبارة « الأعمال الكلاسيكية لماركس
 وإنجلز ولينين » من العبارات الشائعة على كل لسان . وانتقلت دار نشر
 الحزب نقلا من برا ، لأنها لم تحرم على استخدام الأخطاء المطبعية في آخر
 كتاب كلاسيكي حقق أسرع المبيعات يسمى كتاب : « مشكلات الليسينية »
 لستالين ، وكان « هبات » الأخطاء المطبعية يمكن السماح بها في كتاب
 من تأليف الرفيق ستالين ؟ هكذا قال الناقد متعجبا . وبينت الأرقام
 الكلية لمبيعات الكلاسيكيات التي نشرت ١٩٣٢ - ١٩٣٣ أن ترتيب الأرقام
 عليها كان على الوجه الآتي ٧ ملايين نسخة لأعمال ماركس وإنجلز ،
 ١٤ مليون نسخة لأعمال لينين ، ١٦ مليون نسخة لأعمال ستالين ، من
 بينها مليونان من نسخ كتاب مشكلات الليسينية ، وهكذا اقترنت مجموعة
 مقالات ستالين وأحاديثه على هذا المهده من أن تكون أفضل مبيعات الكتب
 في الربع الثاني من القرن العشرين .
 ومن الآن فصاعدا ، وحتى نهاية حياة ستالين ، استمرت بلا توقف
 عملية ضخم تأليه شخصيته .

المراجع

- K. B. Bailes, *Technology and Society Under Lenin and Stalin - Origins of the Soviet Technical Intelligentsia 1917-1941*, (1978).
- J. Barber, *Soviet Historians in Crisis 1928-1932* (1981).
- S. F. Coopers, *Bukharin and the Bolshevik Revolution : A Political Biography 1883-1938*.
- E.V. Denisov ed. *The Stalin Revolution - Fulfillment or Betrayal of Communism* (1965).
- I. Deutscher, *The Prophet Armed* (1954).
- I. Deutscher, *The Prophet Unarmed* (1959).
- I. Deutscher, *The prophet Outcast* (1963).
- G. M. Enten, *The Soviet Scholar-Bureaucrat : N.N. Pikhovskii and the Society of Marxist Historians* (1978).
- L. R. Graham, *The Soviet Academy of Sciences and the Communist Party 1927-1932* (1967).
- D. Joravsky, *Soviet Marxism and Natural Science (1917-1932)*, 1961.
- B. Medvedev, *Let History Judge - The Origins and Consequences of Stalinism* (1971).
- R. C. Tucker, *Stalin as Revolutionary 1879-1929 : A Study in History of Personality* (1973).
- R. C. Tucker, *Stalinism: Essays in Historical Interpretation* 1977.
- N. Tomaskin, *Lenin Lives ! The Lenin Cult in Soviet Russia* (1983).
- S. B. Ulam, *The Bolsheviks - The Intellectual and Political History of the Triumph of Communism in Russia*, 1963.

ديناميات النازية - السياسية الخارجية الألمانية - سياسة التهدئة

رونالد م. س. سطر

متنقل اتفاقية ميونيخ ١٩٣٨ أكثر الاتفاقيات القوة للجلد . ويرى
كثيرون أنها الصبح الاتفاقيات الدولية في التاريخ الأوربي الحديث . وتتمتع
للختارات التالية ميثاق ميونيخ من منظورين اثنين بوجه عام تعاملهما :
منظور أحداث السياسة الألمانية ، ومنظور لولف امسكرى حينذاك .

واستندت سياسة التهدئة الانجليزية على الاعتقاد بأن تسوية يفرسي
له عادت بوضع مجسطة وغير مقبولة ككاثيا ، وإن هناك بعض تبدلات
في حدود ما بعد الحرب بدت مقبولة ، بل ومقبولة اخلاقيا ، وأنه إذا جرت
مثل هذه التبدلات السطحة سيستسى قلب ليلول الدوائية ليعتر .
واخترست هذه التصورات انه بالقدور إقامة نظام دول يهدف على السلام .
إذا توافقت المسائل التي الازت- الضيق لاجل القوى الأوربية بطريقة
موسوعية ، ولذا افصح أن أسباب الضيق كان لها ما يبررها .

والسؤال الذي لار هو هل نظر الألمان النازيون المستولون من
السياسة الخارجية الى هذه المسألة من نحو مماثل ؟ . وبدون شك هناك
التأويل من الخلاف حول هذه المسألة على هذا السؤال ١٩٣٨ . إذ كان
هناك تنافس واضطراب داخل النظام النازي حول وضع السياسة الخارجية .
وفي أواخر الثلاثينات ، هيمن على فريق اعداد القرار استئناس ذوو اعدال
سياسية متطرفة ، لم تكن بين اهدافهم إعادة تعديل حدود ما بعد الحرب .
وللارجح هو انهم كانوا من أصحاب الرؤى الذين يسمون لإعادة تشكيل
القوى العالمية ، ومن المؤيدين للتدخل الألماني على نطاق واسع في أوروبا
الشرقية - وكان من صاغوا هذه السياسة في الأغلب من أبناء الطبقة

١٤٥ (٤) *Factor, Challenge and the Policy of Appeasement.*
W. J. Mommsen and L. Kestevencher (eds). (١٩٨٢) .

التوسعة ، لو ما دون التوسعة من الألمان الذين عجزوا عن بلوغ الكفاءة الاجتماعية والفرصة الذي كانوا يتطلعون إليه تدخل للجمعية الألمانية ، رغم نجاح الاشتراكية الوطنية داخل حدود ألمانيا . واعتقدوا أن انشده لمبراطورية في شرق أوروبا سيمنحهم صراحة يعتقدون فيها أهدافهم القومية الامبريالية ، وطموحاتهم الاجتماعية الشخصية . ثم لقد حل انشده يعتقدون هذه النظرة للسياسة الخارجية في ذات الوقت الذي قرر فيه هتلر بالذات عدم احتمال انقاذ بريطانيا حليفة له ، وانها ستكون في جميع الاحتمالات عدوة له .

وتبعاً لذلك، فمتعماً فروت بريطانيا سياسة التهدة الفعالة، المستندة على اجراء بعض تعديلات مقبولة تساعد على القضاء على بواصت الضغط ، واجه الدبلوماسيون الانجليز نظره من الألمان يسمون خلق لمبراطورية غير معروفة في أوروبا الشرقية . ومن هنا تفاقمت الشكوك في احتمال تطبيق السلام مستقبلاً مع البريطانيين .

من بين الاسئلة الدورية عند تقييم سياسة التهدة ابان أواخر الثلاثينات ، التسؤل حول هل حققت هذه السياسة أية فرصة للنجاح في ظل الأحوال السائدة ؟ . ويتطلب توجيه هذا السؤال أكبر قدر استطاع من الفهم لطبيعة التهديد الذي تعرض له النظام الدولي حينذاك ، وبإستل هذا الفهم بصفة أساسية على ادراك السياسة الخارجية الألمانية خلال هذه السنوات . فبالرغم من أن ألمانيا لم تكن المتمدن الوحيد للأوضاع الدولية الجارية ، إلا أنها كانت أخطر المتمدن .

كما تظهر من البداية كوكبة كاملة من المشكلات ، ساعدت على تعقيد المشكلة : ال أي حد مثلت سياسة هتلر مظاهر التواصل ومظاهر خالة على عدم التواصل ؟ وما هي العلاقات - ان وجدت - بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية في ألمانيا النازية ؟ وكيف اتصف دور هتلر بأثره الحاسم عندما ربط مخططاته وعملية صياغة قراراته بعوامل أخرى عند مواضعه لبعض المرافق في السياسة الخارجية ؟ هذه الاسئلة ، وغيرها من الاسئلة ، يجب أن تروحه . وما من شك انها قد أثرت في عدد من الكتابات الحديثة العهد عن السياسة الخارجية الألمانية . غير أن ما جرى في هذا الشأن حتى الآن كان بالضرورة محاولات اجتهادية واستكشافية ، فما زالت هناك أسئلة عديدة في انتظار الرد عليها . فهناك مثل من الأساليب تفسر أطوارها ، ويساعد النظر في مشكلة التهدة ، على مواصلة توجيه السؤال المعقد حول ما خلفته ألمانيا النازية من تهديدات .

وفي هذا البحث سأؤكد وجود ارتباط وثيق بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية . وأعتقد أن النظام النازي ، الذي ظهر في مجتمع في حالة تفكك قد أحدث تمثيلا مع طبعه - بغض النظر عن وجود أية أهداف شخصية في عقل الديكتاتور - تهديدا لثوابت النظام الدولي إبان الثلاثينات . وقضيا على ذلك ، فربما أثبتت لي أن هذا التهديد لم يمثل تحديا لتهنر بوصفه المخطط الرئيسي للسياسة الخارجية ، ولكنه تزامم موافقة وثيقة هو والأهداف السياسية الصيغة للفكر لهنر ، وأتاح باعنا لتطلعه تعديل وجه أوروبا تمديلا جغريا . وفي الحق فإنه قد خلق زخما على جميع الجهات ، لم يسكن أسلوبه القائم على حل كل مشكلة في حينها عن الوفاء بمتطلباته . وأخيرا أود أن أشير لي أن ما تصاعد آنذاك إلى حد التهديد المردوج - يعني تهديده عتار نفسه ، وبمديده لائسا بذاته إلى حد ما للنظام الذي يتأسس - قد ساد على نحو اقتراب من تصميده لرمحة الجاح سياسة التهدة ، وبخاصة ما يتعلق بتوليدها وتنبيلها .

ولقد ثبت الآن لبونا قلما ، وأصبح مقبولا بوجه عام عند معظم الباحثين ما يقال عن أنه من الصعب وصف النظام النازي بالنظام المتناسك في كتلة واحدة ، مما ساعد على كتابة الاجازة ، كما يطول الدعاة وصفه ، والأصح هو تسميته بغاية ، تسودها البيروقراطية والتناحر ، وتختلف بالتشريعات المتشعبة المضطربة ، وبتركيز السلطة في الأشخاص والازدواج الأدوار والفوضى الإدارية . واستندار هذا الوضع البيروقراطي الأثني بالحالات الطارئة التي تدور فيها الحرب بين جميع الأطراف لصالح هتلر عندما ساعد على تضخيم قوته وسلطاته ، بأن وعده في مكانة الفصيل الذي يصدر القرارات النهائية في جميع الأمور . ولعله لهذا السبب بالذات قد شجع المناهضات ، وأوغر الصدور ، بما أصدره من قرارات مضطربة ، أو لسخره عن إصدار القرار الصحيح . غير أن دولة الفوهرر الفوضوية كانت شيئا أكبر بكثير من مجرد تجسيم لتفنيات الزعامة المتأردة لهنر . إنها بالأحرى انعكاس لما حدث للمجتمع الألماني في السنوات التي سبقت استيلاء النازي على السلطة (*) . ورد على ذلك . ومثلت ظاهرة لم يقتصر أثرها على ما وقع من أحداث ثورية في المجتمع الألماني ، ولكنها جرت لهم ذيلها عواقب مفسدة للوضع الدولي الراهن (**) ، لأنها أمدته بالديمية التي دعمت الثورة النازية إلى ما هو أبعد من حدود الرابع الألماني .

وديمية النظام الألماني المعروفة ، والتي كثيرا ما تستعمر الانقياد . مستمدة شدة كبير من التفكك العلم للمجتمع الألماني الذي حدث خلال

المعمرينات والثلاثينيات في أعقاب الهزيمة الوطنية والكثيرة الاقتصادية .
وقد أدى هذا التفكير المجتمعي إلى حدوث انقسام جليدي بين التغيرات
الطبقية والشرائب الاجتماعية ودرجات الثراء ، وقضى على أي إجماع وطني
يحتمل حدوثه ، وانعكس ذلك - سياسيا - في الانهيار التام الذي حل
بجمهورية فايمار والنظام البرلماني لحكومتها .

وظهرت الانتمائية الوطنية كردة فعل فطري على هذا الموقف القائم على
الافتقار السياسي والفكري الاجتماعي ، وسقطت الكثير من نجاحها عندما
حدثت بألمانيا : أولا لاستعادة لم تشمل الأمة الألمانية . بعد أن أعادت
تعريف مفهوم الأمة ، ومن يتصور أنها ، ومن لا ينظمون . ثانيا . بأن
خلقت عالما من الفوضى الخسارية لجميع المشاركين في عملية خلق المجتمع
الديمقراطي المحدود من العناصر والصراع الطبقي . ومن المفارقات ، أن يكون
من بين الوصائل التي اعتمد عليها النازي في محاولة تحقيق حلم الهدنة
والسيطرة نوعا ما ، ورغم مرور وقتها ، بمجرد استيلائه على السلطة ،
التحريد من الروح الاجتماعية (بالرغم بأن الصراع الطبقي قد انتهى) .
وفي الوقت نفسه ، « تمييز » المجتمع . واتسمت هذه الخطوة الثانية
- بوجه خاص - بأهميتها ، لأنها عسرت لزعيم النازي توجيه الألمان نحو
ما أصبح بالفعل إيمان عهد فايمار ، الطريق الأكثر انفتاحا للمضي في المرحلة
الاقتصادية - أي طريق السياسة بمعنى آخر .

والحق لقد لوحظ أنه لم يسبق أن حدث في ألمانيا ما حدث بعد مجيء
النازي الذين استمدوا احساسا بالحرارة والانفراج الحيوي على مستوى
عقيدة الجنود لشعب اعتاد تقليديا أن يكون « بعيدا عن السياسة » (٢) .
وهكذا فاعتادا على الآليات التي صاغت على أساسها عامة الناس في مساحة
سياسية ضيقة ، تولى الحزب أحرار ، استطلاع النازي تعريفهم بشخصيتهم
المرفوعة لاستعادة الإجماع القومي ، وإثارة الفرصة للجميع . والتي لن
تخل إلا بفرض الصلة الوثيقة بين هدف الأمة وتقدمهم في أعمالهم في
عقول الألمان ، فإذا استطاع أحدهم المساعدة في إقامة الروح الجمهورية
السياسية (٣) واستطاع بأنجاز دوره في نفس الوقت كان هذا أفضل .
وفي هذا المقام ، كان من المعروف فيه بطبيعة الحال زيادة توسيع رقعة
عالم السياسة بأكثر قدر استطاع . ومن هنا ظهر ما سماه فريشكر
« الدولة المزدوجة » ، معنى الدولة التي لا يمد فيها مجال السياسة محالا
واحدا من الدولة ، منفصلا عن باقي المجالات بحكم القانون ، ولكنها مجال

نادو على كل شيء ومستقل عن كل تنظيم قاعوني . إن هذا الجمع بين جملة مؤثرات كالتأثير المشترك لفرس العمل ، والإحساس بإعادة تعريف معنى الأمة ، وتوسيع مجال عالم السياسة هو الذي حقق الساحة السياسية الديمقراطية التي ميرت ألمانيا النازية من البداية . إن هذه الساحة تمثل عالمًا لم توصف فيه أية حدود تتجاوز المألوف - التي طرحت طريفة غامضة في أكثر الأحيان - التي عبرت عن إرادة القويهر . وقصلا عن ذلك لم توضع أية تحديدات لما يمكن أن يتمتع به الفرد من قوى ، فبغت اقتراب إلى كاريكاتور لبيروالة المفتوحة في القرن التاسع عشر . ولم توضع أيضا أية تحديدات للتشريع ، لأن الفرد لم يقتصر دوره على شغل وظيفه ما أو منصب . ولكنه كان مطالبا بخلق مجتمع جديد كلية . وفي هذا جاءت تحديدات المخططات في عقول عتاوله النازيين الحكماء . والتي تست عن احساسهم بتصورهم أنهم قادرون على كل شيء . كما يبين من عالم قوت العاصمة لروهم وعالم المال بلاي (٢) وعالم اصحاب المودات النحاسية لهبرل(٣) وعالم مطبات التنبأ لتشران واحيرا يحيء عالم هملر الذي تمتع بأكبر قدر من النفوذ التشريعي .

وساعد العامل الإضافي للفوضى ، على ازدياد اشتغال التنافس في عالم المبادرة السياسية الحرة . والشئ المنهل فيما يتفق بالتكوين السياسي للندارى هو المتقاربه إلى القواعد . وظيفية الحال انعكس لحباب « المقيم » لصالح هتلر نفسه ، لأنه ساعده على أن يصبح الفيصل النهائي والأوحد . ومن هنا رأياه يرضى من هذه الحالة ويتجفع على استبواها . غير أن الفوضى قد سادت لأسباب أخرى أيضا ، وعكست مرة أخرى تدهت المحتشع الألماني . ويلاحظ في جميع المجتمعات الحديثة وجود ميل للاستعاضة عن الروابط التقليدية العضوية (كالتقاربة والالتناء لقرية أو لقابة واحدة) بروابط وظيفية (كالارتباطات التجارية والصناعية والاتحادات وعلم جرا) . ولا شك أن هذا التطور من المظاهر المصاحبة للتحديث . ومن المجتمعات الليبرالية ، يحدث هذا الإجماع في نطاق إطار سياسي وحسبوى مقبول بصفة عامة ، يصبح قواعد لا شخصية يستند إليها في امكالية حقق هذه الارتباطات الوظيفية ، والربط بين سطها البعض ، على أنه في حالة غياب إجماع من المجتمع على نطاق واسع ، فإنه لن يوجد إطار معيارى ، مما يؤدي إلى احتمال شيوع الفوضى . وهذا بالفسط ما حدث في ألمانيا . فعلى قبل استيلاء البرلى على السلطة ، كان المجتمع الألماني يلتفت إلى الإجماع الذى كان يسموه دعم التفسير للتيظيم بين الروابط العضوية إلى الروابط

الوظيفية - ويرجع ذلك الى أن المجتمع الألماني كان « لا ليبراليا » أساسا في تطوره ، وهذا في طريقه الى التحديث ، الذي لم يحدث الا بجرئيا . وبعد أن انتقلت السلطة الى اليسار ، ازدادت الحال سوءا ، فلما كان الساريون قد درجوا على ملقوب اجباغ المجتمع ، لذا عملوا قاصدين الى تسريع عملية التحديث بدرجة كبيرة ، بأن قضوا على التنظيمات التقليدية الجماعية ، العضوية والمستقلة مستقلا ذاتيا ، وأحلوا محلها أنظمتهم الوظيفية ذات الغائية السياسية في نطاق النظام الساري ، وبدأ لهم هذا الإجراء كهدية ضرورية ، وهي المقومات الأساسية للتكامل في مييابة تحقيق النجاس (٢) التي استعانوا بها لفرض سيطرتهم على الشعب الألماني . غير أن الاقتدار ذاته للاجباغ الذي يكمن وراء أكلولة الروح الشعبية «الشمورية» (٣) الجماعية ، وليس الاقتدار للاجباغ الذي كان طبع المجتمع الألماني قبل مييابة القوة والفضة الحديثة (٤) ، قد استمر سائلا يحول دون صوغ أية مجموعة من القواعد التي تمتد عليها الروابط الحديثة في أداء أدوارها ، أو في ربط كل جماعة بالجماعة الأخرى . وأدى ذلك الى ظهور روابط وظيفية ، مستحدثة ، يعنى امبراطوريات شخصية بيروقراطية لفصول الساري مثل لاي وجوبلر وهنر الذين يضطلعون بأدوارهم لا ففس صرح خاضع للمعايير والقيم ، وإنما في نهاية تسودها المانسة .

فلا عجب إذن اذا صلت الكيانات السارية المتنافسة من البداية الى لسف الحدود الموضوعية بطريقة مألوفة ، والتي تساعد التكوينات الوظيفية على أداء عملها . وتربط كل منها بالآخر في المجتمع الحديث . ويصح هذا القول عن الوسائل التي استمانت بها في أداء وظائفها ، والتي أصبحت تصنف على توجيه الاهتمام بالحيابة والتأمر ، بل والقتل ، بحكم الاستعداد الواسع لأنشطتها . والتي كشفت عن الميل لاصدار التشريعات ولكنديسها دون صلاة يتوافقها أو ترابطها ، مما جعل منها عللا بيروقراطية هلاميا . فمثلا جل هناك ليرالي يستطيع فيه أمثال هرمان جرونج شغل وظيفة قائد للطران والتحكم في الصناعة وكبير المشرفين على المصانك والوسط في السياسة الخارجية ، وربما ما هو أكثر من ذلك ! .

بعد أنه من المهم بالنسبة لبحثنا الحال ، القول بأن الاقتدار الى القواعد والولع « بالتكويش » قد يسر للتنظيمات الوظيفية السارية ازالة الحدود التي تفصل السياسات الداخلية عن السياسة الخارجية .

وتسمت هذه النزعة السائنة التي سمحت بالتحريك الدينامي من مساحة السياسة الداخلية الى مساحة السياسة الخارجية في إشار الصادر

Gleichschaltung
Völkergemeinschaft
Machtergreifung.

(*)
(***)
(****)

والثارة العفاني ، وهي ظاهرة عرفت عن المجتمع الأثافي حينذاك ، ومن
رواسب الوجود المتواصلة للطبقات الحاكمة السابقة ، وضرورة الإعتداه
الى وسيلة للنفايش منها - فمن المعروف تماما ان هتلر قد أحبط آمال
وأمانى ملايين من أتباعه من أبناء الطبقة المتوسطة والطبقة دون المتوسطة ،
ومن كانوا يتطلعون لخلق مجتمع جديد يتجاوب مع تصورهم ، اعتصا اضطر
هتلر الى الاتجاه الى القوى التقليدية لتقوية المثابا ، ولتحقيق أحلامه فى
التوسع . وكانت هذه القوى هي قوى الجيش والموظفين المدنيين وكبار
رجال الأعمال - فلما اضطر الحرب البارى الى المصالحة مع هذه الفئات
قامه معنى بوعى أو بغير وعى الى الخراع ربانها ، بعد ان أحسقت فى إعادة
بناء البلاد على أكمل وجه ، هي طريق إعادة خلق المجتمع على غرار النموذج
البارى الموارى له . وكانت حكومات هذه العالم البارى تستند الى الروابط
الواقفية ، والتي سبق أن اثبتت اليها ، والتي انماست فخرى امكانات
صعود من يشمون اليها بسرعة أكبر ، ووفرت فرصا أفضل لتحقيق الأحلام
اليوروبية لا يستطيع انماستها المجتمع القملى . فانه من الأيسر أن تصبح
جنرالا فى جيش الدفاع (٢) ، أكثر من احتمال وصولك الى مرتبة جنرال فى
الجيش القملىدى ، وأن ترتقى الى مدى لاحدى ادرات هذا التنظيم البارى.
أكثر من احتمال ارتقاءك فى السلك المدني ، بعد أن تخلصت من المجتمع
الموازى الموقات الموجودة فى المجتمع القديم ، ولستقص من مصاير
الأصل الطبى والثروة الملوكة ، والرتبة الاجتماعية والانتماء لقلة من
المنفعة الحسية بمصاير أسهل فى الاقتراب منها ، مثل معيار الولاء السياسى
والبناء المصرى . وكانت المشكلة - كما يشهد بذلك استمرار بقا بعض
المنتمين الى الطبقة المحالطة من ذوى الألقاب الأثافيا (٣) - أن المجتمعين
فى المجتمع الحق والمجتمع الموازى الذى صممه البارى (قد استمروا فى
المقاء حنبا الى حناب مما فرض على أى نازى طموح مصاير المجتمعين ،
ومن ثم فلقد عاش كل صامى طموح ليما يشبه المجال المصاطيسى للتوتر
تصموية تحويل علة أحد المجتمعين وما يعود به من ائابة الى علة المجتمع
الأخر . والحق انه رغم كراهية كثيرين من الصاعدين اجتماعيا (أو لعله
يقصده المتصلقين) من البارى للمجتمع الطبى الأقدم ، ومن يحتلون لمتته ،
الا أنهم فى ذات الوقت كثيرا ما عجزوا عن التطق برهونه وتوايه وعقوباته -
ولعلمهم قد اكتشفوا الطابع الوهمى لعالم البارى ، وحاولوا للاستجيل (أى
تحويل الدائرة الى مريم) للتوائى والتكيف إما بمحاولة الانتماء للعالم
الأخر ، أو بترحلة تحاسبات عالم البارى الى ما حققه من نتائج خيرة ، أو
عندما لم تنجح هذه السبل ، فانهم لجأوا الى تبرجيع المجتمع القديم ، على

هو ادى في نهاية المطاف الى القضاء عليه ، ولعلهم قد شعروا بالندم
التيهه لذلك ، ولديها الكثير من الأدلة عن هذا التوتر المموس في كل
مستوى من مستويات النظام النازي . قبتلا في ظل سياسة التهديد ،
من الكثير للاهتمام أن نلاحظ أن المحاولة الأولى لريستروب لاحتكام عالم
السياسة الخارجية قد فشلت في تقديمه بطلب للدلائل بوظيفة سكرتير
للدولة (٣) ١٩٣٣ ، وببما كان يصبح أعوانه ويوزع الأدوار في عالم
الظل ، فيما يسعى ب مكتب ريستروب ، إلا أنه لم يتوقف عن محاوله ترجمة
أعضائه الى مصطلحات العالم التقليدي ، وتوسل مرتين أحريين بعد ذلك
فبراير ١٩٣٥ لتعيينه سكرتيرا للدولة ، وانتهى الأمر كما هو معروف
بأختياره ويراا للخارجية وتخلي عن مكتبه وأعوانه في عالم الظل .

إن هذا التوتر بالذات ، والعجز عن التخلي عليه هو الذي سيساعد
على توليد ديمانية الحرب النازي . ولا يتعلق ذلك بزوع التمشيلات النازية
الى تجاوز أو تحطى التشرعات التقليدية مصعب . ولكنه أيضا - وهذا هو
المهم - سيسر لهم في جعلهم تحطى حدود المجتمع الألماني نفسه ،
والنظام في مجتمعات شرق أوروبا ، السلاح مداح . إذا كان ما يذهب
أعلام الحائلي النازيين والناشبي عن التسلط هو خلق عالم لا يتمتع فيه
بالقيمة أي شيء باستثناء رموزهم ومقدساتهم وسلطانهم ومكانتهم . وعلى
عن القول أنه قد ترتبت على ذلك حملة عواقب للسياسة الخارجية الألمانية
لأنه عسى أن الأليات ذاتها التي كان المجتمع السياسي النازي يتبعها من
الناسية المعية قد دفعت هذا النظام الى السروح الى تحطى النظام الاحتياطي
والسياسي الدولي . بعض النظر عن أية خطط مدروسة قد يكون متتار وضما
وكما سنرى أن أسامة فهم هذه الحقيقة هي التي سمحت ، للبهديين ،
بالتخلي بميدا ، ملبسا لملوكا عندما اتبعوا سياسة ، لعلها لم تكن غير
مجدية من البداية . وإذا راعينا طبيعة النظام النازي ، وطبيعة الديكتاتور
بأنفسه ، فإن هذا التفسير لدينامية المجتمع النازي ، وبروح التسلطات
التي يتألف منها النظام للاندفاع هو سياسة خارجية قائمة على التوسع ،
يرسى معن وجود توتر حق بينه متتار والنظام النازي ، والأصح والأقرب
الى الاحتمال هو حدوث توافق بين طرفين : الطرف الأول - متتار والنظام
النازي الذي يعمل على فرض السيادة الألمانية على أوروبا ثم على العالم بعد
ذلك ، والطرف الآخر يتمثل في جماعة المديرين السياسيين النازيين ،
التي مرتت بديناميتها ونغم شعورها بالأحباط ، وكان متتار على دراية
بالدينامية التي تسير نظامه ، إذا كان متساقا وراء بعض المواقف ذاتها
التي تميز بها أتباعه ، وتركز دوره على تحديد الهدف النهائي (٤) بمرص

(٤) Staatssekretar. في Auswärtiges Amt.

على أن يتلوه اتباع أحد اتجاهين بدليل : إما أن يكبح جماح الدينامية إذا رأى نفسه ما يستحق من ذلك ، أو يساعد على انطلاقها ، وإزاء هذه الحقيقة ، نوسمنا أن نذكر اغتيال الطغرات إلى السياسة الخارجية الألمانية التي شغمت دور هتلر ، أحد المصادر الهامة للضغوط الكامنة وراء سياسة توسع ألمانيا النازية .

ومن الضروري في هذه النقطة أن نبين أن الدولة المسيرة للطبيعة (التي حدثنا عنها الفيلسوف الإنجليزي هوبز) والتي تعبر بها النظام النازي في سياسته الفاحية ، قد اتبعت نفس المبدأ في مجال السياسة الخارجية ، وإن حدث ذلك في نطاق محدود . ولقد لاحظ المراقبون السياسيون بالتأكيد هذه الحقيقة . فقد شككوا موسوليني بالفعل في يوليو ١٩٣٣ :

« الظاهر أن الحكومة الألمانية قد عثت ستة أشخاص - أو لعينهم سبعة - كانوا يتشبهون النم كوزير الخارجية - أهم هتلر ونويرات وحورنيج وبابن وجوبلر وروبيرج ، ولا داعي للذكر اسم بلومبيرج ، الذي كان يرج أنه في كل مناقشة تدور حول الشؤون الخارجية ، وأدى ذلك إلى تصليب الكلام بيننا وبين الحكومة الألمانية » .

وبعد ذلك بأربع سنوات كان الإيطاليون مازالوا يرددون نفس التلكاية . إذ قال الكونت تشيانو وزير خارجية إيطاليا (زوج ابنة موسوليني) بمناسبة زيارة اللورد هالفاكس لبرلين في نوفمبر ١٩٣٧ :

« هناك العديد من الدبوك في سلطانية الجسد - ولا تقل السياسات الخارجية عن أربع بأي حال - سياسة هتلر وسياسة حورنيج وسياسة نويرات وفون ريبنتروب . ولا داعي لذكر من هم أسفر من ذلك . ومن الصعب في مثل هذه الحالة عمل أي شيء يمنع مجرى الأحداث من التوقف » (*) .

ولا يقتصر الأمر على ملاحظة استفاء ألمانيا لهذا الوضع . إذ لاحظ ذلك أيضا أعداؤها المتوكمون ، فيما يتعلق بالسياسة الخارجية .

« ليس هناك وزير خارجية واحد ، كما لا توجد وزارة خارجية واحدة » . فتية ست وزارات - فلذا تعلق الأمر بالنسبا بجمع صوف

*Zuletzt Heehoe im Huchnerstall. Es gibt mindestens vier Ausenpolitiken die von Hitler, die von Goering die von Neurath, die von Ribbentrop. Von den Kleineren ganz adgesehen. Es ist schwierig, Vollkommen auf dem Laufenden zu bleiben."

هايجنت(*) . وعندما تبحث وسائل رومانيا أو المجر فائنا نلتجئ باستمرار
تتبع رودسرج ومكتبه بعضى النموذ . وعندما تقتضى الضرورة بحث
مشكلة السار أو القاتيكاز أو فرنسا ، فائنا ترى جورنچ يقفز لركوب
طائرة . وحتى تأثير الدكتور هانفشتينجل (**) الغريب الأطوار ، فإنه
لا يشيب من نأظرنا عندما يتعلق الأمر بأمرىكا .

وحتى الرجل الذى يظهر أنه كان المستوث عن تنفيذ السياسة
الخارجية بويرات ، فقد رأينا بغير أحد زواره فى صيف ١٩٣٧ .
« لا ننظر الى ما يقوله جورنچ بمنظار الجد فالجميع فى ألمانيا مهوون
بالسياسة الخارجية . ولقد ثبت ما لاحظته المراقبون السياسيون الى حد
كبير من الفراضات التى حوت فى الطء اللغى . أو قبل ذلك . ولا أتوى من
هذا القام بحث تفاصيل أعمال مختلف الجهات التى صاغت السياسة
الخارجية الألمانية . ولكن سأكتفى بذكر جملة تسميات حولها تناسب
قضية سياسة التهالة »

أولا - لقد انضم النازيون المتناقصون ميدان السياسة الخارجية
لأسباب شتى يرجع معظمها الى نفس المحيط من العوامل التى حمت بين
الرؤية البورتية والانتهازية الوطنية والادخاع الضال المتروكة على دينامية
النظام نفسها ، وكما ذكرنا ، كان أوتست بوله (***) مؤسس المنظمة
الخارجية فى الحزب يعلم بتسخير المجلس الألمانى فى سائر أنحاء العالم لحمة
الاشتراكية الوطنية . الا كان طموحه ينصب على رفع ألمانيا الى مركز
الصناعة بين قوى العالم : « لقد انبهرت البهارا مطلقا بفكرة الرايخ الألماني ،
وهيمنت على خاطرى هذه الفكرة . فعلى الرغم مما بين ألمانيا وانجلترا من
اختلاف تام فى الفكرين ، الا انها تتشعب بالمساواة الكاملة هي وانجلترا فى
ساحة القوى العالمية » . وكان صالر يعلم بالمبراطورية عنصرية كبرى فى
الفرق حيث يتسنى له تحقيق احلامه فى اعادة الاستيطان . وتعلق
رودنبرج برؤى حدوث تصدع فى الدولة البروسية ، وما يصحب ذلك
من تجديد وردى ألمانى . ولم تنصف أية رؤية من هذه الرؤى ببساطتها .
وعلى العكس فان رؤى جميع من ذكرنا ترجع الى ألف سنة تقريبا ، وتعكس
فى أغلب الظن الجمع بين الاحباط والتطلع .

ومن حين لآخر ، ربما عزيت الشبهات فى السياسة الخارجية الى
ما حدث من امتداد بسيط فى نشاط السلطة الداخلية ، مثلما حدث عندما

Habicht.

Dr Hanfstaengl.

Auslandsorganisation

Kriegsrat Schule.

(*)

(***)

(***)

حاول وزير الدفاع جوبلز السيطرة على الصحافة النازية في الخارج . أم
عندما امتدت أنشطة محادثات جيش الدفاع إلى خارج دولة ألمانيا بحثا عن
الشتات في الخارج وأعضاء الأيديولوجيا - وأحيانا ربما رجع الحام بصي
الأشخاص أنفسهم في السياسة الخارجية إلى معرفة المسائل على طريقة
النهر ، والاقتناع بربوع جغرافية بالفت - ولعلنا نذكر انهيار حروب
بالملاقات الإيطالية أو البولندية ، واعتبارات روزنبرج بالجبر ورومانيا ،
والملقة اثريقية لرينتروب بالاحتياز ، مع الاكتفاء بذكر أهم الأمثلة .
ولكن كان الغلب من وجود هذا الانهيار أو عدم وجوده في أي مثل معروف
هو اجتماع جملة بواعت ، وأفضل مثل للملك هو ذلك التي للرجت في
التدخل في السياسة . وتوامم هذا التدخل هو وأنشطة المحادثات والأعلام
الأيديولوجية والمصالح الراسخة والأعمال البوليسية ، وما صادته من
صناعات عند تحديد رسالة لها .

وفي جميع الحالات ، كانت النتيجة الوحيدة لهذه الأنشطة تومي على
نحو أو آخر لتغيير الأوضاع الراحة في أوروبا والعالم . وما ساعد على
ظهور هذه الأعلام والطوحات هو هيئة التمزق في النظام الدولي التي تستد
جلوره إلى ألف سنة أو يزيد .

ألمانيا - وظهرت في مجال السياسة الخارجية أيضا نفس التوترات
والصراعات التي لحقت من وجود مجتمع متوازيين في الميدان الداخلي .
والحق أن هذه الظاهرة كانت أوضح تحديدا ، لأن الملتقي المحافظين الذين
يقومان بدور حيوي في العلاقات الخارجية الألمانية - ينس الجيش ووزارة
الخارجية - قد اشتركا في تعزيزه . وهذا كان على الحكام النازيين الإنعام
على أبعد الصعوبات تأثيرا فيما يتعلق بالأفراد . وهذا كان المحاطون يملكون
وكأنهم محتفظون بلوتهم ، وبما يعود منها من كسب - فلا عجب أن إذا
أصبح ميدان السياسة الخارجية أحد الميادين الرئيسية للصراع بين النازيين
المطرفين وبين المحافظين التقليديين .

وقد أصبحنا نعرف الآن أن القوى المحافظة لم تكن على النحو الذي
بدت فيه للكافة حينذاك . غير أننا إذا أمعنا النظر فسنستدرك أنها لابد أن
تكون قد بقيت كذلك . فبجيب أن لا ننسى تكيف سياسات هتلر القصيرة
الأجل حل حبر وجه هي والأهمل البعيدة للمحافظين . حتى بما كان هناك
توافقا في المصالح ، ولا كان هذا التوافق لم يوجد بالمثل ، وعرض عن
ذلك ، فالحقد اكتشف هتلر أنه من الضروري بين القيمة والأخرى أن يسكن
الزمام ويصبح التطلعات الخارجية الشديدة الطموح ، مما جعله يبدو - في
الحظ الطن - أكثر اعتدالا مما بدا لنا . واتبرا وحتى فيما يتعلق بالأفراد
قد يتفرق النازيين الطامحين اعتقادهم بأن المجتمع الألماني لم يتغير كثيرا

بعد قبول النظام النازي ، كما كانوا يأملون - فحيثما نظروا كانوا يشاهدون - على ما يبدو - الأساطير القديمة مارلوا أحياء - إذا كان السيلك الديبلوماسي يهيم نسبة عالية من الاستقراط من حيلة الانتخاب أكثر مما كان الحال في عهد فيمار ، بل لقد كان هناك حتى في ال S ذاتة أعداد غير متناسبة من القبائل يخلون المناصب العليا . نعم لقد كانت جميع هذه الأساليب وراء اشتغال براد الصراع حول التشريعات والقي تصف بشدة شراسته .

ثالثا - لم يمثل هذا التنافس في حلبة السياسة الخارجية حالة مستقرة ، يعني موقفا سائكا ، يتمسك فيه كل شخص بموضبه . فالأرجح هو أنه كان صراعا حركيا (ديناميا) استطاع فيه المتطرفون شيئا لشيئا خلال الفترة الواقعة بين ١٩٣٣ و ١٩٣٧ إحراز قصب السبق . لمحل الرغم من سنتج بريرات والعاظمي بوزارة الخارجية - صديا - بقوة أعظم ، ونفوذ أكبر مما كان يظن - كما توحي السيرة الجديدة التي كتبها هايمان من حياة لوبريت - إلا أنه من الطبيعي رغم ذلك أن المحافظين صبة ١٩٣٦ كانوا يستندون إلى دعامة قوية في مواجهة عمليات السحق والتنافس التمرس من قبل مختلف النازيين . وتزايد اعتماد هتلر في المسائل الخارجية على ميموين آخرين غير من يتمتعون الجهار التقليدي . وعلى نهاية ١٩٣٧ ، كانت المعركة قد كسبت ، وترب عليها نتائج خطيرة بالنسبة لسياسة العهدة .

رابعا - كانت ثقله ميدان التنافس في العولة النازية إلى مساحة السياسة التعاونية لصالح هتلر - ربما صفة عامة ، عندما شرع في تحقيق رؤياه البعيدة المدى . وساعده ذلك على اكتشاف أبواب للاختيار بين السبل المتاحة ، وسير غور نقاط الضعف دون تحمل أي تبعة أو وزر بوصفه رئيسا للعولة . وتكشفت هذه الحالة في أجلى مظاهرها في حالة النمسا في يوليو ١٩٣٤ . فلقد رددته بالفكر وأدوات ساعدته على ترجيح كفته ، وعرضته في الانفراد إلى أية تجربة سابقة في الشؤون الخارجية . فلقد حلت مواقف بالمشور استعملها إذا اعتقد أن الموقف أصبح مواتا . ولقد حققت هذه الظاهرة ميزة حقيقية للدكتاتور الذي كان يرداد مقنا للحكم يوما بعد يوم ، ويضلل ترك المواقف تسطح إلى أن تبلغ حالتها الحرجة . ولم يتمتع حكام آخرون بهذه الميزة . وأخيرا وبطبيعة الحال ، فقد تصاعد التنافس من دينامية كان هتلر يعرفها تمام المعرفة . يتض النظر من نوع الأحلام والتطلعات ، ورأى أنها قد تتطابق ورغبته في إعادة بناء أوروبا في صورة متطرفة . وبهذا المعنى ، كان جوسه الانطمان إلى أن التطور البعيد المدى للمجتمع النازي سيتطابق هو واقعنا البعيد المدى .

وبعد ما ذكرنا ، لابد أن نلاحظ أنه رغم جسيمة قوة الطرد المركزي
 التي وثقها النظام النازي الدينامي ، إلا أن سياسته الخارجية التي كانت تعد
 يوما بيوم قد التزمت حدودا معينة ، حتى بالرغم مما بدا في آماله البعيدة
 من توقعه بإحداث حزة دولية ، ومن ثم رأيناه يفرض من قبل الحرس على
 علم أحداث اضطراب في النظام الدولي قبل أن يكتبل أعداد القوة الألمانية
 وتصبح مكاثرة للمهمة التي مستطلم بها ، رأيناه يفرض قبولنا على
 التناقص في التدخل في السياسة الخارجية أثناء هي القيود التي فرضها
 على السياسة الداخلية . هذا يلزم عند تقييم السياسة الخارجية الألمانية ،
 عقد مقارنة صحيحة بين قيادة هتلر وسيطرته والانشطة التفاوضية
 لانتاعه .

خلاصا - وأخيرا ومن المهم للغاية فيما يخص نمايتنا أن نلاحظ ما حدث
 من توافق شبه تام بين تصاعد الصراع حول السياسة الخارجية بين
 المتطرفين والتقليديين الذي انتهى بالتصالح المتطرفين وبين ازدياد قوة ألمانيا
 الاقتصادية والعسكرية إلى الحد الذي دفع هتلر إلى تصور أنه غدا قادرا على
 التقدم إلى ما هو أبعد من أهدافه القريبة المدى (والأهداف البعيدة المدى
 للمحافظين) إلى أهدافه البعيدة (التي توافقت هي وأهداف كثير من
 المتطرفين) ومن المأسى أن يتصادف توافق لتمام هذين النوعين من التقدم
 بدوره مع تقدم آخر هو تحول السياسة البريطانية من سياسة التهدة
 السالبة إلى التهدة الموجبة أو الفعالة ، وعلى أن نستغل الآن في الكلام عن
 هذه المشكلة وعلاقتها بتكوين السياسة الخارجية الألمانية ، ونسبكينا .

لن ننسى أحداث التلاحمات الأكثر مأسوية أنه أن تحدث الفكرة من
 سياسة التهدة السالبة إلى سياسة التهدة الموجبة متتالية هي وتطورين
 الدول بإحاطة مجاح هذه الاستراتيجية ، يسي إدراك هتلر تدريجيا علم
 احتمال تحول بريطانيا إلى حليفة لألمانيا ، وأن الأرجح هو أن تكون عدوة
 لها ، والتطور الثاني هو انحصار المتطرفين في ألمانيا على التقليديين .

وإذا استطلعنا الربط بين استغلال التهدة الموجبة أو الفعالة وزيارة
 اللورد هاليفكس لبرلين في ١٨ نوفمبر ١٩٣٧ ، سيرداد وصوح سر هذه
 التلاحم . فليقد آثار هاليفكس في مباحثاته هو وهتلر وجوريج وغيرهما من
 زعماء ألمانيا مسألة التنازلات لألمانيا في وسط أوروبا ، وبمبادأة أخرى وضع
 جدول أعمال تناقش بسوجه مشكلتي النمسا وتشيكوسلوفاكيا على مستوى
 دولي ، وفي الظروف المادية التقليدية ، كان سينظر إلى هذه المطرحة على
 أنها خطوة معقولة تماما ، يعني مناقشة المشكلات المتعلقة بالنوى حتى
 يتسنى حلها سلميا قبل أن تتفاقم وتتأزم ، ويؤدي علم الجسم إلى
 تهديد السلام . غير أن هاليفكس وغيره من رجال القوة البريطانيين كانوا

لا يعملون في ظروف تقليدية ، ففي ألمانيا كانوا يتعاملون هم وزعيم له أهداف متطرفة تجاوزت بكثير الأهداف التي يمكن تحقيقها ضمن أي إطار باستخاطة الامتياز نضله . ويتعاملون أيضا مع نظام سياسي قد اتخذ شكل الديناميات التي تحل تهديدا للوضع الراهن (٢) - ويسود تماكب الأحداث قبل ريلية هالفكس مباشرة ويعدّها ، تصويرا دديا هذه النقطة . على ٥ نوفمبر ، أي قبل وصول هالفكس بأسبوعين ، كان هتلر في حديثه السري وتوحيات وقادة الجيش قد وضع التمسا وتشيكوسلوفاكيا في جدول الأعمال الخاصة بالغزو العسكري ، وليس ضمن الموضوعات محل البحث . وفشلا عن ذلك ، قلقد برز علنا المني أيضا في الحديث الذي حدث فيه توقع أن تصبح بريطانيا عدوا محتملا ، وأنها لم تعد ينظر إليها كحليف . وحدث أيضا إبان هذه الشهور الأخيرة من ١٩٣٧ ، اقتراب نهاية الصراعات الداخلية الصديدة داخل ألمانيا بين النازيين المتطرفين والنازيين المحافظين . وتمثل استقالة شامت (الاقتصادي الكبير) في ٢٦ نوفمبر قبل ريلية هالفكس ليرلين بأسبوع واحد حدثا يتجاوز مجرد تخلي أحد المحافظين البارزين عن منصبه ، لأنه يمس عا حدث من كصدع للجبهة السياسية المتحدة المزمعة من كبار رجال الأعمال . وكما أشار أحد الباحثين قاربا تمثل مرحلة أبعد هي التفكك العام للمجتمع الألماني . وأسفر ذلك عن ثروة التشكيلات المارية المتنافسة بباغت أكبر ولمرصة أوفر ومجال أوسع لسلوطة (٣) وتمثل المضائغ التالية التي أحاطت باسم وزير الخارجية فون بولسميرج وقائه القوت المسلحة فون فريتش . والتي تمخضت عن تولي هتلر لقيادة الجيش بنفسه . تمثل تداعي موقف المحافظين في جبهتين سبق تعرضهما للتهديد : الجيش والحاربية . وعاصرت هاتين النهايتين - دون أن يلتصقا أحدهما - وإن كان هذا الحادث الآخر لم يكن أقل تنبها إلى ما سيجره من عواقب مستتومة - انتصارات جيش الملقاح في تصلة الألمان العائشين في البلدان المجاورة ، بعد وقف هانس شتاينباخر وإنشاء أدفة جديدة (٤) تتول الامتياز على شئون الجاليات الألمانية المقيمة بالخارج . ولعل استسلام كونراد هيلفوين زعيم الألمان في السوديت لإرادة هتلر في اليوم نفسه الذي وصل فيه هالفكس كان إشارة تدل على أنه حتى بعد أن التحس البريطانيون عذرا شرعيا يبيع للدكتاتور اثاره مسألة مستقبل تشيكوسلوفاكيا على المنبر الدولي ، فإن الأقلية الألمانية في هذا البلد زودته بالوسيلة التي تسلطه على التعامل في مسألة تشيكوسلوفاكيا

Statue erde.

(*)

Spätkrieg.

(**)

Volkdeutsche Mittelstelle.

(***) اسمها

على نحو لم يخطر ببال المستثمرين البريطانيين . نعم لقد عرف البريطانيون أكثر هذه التطورات - أو ما حدث من تبدل للأشخاص في أقل تقدير - ولكنهم لما أساءوا تقدير آثارها ، أو أساءوا فهمها تماما . وكتب هيدرسون (السفير البريطاني في برلين) إلى الملك جورج الخامس بأن هذه التغييرات « قد جعلت الجيش الألماني الأمر المهيمن في الشؤون الخارجية ، ودعست حزب السلام في ألمانيا » .

وهكذا ابتداءً بتفليد سياسة التهدئة المرحبة ، واتخاذ المبادأة في إثارة القضايا المرتبطة بسلام أوروبا بدلاً من الانتظار السليم لتحركات الديكتاتور . وهي سياسة كان بالاستطاعة أن تؤذي لهاها ، لو أنها بدأت في وقت أبكر من العام . ولكنها بدأت في ظروف عشوائية قارية نهاية ١٩٣٧ وبداية ١٩٣٨ ، يعني في الوقت الذي مراعى لهتلر أن باستطاعته تنفيذ ما يخطر له دون تعرض لأي خطر ، وكانت نظرائه قد اتسمت إلى الحد الذي جعله يتصور بريطانيا كمنهكة له ، وعندما كانت دبلوماسيات الثورة النازية قد مهلت الطريق معه أن قصصت على كل مناس يقف في طريقها .

وفيما وراء هذه التلاحمات المؤسفة للتطورات ، ظهر عامل آخر ألقى بظلاله الكثيفة على الاحتمالات التي ترتبت على « سياسة التهدئة » بمعد ظهورها في أواخر ١٩٣٧ . ولو تأملنا الأحداث التي كانت الحكومة البريطانية تسعى لتحييتها ، وتأملنا اللغة التي صيغت بها هذه الأحداث ، والاطر الذي نظرت من خلاله القيادة البريطانية للعلاقات الدولية ، سيوضح لنا أن تفسير لين ومماوتيه كانوا يصلون في مستوى مختلف عن مستوى الزعامة النازية . ولربما يفت هذه الخفيفة واضحة جلية ما جعلها لا تحتاج إلى المصاح ، غير أنني أشعر بأهمية الكشف عن أحد جوانبها في أيباز ، لكي ننتبه النطرات الضمنية الشاس للعالَم التي فرقَت بين الرعاية الألمانية والزعامة البريطانية ، ودلت على ما حدث من تفكك في النظام الدولي مما جعلها توحى عند تأملها لها بما بعد بالمرء القاتلة لسياسة التهدئة . إذ كان الموضوع الذي احتللب نشاطه الطرفان في انخب الذي اختلفا بيا هو موضوع انهاء امبراطورية ألمانية -

ويبدو في الأصل الاختلاف الجذري في الأهداف واللفة والروح والنظرة . الذي فرق بين الزعامة البريطانية والزعامة الألمانية فيما يتعلق بالتوسع الإمبريالي إلى . أولا إلى المراحل المختلفة ذاتها للتطور التي ألفى الطرفان تصبيها فيها . ففي الثلاثينات كانت بريطانيا العظمى قد بلغت مرحلة تطور تمثلت في قوتها الإمبريالية الناضجة الكثيفة بداتها ، وأدرك زعمائها في الأغلب التطلعات التي عمرت عنها كل من الثورة الويلسوية

(أمريكا) والثورة الليبية • وعلى الرغم من أن الحكومة البريطانية كانت تتحرك في حذر نحو هذه التحولات ، إلا أنها كانت قد تجاوزت في تنحونها القرن التاسع عشر وميله الامبريالية واتسعه الامبراطورية - ان هذا لا يعني ابتكار وجود عدد كبير من الانجليز استمرت تراثهم الاحلام الكليجية (نسبة الى الاديب الاستعماري وديفورد كيلنج) عن الامبراطورية • غير أن النقطة التي نحتاج الى تأكيد هي كون الرأي العام ومظم المسؤولين البريطانيين قد تجاوزوا هذه المرحلة • ويصور هذه الحالة كتاب نشر ١٩٤٢ (٣) • ويعد هذا الكتاب تبريرا عاطفيا لحق ابتعنا في حكم الهند ، واتبع في حجيجه وتبريراته الأسلوب التقنيدي • ولكن على الرغم من أن الكتاب قد اعتقد أن المرحاض الهندي بإمكانه الاستمرار في السيطرة على الهند اعتمادا على المذاهب إذا بطلت ادارته ذلك ، إلا أنه أدرك أيضا واعترف بأن محاولة الاقناع على ذلك سرب من الأوهام اليوتوبية ، لأن المشاريع العامة التي تأثرت بأنصار الجناح اليساري وبالإسانيين للذين ينضمون المؤلف لي تسمح يحدث ذلك •

وعلى نقيض ابتعنا ، الموقف في ألمانيا التي لم تفرغ من لم شملها في شكل أمة واحدة إلا في وقت متأخر • ومن ثم فإنها لم تبين مسار الامبراطورية الاستعمارية إلا لفترة وجيزة • ولم تتطور في نظريتها الى الانجازات الامبريالية إلى القدر الذي يلمته ابتعنا • فعلى رعايا ألمانيا المحترمون • فإنهم استنروا يحدون امان التبريرات كثيرا عن استعادة المستعمرات المفقودة في الخارج ، وكان المشرفون على السياسة النازية هم الذين مثلوا نوعا من المفارقات في اتجاهاتهم الامبريالية • وثمة مبررات عديدة لذلك : أولا - لقد استعمرت الأيديولوجيا النازية الكثير من المعتقدات المصرية من مخططات أواخر القرن التاسع عشر • واتخذت الدعوة للمصرية جوهر الامبراطورية التي تحلم بها • ثانيا - التوترات والالتزامات المتضاربة التي تكس في صميم المذهب السياسي النازي القائم على التنافس ، والتي خلق تطلعات وأسلاما تذكرنا بأحلام الاستعماري الانجليزي جون سيمبل رودس في رودسيا وبطلناته • وإزداد هذا المائل - بدوره - تضخما من تأثير الخلفية الاحتشاعية لكثيرين من الحالفين النازيين • إذ ينصهر عدد لا بأس به منهم من الطبقة المتوسطة ، وأدنى من ذلك • والأآن وبعد أن أقسم النازي على أناحة فرصة المساواة النورية ، التي كانت هي ذاتها من نتائج عزة احتشاعية ، استطاع المحطم الانجليزي تفاديا ، فقد أصبح بإمكان هؤلاء الطموحين التطلع الى الحصول على مناصب امبريالية كذلك

(٥١) كتاب The Lost Dominion ألفه E.C.H. Calcraft-Kennedy
(١٩٤٧) وكان من كبار المؤرخين الذين سلكوا بالادارة الهندية تحت رئاسة Al Corbett

التي كانت قبل جيل من الزمان أو السنين وقتاً على من هم أفضل منهم اجتماعياً . وهكذا يكونون قد متذبذبا في عالم السياسة الخارجية « البروجوازية الصغيرة في عهد بسمارك » . غير أن ثلث آتاحة الفرصة لهم للاستمتاع بمرحلة الامبراطورية لا يصح أن يحجب حقيقة أنهم قد مثلوا بمثل هذه التطلمات في العقد الرابع من القرن العشرين مائة سنة تأريخية . وكما استطاع كارل بترز القول في ثمانينات القرن التاسع عشر ، « انه قد شعر بالصيق والقرف لاحسابه من الميودين ، واصبحت اطلع للاهتمام الى عنصر يمنع بالسيادة » . وأن لا يحتجب الانتباه بلا مبرر لوجود عند ويلهلم في المرتسبين والانجليز يشتركونه نفس المظهر النمصرية الى قيمة الامبراطورية . الا أن هذا النوع من الكلمات عندما شاع بعد نصف قرن تقريبا قد تحقق في ادراك جميع التحولات التي طرأت خلال هذه الفترة القصيرة . وما يشير النمصرية في هذا المقام أن تلخص احتمال لهم جوريف تشمبرلين لنسازي أفضل من فهم ابنه (نيلز) لهم . فليس هذا الامبريالي المتحمس الطموح التافه والهانبل وعديم الخبرة في المسائل الخارجية . وإن كان يتطلع الى السلطة والهيبة . والذي وصفه عليه أسماء شتى كتشبيهه بقاطع طرق من صقلية (ثامبيا) ، بل وقيل عنه انه كان يمثل في مجلس الوزراء دور المصاحب بلثة الوطنية . بله كان يتعالم على نحو أفضل من المنظور القانوسى للانفداح الباري وتصورهم لحالة الامبراطورية . أما ما كان جوريف تشمبرلين سمح عن فهمه . وهذا عامل ثان يبين ما بين دعاه الاسطيل وزعماء الألمان في الثلاثينات من اختلاف في العقلية . فهو ، الفكرة ، التي اعتمد عليها النازي في تحويل نظريتهم الامبريالية من الميدان المحترف به لممارسة الميول الامبريالية . من افريقيا وآسيا ، الى التخموم البعيدة لفرق قوربا . إذ كانت روسيا . وليست لتعاقبنا . هي التي مشرود صغر بأرض التعاقب التي سينشئ فيها مشروعاته الاستيطانية . وهي التي ستقبل أرض المركة الاقتصادية التي مسيطر فيها الفرد رورسرج نظريته النمصرية من تفوق الجنس . لا يرى (٣) للخلاص من اليهود (٣٣) . وهي التي سيضع جوبلر مخططا لها بأعضائها المركزية الجغرافية لأحلام هتلر عن الدور للقادم لألمانيا (عندما تصبح قوة عظمى) (٣٤) .

وما من شك أن هذا التحول الذي أدى الى الانفداح نحو الشرق لانفداه امبراطورية قد استند الى منطق ماسوي . فلقد تحققت الفكرة التي أدت الى

Nordische Seelichnsgemeinschaft.
Dozent der Judentum,
Weltmacht.

(*)
(***)
(****)

تغير النظر الى القارات الأجنبية كمناطق للتوسع الامبريالى الى معاملة اقاليم شرق اوربا تبعا لنفس النظرة - ونحقق ذلك بسهولة لشعب اعتاد عبر القرون تقليديا اتباع هذا الاتجاه أكثر من نزوعه الى التوسع فى بلدان ما وراء البحار - ولعل الفترة قد اوردت تيسرا عندما تشمل مبرور التفوق المصري ، واتى دوره - فلقد اتخذ البارى شعار الاندفاع نحو الشرق (*) المعروف من قبل عدما له ، به ان زوجه بأهداف عنصرية ووزيوية - ولا بد من الاعتراف بان الدارين ليسوا اول المان يطروا الى اوربا الشرقية على هذا النحو - ففي مصطف القرن ، رأينا بالفعل ارنست هاسه رئيس الجامعة الجرمانية ، يفتتح معاملة بعض اجناس كاليولاديين والتشيك واليهود وآخرين ، مثلما تعامل الامبريالية قديما وراء البحار الوطنيين خارج اوروپا - ولم يختلف الاتجاه الذى اتبعه الجغرافيات اثنان عهد الديكتاتورية العسكرية التى جاءت فى أعقاب طرد بيشان (**) اختلافا كبيرا ، بل ورأينا أشخاصا أكثر اعتدالا لاحترام من هاسه أو الجغرافيات يلجأون من حين لآخر الى معبروعات متعاطفة متفخمة لاعادة تشكيل اوربا الشرقية - وفضلا عن ذلك ، وإذا سلمنا بأثر الموقع الجغرافى فى تاييد حركة ألمانيا بحكم وضعها على قلب اوربا ، سينتفع لنا أن الاندفاع أو التحرك نحو الشرق كان الوسيلة الوحيدة التى بوسع ألمانيا أن تسلكها لكسب الخلفية القارية التى تنشر فيها مجالها الجيوى ، كاحدى القوى الكبرى للحاق ببريطانيا وعائلها قديما وراء البحار ، وأمريكا وكبريتها القارية - واحيرا ولعل هذا هو الأهم ، فقد املتديتيلبة دولة الفوهرر الفوضوية فكرة التوسع بالاتجاه نحو الشرق ، فاعتمادا على هذه الوسيلة وحدها ، تستطيع الامبريالية النارية الاعتماد الى الأرض ، السداح مداح ، التى تيسر لها التخلص من الثورات التى خلفها المجتمع المزدوج فى ألمانيا - ولذا صبح هذا التصير ، فإنه ميسرى أنه المتحططين السابقين قد أحسوا بنفس الوضع الذى وهاء غريزيا كثيرون من سلسلة القرن التاسع عشر من تأثير مضامرات ما وراء البحار على دسوخ الدولة القومية فى بلادهم ، وأن الأثر الوحيد الذى سيترتب على حركة التوسع الجديدة هو - تغير أو تحطيم مفهوم الكيان السياسى للدولة - الأمة ، ولعل فكرة التحطيم هذه قد بلغت جفانية لكثيرين من أصحاب الرؤى فى الحرب الاشتراكي الوطنى من استهوتهم الرؤيا - الألفية - للامراطورية العنصرية معه شعورهم بالتهزير من حلل الحياة القومية الألمانية التقليدية .

Dring nach Osten.

(*)

(***) Bethmann Hollweg, Theobald. (١٨٨٦ - ١٩٧١) وزير الداخلية الألمانية والمستشار (١٩٠٩ - ١٩١٧) الذى وصف لشعب بلجيكا بأنه حديد قسما ودق .

ولكن بغض النظر عن المؤثرات للتطبيق ، الاكراهية ، فانها تمثل منطق الساريين ، وليس منطق الزعماء البريطانيين . وقد استطاع هتلر الاعتماد الى ما يستهني من أحداث موازية واثمة للدلالة على التشابه بين علاقة الامبراطورية البريطانية بالهند ، وعلاقة الامبراطورية الجرمانية « الغائمة » بروسيا . وان كان قد غلب عن فطنته علم احتمال استبعاد البريطانيين لقبول « القفزة » التي قهرها الالمان (حتى لو ابدكوا الطبيعة الحقة لرؤيا هتلر) ، بل لحل العكس هو الصحيح . اذ اصر الزعماء البريطانيون - باستثناء قلائد - على اندراج تطلعات الالمان ضمن الانتماءات التي وجهت ضد توارث القوى التقليدية في القارة الأوروبية ، وضمن نظام تقرير المصير القومي لجميع الشعوب الذي سطره ويلسون ١٩١٨ (بالرغم من ان البريطانيين قد صالحووا بوجه عام فكرة تقرير المصير ، كما تفهم بذلك اتفاقية هيوغو) .

وهكذا يصبح القول بوجود حالة استقرار في المجتمع البريطاني وفي خلفية زعمائه عبر عتبات السوات ، ساعدت على حدوث التغير عن طريق التطور ، في النظر للعلاقات الدولية . وقد افترق لل هذه الظاهرة بوجه عام المجتمع الالمانى الاقل تسما بالاستقرار ، حيث ارتفع الى القمة صفوة من ارباب الرؤى المشككين حيوية لتصورهم انهم قادرون على التمرير المتطرف ، والمسلمين بطائفة من المستعبدات الامبريالية الموروثة في القرن التاسع عشر .

وترتب على حالة تفكك المجتمع الالمانى حركة دينامية متطرفة اسماقت في عملية التوسع خارج ألمانيا ، وهددت بقلب العلاقات الدولية القائمة . وكان ما افترى السارى على الاندماج على تحدى الأوضاع القائمة (٤) هو ان ما دنا في النظام التقليدي للعلاقات الدولية بين القوى الكبرى من تفكك . وكان ما عرقل الساسة البريطانيين الذين واجهوا تحدى السارى من التسعى له هو حقيقة انهم كانوا يصمون إحدى قسميه في النظام القديم (يسمى في توازي القوي والحفاظ على الامبريالية) ويضمون القسم الأخرى في الفكرة المستحدثة (عن حق تقرير المصير والامان الجماعي) . وترتب على ذلك اخفاقهم في لصمة الكراسى الساسية - فلم يجد أى أسلوب للتعامل مع الساريين ، لان تحديهم كان بعيد التطرف مما صعب احتواءه في حساباتهم . وعندما حاول البريطانيون التعامل باتباع أسلوب ما بعد الحرب ، وطالبوا - على سبيل المثال - بتكامل النمسا وتشيكوسلوفاكيا - قوبلوا بالرفض من الساريين الذين كانوا يريدون - في أقل تقدير - السيطرة الألمانية على

وصلت أوروبا • وعندما حاولوا التعامل بأسلوب ما قبل الحرب • ولجأوا إلى نظام المؤتمرات • كما فعلوا قهر ميونخ • لم يتحقق النجاح إلا وقتياً • لأن طموحات النازي كانت كبيرة لدرجة كبيرة مما جعل تصور توارن التوري غير ذي موضوع • ولحق أن ما حدث في مؤتمر ميونخ أصبح يبدو لنا الآن آخر مثال لتطبيق نظام المؤتمرات الأوروبية • وقد أصبح يبدو لنا الآن في صورة رثة وامتناع شائنة - لدليل على معنى تصوريا لكل من ديمقراط ويلسون وليبنز وأيضا لتحديات النازي على أنها أمور عفا عليها الزمان •

المراجع

(انظر قائمة مراجع الفصل التالي) ••

ميونخ ١٩٣٨ : المواجهة العسكرية

وليفسون ميونخ

عندما عاد رئيس الوزراء البريطاني نيلز تشامبرلين من مؤتمر ميونخ ، زعم أنه قد استطاع بفضل المصالحة التي عقدتها مع هتلر الحفاظ على السلام في أوروبا . وفي أقل من سنة ، بعد الغزو الألماني لبولاندا على السلام ، واستول حريا لوربية عامة ، ويترج هذا الموقف لسؤالا حول هل اللات حلبة السلام التي دعت احد عشر شهرا بعد توقيع اتفاقية ميونخ لمخله أم للصور ؟ وبعبارة اخرى ، ومن النافور العسكري ، أي الطرفين كان في موقف الفضل عندما شبت الحرب في أكتوبر ١٩٣٨ ؟

ومن الصعب دائما - ومن الآن يظهر أنه من المستحيل - كتابة التاريخ من ما الذي كان يتحمل ان يحدث أ ، ومع هذا بالاستفادة اجراء تحليل للقوى العسكرية لكلا الطرفين المتحالفين ، ولانشاد القوات وتواجر الامدادات الحيوية والفراد الطبيعية والتكتلات وروؤد الفصل للحتملة . لذا راعينا هذه العوامل ، ثبات من غير التسنيد استغلال النتيجة الآتية : لو ان ألمانيا هكمت على الحرب ١٩٣٨ لكان موفتها سينتم بالضعف والتعرض للخطر اكثر مما حدث عندما بدأت الحرب ١٩٣٩ . ولربما مختلفات المشكلات الناتجة عن غزو تشيكوسلوفاكيا - رغم انها ليست بأي حال من المشكلات التي يتصلد التغلب عليها - عن تلك المشكلات التي ووجهت عند غزو بولاندا . ولعل رد الفصل للمؤر ، كان يشبت ايضا انه اكثر تعجزا لألمانيا . وبعبارة اخرى ، لان هتلر كان سيكتشف أنه أقل سيطرة على الأحداث في أكتوبر ١٩٣٨ مما حدث في الخريف التالي بعد غزو براج . فلقد ازداد موسوليني القربا من الجانب الألماني ، وتم التوقيع على الصاق الروس الألماني .

نقل عن المجلد الثاني من مجلة Journal of Strategic Studies (١٩٦٩) .

لقد اهتم كثير من المؤرخين ، وبخاصة المعنيون منهم اما بمشجب السياسة الخارجية لتشاربيريث او تأييدها بالتسلؤل عما كان سيحدث لو أن الحرب اندلعت في سبتمبر ١٩٣٨ ، ومن أسف أن أغلب دارسي ميونخ قد نظروا الى الموقف العسكري آنفذا كمعالة على هامش الأحداث ، ولم يقدم على دراسة الموقف الاستراتيجي دراسة موضوعية سوى قلة من المؤرخين ، وقس أكثرهم بالاهتمام بالعوامل المؤيدة لوجهة نظرهم ، بينما تجاهلوا العوامل المعارضة لموقفهم ، وترتب على ذلك أن أضحت المجلات الاقتصادية بالموقف العسكري ١٩٣٨ تدور حول مشكلتين رئيسيتين : فمن يدعون ، ميونخ ، ويصفونها بالكارثة العسكرية يفسرون الى اقتدار ألمانيا الى القوى البرية وضعف عوقها في القرب ، وصعوباتها الاقتصادية الحدة ، ويرون أن أية حرب كانت مستحيلة ١٩٣٨ كانت ستنتهي بسرعة بسببها النفسية ، مما كان سيؤدي الى انهيار سريع لألمانيا النازية . ومن ناحية أخرى ، فإن هناك من يحاولون بالقول بأن الدفاع الجوي لبريطانيا كان ضعيفا بدرجة خطيرة ، ولو أن الحرب نشبت في تشيكوسلوفاكيا لانهارت بريطانيا امام الموقتة (السلاح الجوي الألماني) ، فالمشكلة التي أشد تعقلا مما يستخلص من أية نظرة من النظرات .

وفي مقال يتناول مثل هذا الحيز الضيق ، لن نستطيع أن نبين جميع العوامل التي اشتركت في تحقيق توازن القوى ١٩٣٨ . ومع هذا فإن أي شخص عام لأهم مقومات الموقف الاستراتيجي ١٩٣٨ ، يجب أن ميزان القوى كان لا يرجح كثيرا لصالح ألمانيا في تلك السنة ، أكثر مما حدث بعد ذلك في ١٩٣٩ . فاولا - لم يكن سلاح الجو الألماني في موقف يسمح له بقس هجمات جوية خطيرة ، وبالقائه القابل أثناء الهجمات الاستراتيجية على الجزر البريطانية ١٩٣٨ ، ان من دافعوا عن سياسة تشامبيرلين لأنه أخذ بريطانيا من سلاح الجو الألماني ١٩٣٨ كد ارتكبوها في دفاعهم على ما اتسم به الدفاع الجوي الاسلحيزي من ضعف ، وعلى الفترة الألمانية القوية ، والتي لم يكن لها - بكل اخلاص - أي وجود ، ومن جهة أخرى ، فتلة اسامة لاقتل جسامته عن ذلك لم تخلياها للموقف ، اذا بالغنا في تقدير عدد الفرق عند الطرفين المتحاربين ، ولنا - مثلا - ان الجيش الفرنسي مما لديه من تفوق عددي كاسح في الغرب ، كان يوسمه شق طريقته في الجبهة الى الزاين ، ثم يتقدم الى حوض الروهر في أكتوبر ١٩٣٨ ، غير أن هذا الحل - ما كان ليحدث قط ، لانه بالرغم من التفوق الفرنسي الكاسح ، وبالرغم من أنه يصعب القول بأن أي خط من خطوط الدفاع الفريسية كان قد اكتمل ، لانه

لم يخطر ببال الجنرال جاملان (الفرنسي) ولقياطة العليا الفرنسية
إطلاق شن ما هو أكثر من المحلولة المسماة التي شمسوها في
سبتمبر ١٩٣٩ •

وهكذا ، ولو أردنا الإهتمام الى تقييم منتصف التساؤل حول ما الذي
كان ميحدث في أية حرب أوروبية عامة تدور وحدها في تشيكوسلوفاكيا
مبتوجب علينا عدم الاكتفاء بسبع بلوقف العسكري الفحل ، فلا مناص
من أن نتمعن في لسمات التصور التي ابتل بها القادة العسكريون
والرعماء السياسيون ، الذين كان سيمهد لهم مهمة تسيير الحرب ،
وبانصرحات التي رفضوا التصلي لبحثها ، ومما ما ستناوله في هذا
المقال • ومما ناوله العيام بذلك بالاحتفال من التحصيص الى التميم ،
ومن صانقة التطفات المباشرة التي كان الفزو الألماني لتشيكوسلوفاكيا
لألمانيا يسمى لتحقيقها الى الموقف الاستراتيجي العام في شرق أوروبا
وغربها ، وأخيرا ما بهت الموقف الألماني الشامل ، استراتيجيا واقتصاديا
وبدوليا •

لم تسمح الظروف لألمانيا ببعث صالة الفزو العسكري لجمهورية
تشيكوسلوفاكيا الا بعد أن طاشت الى خلو الساحة من أية صابرة
قذلة (٦) ، ففي سبتمبر ١٩٣٨ ، كان الجيش الألماني يخالف من ٤٨
فرقة نظامية ، من بينها ثلاث فرق مدونة فقط ، وأربع من فرق الاستكشاف
البريع ، وأربع فرق محصلة على عربات ، وكانت تنفر الى بعض الناد
كالمدعية الثقيلة ، ولم يكن لديها أي احتياط من المحاربين القضا المستقي
من اشتركوا في الحرب العالمية الأولى ، فضلا عن ذلك فقد انقسم الى
القوات المسلحة (مع الألمانية خمس من هذه الفرق من الجيش النمساوي •
وكان مستوى العديد من الوحدات النمساوية أضف بدرجة ملحوظة من
مستوى الوحدات الألمانية • والتواقع أن الجنرال « ريتز لون لب » قد شبه
الفارق بين القوات الألمانية والقوات النمساوية بالاختلاف بين الليل
والنهار •

وكان تحت إمرة الفرق الثلاث المدونة دبابات خفيفة ، كانت حرم
بقايس ذلك المهد قد عفا عليها الدهر ، بينما لم تتوافر الدبابات
الموسطة النموذجية القليلة الا للمحوصات القتالية • وكانت هذه الفرق
المدونة بدون القوة المضاربة والحماية المدونة للدبابات الثقيلة مستعرض
لمصوبات حية •

Scrape the bottom of the barrel.

Wunderlich.

(*)

(**)

ويتألف القسم الأكبر من الجيش الألماني من فرق المشاة ، وعلى
في أعدادها وتجهيزها القديمة على أداء جميع الأغراض والمهام ، على نحو
يتغلب كثيرا وحال الفرق الألمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى ،
ولم تختلف من حيث درجة المكافحة هذه الفرق السبع والثلاثون المشاة
من الفرق المشاة بالجيش الفرنسي التي كانت تعتمد على مدفعية جرحها
أو تغطيتها المتزلزلة والبيضاء ، ونظرا إلى ذلك ١٩١٤ . فقد كانت هناك
الفرق الاحتياطية مدربة قليلا ، ولم يتفرس هذا القامل للتدريب حتى
عليك تعبئة وحدات الجيش النظامية ، (كانت أقصى ما باستطاعة الألمان
انفازته من القوة العاملة للجنود ومن مستودع الحاد من الغذاء وتعبئة
تسليح فرق الاحتياطية و ٢١ فرقة مشاة يقتصر تشكيلها على المتفرسين
الكهنة (من اشتركوا في الحرب الأولى) ، وتفرس إلى ما يقرب جميع
الوحدات والاختصاص ، وحتى يقط النظر من المعدات ، فإن أغلب هذه
التشكيلات لم يكن يمتلكونها التسلح للدهش بأبسط العوام الحربية ،
وأخيرا لم تكن الصناعة الألمانية قد تجاوزت لها القدرة من توريد القتال
العمل والنبوض في ذات الوقت بانتاج المعدات لتشكيلات تضم أعدادا كبيرة
من الفرق الجديدة .

ومن ناحية أخرى ، كان أغلب من عارضوا سياسة التهدة
التي اتبعتها ألمانيا لم يجدوا في أسامة تلك القوات الجيش التشيكي .
ويعتبر ذلك الجيش التشيكي من تعبئة حوالي ثلاثين فرقة لمواجهة
تهديد ٦٣ فرقة ألمانية في سبتمبر ١٩٣٨ ، إلا أنه لم يكن يملك أكثر من
١٩ فرقة نظامية ، وقرنان تم تشكيلها في أواخر ربيع ١٩٣٨ .
وكما كان الحال في معظم جيوش أوروبا حينذاك ، لم تتوفر للجيش
التشيكي التجهيزات الحديثة الكافية للوحدات الاحتياطية . ومع هذا فقد
كانت معدات قواته النظامية متكافئة مع وحدات الجيوش الرئيسية
و ما في ذلك ألمانيا) ولقد اعترف الألمان بعد ميونيخ بأن فرق الخط الأول
التشيكية كان لديها أسلحة متدرة ، وفوق كل ذلك ، فقد نجح التشيكي
في إنشاء تحصينات لا بأس بها في قطاعات معينة من جبهتهم ، ولكنهم
لم يبدأوا في تنسيق جهودهم إلا بعد قوات الألمان . وكان التشيكي قد
أعدوا المعدة لمواجهة الاختراق الألماني المنح من شيليزيا إلى النمسا .

بطبيعة الحال ، كانت هناك نقاط ضعف أساسية ، فالظاهر أن
القيادة التشيكية العليا قد اختيرت على أساس سبق اشتراكها في القوات
المسكوة ١٩١٧ و ١٩١٨ وليس على أساس الكفاءة القتالية . وامتنع
الألمان قيادات القوات والسرايا ، أما ضباط الصف فلم يرتقوا إلى
مستوى نظرائهم من الألمان ، وبوجه عام ، فلقد اعترفت التقارير الألمانية

من حالة العسكرية التشيكية بأن التشيك كان يوسعهم القيام بحركة
مهاجرة بارقة وراء الحصانات ، ولكنهم ارتدوا في سفرة القوات التشيكية
على مضاعفة الجنود الألمان في الحرب الفتوحة .

ولقد مرت خطط الألمان للهجوم للتوقع في عدة أطوار متتالية ،
وكانت الخطوة الاستهلالية التي وضعها فرانز هالدر وأمواله قد رُفرت
على الجوانب العسكرية لشبكة غزو تشيكوسلوفاكيا ، ولكنها تجاهلت
المتطلبات الدبلوماسية والسياسية التي لم يترجمها مثل هذا الهجوم ،
وتطلبت خطتهم شرس هجومي : فرنى إلى ضمن الجيش المنزكر في
تدبيرها الهجوم في اتجاه الجنوب ، على أن ينتهي جيش أجبر منهم برك
في التمسك بجانب إلى اتجاه الشمال ، ويساعد هذا الإجراء على تسهيل
تشيكوصلوفاكيا في أصيق أجزائها على شطرين ، وجنار إلى الجيش
التشيكية في بوهيميا ومورافيا . لم أن علمه الخطوة الأولى أجهت في
وراءها الضرورة السياسية لا يتركز دور يرسخ لأجل تفهيم القوى
الإقليمية الأساسية . وسرعان ما اكتشف بمتن ذلك في مؤتمر عاصف
بباريس في ٣ سبتمبر ١٩٣٨ ، مطالب بتمديد الخطط تعديل يومها
بحيث تكتسب قيمة مكتمة على برامج موجبه من ألمانيا ، ويشترك في
هذا الهجوم جميع القويات الرئيسية المدرجة والمصلحة بالمصالحات ، ويبر
عند أن الاستيلاء على براغ سيساعد على الجيولة بدون تصاعد الهجوم
الألماني على تشيكوسلوفاكيا والتمثال حرب أوروبية كبرى ، ثم هاند
عند القيادة متوجها لمساعدة استعراض في لودنبرج ، وما يتبع الاهتمام
أن مسيطرة عند على قادته كانت حالات أقل من السيطرة الكاملة .
فالظاهر أن هالدر وبرفوخس لم يحريا أي تعديل مهم في المخطط .
وفي ٤ سبتمبر ، ألتقى القادة العسكريون بهتلر مرة أخرى ، ووصف
ساعده عند العسكريين الضربة التي ترتبت على ذلك بأنها كلفة ، وأعاد
عند للتشديد على أهمية الدفاع نحو براغ ، ولكنه في هذا الاجتماع
دعى على وسط ، وأيد تقديم المرون نظرت القادة من تشيكيا
والتمسا لشطر تشيكوسلوفاكيا إلى شطرين .

وكما هو الحال في معظم العلول الوسط ، فقد كانت الخطوة الألتامية
أضعف من كلا التصورين البدئين . إذ كانت خطة هتلر الضملي من
للتاحتيم السياسية والتسكولوجية ، ومن المؤكد أنها كانت أجرا ، لأنها
استندت إلى خلق القوات المحملة الألتامية طريقها من خلال أرض وجرة ،
ولكنها كانت ستخلق مقاحة غير متوقمة مثلما حدث معه ذلك في اهتمام
الألمان للاردن ١٩٤٠ . وبالإضافة إلى ذلك ، فإنها كانت مستساعد على
تركيز قوة المدرعات الألتامية وقواتها المحملة ، لما الخطوة النهائية فقد

فرقت الفرق المبرعة الثلاث والفريق الثلاث الشاة بين ثلاثة جيوش مختلفة ، وكان بالاستطاعة اقدم القوة للندمة نحو براج على شسق طريقها الى داخل المدينة ، وان كان هذا لن يتحقق الا بعد قتال مستدام طويلى ، فلم يتوافر لهذه القوة القدرة على الكسب بالاعتماد على ضربة مساحة تعرض الامر الواقع ، وبسر لهتلر النصر الفنى يحتاج اليه لدفع القوى الأخرى لتأجيل التدخل .

ويبدو أن اعتماد التشيك لمواجهة التهديد الألماني كان أكثر اتبعا لمثل من اعتماد البولنديين بمسد ذلك بسنة . فبينما قام الكتيبة بتجزئة الكثير من قوتهم للدفاع عن الأقاليم الحدودية عديدة الأهمية ، فانهم حشدوا جيوشا لها وزلاها من الاحتياط كان باستطاعتها مساعدتهم لايام التفنل الألماني الكبير . وكان مقر تصحح خط الاحتياط الاول بالقرب من براج . ويتألف من فرقتين خفيفتي الحركة ولرقة واحدة من المشاة وأربع فرق مشاة احتياط . بينما كان مقر التجمع الثاني بالقرب من الحدود الواقعة بين سلوفاكيا ومورافيا ، ويتألف من فرقتين خفيفتي الحركة ولرقة واحدة وحرس فرق احتياط . وكانت كل قوة من هاتين القوتين قادرة على مواجهة الاغترافات الألمانية والحيولة دون نجاح الألمان في التدخل وحق طريقهم بسرعة ، واستثماره بفراسة في الفترة المولقة بين ١٩٣٩ و ١٩٤١ .

ولمة عامل رئيسي آخر يجب الالتفات اليه عند تقييم مسار الصراع الألماني التشيكي في الأسابيع الأولى من أكتوبر ١٩٣٨ ، انه الجو ؛ الذي كان في صالح التشيك في معظم الأحوال بفضل شدة قسوته ، وإذا رجعنا عدم قدرة الطيران الألماني (٥) على التحليق في الجو في جميع الأحوال ، والمضكلات العامة المتعلقة بصيانة الطائرات التي واجهها الطيران الألماني ١٩٣٨ ، لذا كانت المبرنة الجوية مشوشة وغير منتظمة في أفضل الأحوال . إذ كانت صموديات الاصطلاح بمهمة المعاونة الجوية الغربية في الجو الردى تذك الألمان خسائر جسيمة ، وربما أثرت على قدرتهم على تقديم الحرف للعمليات الجوية بعد غزو تشيكوسلوفاكيا .

١٠ 'وبعد الفضي والتحصيص ، يبين أن المقاومة التشيكية المعتمدة على التدخل النشط للقوى الأخرى ، كان مقدورها أن تستمر بنفس القدر الذي حدث للمقاومة البولندية ١٩٣٩ ، ومع هذا فلا بد من الاعتراف بأن بعض العوامل مثل طبيعة الأرض التشيلية ، وتوقع الصناد الحربية

والتشيكى والصف العام للجيش الألمانى ١٩٢٨.) وبخاصة بعد تكبد خسائر فادحة فى الدبابات (كانت مسند على الحاق خسائر جسيمة للألمان فى الرجال والعتاد ، وأغلب الظن أنه لو وقفت مثل هذه الحركة لما كثر من المستبعد أن يحجم الألمان عن التنبه بالتصالح الواقع للمنطقة على بولادة ١٩٢٩ ، وبغلا من ذلك ، فى استبعاد أيضا أن تتمكن القوات الألمانية من غزو قواتها الاستراتيجية ضد التشيك مثلما متفعل بصد ذلك فى الحركة البولندية اعتمادا على تفوق قوتها المدعة . وربما ساعد الإحباط فى تحقيق نجاح مدجل اعتمادا على القوات المدرعة على تزويد المحافظين داخل الجيش الألمانى بالصحيح الذى يستطيع الاستعانة بها لمواجهة الجدد من أمثال جودريان ، وأخيرا قد أية عسكرة ضد تشيكوسلوفاكيا كانت ستساعد على تدمير معظم التجهيزات العريضة التشيكية . ولعلها كانت متفقد أكبر قدر من الدمار أيضا بالمصانع الحربية التشيكية . وقد أثبتت مستودعات الأسلحة التشيكية نفسها الكبير لأمة الحرب الألمانية عندما استولى الألمان عليها بغير أن يلحق بها أى أذى فى مارس ١٩٢٩ .

ولكن المشكلة الاستراتيجية الأساسية لألمانيا قد تمثلت فى عدم إمكان حصر الهجوم على تشيكوسلوفاكيا فى كونه نراها تشيكية ألمانية فحسب . إذ كان هناك احتمال فى امتداده بحيث يشمل القوى الكبرى والمديد من القوى الصغرى . فحتى فى أوروبا الشرقية ، فقد واجه الألمان نوعا خطرا ، فقد كان البولنديون ، فى موقف يساعد على التسلل ، وأحداث تأثير حاسم فى أغلب الظن ، إذ كان يوسع أى اختراق بولندى للجزء الشمالى من شيليريا فى اتجاه برسلو محاصرة جيش شيليريا كله بقيادة رومشتنت ، غير أن البولنديين أثروا القيام بالعبة الانتظار ، ولقد صنف سياسى تشيكى السياسة البولندية نفسيا صحيبا خلال الأزمة ، عندما لال إليها كانت تخطط للتحرك فى اتجاه تشيكوسلوفاكيا لو استمرت فرنسما وانبطقوا ملتزمين بالحياد ، للحفاظ على حيدهما ، وانتظار ما متفر عنه الأصوات إذا اختصر الأمر على تمثيل فرنسا . ولكنها كانت تنوى الانضمام فى الحرب ضد ألمانيا لو ألحقت بريطانيا على ذلك ، والواقع أن البولنديين قد أوتسحوا للحكومة البريطانية فى منتصف ديسمبر أن تصرفهم فى الأزمة سيحدث على مسلك بريطانيا العظمى .

وارداد اتجاه بولاند فيما بعد نقطة من جره تصليب عدائها للاتحاد السوفيتى . وعنما يتعلق الأمر بروسيا فألنا سنكون حمال سحب كثيفة من الضباب لعدم توافر ما هو أكثر من القليل من الأدلة الموثقة عن سياسة هذا النظام . بيد أن ما يمكن أن يتضح هو أن الماور السكبرى

التي كان يمكن أن تؤديه روسيا أنه بوليف في تقديره . فأولا - لم يكن للاتحاد السوفيتي أي حدود مشتركة بينها وبين ألمانيا أو تشيكوسلوفاكيا ونظرا لوجود عمله بين رومانيا وبولندا تجاه روسيا فمن الصعب أن تصور كيف كان الروس سيهاجمون الأراضي الألمانية ، أو يمشون قوات عسكرية كبيرة لمساعدة التشيك ، فضلا عن ذلك ، وهذه نقطة حاسمة ، فقد كان ستالين متشككا في التهديد على الجيش الأحمر عن طريق حركات التطهير بالجلية ، والتيبت المروض الهزيلة التي لمستها الجيوش الروسية لدى احتلالها شرق بولندا أثناء الحرب ضد فنلندا وفي الشهور الأولى من عملية بارباروسا أو من المصعب إختيار الاتحاد السوفيتي عملا خطرا لمالاً في الموقف العسكري ١٩٣٨ . وهناك دلائل على أن ستالين كان يخطط لاستغلال المواجهة العسكرية الكبرى بين التجرى الغربية وألمانيا النازية كخبرة لتسمية الحسابات مع البولنديين ، وبدلنا تبادل الاتهامات المبررة بين البولنديين والروس في سبتمبر ١٩٣٨ على أن اجتياح القوتين بتوجيه جريهما ١٩٤٠ قد خلقا احتياضا بالتهديد الذي طرحته ألمانيا .

وبالرغم من كل هذا ، فإن موقف الصراع المتساو في أوروبا الشرقية وفي البلدان كان أقل ملائمة للامان ١٩٣٨ منه في مستوى ١٩٣٩ و ١٩٤٠ - فأولا - ينبغي النظر بين داعية قدرات السوفييت لمحتلة لتجوش الصليبات العسكرية ، فأنه لم يكن من المستور تحالفها هي وألمانيا النازية ، كما أنها لم تكن في موقف يتيح لها تقديم العون لاقتصاديات الحرب الألمانية ، بالتوريد بتقدير كبيرة من المواد الخام ، كما حدث فيما بعد عندما وقعت معاهدة عدم الاعتداء في أغسطس ١٩٣٩ . بالإضافة إلى أن ألمانيا لم تكن قد نجحت بعد في إزعاج البلدان الصغرى في أوروبا الشرقية ، ولقد أوضحت يوجوسلافيا ورومانيا لأيديهما القويين " كل أجل بغير " - تشيكوسلوفاكيا . ولعب الرومانيون إلى ما هو أبعد من ذلك من إحتيال توليفهم من إندادهم بالترول الروماني ١٩٣٩ . وحتى المجريين ، والذين كانت لديهم جميع المراتب للثبوت في التمسك . لأنهم بالهجوم الالتزام بالإلزام على أي قبل عسكري ضد تشيكوسلوفاكيا فلم الرغم من الخضوع الألمانية والإيديا .

ولكن الذي أزعج العسكريين الألمان لم يكن الموقف في أوروبا الشرقية . وإنما كان الموقف الاستراتيجي في الغرب . إذ كان ما يلحق الجدار الغربي ، (٢) من المخزبات حقا . فلم تبق إلا الشاغل الرئيسية في هذا الحائط أو الجدار ألا في براكير صيف ١٩٣٨ ، وعلى الرغم من الجهود

الإجرامية ، والاتصالات الهائلة من الموارد ، فإن ما اكتمل من هذا الجدار لم يزد عن ١٧ نقطة من النقاط المتينة - وكان من المتوقع أن يرتفع هذا الرقم ١٩٣٩ إلى ما يتجاوز حوالى ١٠٠٠ نقطة تم اكتمالها ، وحتى هذه المدة المكثفة ، فقد كان الكثير منها بلا قيمة عسكرية ، لأن الغرمانية لم يكن قد تم تجهيزها .

وعلى الرغم من هذا ، فإن ما لحق هذه التحصينات من صدم اكتمالها ، لم يكن أبداً مشكلة واجبت الألمان في الدفاع عن حدودهم الغربية - فلما كانت التحصينات لم تكتمل ، لذا لمعت الحاجة إلى أعداد كبيرة من القوات الأرضية أو البرية للدفاع عن الغرب نفسه أى هجوم بربرى روسى - ولم تكن هذه القوات مجهزة ، فلم يتوافر للجبهة إلى أدم القائد الماهر للجيعة الغربية أكثر من خمس فرق نظامية للدفاع من الجبهة برمتها لمواجهة فرنسا وبلجيكا - على مؤثر مقد فى شسبه أغسطس ، وعد هتلر أنه يخطط على الفور بمبارسة من براونشويغ الذى جلبه هتلر وأخبره أن ما سيكون جليلاً من جبهه الشرق البشريين خلال ثلاثة أسابيع من اعلى التمهلة أن يتجاوز نيسى ليرك ، وسرى كيف أصبح هذا الخط بين الفكر والامانى من المستلزمات التى ستتلقى بتصرفات هتلر في السنوات الأخيرة من الحرب عندها صداه يذمر بأصبعه إلى الخرافات المبني عليها المواقف ، ويأمر بالفساد تحصينات حيث لا يوجد بغير أو جدار أو حسم أو خنادق أو ملاجئ محصنة - وبالتل كان هتلر يروج بفساده والفساد الاعتراف في سبتمبر ١٩٣٩ بتفوق قوة الجيش الفرنسى ، أو عدم اكتمال التحصينات الغربية أو النقص في الإحتياط .

ومع هذا فقد ضرب هتلر رأسه في الحائط عندما أدرك عدم استنفاد الفرنسيين للسلاح مع مواجهة عسكرية في الغرب ، ولكنه احتسب إلى جده النتيجة عن طريق الروس ، ولذا سلمنا بصحة التخاوت بين القوة الفرنسية والقوة الألمانية إلا أنه لو توافر للفرنسيين حتى قيادة هجومية على قدر الحال لما كان من المستبعد أن يكونوا في موقف يسمح لهم بفتح حروبهم في أرض الراين ، وكما حدث ١٩٣٩ ، لم يكن لهذه القيادة العسكرية أي وجود ، وفي لحظة ميرواخ ، عقب دى جول هاجرا على ما لاله ، بلوم ، عما ينتظر أن يفعله الجيش أو جيش الغرب ، الأبر بسيط للغاية : مراعاة الظروف العملية فاسا مستندى القوات الجاهزة ، أو تملق ترقية الإحتياط ، لم نحقق بصرنا من خلال مزاجل التحصيناتا مكثفون بالفرجة دون أن نفعل شيئاً يوقف عملية استيوارت ليرك ، نعم

لقد أصاب ديجول ، فلم تتوافر للجنترال جاملان والقيادة الفرنسية العليا أية تية لقسن ايه عملية عسكرية فعالة ضد ألمانيا ، ولقد بين جاملان ذلك أثناء رايته للجبهة وأثناء مؤتمر عقد مع العسكريين البريطانيين والزعماء السياسيين في نهاية سبتمبر ١٩٢٨ . وبدأ مناقشته بسرد قائمة من مخاطر القوة الفرنسية ، يعنى ما لدى فرنسا من قدرة على تهيئة حزمة ملايين وحشمة الف جندي وعائلة فرقة وضط ماجينو ، أما الألمان فليس لديهم أكثر من ثمانى فرق في الغرب ، ولكن عدداً حان. وقت الحديث عما ستفعله فرنسا لو شئت الحرب فلتعلم جاملان وعقب على ذلك بالقول: بالرغم من أن الصل العسكري المباشر قد يكون لصالح فرنسا ، إلا أن الأفضل فيما يحتمل هو الانتظار الى أن يتم إحلال باريس من سكانها وأطالسها ، يضاف الى ذلك ما أضافه جاملان عن احتمال تراجع الجيش الفرنسي واقترب على خط ماجينو بعد التام غزو تشيكوسلوفاكيا ونقل هتلر لوائه للغرب ، فالجيش الفرنسي قد ينسحب من الأراضي الألمانية على بحر ما فعل هيندنبورج ١٩١٧ الى تحصيناته في خط ماجينو ويسمر أوشى بالمعنى أثناء تراجعه . ويتضح من هذا البيان أن جاملان رغم اعترافه بتفوق الفرنسيين على الألمان بنسبة ٧ : ١ (يعنى ٥٦ فرقة فرنسية مقابل ما يقدر بثمانى فرق ألمانية في الغرب) لم يشعر باحتمال إحراز الجيش الفرنسي لأى نصر عسكري ذى بال كالأستيلاء على الضفة الغربية لنهر الراين ، وفي نهاية الاحتجاج ، عاد جاملان مرة أخرى لهذه النقطة ، وتوقع بدء الهجوم الفرنسي المبدئى ، أن يتراجع جيشه الى خط ماجينو خلال أشهر الشتاء ، وهناك ينتظر وصول الجيش البريطانى الرئيسى .

ولعل بعض الضباط الآخرين كانوا أقل تفاؤلاً فيما يتعلق بتطامعات الفرنسيين في الحرب الأوروبية ، فلقد حلو الجنرال دنتس (تكسر الدال) في حديثه هو والملحق الحربى البريطانى في نهاية سبتمبر ١٩٢٨ من أنه إذا وقعت الحرب ، فإن سلاح الطيران الألمانى قد يدمر مدن فرنسا غير الحصينة ، وترك عند الملحق العسكري انطباعاً بأن الفرنسيين يسترون ضم الألمان لتشيكوسلوفاكيا أمراً مفروفاً عنه . وفي ذات اليوم ، علق الجنرال جودى رئيس المختبرات الحربية الفرنسية : « بصلح احتمال حدوث الحرب لاكتفى آل لهارب » .

ولم يسلح العسكريون البريطانيون أى شيء لتشجيع الفرنسيين على التصحيم على الصعود ، فستة وقت ميكريرجس الى ١٢ سبتمبر ، حذر قائد القوات الجوية من احتمال هجوم الفرنسيين على التجهيزات الألمانية المبعدة في الغرب ، وأشار الى الترحيص لرؤسمة الأركان بإجراء معادلات بين المختصين عن الصليبات لانتاع الفرنسيين بحصافة حلف

الاجراء ١ - وهكذا فلا عجب اذا راينا رؤساء الأركان ينفذون اجتماعا للوزراء البريطانيين في نهاية سبتمبر من حيثيتهم شروع فرنسا بالاقدماء على عملية هجومية ضد ألمانيا لا يتحمل أن تحقق أي أثر فعال ، ولأن جانب ذلك ، فقد رفض كل من اللورد جيتو رئيس الأركان بالامبراطورية والسيد سيريل نيوبول قائم القوات الجوية بعد التقائهما بالجنرال جاملان وشوردهما بالطلاق تحديد المساعدة العسكرية التي تنوي بريطانيا تقديمها أو احتمال أن تقدمها لو شبت الحرب في المستقبل المباشر .

نفذ صبح أن الفرنسيين كانوا عارفين عن اجراء أية عملية حربية جادة ضد غرب ألمانيا - كما يتبين من الدلائل - سيتخذ السؤال الجوهرى بعد تحليل الموقف الحربى في خريف ١٩٣٨ شكل التساؤل حول : ما هي طرق الحل المفتوحة امام هتلر للقيام بعمليات حربية ابدى من ذلك بعد غزو تشيكوسلوفاكيا ؟ وفى غضون ١٩٣٨ و ١٩٣٩ ، كانت الاختيارات المتاحة للألمان فى الغرب أكثر تحديدا - فيما يحتمل - ما كانت ١٩٣٩/١٩٤٠ ، ولربما حدث ذلك كنتيجة لوامل شتى : عسكرية واقتصادية وبحرية . وكانت الموامل الأكثر وضوحا هي الموامل العسكرية والبحرية .

فقد العملية التي جرت مع تشيكوسلوفاكيا ، تعرض الجيش الألماني لخسائر فادحة فالتت الخسائر التي سبتمبرى لها فيما بعد في معركته مع بولاندا . ويحتمل أن يكون ما توالر له عددا أقل من الفرق الموزعة مما كان لديه في مايو ١٩٤٠ . وليس من المستبعد أن تحقق هذه الفرق نجاحا أقل مما باستطاعة المدرعات الألمانية تحقيقه في بولاندا . ويحتمل أن يكون الجيش أضعف من حيث الحجم بقوة كبيرة ، وبالإضافة الى ذلك ، ففعله كان سيتطرد اعتماد تشكيلات جديدة بسرعة ففوق سرعة السلحفاة لسمين : السبب الأول هو احتمال تغير مستويات الأسلحة التكتيكية أثناء غزو تشيكوسلوفاكيا ، إنسب الثاني : عوامل اقتصادية سائسرى لها . فيما بعد في هذا القتال - ويصعب انذاك كيف سيتسنى للألمان شس ما هو أكثر من وخزة ميخوس عليها للغرب ، أي شينا مبالا في امكاناته الاستراتيجية لاختراق الأردن ١٩٤٤ . ومن المؤكد أنه لم يكن يتصور القوات العسكرية المسهورة شز عملية اقتصادية قوية عبر بلصكا مصحوبة باختراق المدرعات من خلال الأردن على نحو مماثل لما استطاع الألمان تحقيقه في مايو ١٩٤٠ .

ويكاد يتساوى في أثره الماسر على الاستراتيجية الألمانية ، اتصال الموقف البحرى الألماني بشدة الضعف ١٩٣٨ في الملبطن ، بالقدرة

بحالته في ١٩٢٩ - فلم تكن قطعتان من القطع البحرية (٦) جاهزتين للمصليات البحرية ، بينما كانت البواخر المماثلة في ميزاتها لدرجة يساهم في مهمة عن الاكتمال قبل متى سنتين أو يزيد ، وكانت أكبر السفن العاملة - أي ما يسمى ببواخر الجيب أصلا من السفن التي تسير على السواحل لطائرة المبريد - ولم تكن هناك أية طرادات ثقيلة أو حاملات طائرات ، وكل ما هناك هو سفن طرادات خفيفة ومسيح صافات ، وربما كان أكثر ما أثار إعجاب الاستراتيجيين البحريين الألمان هو عدم وجود ما يزيد عن ١٢ غواصة صالحة للخدمة في الأطلس في فبراير ١٩٣٨ تحت إمرة الأسطول الألماني ، ثم توافرت ٢٤ غواصة سرديين أخرى (٣) للاستعمال في مياه شواطئ الجزر البريطانية - بينما استطاع الأسطول الألماني من عمليات ناجحة ضد الترويج والدمار في ربيع ١٩٤٠ بغير أن يتوهم لها أي حصيد بحري ، أي كانت على غيبي الكريم ، وحسرت خلال العمليات جميع وحداتها البرية ، مما أحدث تأثيرا كبيرا على استعداداتها للحرب . ولم تكن هذه القدرة بالفعالة كما اعتقد ١٩٣٨ وبدايات ١٩٣٩ - ونظرا عن ذلك ، فقد برزت قيادة البحرية الألمانية (٤) في امتلاكها للقوات القادرة على حماية خطوط التجارة التي تيسر لها نقل الحديد من السويد ، أو حتى تأمين الملاحة في بحر البلطيق ، وفي يوليو ١٩٣٨ ، أصبحت قيادة أسطول البلطيق عن ارتياحها في إمكان حماية السفن الناقلة للحماد من موانئ السويد خشية تدخل الروس ، وكانت الوسيلة الوحيدة المتاحة هي إغراق خليج فنلندا في بداية الحرب بعد زرع الألغام فيه ، وتغير الفواصل والوحدة البرية ، وبذلك تمكن حصر تدخل الروس - غير أن فشل هذه الاستراتيجية كانت تعجز عن قيادة الألمان ، وفيما الألمان لحماية أنفسهم من الفواصل ولم وسيع - إلى استبدال قوارب الصيد ، وصعد أمر الاستيلاء على ما يملكه الألمان منها في أغسطس ١٩٣٨ ، وفي تقرير كتب عن سير العمليات يلزم به بصيد أزيمة هيوام ، ظهر قادة البحرية الألمانية في الشرق بأنه إلى تورط الروس في الانتزاع في أوروبا المائدة مع تشيكوسلوفاكيا ، فإن أسطول البلطيق لن يستطيع من التفرير بهامه ، إذا لم يتم تعزيزه بجزءا كبيرا . وهكذا لم يكن لدى الألمان غير إحدى كاسحات الألغام ، مما داهم السلاح البحري الألمان ، إلى الأحرار فأما لم يكن يتقدمه زرع شباك الألغام - حيث لم المنطقية الجنوبية من البلطيق دوما أنشئت عن لتتوهم نوما ، ولكنها لن تستطيع منع العمليات البحرية السوفيتية ،

Bohmig, Rohmberg

Elipio Tinterobotto

O.R.M.

(١) مال

(٢) *

(٣) *

التي قد تتعرض لها خطوط الملاحة التجارية وجنوب السويد ، ومن ثم
تتعدى تاسيخا على المصادر من موانئ السويد ، باستعمال الاسلحة ،
أو بدونها - هكذا كان الموقف فيما يتعلق بالأسطول الألماني .

وهربح موقف الإجماع في هذه المسألة إلى دلالة عدم التخلي عن خطوط
الملاحة المعائن المستوردة من البعثات الاسكتلندية على خطوط الموانئ
الاقتصادية التي اكتشف الراجح الثالث تفرقة له بين ثلاثة ميادين .
وان صبح وصفة أيضا بالموقف الداعي إلى الإحباط . وقد أكد بلواج المنصار
البحري البريطاني في الحرب العالمية الأولى حتى ما يتموضع له الاقتصاد
الألماني من أي ضغط اقتصادي من هذا القبيل . وكانت الحاجة الطبيعية
الوحيدة التي يحتاج إليها لتسيير هذه الاقتصادات الحرب والمقاومة في
ألمانيا بدوابة كافية تساهلها على تنفيذ احتياجاتها من الفحم . غير أنه
حتى التاج الفحم بألمانيا فإنه قد واجه مشكلات مهمة ١٩٢٨ . إذ كانت
مناجم الفحم الغربية ، وبوجه خاص الواقعة في إقليم السار قريبة
من فرنسا ، وواقعة تحت نفوذ الصليبات الغربية الفرنسية ، بالإضافة
إلى أن احتياجات الاقتصاد الألماني للفحم كانت تزداد . إذ كانت صناعات
التشييد والبناء في ألمانيا استمالة بالفحم ، وإن كانت شبكة النقل
وصناعات المواد الأساسية وصناعات القوى الكهربائية كانت شديدة
الاعتماد على الفحم ، وأخيرا كان الفحم من أهم مصادر التبادل التجاري ،
إذ كانت صادرات الفحم الألماني إلى جنوب شرق أوروبا ذات أهمية هائلة
للتأمين المستمر للخطوط على وفاءات تلك البعثات في السلة الأولى من
التزود . كما أنه كان من التزود اعتماد إيطاليا على الفحم الألماني
لأنه لفتت لها دخول الغرب ، ولما كانت الصادرات إليها لابد أن تمر عبر
سويسرا ، لذا يفتقر توريط الفحم لسويسرا أيضا .

ولو تعرضت موارد الفحم الألماني لتجاهد في زمن الحرب ، فإن
الموقف فيما يتعلق بالمواد الخام الأخرى سيكون ميولها منه ، فالنفط
الكبير بين احتياجات الاقتصاد والاحتياجات العسكرية ، من جهة ، واندماج
المنتجات البترولية في الراجح الثالث . من جهة أخرى ، كان رهيبا ، وأدى
النقص في السلة الأجنبية ١٩٢٨ إلى عدم امتلاك أية أوصدة من البترول
على وجه التقريب ، وعلى الرغم من الجهود الجبارة التي بذلها الألمان في
الثلاثينيات لإنشاء صناعة البترول الاصطناعي ، إلا أنهم في نهاية ١٩٣٧
استوردوا نفوذا أكثر مما كانوا يستهلكون في بداية الثلاثينات . ومن
يوليو ١٩٣٨ ، لم يكن الموزون مع البترول - يكفي لتستد احتياجات
أكثر من ٧٥٪ من احتياجات التينة بمتوسط أربعة أشهر من الاحتياجات

الكفاية لفترة الحرب . وخلال الحال ١٩٣٩ ، يبدو أنه كان من المشكوك فيه أنه يمكن حصول الألمان على واردات البترول من الاتحاد السوفيتي، بينما كانت حتى الواردات من رومانيا متارة شك .

وتماثل موقف صناعة المطاط في ألمانيا مع موقف البترول ، ففي ١٩٣٠ ، وما حدث في صناعة البترول ، خصص الإلمان امتيازات ضخمة لإنشاء مصانع للمطاط الاصطناعي ، غير أن الاستثمار في هذا المجال لم يشر إلا ١٩٤١ و ١٩٤٢ . فابتداء من هذا التاريخ ، تحسن الموقف ، وأفلح الألمان في سد احتياجاتهم العسكرية من الانتاج الداخلي ، واستطاعوا تكتيس مخزونات من القنائم التي غنموها من البلدان التي احتلوها ، وساعتت الموارضات عبر خطوط حديد سيبيريا في سد الثغرة بين الاحتياجات والانتاج في المستعم الألبين من الحرب العالمية الثانية . وفي منتصف ١٩٣٨ ، لم يتجاوز انتاج المطاط اقل من ٧٪ من احتياجات ألمانيا . ويصعب القول بأن موقف الألمان فيما يتعلق بباقي المواد الخام الرئيسية كالحديد والنحاس والنيكل . الخ ، كان أفضل حالا .

إذا كانت الكفاية الانتاجية لمصانع الذخيرة الألمانية لا تبشر بالخير لمعالجة انتاجها ، وكانت القدرة الانتاجية للذخيرة المدافع اقل بمقدار ٤٠٪ من الحد الأقصى للانتاج في الحرب العالمية الأولى ، بينما تضاعفت القدرة الانتاجية لمصانع المفرقات بمقدار ٣٠٪ من الحد الأقصى خلال الحرب العالمية الأولى ، ولقد الزحف الألمان من جراء ذلك ، الى حد القامع على بقاء جهد كبير لاصلاح هذا الموضع ايمان ١٩٣٨ و ١٩٣٩ . وفي أغسطس ١٩٣٩ ، نجحوا في زيادة انتاجية البازود بمقدار ٦٥٪ وانتاجية المفرقات بزيادة ٨٥٪ من انتاجية ١٩٣٨ . وبينما كانت الأرقام المثيرة للانتاج ١٩٣٩ مازالت تقل عما كان يشعر الألمان بالحاجة اليه لشن حرب اوروبية عظمى ، الا أنها كانت قد ارتفعت بالعدد الكافي الذي يساعد على تلبية احتياجات العمليات الحربية في السنة الأولى من الحرب بمعاونة المخزونات السليمة . وكان الألمان قبل ذلك أي ١٩٣٨ ميليفون صهوبات كبيرة لم تقدموا على مثل هذه العمليات .

وال جانب مشكلات امتداد المواد الخام الكافية في وقت الحرب ، أو انتاج ما يكفي من الموارد المحلية للاستجابة لمطالب الحرب ، قال الاقتصاد الألماني عاني من الاجهاد الى حد التصدع ١٩٣٨ . ولم يد لديهم جيش كبير من المتطوعين يستعينون به لتعويض العجز في الأفراد ، بينما أضافت عملية التعبئة وامتداد جبهة ممارسة الأنشطة الألمانية والأزمة الاقتصادية للنقص في العمال المهرة وغير المهرة . وبلغ الاقتصاد قدرا من

التأزم الى حد تعاقب نقص العمالة في كل جانب من جوانبه وبخاصة في صناعة الفحم والذخائر والطائرات . وفي ديسمبر ١٩٣٨ ، قدر وزير العمل (٥) في الرايخ مقدار النقص في العمالة بـ ١٢ مليون شخص ، واد من حدة المشكلات عمليات انشاء التجهيزات في يريفية (الجدار الغربي) . وكان هذا هو ما حققته لأنها قد استهلكت ٥٪ من الصلب و ٨٪ من الخشب و ٢٠٪ من الخرسانة التي استطاع الاقتصاد الألماني توفيرها ١٩٣٨ . وادى ذلك الى حدوث تعطلات مهمة في تنفيذ برنامج التوسع في انتاج الفحم والمواد الاصطناعية ، كما أدت الى سحب العمال من قطاعات أخرى من الاقتصاد .

وفي واقع الأمر ، لقد بلغ الموقف الاقتصادي حالة من السوء دفعت مجلس الدفاع بالرايخ ١٩٣٨ الى اصدار تقرير به فيه :

« في ٨ أكتوبر ، ونتيجة لمتطلبات قوات الدفاع الوطني (بعد احتلال السودان) والاشاعات الموجهة لتجهيزات الجبهة الغربية ، نشأت حالة تأزم شديد في القطاع الاقتصادي (انعكست على الفحم وامدادات الصناعات ومسابيل البطاطس والشاي والامدادات الغذائية) ولو استمر هذا التأزم حتى ١٠ أكتوبر ستتركب عليه بالقطع حواهب وخيمة » .

وفي إحدى الجلسات التي عقدها مجلس الدفاع بالرايخ في نوفمبر ١٩٣٨ ، اعترف جودنيج ببلوغ التأزم الاقتصادي حدا كبيرا ، فلم يمه متوافرا لمزيد من المال ، ولم تعد المصانع قادرة على الاستمرار بكامل طاقتها ، واستنفد النقد الأجنبي كلية . وأصبح الموقف الاقتصادي لألمانيا يدعو الى اليأس ، ولو استمرت لصعاب الاقتصادية في يناير ١٩٣٩ ، سيضطر الألمان الى تخفيض حصص القوات المسلحة من الصلب بمقدار ٣١٪ وحصص النحاس بمقدار ٢٠٪ والألومنيوم بمقدار ١٧٪ والطلاء ٤٠٪ والأسمنت ٤٥٪ .

وكانت المشكلات التي واجهت شبكة النقل انمكاسا أممدا للشعاب التي تعرض لها الاقتصاد الألماني ١٩٣٨ ، ففي منتصف أكتوبر ، خسر وزير الدولة كلاين مان من وجود صعوبات في السكك الحديدية تحول دون نقل ما هو أكثر من النذر اليسير من الخضروات ، وتعرضت امدادات الفحم المختص للمدنيين للخطر ، ولم تعد البواخر المخصصة للمصادرات

وشبك الصيد قائمة على مياحة المياه لنقص القمح ، ولم يتيسر أكثر من
عشرين ألف من عربات الشكك الميمنية لنقل القمح بالرغم من الاحتياج
الى ثلاثة وأربعين ألف عربة لتلبية جميع الطلبات .

وبالنظر الى أن الموقف الاقتصادي قد بلغ الحالة التي تحدثنا عنها
آنفاً ، فلا غرو إذا بدأ الشك في امكان توافر القوة الكافية للاقتصاد
الألماني ١٩٣٨ لعدم أي ارتفاع من الاقتصاديات الأساسية الخفيفة لألمانيا .
فإنهم يقتصر الأمر على ما حدث من انخفاض فادح في إنتاج المواد الصناعية
والنحاس أكثر مما حدث ١٩٣٩ . ولكن الأرض من ذلك هو علم تولد أي
هون حينذاك من روسيا ، وتوقع القليل من دول البلقان . والحق أن
مشكلة المعالة لم تبلغ حدا كبيرا من سوء ، لأن أعدادا غفيرة من الصال
الألمان كانوا يصلون ، واستمروا يصلون حتى ١٩٤٢ في جهات كانت هامة
بالنسبة لاقتصاديات الحرب عند الألمان ، والأرجح هو أن الاقتصاديات
الألمانية ١٩٣٨ لم يتوالى لها وسائل التصوّل على امدادات المواد الخام التي
كانت تحتاج إليها لزيادة إنتاج الأسلحة بصورة كبيرة . وفي ١٩٤٢ ،
توالى لآلمانيا هورد نظم بلدان القارة الأوروبية ، وأصبحت تحت تصرفها ،
لما قل ذلك (١٩٣٨) فلم يكن لديها إلا قدر ضئيل من الطلقات التي
يمكن تحقيقها والصنوك عليها من الأرض الألمانية ، بالإضافة الى القليل
من المناطق التي كان البرجر الألماني قادرا على غزوها واستخراج ما يوجد
من موارد منها .

والأكبر الى الاحتمال هو أن الجيش الألماني ما كان ليتعرض لانهاض
اجمالي لو أن الحرب شبت في حرمه ١٩٣٨ ، وبملا من ذلك ، فإن
الموقف كان سيستمر هو وما حدث من تفكك حيث طود شبهه بما تعرض
له الاقتصاد الإيطالي في السنوات الواقعة بين ١٩٤٠ و ١٩٤٢ . ولعل
الألمان كانوا سيصلون حينذاك الى مجموعة من الوسائل المناسبة على
حساب احتياجات المستقبل . ولما تناقص الإنتاج ، وتزايدت شح الإمداد
بالمواد الخام ، لذا كان من المتوقع أن تعاني قوتها القوة المتأخرة من حدوث
تدهور مناظر . وبمجرد بدء الحلقة المفرغة . سيتحمم تعرض ألمانيا ١٩٣٨
للمقاومة المحتومة . يعني الهزيمة العسكرية .

وتأخر الوسائل الهامة لتقدير الموقف الاستراتيجي ١٩٣٨ هو المود
الحربي والدبلوماسي الذي كان يتوقع أن تتفاهد - أو لا تتفاهد - ألمانيا
لو شبت الحرب . وكما أوضحنا من قبل ، فلم يكن من المحتمل حصول
الألمان على أية مساعدة اقتصادية قريبة بالاستطاعة انتزاعها من مناطق
البلقان ، أو من الاتحاد السوفيتي . فبدأ يطلق بهذه المناحية - خلال
الصورير المصعة الأولى من الحرب العالمية الأولى - وتبادلت الحكومات الرومانية

ففي تسنها الى حد تهديدها الألمان من عدم انتظار أية شحنات من منتجات البترول ابتداء من أول أكتوبر . ومن جهة أخرى ، فلا يستبعد أن يأتي رد قتل الحكومة الإيطالية اذته الإزمة التشيكية بعيد الاحتلاف عما جرى بعد ذلك في سبتمبر ١٩٣٩ . فخلال أوسع الكونث تكميات ووزر الخارجية الإيطالية في عهد من المناصبات في سبتمبر ، أنه في حالة فشل بريطانيا العظمى ، ستكون إيطاليا مضطرة الى المعاملة بالمثل . وفي ٨ سبتمبر ذهب الى ما هو أبعد ، مما حط به الى التصريح للسفير البريطاني : « بأن مصالح إيطاليا ، وهرتها ، وما وعدت به ، يطلب منها الوكوف في صف ألمانيا ، ومعاونتها على نحو فعال كامل » . وبينما كان يتفقد الإيطاليين تتعامل على هذه القبائنات الدبلوماسية ، التي أعلنت بكل قوة ، اذا نشبت الحرب ، إلا أن موسوليني قد أخرج حكومته في الأيام الأخيرة من سبتمبر عندما أكد في أحدىته العامة ما كان يقوله « ثميانو » في أحواله الخاصة . ففي سلسلة من الأحاديث بدأت في مدينة تريستا في ٢٨ سبتمبر ، واستمرت حتى يوم ٢٨ ، أعلن موسوليني التزام حكومته - بلا رجعة - بالوكوف في صف ألمانيا . هي حالة خلوت صراع حربي .

وكان من المفطر أن يحقق لكون إيطاليا الحرب للقوى الغربية عدة مميزات ١ يأتي في صنادقتها : أولا - أن اشتراك إيطاليا ضد الغرب كان سيساعد على أحكام الحصار المفروض على ألمانيا . بينما ستفقد أي أعباء تزويده الحرب الإيطالية بالمواد الخام الى إضافة أعباء جديدة الى المصائب الاقتصادية الجسيمة التي يعاني منها الرايخ الثالث بالفعل ، وسيحدث صراع بين الاقتصاد الإيطالي والاقتصاد الألماني على موارد البلقان النادرة . وإذا داعيا تفرق الأسطول الإنجليزي الفرنسي في البحر المتوسط ، ألمانيا ستدرك قوة القوى الغربية على قطع خطوط الإمدادات الى ليبيا ، ومن هجمات قذف بالقنابل على طرابلس واسمع على المناطق الساحلية الإيطالية .

ولم تكن العسكرية الإيطالية متحصنة لاحتمال اوافة المزيد من الفدا ، لو أنها شاركت في حرب أوروبية عامة في صف ألمانيا . ولقد حذر أحد العسكريين من أساليب الرتب العليا القادة الألمان في روما من توقع أسرا نصر سريع ضد التشيك . ورأى أنه من غير المستبعد أن يترتب على ذلك احتمال حرب عالمية . ليس المحور على استعداد لتحمل مقتتها سياسيا أو عسكريا . فجميع الأشياء ستكون في بحر مصالح المحور ، اذا تمخضت الإزمة التشيكية عن سقوط الحرب . وهكذا لم يمثل الإيطاليون أي تهديد خطير لبريطانيا ١٩٣٨ أكثر مما فعلوا ١٩٣٦ أو ١٩٤٠ . وكان من المتوقع أن يستنزفوا القوة الحربية لألمانيا ، وألها القواعد الاقتصادية لها .

المعوم ، فقد اتيتوا ، كما صيحت ١٩٤٠ ، عندما كانت لانيا في ذروة قوتها ، مسئوليتهم عن اوجع المواقف البعيدة الأثر .

اما اتجاه اليابان خلال الأزمة الأوروبية للتصاعد ١٩٣٦ ، قبل أكثر شويضا والثارة للبحر . وبينما لم يأسف اليابانيون لما شاهدوا في متاعب في أوروبا قد تلهى القوى الكبرى ونشغلها عن الاهتمام بالشرق الأقصى إلا أنهم كانوا قد عانوا الأمرين من حربهم مع الصين . فلقد تورطوا في محاولة ضخمة للاستيلاء على هانكاو ، ولم يكونوا في موقف يسمح لهم بزيادة اعتماد حديد ال قائمة أعدائهم - ويبي من تقارير السفارة البريطانية في طوكيو ان اليابان لم يكن لديها أية رغبة في التورط في أي صراع كبير آخر . وزيادة التراماها . وفي أغسطس لاحظ السفير الياباني في باريس أن توجيع الهدنة مع روسيا في النواح على الحدود مع منشوريا قد جاء من أثر رغبة الحكومة اليابانية في تجنب التسبب في اشتعال حرب عالمية ثاية . إذ كان لديها بالفعل ما يكفيها من المشكلات التي أوقعتها الصين فيها ، وأعد السفير الأمريكي في طوكيو شكوكه البريطانيين في امكان السماح اليابان لتسحق بالتورط في أي صراع أوروبي . وفي ٦ أكتوبر ، أرسل تقريراً ورد فيه ما يأتي : « كما انه ليس هناك أي ضمان لافتراض وجود أية تبة للجيش للتحرس لأزعاج المتعاقب البحارية في أوروبا ، ما لم تحدث مبررات اضطرارية للغاية تدفعه الى الانكدام على ذلك » . ولم تكن مثل هذه المبررات قائمة سنة ١٩٣٨ .

خلاصة

أهم الملامح المميزة للموقف العسكري ١٩٣٨ هو علم الاستعداد النسبي ، لجميع البلدان الأوروبية لحوض قتال ، ولو محدود ، بانهيك بالتورط في حرب كبرى . فلقد كانوا جميعا يرون بشدة مدى ضعفهم . وكانت المشكلة عند الألمان معقدة لا كونها غير مستعدة عسكريا فحسب ، واد أيضا لمطورة موقفها الاقتصادي ، وهكذا استنفدت استراتيجيتهم . كما حدث ١٩٣٦ ، على كسب الحرب بسرعة . أو على أية حال ، اذا تعذر ذلك ، فلا أقل من أن تستولى على قاعدة اقتصادية واستراتيجية ترتكز عليها لمس حرب طويلة . ولم يكن السؤال الجوهرى عند الألمان يستند الى احتمال غزوها لتشيكوسلوفاكيا . إذ كانت هذه المشكلة فوق أى شك . وعند تذاكر ما حدث يبي، أن تحقيق ذلك لم يكن يستغرق من الألمان أكثر من شهر واحد من الزمان . على أن مثل هذه العملية كانت ستتطلب خسائر تفوق خسائرها ضد بولاندة التي وقعت بعد ذلك سنة ١٩٣٩ بسببه

طبيعة الأرض وتجهيزات الجيش التشيكي وتحصيناته ، والحالة العامة لصمد استعماد القوة المبرعة الألمانية . أضف الى ذلك ، ما سيقترن على مثل هذه الحملة من تدعيم لمطمح مخزون الأسلحة التشيكية التي كان الألمان مستغنيون به في الربيع الثال . وربما لفت عدم الحملة أيضا الى تدعيم مصانع الأسلحة التشيكية أيضا .

بيد أن الاستيلاء على تشيكوسلوفاكيا ما كان ليتبرك اكثر من أثر واه على الموقف الاستراتيجي للألمانيا للتورطة في حرب عالمية . ولم يكن يستدور ضم تشيكوسلوفاكيا الى المحور الاقتصادي الألماني أن يحقق الا القليل لتخفيف وطأة النقص في موارد الحرب البالغة الأهمية . وكان من المتوقع أن تتخذ المشكلة المحورية للنظام النازي ضد تشيكوسلوفاكيا سبيحة ، وماذا بعد ؟ فلم يبد مستبعد أن تقدم ألمانيا على خوض حرب عالمية اعتمادا على قوى عسكرية غير مهيئة لذلك ، وعلى موقف اقتصادي يكاد يدحرج الى الاحباط . ولعله كان من الغير لها أن تتخذ الإيطاليين حلفاء ، وإن كان هذا سيفاضف أعباءها الاقتصادية والعسكرية دون أن يهود بأي نفع مقابل ذلك . ولعل النطاق الاقتصادي للمحور كان سيقصر على ألمانيا وإيطاليا والمجر وتشيكوسلوفاكيا بعد تخطيها ، وعلى تجارة المعادن مع السويد والمعرضة للخطر . ولعل الصليبات الحربية ضد رومانيا للاستيلاء على آبار البترول الحيوية كانت ستواجه برد فعل موفيتي محتمل ، ولم يكن من المستبعد أن تؤدي الى تدعيم الآبار ومعامل التكرير مثلما حدث في الحرب العالمية الأولى .

ولقد أقرت من قبل الى أن فرنسا كانت تملك تطلعا كاسعا في الحدود الغربية لألمانيا ، الا أن الفرنسيين قد ظهروا بظهر العارفين والمعاجزين عن استغلال الموقف لو نشبت الحرب . ومع هذا فإذا صح أن الفرنسيين كانوا عارفين عن الهجوم على الحدود الغربية لألمانيا ، الا أن الألمان لم يكونوا في موقف يساعد على تحقيق أي كسب استراتيجي في الغرب . ان هذا لا يعني عدم احتمال اقتحامهم على هذه المحاولة ، بعد غزو تشيكوسلوفاكيا . فكما حدث سنة ١٩٤٠ ، ان يكون أمام الألمان أي خيار آخر غير الهجوم واختراق بلجيكا وهولندا للاستيلاء على الموارد اللازمة لحاجة أهدافهم في الحرب . غير أنه من الصعب ان تصور كيف كان الألمان سيمحقون الانتصارات الاستراتيجية الصاعدة التي حدثت سنة ١٩٤٠ . فلقد كان لديهم الزر اليسير من القوات المحولة جوا ، التي يستطيع تكليفه بعض وحداتها بالاستيلاء على القلاع والكبارى البلجيكية . فلم تكن القوات المدرعة آنشد (١٩٣٨) - شينا - قادرة على النهوض بعملية هجومية ماثلة للحملة التي شنتها يتجاح في الأردن ١٩٤٠ ،

بوصالعتها على التفضل فيه . وفضلا عن ذلك ، فنظرا للنقص في الموارد والصحرة والضعف الداخلي ، فإنه لم يكن بمقدور سلاح الجو الألماني أن يتدخل ندحلا حاسما في الحركة البرية ، كما حدث بعد ذلك ١٩٤٠ ، وتل الألمان كانوا سيحققون انتصارات هامة مثل الاستيلاء على الماسبرك للقلب على التداعي الاقتصادي . غير أن أية عملية عسكرية كان الألمان سيخضعونها في هذه الحقبة كانت ستحقق نتيجة عكسية كاستنفاد مواردها الضخمة دون الحصول على ما يوضها من موارد للصرف على التصاريات الحرب على المدى البعيد .

تصاري القول في نتيجة الحرب كانت ستعتمد مثلما حدث في الحرب العالمية الأولى ومثلما أثبتت بعد ذلك الحرب العالمية الثانية على القوة الاقتصادية والقوية على الصمود عند الطرفين المتقاتلين . وإذا قارنا بين عدد الفرق والموارد الاقتصادية والكفاية الصناعية والقوى البحرية ، لآنا لابد أن نوقع مواجهة الألمان لتفوق الحلفاء الساحق ١٩٣٨ ، سواء واجهوا إنجلترا وفرنسا في البداية ، أو واجهوا تكتلا ضخما يضم روسيا وبولندا . ومع هذا فإنه لم يكن من المنتظر أن تكون الحرب ضد ألمانيا مسألة حينة الشأن ، أو يحقق فيها النصر بسرعة ، بيد أن النتائج لابد أن تكون مستومة ، وأد تنتهي بانتهاء النظام النازي ، بتكاليف أقل فداحة من تكاليف الحرب التي ستشن بعد ذلك في صربسبر .

المراجع

- A. Acland-Holme, *France and the Coming of the Second World War (1936-1939)* 1977.
- U. Bialer, *The Shadow of the Bomber : The Fear of Air Attack and British Politics (1912-1939)* 1980.
- B. Bond, *British Military Policy Between Two World Wars* (1972).
- M. Gilbert and R. Gott, *The Appeasement* 1963.
- H. Goetze (ed.) *European Diplomacy between Two Wars (1919-1939)* 1972.
- M. Knox, *Mussolini Unleashed 1939-1941 : Politics and Strategy in Fascist Italy's Last War* 1982.
- W. N. Medlicott, *British Foreign Policy Since Versailles* 1968.
- W. Murray, *The Change in the European Balance of Power 1938-1939 . The Path to Ruin* (1984).
- G. C. Peden, *British Rearmament and the Treasury 1932-1939*, 1977.
- R. J. Sontag, *A Broken World 1919-1939* (1971).
- A. J. P. Taylor *The Origins of the Second World War* 1966.
- T. Taylor, *Munich The Price of Peace* 1980.
- N. Thompson, *The Anti Appeasement* 1971.
- C. Thomas, *The Approach of War 1938-1939* (1967).
- A. Ulam, *Expansion and Coexistence - The History of Soviet Foreign Policy 1917-1987* (1971).
- G. Weinberg, *The Foreign Policy of Hitler's Germany 1933-1936*, (1970).
- G. Weinberg, *The Foreign Policy of Hitler's Germany, Starting World War II 1937-1939*, (1980).
- R. J. Young, *In Command of France : French Foreign Policy and Military Planning 1933-1940* (1978).

الناتو : التحالف النووي

ميكايل مانديلباوم

انتهت الحرب العالمية الثانية في ابريل ١٩٤٥ • ومات فيها عشرات الآلاف من الجنود والمدنيين • ولم يبق سوى الحلال بعد تجمع الكونغ من لندن والقرى والكتبرى والمزروع في القارة الأوروبية • كما تخطت أيضا لادة الدول الأوروبية الكبرى على التحكم في مستقبلها السياسى • ويمكن مصر أوروبا الآن الى حد كبير معقلا بين الحلال القوتين العظميين والرايتهما: الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى • وبذلك دخلت أوروبا عهدا سياسيا جديدا •

والبيت اول لجنة نووية الملقها الولايات المتحدة على هروشيما في أغسطس ١٩٤٥ دخول العالم برمته عصرا عسكريا جديدا • فمن الآن فصاعدا ، افصح ان الصراع العسكري - مستقبلا - سيجر في الزايله مستوى من الكوار لم يتقبله احد من قبل •

وجد تشكيل منظمة اقليمية شمال الأطلسي ١٤٩٩ بعد اربع سنوات من الضغوط السوفيتية على أوروبا التي تصاعدت عندما حوصرت برلين ١٩٤٨ • ومثل الحلف اعترفت بلندن غرب أوروبا بضعفها وحاجتها الى مساواة الولايات المتحدة ، وبدا التحالف في نكر الولايات المتحدة ممثلا لفضائل عدم هودتها مرة اخرى الى سياسة العزلة عن أوروبا •

وخلال الفترة التي مضت من حياة التحالف ، استمر التفاعل بين الضغوط المتبادل بين الدول السوفيتية والتوتر بين الحلفاء • وشاركت المشكلات المتعلقة بالأسلحة النووية بنود رئيس في دولتين •

International Politics, The Nuclear Revolution
before and after Hiroshima. فلا عن كتاب

الكتاب Michael Mandelbaum (١٩٨١) •

وفي صميم العوامل التي اشعرت الحلفاء في السنوات الباكورة بالألماع
احتلال الولايات المتحدة للأسلحة النووية ، وعلى نهاية الخمسينات ، احتدى
الاتحاد السوفيتي الى الأسلحة النووية والصواريخ العابرة للقارات القادرة
على قتلها . والامر هنا الموقف الشكوك في نفوس اوروبيين حول هل
امسبح بإمكان الولايات المتحدة حمايتهم وتحمل مخاطر هجوم السوفيت
عليهم . وكانت النتيجة الاسمية لهذا الشك هي قرار فرنسا بإنشاء
ترسانة نووية مستقلة عن ترسانة حلفائها، وحاولت الولايات المتحدة تهدئة
هذه الشكوك باتباع وسائل شتى ، كان من بينها مراعاة عملد كبير من
القوات الأمريكية في أوروبا .

وفي وقت الحرب عهنا ، ادى تسليح بلتان الناتو الأوروبية
بالمقومات لصبة المدي الى اثاره تساؤلات جديدة ومخاوف كثيرة . شبح
انه خلال سنوات التوتر والشك ، ظلت هناك حاجة اساسية دفعت أوروبا
القريبة الى المطالبة بالحماية الأمريكية . وساعدت هذه الحاجة وهذا الضعف
الاساسي الأوروبي المودت على جعل التحالف دائما ولكنه منح للطلاب
ايضا .

تحالف الأطلس

المفوض توليد الخير ، الذي يحمي النزاع لحماية الذات . هذا هو
العمليل المبطن الذي يربط بين تكوين النظام الدول ومسلكت الدول من
قديم الازل حتى الآن . ومقدور المنتهين الى أي منظومة أن يعتمدوا على
مواردهم سيما ووجه الحماية . وعندما يؤمن الدول المتنافسة نفسها بالاماع
نهج تنافسي صاغر ، فان عاقبة هذا المسلك هي التسابق على التسليح .
وتسمى كل دولة لمخاطب ود الدول الأخرى أيضا عندما تترفض للتهديد
صعبا ووجه تدعيم ذاتها من طريق التحالفات ، التي تعد شيئا مألوما في
السياسة الدولية كسباق التسليح سواء بسواء .

وفي احدى مسرحيات نوسيديفس عن الحرب الفيلوبونيرية ، اتبعت
التيها واسبرطة خصي السبيل . فبعضها شرطها في الاعتماد للشرب ،
لأنها الى جانب تسليحها لنفسها عمدا الى « التخطيط لايهاذ معوثين
الى ملك الفرس وفجوه من الكلام الباطل في للحصول على دعمهم ، وحاولا
التحالفات معا ودولا صينية أخرى لم تكن قد اسجلت بعد الى أي جانب
من الجانبين . وبمثل مسألة « من » مستطاف مع « من » القسم الأكبر
من الجزء الأول من المسرحية . فليست التحالفات أمرا شائما وحسب ،
ولكنها - عادة وغالبا - تنسب الزيجات المرفقة . ففى سباقات التسليح دبة

أثرت مصالح جماعات وطوائف بالذبح على نوعيات الأسلحة التي تصنع بها الدولة وعلى عدد هذه الأسلحة . وهو أن المصير المصروف لأي سلاح تصنع هو التناقص المترتب على طريقة تكوين النظام الدولي . وبالتالي فإن التحالفات قد ترجح بين دول متقاربة سياسياً أو ثقافياً ، وبمقدورها أن تحرر التزاماتها المتبادلة . غير أن أساس هذه الالتزامات هو الحاجة للحماية التي تنبعث من الطابع الفوضوي للسياسة الدولية . فمع وجود صداقة بين الحليفتين سيكون التحالف أكثر حكمة من حالته عندما يكون قائماً على التناوب بينهما ، وعندما لا يوجد عدد مشترك ، يصبح التحالف هيز ذي موضوع . إن الائتلافين اللذين تصارفا من أجل السيطرة على سفينة وقد التزم تسليهما ليس يحكم أي مبدأ أخلاقي ، أو صلة عنصرية ، ولكن هذا الموقف يرجع بالآخرى إلى أسباب شتى تعزى إلى المصلحة ، أو الاضطرار ، هكذا كتب المؤرخ اليوناني توماسيديمس .

فما هو دور الأسلحة النووية في التحالفات ؟ لأول وهلة يبدو أن مرحلة التاريخ الدولي التي بلغت بنهاية الحرب العالمية الثانية تمثل عسراً عظيماً قائماً على التحالف . فهناك عدد كبير من الدول مساهمة السيادة مثلما كان الحال في أي وقت يهي تكاد تشارك جميعاً في نطاق رحيب مع الانتماءة الدبلوماسية . كتيبسايل أليزابيث الودية بين رؤساء الدول والتصريحات الودية المبررة من الصداقة والوفاء الراسخة التي تحصل تمهيداً في الموقفين عليها بتقديم شتى صنوف التعاون ، وبطبيعة الحال لم يزد عدد الدول ذات السيادة المائة والاثنتين والخمسين التي تملك أسلحة نووية من بينها عن دولتي اثنتين (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي) . ولكن هاتين الدولتين تمسكان بزمام «فرصة» شبكة من الروابط التي تربطها بالبلدان الأخرى . وأكثر حجم الارتباطات التزامات أمنية . ومع هذا فإن بين هذه الارتباطات المصونة ، لا يجمع أن يوصف بالتحالف النووي بمعناه الصحيح غير تحالفين : التحالف الأول وهذا الارتباط بين فرنسا واليابان ، والذي نصبت عليه صاعدة الأمن ١٩٥٠ والتحالف الثاني هو معاهدة منظمة شمال الأطلسي ، التي تربط بين الولايات المتحدة ودول غرب أوروبا وجنوبها .

وأثبتت الارتباطات الأمريكية الدولية الأخرى أنها أوسع من هذين التحالفين . فإبان خمسينات هذا القرن ، وقعت الولايات المتحدة معاهدات صداقة بينها وبين بلدان في جنوب آسيا وجنوب شرق آسيا ، وفي الشرق الأوسط أيضاً . ولم تلزم معاهدة دول جنوب شرق آسيا (١) أو معاهدة

« منظمة القوى الوسطى » (٣) الولايات المتحدة بالضغط من الموقعين على المعاهدة بصفة أكيدة ، مثلما حدث في حالة الناتو ومعاهدة الأمن اليابانية . ولعل هذه المعاهدات الأقل إلزاما لم تكن إلى حد بعيد تمهيدات للمشاركة جنباً إلى جنب في الحرب بقدر كونها محاولات قامت بها الولايات المتحدة لتسبب التفوذ ثمة للمساعدة التي غالباً ما تكون مساعدة عسكرية شعبية نوعاً بما كانت تفعله بريطانيا عندما كانت ترسل عوفاً مالياً وليس حدوداً للقوى الأوربية المتقاتلة في القرن الثامن عشر . ولم تخفم المساعدة العسكرية الأمريكية دأماً غايتها ومقاصدها ، فقلد أرسلت أمريكا دبابات وطائرات للمكسيك باعتبارها عضواً في « ميائو » لموازة القوى يسيها وبين القوة العسكرية لجمهورية الصين الشعبية . ولكن باكستان استحصلت هذه المساعدات ضد العهد التي كانت الولايات المتحدة تحرم - في ذات الوقت - على ودعا ، وتروجها أيضاً بموتة سخية من الأسلحة الأمريكية .

وليسا يتعلق بحلف وارسو ، فإن منظمة العمل العسكري المشترك ، التي تضم الاتحاد السوفيتي وحكومات الدول الشيوعية في أوروبا الشرقية لا يصح أن توصف بأنها تحالف بالمعنى الصحيح ، بمعنى أنه ارتباط طوعي ، لأن عضويته ليست اختيارية . فالقوات السوفيتية ترابط في أوروبا الشرقية ليس فقط لحماية هذه البلدان من الغرب في أغلب الظن . أو حتى آسيا ، وإنما للاطمئنان إلى بقا الأحرار الشيوعية الحاكمة في السلطة . فالملاقة بين الاتحاد السوفيتي والموقعين الآخرين على حلف وارسو أقل تشابهاً مع أي تحالف تمتلك التحالفات التي كونتها ه المدن - الدول في اليونانية قبيل الحرب البلغونية ، وكلها أقرب إلى نظام حكم غير مباشر من قبيل النظام الذي اتبنته بريطانيا في السيطرة على أجزاء من آسيا وأفريقيا في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين . وولع الحكام الوطنيين في فتح الاعتراف بسيادتهم وبعض الامتيازات الفعلية المتصنة بهم السيادة ، وإن كانت السلطة في نهاية الأمر قد ظلت في يد البريطانيين الذين كان يقدورهم دوماً إلزام الحاكم المحلي على الاستجابة لرتباتهم :

فيما معنى إذن تعدد الناتو ، تحالفاً لأوروبا ، وكيف صاعدت الأسلحة النووية على صبغه بصيغة مختلفة عن أحلاف ما قبل ١٩٤٥ ؟ أنها تحالف دفاعي سلس استمر لدهاء ثلاثين سنة ، أي مدة من الزمن أطول من معظم أحلاف الماضي ؟ ففي القرن الثامن عشر مثلاً ، كانت الدول تتحالف من أجل القتال ، وليس لمنع الحروب - وكانت الأحلاف مسائل

عابرة تعتمد مصلحتها عند اختاب الحرب ، وتنتهي - عادة - بمجرد انتهائه
الاقتتال ، وكثيرا ما كانت تعتمد سرا .

ويرجع السبب الاساسى للاختلافات بين ائتلاف ما قبل الثورة
الفرنسية وائتلاف ما بعد هيروشيميا الى تغير طبيعة الحرب ، عند ما نرى
منة ، كانت الحرب امرا عاديا مألوفيا فى السياسة الدولية ، ومواصله
السياسة باتباع وسيلة مختلفة - وان لم تكن مختلفة جذريا - ومنذ
١٩٤٥ ، تغيرت النظرة للحرب ، واصبح ينظر اليها على انها شئ شاذ
قلبيح ، بل ويجب ان لا يضطر اليها احد .

ان هذا التبدل الذى حدث فى صورة القرب الى الطفرة ، فى طابع
الحرب ، استمر - بطبيعة الحال - مع التزايد العلمى للقوة العسكرية
النافعة للثقل منذ القرن الثامن عشر . فبعد ان غلب القتال أكثر اهلاكا ،
ازداد اهتمام الدول بجمع الحروب ، وقل اعتمادها بالقتال فيها ، وتجاوب
حدها تجذب الحرب على الثور هو والائلاف السنية الصورية . أكثر من
تجاوبه هو والترتيبات السرية الاكبر الى الخطوة فى القرن الثامن عشر .
حتى نظر الدولة التى تعرض على الدفاع عن نفسها فحسب ، ولا تفكر
فى مهاجمة الآخرين ، أو لا ترغب فى دخول حرب على الاطلاق ، من المبدء
لها ان تظهر بظهر المعولة القوية قبل لسوب الحرب ، فلما يلينها
ان تكون قوية بمعها .

ولقد تزايدت القوى المظهرية لضعة الأغراض العسكرية لمدة قرنين
أو يزيد ، ومنذ كبح جماح استخدام الطاقة النووية لأغراض الحرب علامة
طريق فى منعطف التوسع العاد المبدء للمنى ، مما يحير تسبته بالثورة ،
ولكنها كانت الثورة الثالثة وليست الثورة الأولى بيد الثورات العسكرية
فى المصور الحديثة ، ومن الناحية المنطقية ، كان المفروض ان تساعد
مخايلات التحالف فى التسويين الأولى . الثورة البابليوية والسرودة
إليكانكية ، على ابعاد التحالفات من الماينات القتالية ، الى غايات دفع
الحرب ، وهذا الرأى صحيح تاريخيا .

وكانت الائلاف بين القوى الكبرى فى أوروبا فى القرن التاسع عشر
تقوم زمنا أطول ، وأكثر جنوسا الى الاستقرار من الحال قبل ١٧٨٩ .
وبطبيعة الحال ، كانت اتفاقية الحلف الأوروبى (*) تسعى لتنظيم المسائل
الدولية عن طريق سلسلة من الاتفاقيات الشافية لتحقيق الأمن . ولم يكن
الغرض منها الميولة دون وقوع الحرب ، وأما فرض الاستقرار الداخلى

في القارة الأوروبية . وكانت اتفاقية التحالف الثلاثي (٣) والتحالف الثلاثي والأحلاف العسكرية بين الدول المشتركة في الحرب ١٩١٤ ، مرتبطة بعضها ببعض أكثر من الأحلاف السالفة . وإن كنا لا تصادف فيها أية اتفاقية نصت بتكاملها الوفيق ، أو يطالبها الدفاعي ، على نحو ما ظهر في اتفاقية الناتو . وبعد ١٩١٨ ، انضم الإنجليز للفرنسيين صراحة في محاولة لفرض التسوية . وكان الفرض الفتي تسمى لتحقيقه مسائل للفرص من الناتو ، يصي ردع ألمانيا أكثر من الردع لردع الاتحاد السوفيتي ، ومساعدت الأسلحة النووية على طبع ، الناتو ، بطابع الحلف الدفاعي السلمي . وعندما اكتسروا على عهد الحلوة ، فانهم صاعقوا على مواصلة اتجاه كان يهيا للظهور منذ عهد الثورة الفرنسية ، وشارك في تحقيقه أيضا الخطوات النووية التفصية في السواحي العسكرية .

ومن الصفات التي عرفت عن الناتو أنه حلف المخصصات . لكنثرا ما تستنفد جلساته في إثارة الأزمات والمساومات والحلفاء كالجدران . والغالب بين الحلفاء من ملاحج جميع الأحلاف . ويرجع ذلك إلى أن الأحلاف علاقات معقدة ، ويتفق الشركاء عادة على أمر مهم واحد ، يصي تهديد من هم ألد أعدائهم وأخطروهم ، ولكنهم لا يتفقون على كل التفاصيل ، ومن هنا وجدت قيد وطبق ، أو يتبادل الحلفاء التهديدات والمهازلات - بلغة السياسة - وكانهم أعداء ، حلفيا يصعب في حالة الحكومة الائتلافية التي تضم أكثر من حزب سياسي في الأنشطة السياسية الميادية . ولقد اختلفت درجة تماسك الحلفاء تبعاً لمدى خطورة التهديد الموجه ، والتماثل بين الحلفاء ، ومدى ما يربط بينهم من مصالح مشتركة . على أنه لا وجود لحلف استبطاع استبعاد الخلافات تماماً ، لكل حليف يساعده على التجرب على تيساره للإتهامات ، على حد قول ونستون تشرشل .

وربما صح القول بأن الحلفاء على استعداد للتضاجع على أي شيء . بيد أن أخطر مصادر الاحتكاك وأكثرها جوهرية وشيوعاً تتركز على ما يعتبر صميم أي حلف ، يسي بالترام الأولية بالتبادل من أجل حليفتهما . إذ يترتب على هذا الالتزام بطرق : فكل شريك في الحلف مبردان محتفظاً لنفسه - المبرر الأول - عدم تعاطية الحلف ، وإستعمال التخلي منه ساعة الحاجة . ولتبرر الأمر - احتسب أن يؤذى الحلف بدوره على حيز وجه . وينتهي الأمر بالوقوع في أحبولة صعب من يحرم المزعوم الخوض فيها .

وقد كان توسيعهم حياً في تحدته من هذين الخوفين .
 فعملنا سمع كوركيرا (*) للحلف هي وإيتيا ، حذر الإيتيين من
 الكورثيين أعداء كوركيرا من مغبة قبول الكورثيين كحلفاء ، لأن هذا
 الحلف سيؤدي إلى الوقوع في فخ : « إنكم ستعمسوا على الاشتراك
 معكم في المسؤولية ، رغم أنكم لم تشاركوا بل في دور في أساليبهم » .
 وكان هذا ما حدث بالضبط : لا سؤل الإيتيون تقييد التزامهم نحو
 كوركيرا ، ولكنهم ألفوا أنفسهم قد دعوا للقتال مع كورثينا ، وفيما بعد ،
 عندما تار الجبل حول المحكمة من غزو عقلية اعترض القائد الإيتي
 تيسياس على نفس هذا الخطر : « عليكم أن تعرفوا أهل إيتيا - بوجه
 خاص بمجرد شروعه في الحرب ضد السليوتيين (*) دون استشارة
 إيتيا ، أنهم سيكونون مستولين بعد ذلك عن الاتفاق على السلام » ، وأردف
 قائلاً : « وفي المستقبل ، فإننا لن نفقد أي حلفاء - مثلاً فعلنا في
 الماضي - مع هذه النوعية من البصر الذين ينظرون مساهمتنا عندما نحل
 بهم أية مصيبة ، ولكنهم لا يفعلون شيئاً عندما نحتاج إلى مساعدتهم » .
 ويعرض لنسب الحرب العالمية الأولى مثلاً أحدث لخطر الوقوع في أحسنة
 التحالف ، عندما زج بريطانيا وألمانيا وروسيا وفرنسا للحرب من أثر
 حشائرات بداهة سلفاؤهم الأقل ولذا :

وإذا كان الوقوع في الفخ دوماً من المفروض الأولية للحرب العالمية
 الأولى في القرن العشرين ، فإن الخطر عن العلفاء يمثل جانباً من تاريخ
 بداية الحرب العالمية الثانية . فلفه حدثت بريطانيا وفرنسا حليفهما
 الأولى تشيكوسلوفاكيا ، وتركتهما تتعرض للتقسيم والتهام ألمانيا لجميع
 أراضيها ، وبالتالي في القرن الخامس ق . م في اليونان ، يروي لنا
 توسيديس أن الكورثيين التمسوا من الأسيرطيبي الوفاء بالتزاماتهم
 والوقوف إلى جانبهم ضد إيتيا : « لقد اضرت سلبيتكم بنا ضراً بالغاً ،
 عليكم أن تقدموا لحلفائكم - وبخاصة بوتيديا - المساعدة التي وعدتم
 بها ، وأعملوا على غزو أيتيا على الفور ، ولا تتركوا أصدقاءكم وأقاربكم
 يتساقطون في أيدي الأعداء اللدودين » .

وتكمن المخاوف العالمية من تغل الحلفاء ، واحتمالات التعرض
 للوقوع في الشرك ، في صميم سياسة التانو ، وبخاصة خلال المستبيلات ،
 وساعدت حقيقة اشتداد حول تلك القوة النووية ضمن التانو ، وتجمع

(*) Corcyra { جزيرة كوركيرا حالياً } من أهم الجزر الإيتية في بحر
 الأيوني .
 (*) Salaminia نسبة إلى مدينة Salamis في اليونان .
 تشير إلى جزيرة حقلية أظهرت بهاها العظمى .

بين القلوة على نشر الأسلحة النووية والتعرض لخطرهما على صبح المخاوف بصيغة المشكلة للمحة . فالحرب النووية مكلفة للغاية ، مما جعل التخلي عن الحلفاء شديد الإغراء . لو عني ذلك تجسب التعرض لهذه الحربة . والواقع في نضها خطر فظيع ، وبخاصة اذا اسحرف وسحول الى صراع نووي . والى جانب التهويل من أخطارها ، فقد أثرت المخاوف الدائمة للطابع النووي لهذا التحالف على نوعين آخرين : الأول - انها قد خضعت للقيود المحدلات حول مبدأ استعمال الأسلحة النووية وبشرها والسيطرة عليها ، والثاني - اتبعت من توزيع قوة الثيران النووية داخل التحالف . فمن الناحية النظرية ، يتوجب على كل حليف أن يضحي التحل عن استعمال السلاح النووي ، والتورط في استعماله . فلما كانت القرسافة النووية لئامتها يرمتها تقريبا تحت سيطرة الأمريكان ، لذا لوحظ بعض علامات الخوف في جانب من الأطلس ، ولم تلحظ في الجانب الآخر . وكذلك الخوف من التخلي من نصيب الأوروبيين الذين تركز قلقهم من احتمال حدوثه ، لما التورط ليمثل من اهتمام الأمريكان الى حد كبير .

من هنا يتضح وجود مؤثر آخر من مؤثرات الأسلحة النووية يمكن ملاحظته في سياسة التحالف الغربي في الستينيات . ولقد تجسبه المشاحنات حول الاستراتيجية النووية من معانوه الأوروبيين من احتمال عدم فاعلية الترتيبات العسكرية السياسية التي يمتثلون عليها لسلامتهم عندما يصبح وقت الجد ، ونجست أيضا من قلق الأمريكان من احتمال تصرف الحلفاء على غير وجهه ، وأما بغير حكمة .

التحالف الهش

استهلكت المائو حملها ١٩٤٩ كيشاق للأمر . ولدعت الولايات المتحدة ضمانات لأوروبا الغربية تشتمل على التمهيد بالدفاع عن هذه البلدان لو اقتضت الضرورة ، وكان هذا إجراء طيبيا ، فأمريكا تتشع بالقوة ، وأوروبا كانت تمر بمرحلة نقاعة بعد تعرضها للهلاك ابان فترة الحرب ومعاناتها من الوباء . وظهر الاتحاد السوفيتي بظهر القوة المهدده للسلام . وبخاصة في أعقاب حصار برلين ١٩٤٨ . وكانت الولايات المتحدة قد ألفت على نسلة بريطانيا وفرنسا مرتين ابان القرن العشرين - فقلنا نذكر أن الحربين العالميتين قد بلغتا أثناء التزام أمريكا بسياسة العزلة . واحتيج الى ثلاث سموات في الحرب العالمية الأولى ، والى سمين في الحرب العالمية الثانية لوصول المساعدة الأمريكية . ولو شبت حرب عالمية ثالثة فلا الأوروبيين لن يتموا يترف الفترة على الانتظار لردع السوفيت . وساعد على الاطمئنان الى مصداقية وعد الأمريكان امتلاكهم للفرسانة ..

النوعية ، فلو اعتدى الاتحاد السوفيتي على أوروبا الغربية ، متروا الولايات المتحدة بالتسل ، بتدميرها بالأسلحة النووية - وصاد الاعتقاد بانضمام للشرق بقدر كبير من العنف والجهالة ، واحتمال أن يوقف السوفيت عند حلهم .

واستمر الأوروبيون يشعرون بالقلق وعدم الاطمئنان الى إمكان الاعتماد على الاتحاد السوفيتي في حمايتهم ، وحشوا أن لا تحول جميع الوجود الوفرة الصادرة من الجانب الآخر من الأطلس دون تدخل الأمريكيان عنهم ساعة الحاجة ، التي يستحيل أن تكون قد بلغت دروتها خلال الحرب الكورية ، عندما خض البريطانيون - بوجه خاص - من تحول الصراع الى صراع نووي . غير أن هذا الاحتمال لم يحدث . وعندما أرسلت الولايات المتحدة مصنع مئات الآلاف للقتال في الحرب الأهلية الدائرة في الهند الصينية ، اعتقد فلانل من الأوروبيين في احتمال قطعهم فيها . ولما أن الحرب النووية العامة - التي تطر على الأوروبيين تصور إمكان تجنب عواقبها - من المحتمل أن تبدأ لا من كوريا أو فيتنام ، ولما من أوروبا ، تأثرا بمشكلة مثل مشكلة برلين - وانتاب الأوروبيون القلق بعد ذلك لا من احتمال تورطهم في آسيا ، ولما من الأحداث الجارية في أوروبا ، وقد صمد (بتضيق المص) جورج ولشعلون في حجة وداعة هذه الفكرة التي شلت تقليفا سياسيا لأمريكا ، وتحولت الى مبدأ من المبادئ الأساسية للدولة الأمريكية . ثم لقد أصبح المحيط الأطلس حاجزا مريضا بين العالم والمحصى حتى في عصر النفاثات .

ومن ثم فبوسعنا القول بأن تاريخ الباتو ضد بدايته كان تاريخ المحاولات الأمريكية لاعادة طمأنة الأوروبيين . وتهدئة مخاوفهم من احتمال التدخل عنهم . وكانت إحدى وسائل طمأنتهم هي تصريح الولايات علنا استعمالها لتقديم هذه الحماية ، وهذا ما فعله كيار للسول في الحكومة الأمريكية مرارا وتكرارا ، فقد صرح جون كيني ١٩٦٠ : « أنا من أهل برلين » . ولعل هذا القول هو أشهر التصريحات الأمريكية المهددة الى الصالح ، وإن حاز القول انه لم يكن التصريح الوحيد . وكانت الطمأنة الأخرى لاعادة الطمأنة هي مراجعة حامية من القوات الأمريكية في أوروبا . واعتقد أن لستها لا ترجع الى كفاءتها القتالية فحسب ، ولما الى تعبها الرمرى عن التواليا الأمريكية التي تمثلها ، وكأنها مثلت دور « الرهينة » لآليات استعمار الأمريكيان للوفاء بالتراماتهم ، فلو اعتدى السوفيت على أوروبا ، مستبدوا الولايات المتحدة بكل ما تملك من حال وعناد وقوة لنجاة

جندوكها ، ونجدة الأوربيين بالتبعية ، أو على الأقل تقدير . زمن المنظور
الأوربي ، فإن وجود القوات الأمريكية تيسر الفرصة التي تمكن الولايات
المتحدة من الاندماج على صد الاعتداء السوفيتي . ومن ثم يكتسب القوات
الأمريكية - والبانو في جعلته - بحق في نظر الأوربيين كأنها قد وضعت
في المكان كسقاطة الأمان (٣) بالنسبة للقوة الحربية المؤثرة الحقة
للمحلفاء على الترساة النووية .

غير أن خضوع هذه التعاليم عن حسن التوايا لم تكف للهدنة المخاوف
بعد التطورات التي حدثت في العقد الثاني من القرن النووي (بعد ١٩٤٥) .
واشتعلت هذه التطورات على اعتداء الاتحاد السوفيتي الى وسيلة لقوم
الهجوم النووي على القوات الأوربية الأمريكية .

واستندت معاهدة ترتيبات الردع العسكرية لسانو في العقد الأول
من وجود التحالف على عدم تطابق وتسمى الولايات المتحدة والاتحاد
السوفيتي . فالولايات المتحدة قادرة على شن هجمات نووية ضد المدن
السوفيتية وللمدن العسكرية من قواعد أوروبا الغربية . وليس لدى
الاتحاد السوفيتي وسيلة لبلوغ الولايات المتحدة ، وتبدل هذا الوضع
بجعل نهاية القرن . وأدى هذا التغير الى الارتياح في إمكان الاعتماد على
الالتزام الأمريكي بحماية أوروبا . لبالرغم من أن الولايات المتحدة في مأمن
من تار السوفيت ، إلا أن مقدار تعرض الولايات المتحدة للخطر سيكون
ضخماً نسبياً إذا حدثت الاتحاد السوفيتي حتى باستعمال الأسلحة
النووية . على أنه عندما أصبح السوفيت قادرين على التهديد باستعمال
القنبلة ضد المدن الأمريكية بدأ وكان التهديد الأمريكي لم يعد يزيد عن
كلام أجوف ، ففي حالة حدوث أي هجوم سوفيتي على أوروبا الغربية على
غيره من الرعب الأمريكي حقا باستعمال القوة النووية ضد الاتحاد
السوفيتي . مع علمهم بما مستعرض له الولايات المتحدة من دمار لو حدث
ذلك ؟ وهل يرضى الأمريكيان حقا بتعرض مدنها للخطر في سبيل حماية
أوروبا ؟ لم يكن من اليسير تصديق ذلك . وشعر الأمريكيان والأوربيون
بالتعاسة من احتمال تصديق السوفيت ذلك .

وساعد نجاح السوفيت في ابتكار قوة ضاربة عابرة للمقارنات على
خلق حاجر . رغم كونه ميكولوجياً في طابعه ، إلا أنه كان أكثر دهرًا من
المحيط الأطلسي الذي يصل أمريكا الشمالية عن أوروبا الغربية . وبدأ
كأنه استطاع القضاء على احتمال انفاذ أمريكا لأوروبا المحاصرة . مثلما حدث
بصفة مؤكدة عندما كتبت اتفاقية الاحتلال العسكري الألماني للراين ١٩٤٦

الى حد الطريق بين فرنسا وحلفائها في أوروبا الشرقية (أعضاء دول التحالف الصغير) واعتقه على نطاق واسع أن القوات غير الثورية للاتحاد السوفيتي والبول الشيوعية الأخرى لأوروبا الشرقية أعظم تفوقا من قوات الناتو . وهكذا سيؤدي اقتحام السوفيت للبحر المتوسط من أوروبا الى مواجهة قوات الناتو - وبخاصة الولايات المتحدة - بالخيار بين الازدلال أو التعرض للهلاك . فلما أن تكبل الهيمنة دون استعمال قوة نووية ، أو تضطر الى استعمال الأسلحة النووية ، وتعرض لخطر السيل المهلك عنه الرد عليها .

وتوافق تطوير القوة الضاربة النووية الجارية للقرارات هو وإزالة الجانب الأكبر من الترسانة الأمريكية النووية من أوروبا ، وما ترتب على ذلك من ضعف ثقة الأوروبيين في شدة الردع وجدواه ، وفي الخمسينيات ، لم يكن بإمكان غير الطائرات والقنوق متوسطة المدى الأمريكية تثبيتها في مواقع داخل حدود البلدان الأوربية المشتركة في الناتو الوصول الى المدن السوفيتية . غير أن الستينيات شهدت ظهور سلاحين بالاستطاعة وضعها خارج القارة ، فقد أصبح سفنود القنوق صوتمان (*) الوصول الى أهداف تقع بين مدينتي مينسك (في روسيا البيضاء) وفلاديفوستك هورتي صيبيريا في بحر دلتان من قلبها من وسط الولايات المتحدة . وترابط القوات حاملة السلاح النووي بولارس في البحر في معظم الوقت ، ولا تحتاج الى أي أرض للرمو عليها . ووجه الأمريكان بإمكان الاستعانة عند الحاجة بهذه الأسلحة في حالة وقوع أي اعتداء على أوروبا . غير أن المنوعان والبولارس قد تكونان بعيدتين عن أوروبا عندما يحدث الاعتداء السوفيتي . وعزز هذا الاعتماد على ميدان المعركة شكوك الأوروبيين في إمكان الاطمئنان الى وصولها .

وأصبح من الميسور التسبب على خير وجه بقدره السوفيت على الحداد بمار نووي بالولايات المتحدة قبل وقوعه . فعلى نهاية ١٩٥٧ ، بدأ وكان حله القدرة قد غلت قائمة ، بدء أن أجرى الاتحاد السوفيتي اختبار القنوق ، بالمشي ، عابر القارات (**). في أغسطس من تلك السنة ، ثم أطلق أول قمر اصطناعي لل دوران حول الأرض (سبوتنيك في أكتوبر) . وعلى حين غرة ، ظهر الاتحاد السوفيتي بمظهر المستطر على الفضاء ، مما سيساعده على قذف الولايات المتحدة ، بيد أنه كانت هناك قسمة من الرمان بين اللحظة التي بدأ فيها واضحا أن الولايات المتحدة قد أصبحت

معرضة للخطر السوفيتي ، وبين المحاولات الجادة التي بطلت لاسكاف التنازير العسكرية الدائر للتغلب على خطر هذا التعرض ، ووقعت هذه الحملة على غاشق ادارة كيندي التي تولت السلطة ١٩٦١ ، وعكفت على حماية الناس من عواقب امداد خطر القوة الضاربة السوفيتية .

وكان الحل الذي ارتأته ادارة كيندي لهم للمشكلة هو تحويل الناس من مجرد سقاية لمان الى قوة ضاربة مؤثرة ، بغزو القوت غير النووية بمعدات تساعدها على صد الهجوم السوفيتي ، وبذلك سيتمكن التحالف من تجنب الاختيار بين الادلل والهلاك في أي قتال غير نووي ، ولم تكن الفكرة جديدة ١٩٦١ . وكل ما صار هو أنها أعلنت للذاكرة القوت الذي ما زال لم يواجه ، والذي تصوره بعض الأمريكيين عن مهمة الناس عمدة المشاة ، وكان الاطلاق في الحصول على قوى قوية غير نووية يكتم القليل في بدايت الخمسينيات لوجود بديل للقوى غير النووية مكافئ للقوى الخاصة بالاتحاد السوفيتي ، يعني الترمالة النووية الأمريكية ، ولكن حدث سنة ١٩٦١ ، أن استطاعت كل من القوت الضاربة للاتحاد السوفيتي والأمريكية الفاء كل منهما للآخرى ، وأصبحت الميزة الحاسمة ميسورة - كما يبدو للطرف الأفضل تجهيرا لأي حرب غير نووية - وأطلق على فكرة الاعداد لحفوت تشابك بين الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو في مستوى من العنف أدى من مستوى الطاقة النووية اسم سياسة الرد للرد (٢) .

وعرض هذه السياسة الأوروبيون ، وابتعثت اعتراضاتهم - جريا - من اعتبارات سياسية داخلية - إذ كانوا لا يرغبون فرض أية ضرائب جديدة ، أو زيادة المجهدين في القوت المسلحة . غير أن اعتراضهم الأساسي انصب على منطق السياسة ذاته ، « فالرد للرد » يجر في ذيله - ضمنا - الاستعداد للقتال في حرب غير نووية في أوروبا ، ولكن الأوروبيون لا يرغبون الاشتراك في القتال في أي حرب أيا كان نوعها ، بعد أن قاموا الأمريين من ويلات الحرب العالمية الثانية ما يكفيهم . بالإضافة الى ذلك ، فبعد ١٩٤٥ ، استمرت سرعة تزايد القوة غير النووية ، وجنحت الثورة النووية الى حجبها ، ولكن الثورة التيكانيكية في العمليات الحربية بعد الحرب العالمية الثانية وضعت تحت ابرة الحكومات مزيدا من القوت العسكرية ، تجاوزت بكثير ما كان لديها من قبل ، بصرف النظر عما حدث من تطور في القوتونات في طريقة الاشمال والانططار . وكان هتلر عندما غزا بعبوشه الاتحاد السوفيتي قد اعتمد اعتمادا كبيرا

على نقص وسائل النقل التي امتثلها نابليون عند زحفه الى موسكو ،
يعنى استمان بالخيول والبغال . واليوم لم يعد هناك خيول أو بغال في
الجبهة الوسطى من أوروبا . فلذا قلنا إن انتشار الثورة النووية في الحرب
وتعريف السوفيت على أسرارها قد حلل سياسة الرد المرن ، تبدو ضرورية
للولايات المتحدة ، فإن امتداد الثورة الميكانيكية أو ثورة النقل الميكانيكي
ووصولها الى القارة الأوروبية قد جعلها تبدو خطيرة في نظر الأوروبيين .

وليس من شك في احتمال تسليح الأوروبيين بأسلحة أقدر على
الحسم ، إذا لم يتيسر وجود أي شكل آخر من أشكال الحماية . غير أن
هناك بديلا للاستعداد للقتال في الحرب غير النووية كوسيلة لحماية
أوروبا ، إنها التهديد بشن حرب نووية . وخشى الأوروبيون أن يؤدي اتباع
سياسة الرد المرن ، الى قطع الطريق أمام هذا التهديد ، فلهذا رسمت
سياسة الرد المرن ، لتزويد الناتو بوسيلة لمن حرب في أوروبا لا يحتمل
أن تتحول بصفة مباشرة الى حرب نووية . وصفي الأوروبيون لتهديدهم
الاطباع بأن التصاعد السريع نحو المستوى النووي قد يتبع أي اعتداء
سوفيتي ، بعد أن اعتقدوا أن هذا الانطباع هو الذي دفع الاتحاد
السوفيتي ، وخشى الأوروبيون أن يؤدي اتباع سياسة الرد المرن ، الى تعرض
مصيرهم لأموال جميع الاحتمالات الممكنة . فيشير هسان نووي أمريكي
راسخ ، ميمسب الردع بالوهن الى حد المرد السوفيت بالهجوم . ومن
التوقع أن تصعب بالفسار والوشية مثل هذه الحرب . حتى إذا خلست
من أي تبادل للطلق النووي ، وحتى إذا ساندت الولايات المتحدة الأوروبيين
مساندة كاملة .

نعم إن ما كان الأوروبيون يعضونه في بواكير الستينيات لم يكن على
وجه الدقة ، تخلي الولايات المتحدة ، بعد أن أمرت عن استعدادها الاسهام
في النهوض بقوى الناتو غير النووية ، والأرجح هو أنهم خشوا من عدم
استعداد قدرة الترسانة النووية الأمريكية على المساعدة النووية للدفاع
عن أوروبا الغربية ، وابتكر مصطلح عسكري (٣) للدلالة على هذه المخاوف ،
ويدل هذا المصطلح على الانفصال بين الأسلحة النووية والأسلحة التقليدية ،
سعيًا وراء تقسيم صرح الحرب والفصل بين أمريكا الشمالية وأوروبا .
وهذا ما كان موضع ارتياب الأوروبيين وسخاوتهم ، وقوعه

وإذا كان الأوروبيون قد خشوا من مفبة اتباع سياسة الرد المرن ،
واحتمال الحاقه الضعف بعمليات الردع ، فإن الأمريكيين اعتقدوا أن

(٣) "Decompling" لم أتفق في اكتشاف مواعيد معين له تلك الفيت بفرجه في
المعيار .

« الرد المرن » وحله كقبول بتوكيد الوثوق في الردع ، ودأرا أن الاستعداد للقتال في حرب من نوع محدد ، يمكن التعرف اليه ، سيساعد الناتو على ردعه . فإذا اقتنع السوفييت بمسلم عقدهم على كسب أي حرب غير نووية ، فإنه من غير المحتمل أن يشنوها . أما لنا وثقوا في احتمال نجاحهم في المستوى غير النووي . فلا يستبعد حينذاك أن يهاجموا على علم تجرؤ الناتو على انتقاد موقفه بالالتجاء الى الوسائل النووية .

ولا يعني عدم استساعة الأوروبيين « الرد المرن » أنهم كانوا يؤثرون تخطيطي قوى الناتو غير النووية التي كانت تحتل مواقفها بالفعل ١٩٦١ . واستند تخطيطهم الى أن يكون هذا الأجراء بمثابة إشارة أو مليميح بنية الأمريكان لتخفيف التزامهم بمعودهم بحر أوروبا . ومن ثم أدركوا الاكتفاء بنفس القوات ، أي ما كان حريا بالفعل في السابق .

وتسبب الاختلاف حول « الرد المرن » في خلق طريق مسعود . إذ بدأ أن تزايد القوة النووية لدى السوفييت مؤثر باحتلال تحظيم ترتيبات حماية أوروبا عن طريق ردع الاعتداء السوفيتي ، وكانت هذه الترتيبات له اقتضت في بواكير الخمسينيات . ولم يد ما قدمه الأمريكان كدفوع لتأييد فكرة الردع المرن مقبولا للأوروبيين ، بيد أن أحد الأوروبيين قسم حالا مختلفا للمشكلة .

التحالف للتشديد

والأوروبي المقصود بالاشارة هو شارل ديغول . إذ جاء رده على تزايد الكوة النووية الضاربة السوفيتية بصمت المدي . والأكثر الذي اعتنقه على نطاق واسع أنه سيشترك على ذلك على ماعلية مباشرة الردع للناتو في الستينيات ، جاء رده بدعوة أعضاء التحالف الأوروبي الى اشداء ترسانة نووية خاصة بهم .

ويتصور الأمريكانون ديغول كآله يمثل في دولها سياسة الناتو دور الشرير أو « الفيلان » . وجسروا الى تصويره شخصية متمجرة مفضلة (يفتح اللام الأولي) يعضى للتعضية بوحدة التحالف في سبيل حله بالمظلة الفرنسية متأثرا من تعرض فرنسا للإدلال في الحرب العالمية الثانية . وهذا أمر مفهوم . ونسى ديغول أن هذه الحرب ، وما جرت في ذيلها قد جعل تحقيق هذه المظلة في غير متناول فرنسا الى أيه الأبد . ولكن ديغول شعورا حقيقيا بمنهم انكبة بالأنجلو مكسون - يقصد الأمريكان والبريطانيين - غير أن متابعيه هو الولايات المتحدة

لا يبدو أنها قد انبثقت من التعمود بالتناظر بينه وبين جلد من اللواحي
له على الجانب المقابل من الأطلس - كما أنها لم تنبثت من اسباب لهم
لحطامات البلدين أو لاصلوب العمل في النظامين السياسيين ، وإن كانت
امارات القوم كانت قائمة يقينا ، وعلى العكس ، فقد كان سر ديجول
للحكومة الأمريكية هو اشتراكه معها في الرأي في اعتبار الردع في
أوروبا بما دفعه إلى استخلاص نتائج مماثلة ، فقلده كان ديجول ، كما يجب
أن لا ننسى ، هو الذي أوضح منطق الاعتقاد على الأسلحة الجوية للأعضاء
الأوروبيين في الناتو ، وهذا ما سبب عدم الارتياح عند الأمريكيين ، مثلما
حدث الأوروبيين في رد فعلهم تجاه مبدأ الرد المرن ، ..

وقبل ديجول التبررات التي استند إليها مبدأ الرد المرن ، وأثر
ما يقال عن أن مصداقية التهديد التي يعتمد عليها أمن أوروبا في حاجة إلى
تعزيز ، ودعوى في شكوكه إلى ما هو أبعد ، فارتأى في قبضة جميع
الأحلاف الشككية ، ورأى أن « التخلي ، أمر طبيعي ، لأن الاحلاف أقبلت
بالرياسات التقليدية ، كما اعتقد ، فإذا فقدت لبيتها التقليدية ، فلن
يستطيع الاعتماد على أي حليف للوثوق ، بالتزاماتها ، بصرف النظر عما يظهر
عليها من مهابة عند التفاوض بها ، فالقول في نظر ديجول لا تعترف
بغير مصلحتها ، ومصلحتها فقط لا غير ، فإذا ناسب مصالح الدولة « أ »
لتقديم العون للدولة « ب » فإن « أ » مستقلة للمساعدة سواء كانت وعدة
شكليا أم لم تقدم ، وإذا لم يناسبها ذلك ، فإن دفعة الارتباطات لن تتسم
بالقوة الكافية للتغلب على دفعة الصالح الذاتي في الاتجاه الآخر .

وبصح هذا الرأي يقينا في حكم ديجول على الناتو ، ففي أغلب
تعرض أمريكا الشمالية لاعتداء نووي من السوفييت ، سينتشر السؤال حول
هل يرضى دعاء أمريكا ترمي بيوروك للخطر في سبيل حماية باريس .
ولم يساور ديجول أي شك بأنهم لن يفعلوا ذلك ، كما أنه في غير
الاستطاعة الوثوق في الاعتماد على رد الاتحاد السوفيتي على هذا السؤال
بالإيجاب ، غير أنه إذا لم تستعمل الولايات المتحدة الأسلحة النووية
للدفاع عن أوروبا ، فإن الأوروبيين سيسمضونها يقينا ، وسيعتقد السوفييت
بالتأكيد أن الأوروبيين سيسمضونها ، ومن ثم يكون التسليح النووي -
على المستوى القومي - جرسانة هذه الأسلحة من مسؤوليات الردع .

وبينما أرادت الولايات المتحدة الاكتفاء بمرکز واحد للتحكم لتهديد
الحالات التي تستوجب الخيار النووي ، اقترح ديجول مضاعفة هذه
المراكز ، على أن يكون لكل منها نفس الخيار ، وثيما لذلك تراس ديجول
أول مؤسسة لترسامة النووية في فرنسا ، ويرجع أصل انشائها إلى
١٩٦٠ ، أي السنة التي جرى فيها الاختيار النووي الفرنسي الأول .

وحتى إذا اعتبرنا بمفهوم الأسلحة النووية عن تحقيق الحماية في لحظة الخطر الداهم ، فإن فوائدنا لا تكثر ، ولقد قدر ديجول ذلك ورأى أنها تضفي أهمية على من يملكها ، أي « توفر مقعدا على رأس المائدة الدبلوماسية » ، على حد تعبير الإنجليز ، وهو ما كان يشتهي ديجول لفرنسا إذ بدت الترساة النووية المستقلة - حتى في حالتها المتواضعة - رهرا ووسيلة تخر في ذيلها طاقة كبيرة من الامتيازات ، فلا تنسى أن أهم امتياز أساسي للدولة هو تسيدها على مصيرها ، ولما يتعلق بالأوروبيين في العصر النووي ، كما اعتقد ديجول ، فليس هناك من وسيلة غير حيادية الأسلحة النووية لتأمين هذا الامتياز .

وكان ديجول أشد انصرافا منطلق القوة النووية القومية المستقلة تمليها ، وأكثرهم جهرا بهذا الرأي ، غير أن هذا الرأي كان أبعد ما يكون عن الفكرة المستوحاة عليه ، إذ شارك فرنسيون آخرون في ذلك ، لذلك ، لذلك سبق برنارد جيليهنغ الذي التزم الفرنسي ديجول في الظهور ، واستمر بالقيام بهمة إنهاء رئاسته ، وبانقضاء الستين انضم لتأييد مبدأ القوة العنصرية (٣) للمستقلة آخرون من مختلف الأحزاب السياسية في فرنسا .

ولم يكن البريطانيون يبدون من التماثل على نظرة ديجول ، وكانوا يتهايمون بالارتياح حول إمكان الاعتماد على أمريكا عندما كان الرئيس الفرنسي ينادي برأيه ، وكانوا يفضلون استرضاء الأمريكان في ذات الوقت الذي يجد فيه ديجول الشجعان مهم . وعلى الرغم من وجود اختلاف بينهما في الأسلوب ، إلا أن البريطانيين توافرت لهم قوة ضاربة نووية صلبة ملكا لهم ، ولم تختلف دولهم في الحرس عليها عن دفاع ديجول .

وكما أسباب تبين لماذا كان من المحتمل أن تؤيد الحكومة الأمريكية ما وآم ديجول ، وسياسته النووية - فقد ساعد حصول الأوروبيين على قوى نووية مستقلة على توليد جملة آراء - إذ كانت تبشر بريادة القوة العسكرية للشأن . يضي الفأية الأساسية التي تطرأ على كل غاية عند أي حلف - ولعلها كانت مستطع من محبة حماية أوروبا سيكلوجيا وعسكريا - ولم يكتف الأمريكان عن استحثاث الأوروبيين على زيادة الاسهام في دفاعات التحالف - وتسد من القنومات التي تسهم في تحقيق الوحدة الأوروبية ، التي كانت هدفها مؤكدا لأمريكا منه تقديم الأزل - إذ كان من المتشوق أن يكون تكديس الأوروبيين لمتاحهم النووي خطوة في سبيل تحقيق أشكال أخرى من التكامل السياسي .

ويعم هذا فإن ما حدث كان العكس . إذ كانت الحكومة الأمريكية ، معارضة ، من تحت تحت « اساء قوى نووية أوربية مستقلة » ، ولحق لقبه . كانت الكلمة التي استعملها الأمريكان لوصف انتشار الأسلحة النووية من الكلمات التي تستعمل عادة عند الحديث عن انتشار الأمراض أو الأوبئة ، وهي كلمة « تفشى » التي صورت تشخيص الولايات المتحدة لهذه الظاهرة . ولقد كبت الأمريكان معارضةهم رغم المزاي المحملة لتوافر الترسنات النووية على المستوى القومى ، حتى عندما بدأ واضحا أنه اتباع هذه السياسة سيساعد على اتساع تصدع التحالف . وأدى الاستنكار الأمريكى « للتفشى » إلى استفحال الخلاف مع فرنسا ، ورفض الولايات المتحدة تقديم المساعدة النووية حتى عندما أوضح ديغول أنه سيواصل السير فى برنامجيه لصنع الأسلحة النووية بغير انتظار للمساعدة . وأدى الملعب الأمريكى إلى الحساد العلاقة مع البريطانيين أيضا ، وبلغت أدنى مستوياتها عندما قررت إدارة كينيلى إلغاء إنتاج صاروخ « سكاي بولت » الذى كان البريطانيون يأملون أنه يساعده على إطالة ديمومة استعمال قاذفات قنابلهم المسلحة بالقنبلة ، وكان الملف المعلن لذلك هذا الانتاج التصادى ، ولكن حقيقة اسهام الصاروخ فى الحفاظ على الترساة النووية لبلد آخر برزت الاعتقاد بتفضيل الاعتبارات الاقتصادية على عامل التضامن بين الدولتين المتحالفتين .

واعترضت الحكومة الأمريكية على وجود قوى نووية أوربية مستقلة ، وولت عدم ضرورتها أكثره بالقوة الضاربة الأمريكية الفادرة على تحقيق أهدافه الثانوى ، بالإضافة إلى معارضة الفكرة متفجرة بعدم كفاءة هذه القوى . إذا وجدت منفصلة كل منها عن الأخرى ، لأنها لن تكون قادرة على هذه الحالة على أحداث تفجير اكيد ، وهذا شرط أساسى فى نظر الأمريكان حتى تتحقق لها الفائدة الاستراتيجية . لما ما يقدمه القوة المؤلفة من مئات الصواريخ عابرة القارات « القنصة » المنتشرة فى شتى الأنحاء وعشرات الصواريخ المجهزة بالطاقة النووية كالتى تملكها الولايات المتحدة طبعه لن يتسنى لأى بلد أوربى تحمل ثقلاته ومستلزماته .

ورأى الأمريكان أن الأمر لا يقتصر على عدم ضرورة الترساة الأوربية النووية وعدم كفايتها ، فمثل وجودها يمثل أثرا استفزازيا خطيرا . إذ يصعب مع مملكتها معرضا لأخطار الاتحاد السوفيتى إلى حد ما ، لأن تجميع القوة النووية السوفيتية ستتخذ السفارة فى أولويات أهدافه السوفيت .

وكان باستطاعة الأوربيين الرد على هذا الاعتراض (وقد رد الفرنسيون بالقفل) بالقول بأن القوى النووية المستقلة ليست كما دلت التنبؤات حديثة المبالغة ، أو الاختيار الأسوأ ، كما تزعم الاعتراضات الأمريكية .

أجل ليس من السهل الاعتماد على الكفاية الاستراتيجية ، بلقاء للتجريف
الاستراتيجي التي لها ، معنى القنوة على التوسع المؤكد - وبخاصة ليله
لا تملك مولود صانعة للولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتي - كما أن
القوة الضاربة ، القادرة على البقاء ، لا تتجاوز تطوراً كاملاً ما يستطيع
الأوروبيون تحقيقه . فيمروا الزمان ، سيكون يومهم أن يأملوا في صنع
عدد كاف من الصواريخ ، ولها تصنف بقوة حركتها أو سهولة إحداثها ،
أو تركيبها على النواصات لتفادي مبالغتها بضرية بحكم الترابها من
السوفيت ، وذلك ميتسنى الوثوق من الرد بنفس السلاح على ما سيوجه
لها من اعتداء نووي .

وكان جيمسور الأوريجي الرد على مراحم الأمريكيين بالقول بأسا اما
افترضنا أن الترسامة المورية الصغيرة لا توفر الأمان بصفة مطلقة والاطمئنان
الى علم تمسرها بمسد تعرضها لضربة قاضية ، الا أنها قادرة
على تجنب مالكتها الهجوم الوقتي عليه في حالة الحرب - فلو لم يكن
البلد الأوربي متأكدا من قدرته على ضرب موسكو بعد أي اعتداء سوفيتي ،
فإن الروس بالكل لى يكونوا موقنين باحتمال حدوث ذلك أو علم حدوثه ،
نم أن باستدانة حبة صغيرة من الفنايل الإيدروجينية - وربما واحدة
فقط - أن تدفق دمارا بماصمة السوفيت يفوق الدمار الذي حاول نابليون
أو هتلر إحاقه بها - ونضلا عن ذلك - فلما كان الأثر الرادع يتوقف
- من جانب - على أصرار مالك القنلة على استعمالها ، فإن القوى النووية
القومية عندما تتوافر على المستوى القومي ستكون أقدح تأثيرا ، لأن فرنسا
ستكون بلا جدال أكثر استعدادا للرد باستعمال السلاح النووي على أي
هجوم على فرنسا من استعداد الولايات المتحدة لذلك .

وبعض النظر من أوجه نفس الترسامة النووية القومية ، فإنها تبهر
- يقينا - أفضل من لا شيء بالنسبة لأي بلد أوربي من بلدان الناتو .
ولقد زعم ديجول على أية حال بأنه لا بدليل للقوة الضاربة المستقلة مهما
كانت درجة تعرضها للمطر . وإذا نظرا على ما تحققة أية ترسامة نووية
ملوكة لاسدي بلدان لحرب أوروبا من حماية بالمقاربة بمخزوني الصواريخ
التي تملكه لأمريكا فإنه سيبدو أشبه بأحدى لوراق شجرة التين بالمقارنة
بدرع من الصلب ، غير أنه عندما تحدث الحركة فقد لا يكون درع الصلب
ميسورا - في نظر ديجول - وقد لا يتيسر في حالة البلدان الأوربية
الأخرى ، لأنه لا يصح القول بأن ورقة التين ستكون أفضل من العري
الكامل .

ويقبح ، الخوف من التورط ، في صميم معارضة الأمريكيين للتغطية
النوية في نطاق الناتو . ولم يخصص الأمريكيون على هذا الخوف في كلمات

كبيرة ، لأن الانقراض عنه قد يمارس هو والديولوجية ، ولا ينظر عن خطورة . وربما الوعى باحتمال نزوح حلفاء الناتو الى اتفيلد مصلحا منهور . وهناك احتمال بتفسيره على أنه يتضمن أخطر ما يخشاه الأمريكيون : يعنى وجود حروب يوشعون فى خوضها ، وتحتج الولايات المتحدة تقاضى الخوض فيها ، ومن ثم فقد انشأ الأمريكان الى أخطار تقضى الأسلحة النووية تلميحا فقالوا انها تؤدى الى ترعرع الاستقرار ، لو قد تعقد السياسة الدولية باقحام اجراء غير مرغوب لأن : نتيجته غير ميقون منها . فى الحسابات القومية .

وكانت هناك أسباب عامة تفسر لماذا يتراجع من وره : تقضى الأسلحة النووية ، تبين قورط الولايات المتحدة ، فعمل الترسانات النووية الصغيرة أهداف مصرية للهجمات السوفيتية بتكم اقتربا من أهدافها . وإذا حدثت إحدى الأزمات ، فقد يهاجم الاتحاد السوفيتى الترسانات الأوربية النووية اعتمادا على وثوقه من امكان القضاء عليها . وعلى نظري ذلك ، لو تعلق الأمر بأية قوة أمريكية أكبر ولقل عرضة للمخطر ، لمينا التزم السوفيت الحد فى مسلحهم معها . لم يكن حدثا او مجموعة من الأحداث بالذات هى التى ألفت الحكومة الأمريكية فى بلدانته الستينيات بقدر الاقلاق من احتمال قصور استكمال الأسلحة النووية القديمة الفاعلية سواء استعملت على المستوى الدولى أو المستوى القومى . وهذا لها التنازل لاحتشام الدول الكبرى الأخرى المائلة للسلاح النووى مسألة مثيرة للقلق ، لأن أى تغير فى الموقف النووى الراسخ ، لن تكون له نتائج مأمونة المواقف . وما جعل تقضى الأسلحة النووية يبدو أمرا عظيما الخطر ، هو تلمز التنبؤ الفوقى بمواقفه . ومن المحتمل أن تكون تكاليف الحرب النووية باهظة ، بحيث تفلح بلدا ما الى المعاصرة يأتى اجراء تحول دون اقتربها ، وفى البيئة النووية ، يبدو التحكم عظيم الأهمية ويساعد انتشار القدرة النووية فى البلدان الأخرى على العمل المستقل ، وبذلك تضعف السيطرة الأمريكية . والمظاهر لى كراهية تقضى الأسلحة النووية تذكرنا بحكاية الرمان التى رواها الفيلسوف الفرنسى سكال عندما قال : « انه لن يغمر شيئا وسيكسب كل شيء إذا اعتقد فى وجود الله ، ولطه لى يحجم أى ضرر من حموت لردياك فى عهد الدول التى تملك الأسلحة النووية . غير أن الضرر إذا حدث . فإنه لا يستبعد أن يستند على نطاق واسع بحيث تمتد أى محاولات موجهة لتجديد عهد لى يملكونها عملا له جا يبروه »

ولقد وصفت الولايات المتحدة التهديد بتفشي الأسلحة النووية
بالمشكلة غير المحدودة المواقف للبلاد (٣) ، أي التي لا يمكن التنبؤ بإمادها
وعواقبها ، ويرجع المصطلح بأشكال الاستناد إلى عدد من يمكنها عند
تحديد درجة التعرض للنظر استنادا إلى ما يملكه أي بلد من أسلحة
نووية ، والأهم من ذلك هو ما يحدث إذا امتلكت دولة نووية حديثة
هذه الأسلحة بغض النظر عن مقومات هذه الدولة ، على أن هناك دولة
باللات تطلق الأمريكان صفة خاصة ، أنها جمهورية ألمانيا الاتحادية
(ألمانيا الكبرى الآن بعد اختفاء ألمانيا الشرقية ١٩٩٠) - فيوصلها أكبر
عنصر لا نووي في الناتو وأكثر البلدان تعرضا مباشرة لحظر الاتحاد
السوفييتي ، فقد كان المفروض أن تكون المرشح المنطقي للحدود جنو
بريطانيا وفرنسا في اقتناء الأسلحة النووية ، غير أن تسليح ألمانيا
بالصلاح النووي لم يكن من التوقعات المولفة ، فما زالت ذكريات الرايخ
الثالث عالة في الأذهان ، ولم يتوطد اسم الجمهورية الألمانية الاتحادية
حتى الآن كدولة مسالمة مسئولة وديموقراطية في الأسرة الدولية (٤) .

إن ألمانيا إذا تسلمت بالصلاح النووي - خصوصا إذا استقلت عن
عصبة الناتو - ستكون مصدر التناقض لا حل له ، إذا تمنا في نتائجها .
وليس أقل هذه الجوانب اثلافا الأثر المحتمل لهذه الخطوة على الاتحاد
السوفييتي ، فتمتدحت تقسيم ألمانيا ، وتقسيم أوروبا - تبعاً لذلك -
أصبحت هذه القضية من حقائق الحياة الدولية ، مما دفع الاتحاد السوفييتي
إلى اعتبار مسألة حرمان ألمانيا الغربية من التسليح النووي مبدأ أساسيا
في السياسة الخارجية ، فمما أدى اعتداء المائتين فظيما في القرن
المشرين (الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية) إلى زيادة حساسية
الاتحاد السوفييتي إلى حد الرعب من القوة العسكرية لألمانيا ، ورفضت
الولايات المتحدة تأييد البرنامج الفرنسي لتسليح النووي في جوانب ليست
بالقليلة خفية أن يطالب الألمان بالمعاملة بالمثل ، أن مطلب الألمان النزود
برماسة نووية ، وما سيترب عليه من تفشي نووي في أوروبا من الأمور
غير المقبولة عند الولايات المتحدة كوسائل لتعزيز الردع مثلاً -
« الرد الحزني » غير مقبول لدى الأوروبيين ، ومن ثم فعل الرغم من اتفاق
الطرفين حول هذه المشكلة إلا أن كلا منهما لم يصفق على العمل المقبل
عند الطرف الآخر .

التحالف الستريم

ما أشبه السياسة النووية للنازو في الستينات ، إذا تأملنا ما من منظورنا الآن بمشكلة يتم فصل ثالث ، ولقد قضت إحدى الالتزامات من أثر المحاور التي انتهت الولايات المتحدة بعد تزايد القنوة النووية للاتحاد السوفيتي على ضربها من مبدأ التحلل ، مما أثار التساؤل حول مصداقية سياسة الردع في أوروبا ، وانتظت الصدف جولة حلول ، ولم يوضع أي حل منها موضع التجربة الكاملة ، ولم يلق الحل الذي يرى اتساع مبدأ الرد المزدوج ، ولا الحل الذي يسمح بتفشي الأسلحة النووية قبولا كاملا عند المستويين على جانبي الأطلسي ، واعتبر الأوربيون ، الرد الرق ، دعوة للتحلل من نوع خاص اختاروا له مصطلحا (م) وشعر الأمريكيان بالقلق لاحتمال أن يؤدي الحل الآخر إلى ترويضهم في مثل هذه الحرب .

ولغى من القول أن الأوربيين قبلوا مبدأ الرد المزدوج ١٩٦٧ ، ولكن حل نحو اشعر الأمريكيان بأن هذا الحل قد مسه الطريق أمام الهدف الأمريكي الذي كان وراء الاقتراح في نظام الأول ، واتفق الطرفان من حيث المبدأ على اتساع المصالح ، للسياسة ، ولكنهما اختلفا حول كفاية التكون غير النووية المبرجوة في أوروبا للمنهوش بتبليده - وبدلا من تزويد الميدان بقوات وديابات وطائرات إضافية ، فانهم دعوا بفتح اسم للامانة المؤكدة لمن كانوا هناك بالمثل .

وتمة تاريخ عقد وراء الحل الأوربي للمسألة التي حلقتها القوة الاستراتيجية السوفيتية للنازو (القوى النووية القومية) ، وإن كان هذا الحل لم يطبق بالمثل تطبيقا كاملا ، ولكنه اقترحت الولايات المتحدة مشروعا يعرف باسم القوة المتعددة المهام (م) للاشتراك في السيطرة على بعض الأسلحة النووية ، ولقيت هذه الفكرة انتباها جديا ابتداء من ١٩٦٣ ، ولتضمن الفكرة تزويد الفواصل للبولاريس بأظم بحارة متعددة الجنسيات ، وتصور الأمريكيان هذا الحل كثنائي الحلول المفضلة للحاسنة لمشكلات النانو ، ولم يكن الأمريكيون ميالين للتساؤل عن أي قدر من السيطرة على أي سلاح من الأسلحة النووية ، فلا حضوا أن تترتب مزة سياسية في التحالف على وقفهم القيام بذلك ، فربما أدى ذلك إلى ظهور ترسانة نووية ألمانية - وكان واضحا المقترح للمسار إليه من الأمريكيان فاضحين فيما يتعلق بالتساؤل الحاصل من حوة من يبدأ

بالتحليل فتبل القوة النورية للتواصل ، وانحرفا وفي أواخر ١٩٦٤ ، رفض
الرئيس جونسون المشروع بالفعل ،

ولم يقتصر الأمر على عدم حل المشكلات التي خلقتها القوة النووية
السوفيتية حلا واضحا في الستينات ، فلقد حاولت هذه المشكلات
الظهور في مظهر آخر في السبعينات . وثار الاحتدام داخل الحلف حول
الميزة التي اكتسبتها السوفيت في القوة الاستراتيجية طويلة المدى ، والتي
تتألف من أسلحة نووية تحتل قواعد في أوروبا الغربية قادرة على إصابة
أهداف داخل الاتحاد السوفيتي وهذه الأسلحة السوفيتية الموجهة ضد
أوروبا الغربية ، والتي أطلق على قراراتها التسمية اسم « التوازن الأوربي
الاستراتيجي » (*) وردد الخلاف الأوربي حول هذه المشكلة ، خاصة
الخلاف حول سياسة « الرد المرن » في سنوات حكم كينيدي ، وعلى الرغم
من الفروق بين القوتين موضع البحث ، إلا أن المشكلة الأساسية كانت
واجدة ، وهي احتياجات الردع . فلقد راودت الولايات المتحدة المخاوف
عيتها من احتمال أن يؤدي الحل المحفوظ في توازن القوى غير النووية ،
والتي لا تحتمل في عصر المسرات الماضية - يعني احتمال تحقيق الاتحاد
السوفيسر الكسب بأن تتشابك هي وأعضاؤها في هذا المستوى . وبذلك
تملهم الناتو على قبول أحد شرين : فاما قبول الهزيمة ، أو يصعد الصراع
الى مستوى الحرب النووية عبر القارات ، وما يترتب عليه من تعرض
الولايات المتحدة للملف النووي ، وآخر الرد الأمريكي لشعر قوات
استعراضية بعيدة المدى يمكن أن تقلل بلوت الاتحاد السوفيتي . وفي
ديسمبر ١٩٧٩ ، اقترح الناتو على قبول هذا الرأي .

وكما حدث في حالة « الرد المرن » فلقد أثار هذا المشروع
الجديد (*) مخاوف الأوربيين ، ولا ترجع المخاوف هذه المرة الى الفصل
بين الأسلحة النووية وغير النووية ، ولكن المخوف تركز على الأسلحة
الاستراتيجية الإستراتيجية طويلة المدى . فكما جلت في الحالة الأولى ،
أوصى المشروع الأجنبي بتقسيم مسرح الحرب الى قسمين : أحدهما للولايات
المتحدة ، والآخر لأوروبا . وخشى الأوربيون أن يؤدي ذلك الى إضعاف
الردع بالنشيك في استخدام الولايات المتحدة لتركيز كل قواها للدفاع
عن أوروبا ، وغير من ذلك وزير الخارجية الفرنسي صراحة بقوله :
« إن الاتحاد المعتمد على تصور التوازن الاستراتيجي الأوربي يجب أن
ذيله مقولة : « أن ما يترتب على الاتجاه المعتمد على شعور التوازن

الاستراتيجي الأوربي - ضمنا - هو وجود توازن مستقل للقوات النووية يضمن المرح الأوربي منفصلا عن عناصر الردع الأخرى ، ويؤدي ذلك الى حدوث حالة "تعاون على وجه النفاة" تفاديا - وبصورة أخرى ، ان هذا الاسراء يستلزم هو والاعتراف بأن القوة الاستراتيجية المتركزة للولايات المتحدة لا تغطي أوروبا الغربية .

ويمكن ان توصف السنوات التي أعقبت امتداد مبدأ (٣٦) ١٩٦٤ بأنها تعاضدت وأهداف الثنائ ، فلما تركنا جانباً التساؤل عن طريقة الرد على التهديد النووي السوفيتي للولايات المتحدة ، منرى النزوع المفاجيء للخلاف حول سلسلة كبيرة من المشكلات - فقلد احتلت المسائل الاقتصادية مكانا بيواد مسائل الأمن ، وتضامير الشركة في حلف الأطلسي حول سياسات التجارة والنقد وتوازن المدفوعات ، ولحت الولايات المتحدة في بعض المواضيع الى اعتماد استمرار التامين النووي الأمريكي لأوروبا على التفاضلات الاقتصادية من قبل الأوروبيين ، ونسبت الخلافات السياسية أيضا في تصديق العلاقات - فلم تثر الحروب الأمريكية في فيتنام الا القليل من الحساسية ، وقررت حرب الشرق الأوسط ربما حالاً أخطر - إذ اكتشف شركة الحلف انهم يشلون معسكرين متعارضين - فقلد دخلت مخوف الأوروبيين من انصاع ما يحصلون عليه من بثرون من الدول العربية في الخليج الفارسي الى إصدار بيانات متعاطلة مع العرب ، ورفضوا الى حد كبير مساعدة الولايات المتحدة على محاولة تأييد إسرائيل ، وكرد عليها بما تحتاج اليه ، بينما الكفالك مستخدم الأوامر .

وفي ١٩٨٠ ، اكتشفت الحلف مرة أخرى حدوث انقسام في صفوفه ، مركز هذه المرة على طريقة الرد على اختصار التخصيبات الدبلوماسية الأمريكية لرهائن بايرل ، وأيضاً حول الغزو السوفيتي لأفغانستان ، وآثرت الولايات المتحدة ان يتم الرد في الحالتين بالشدة - وأعرب الأوروبيون عن قلقهم من التباعد عن حكومة طهران وحكومة موسكو - ويرجع الخلاف - من ناحية - الى تضارب المصالح الذي ابتل به جميع أعضاء الحلف - إذ كانت المصاطرة الاقتصادية والمنازع الاقتصادية التي يجنيها الأوروبيون من رفع التوتر مع الاتحاد السوفيتي أعظم مما يسود على الأمريكان ، ومن لم فاهم سيكونون الأكثر خسارة من

تدهور العلاقات من هاتين اليلتين . وجاء أخيراً تدهور داخل صقوف الحلف في السنوات التي أعقبت انتهائه الصراع على « م-ل-ف » و « الرد المرء » ، ليس بين الولايات المتحدة والفرنسيين ، وإنما بين دولتين من الدول الأوروبية الأعضاء في الناتو : اليونان وتركيا حول نظام الحكم في جزيرة قبرص مما عجل بانضمام اليونان من الاشتراك الفعال في الناتو .

غير أنه رغم عدم حل المشكلات القديمة حلاً قاطعاً ، وظهور معضلات جديدة ، إلا أن الناتو ظل محتفظاً خلال السبعينات نوعاً بـ « بصره الأصلي » . وهذا كله الأمر غير متوقع تماماً في بداية « الستينات » ، ثم اتضح أن الأوضاع الراهنة داخل الحلف المستندة على الضمان الأمريكي الدوري لم تعد محتملة ، وأن التفسير قد أصبح ضرورة لا مئاض من أجرائها ، ولما كان العنوان السوفيتي قد بدأ لهم البديل الأكيد ، لذا نظر إلى « الرد المرء » والفرصات النووية القوية كضرورة للأمريكان في المقام الأول والفرنسيين في المقام الثاني . ثم تبعت أنه هذين الاجراءين لضرورة لهما ، لعلنا حدث هذا ؟

لقد ثار الجدل حول حل تعد الحلول المقترحة لمشكلة قسمة السوفيت الهجومية التي طرحها الولايات المتحدة أمام الناتو ولم توضع موضع التجربة - على الأقل وجه من أغلب الظن - كما كان أنصارها يأملون ، ولكنها جريت بالقدر الذي دفع الاقتصاد السوفيتي للتخبط - إذ كان الانهيار الأوروبي على ميساة الرد المرء - من حيث المبدأ - مثار جدل ، أكثر من كونه متلوة للتلاعب بالمخاطر والكلمات ، ودعى أن القوى غير النووية للناتو وحلف وارسو كانت أكثر توازناً ١٩٦٧ مما كانت عليه سنة ١٩٦١ ، ولا يرجع ذلك إلى العنصر الذي حشدتها الأمريكان والفرنسيون الغربيون من القوات الأكثر عدداً ، وإنما يرجع إلى تزايد دقة تقديرهم لأعداد القوات المادية لهم ، فكلما ازدادت الثقة الإحداث تضائل الأعداد المقدرة - وظهر فيما بعد عند مراجعة ما حدث أن الغرب إبان الخمسينيات كان يعتمد المسألة في تفسير عدد قواته ، وفي ١٩٦٧ ، اعتمد الأوروبيون إلى الاعتقاد بأن حيازة الناتو لسياسة الرد المرء طيلة هذه المئة لم تكن لصالحهم تماماً ، وعلى أية حال ، لقد أسهم هذا القول بالنقطة نوعاً .

أما فيما يتعلق بالحل الأوروبي المفضل ، يسعى إنشاء قوات نووية قومية فقد كان باستطاعة الفرنسيين الرعم بأنهم استطاعوا وضع هذا الحل موضع التجربة عندما شرعوا في التزود بقوة نووية ضاربة - وفي

١٩٧٩ ، توافقتم لهم أربع خواصات تحيل كل منها ستة عشر صابوفا ،
 وتمابة عتر صابوفا متوسط للذي وبالفايس الأمريكية والصوفيتية ،
 تعد هذه القوة هيئة الشفق ، وان كان بصعود الفرنسيين المحاجة والزعم
 بأنها تبعا لحايرهم الرعية تعد كالية ، والقوة الفرنسية رغم ما تحققة لها
 هذه الخواصات من حماية قد لا تكون متينة بصفة مطلقة من قوتها على
 قدر من الدمار للاتحاد السوفيتي اذا شن هجوم من النوع الذي عرفه
 الأمريكيان بأمة غرقى الحوادث كشرط للدفع ، غير انه لا يستمد من
 يحدث تسببا كبيرا في حالة الالتجاء اليه ، فلذا لم يتسن لك الاجهاز
 عليه ، فلا اقل ، من أن تترك أحد ذراعي الناب ، كرد على الهجوم
 السوفيتي ، ويرى الفرنسيون أن هذا القدر من التهديد مستعصوب .

وليس عند الألمان أسلحة نووية ، ولا حتى أية سيطرة على جزء من
 الترسانة النووية التي خطرت بهال ، م.ل.ف.ه ، ووضعت تحت تصرف
 الرئيس الأمريكي ، ولهم لا يرغبون أن تمس لمابهم فتيل لتسبيل أية
 معدة نووية ، وربما كان أقصى ما يسمونه هو التيقن من عدم الاكتفاء
 باقتصا لهم الى دور المتفرجين في الحلف ، بلا رأى فيما يتقرر من سياسات ،
 وقد لاحظ أحد دارس سياسة السانو أن كلمة « كونترول » في الانجليزية
 تحي الاستحواذ المادي ، أما الكلمة الفرنسية المرادفة فتعمل على التخطيط
 والسيطرة السياسية ، وربما كان ما يريد الألمان هو الظهور الثاني ،
 وليس الأول ، ولقد اعتمد مجلسا التخطيط النووي للحلف ، والذي
 ظهر للوجود اثر مباشرة من الولايات المتحدة بمسد العمل عن فكرة
 المشاركة .

بيد أنه ليس من يبي هذه التفسيرات المتعلقة باستمرار هذه الثالو
 في شكله الأصل ، أي تفسير مقبول ، لذا واعينا ما ساد من نزاع في
 بداية الستينات ، فلما تمت لوزات الثالو حائلة أفضل منه الاتحاد السوفيتي
 أو أوروبا الشرقية بعد انتهاء الستينات ، فإن الحكومة الأمريكية لم تفسر
 الية بأي ميل حتى لو صنفها بالصفة ، أو ما هو أكثر من ذلك ، ولم يكن
 لدى الألمان أيضا أي شعور باللفة في إمكان نهوض الترسانة النووية
 الفرنسية - مهما كانت قوتها - بصايتهم ، فلذا سلمنا بعدم احتمال أن
 تقاطر نيويورك في صيبل اتحاد باريس ، فهل هناك ما يندفع الفرنسيين
 لتسريع باريس للخطر لاتقاد هاسوج ؟ ، وأدى منطق النظرة الفرنسية
 في الردع الى ظهور ترسانة نووية ألمانية قوية .

ويقابل زعماء الحكومتين الأمريكية والسوفيتية بين اللجنة
 -الأخرى ، ونوصلت الدولتان الى اتفاقات لا بأس بها لتحد من التسلح

الكوروى • كمبادرة اليه من اجراء التجارب ١٩٦٢ ومساعدة اليه من
تقني الإستلجة النووية ١٩٦٦ ، ومساعدة التبادل الاستراتيجي للسلطة
١٩٧٢ و ١٩٧٩ • وتبلغ سبل من المبادلات العلمية والثقافية • وفي
أوروبا ، توطدت مكانة ألمانيا بعد توقيع سلسلة من الاطلاقيات ١٩٦٩ ،
وعندما عقد بهلنسى مؤتمر الأمن أو التوافق في أوروبا ١٩٧٥ ، انتهى
الامر بمقدار معاهدة للسلام في أوروبا تأخرت عن موعدها ثلاثين سنة •
اذ كان للفروض ان توقع فور انتهاء الحرب العالمية الثانية •

ويحرقه أمن الدولة على اركان ثلاثة : أولا - قدراتها ولبات
الأخريين ، ثانيا - قوتها العسكرية ، ثالثا - متجزاتها الدبلوماسية ،
ويصح القول بان الناتو ركزت على الركن الثاني أكثر من تركيزها على
الركن الأول • غير ان هذا التفسير لا يعد كافيا تماما ، لانه عكس الترتيب
الصحيح للحقائق • اذ يعتبر • الانفراج السياسي • (م) وقصص العلاقات
السياسية بين الناتو وحلف وادسو قومة لاستقرار الأوضاع العالمية •
أكثر من كونه سببا من الأسباب • فبعد ان شمر الألمان والأوروبيون
والأمريكان بالأمان ، لم يعد هناك حائل يحول دون سعيهم للتوافق مع
البلدان الشيوعية •

ولعل السلام قد ساد أوروبا لأنه لم يجر في خلد السوفيت لعل
الاعتماد عليه ، وان كان من غير المقنن معرفة نوايا السوفيت خلال
الحرب الباردة ما لم يوجد دليل قاطع على ذلك • ومن الصحيح بقينا ان
حكومة السوفيت قد اطلقت في السنوات التالية مباشرة للحرب
بمصليات تصير بلادها ، واحكام ليجتها على أوروبا الشرقية ، ومن الصحيح
أيضا انه لو قدر حدوث غزو لأوروبا الغربية ، فان الكتلة السوفيتية كانت
ستكتسب صعوبة ابتلاعها وحضمها • كما انه يفر بعض الكواجب
العسكرية ، منجسب تشيول كلفته تلك السوفيتية سيهتفون الى طريقة ما
لقرى مفرهم ، بل وسيطرتهم على دول الناتو • ان هذه الناحية - بوجه
خاص - من الملامح للثورة في السياسة الدولية ، وتمثل الأسلوب الذي
اعتادت القوى العظمى اتباعه • • ولعل من بين قواعد العلاقات الدولية
كراهية المبداء الكبرى وجود أي فراغ في القوة • ولا أعنى بذلك القول انه
لم توجد ميول جديدة عند السوفيت للغزو أو حتى للاستعباد السياسي
لأوروبا الغربية ، أو منافستها نفس المسألة التي عولمت بها فنلند •
ومبادرة أخرى ، فانه في حالة غياب أي شكل من أشكال الردع •
لن يستبعد ظهور مثل هذا الميل •

ومن المبررات القاطنة الدلالة التي تفسر لماذا حافظت تحالف الإقليم على سلامته رغم الاقتتاع بنسب امكان حدوث ذلك ، ان بدائله ليست بسيطة تماما عن استهواء الأعضاء ، فلقد أيد الأوروبيون سياسة ترويد قوى الحلف غير النووية ببعض التوافيق الجبرية ، وان كانوا قد رفضوا تأييده سياسة الرد المرن ، واعترض الأمريكيان على وجود قوى نووية قومية ، كعدا أن الاعتماد الأشد متواجا عن الاشتراك في ترتيبات الحلف قد اتضع أنها أقل جدوى ، فلم يظهر عند الأوروبيين أى ميسل لتحويل من الكتلة الأمريكية الى الكتلة السوفيتية ، ولم يكن بمقدورهم توقع انعقاد موقف مائع بين الكتلتين ، وتجنب الوقوع في برائن الفقد السوفيتي ، ودون أن تتوافر لهم قوى عسكرية لها وزنها ، كان باستطاعتهم انشاءها بوسع أية قوة عسكرية اوروبية متفردة الحسيات الحصول على ما يلزمها من مال وصينه مالى اكبر ومن تكنولوجيا اعظم ما تهيأ الولايات المتحدة او الاتحاد السوفيتي ، غير أن مثل هذه القوة ، وبخاصة اذا زعمنا أنها ستكون نووية ربما انارت ضات المشكلة التي انارها م.ل.م. يعني مشكلة من يشعل الفئتين ، ولقد يؤدى استبعاد الولايات المتحدة الى تصحيد حل هذه المشكلة ، ولابد من وجود وكالة تركز عليها هذه القوة الأوروبية الكبرى ، ومن ثم منجذب أن يكون الصلاخا مسبوقا بقلبي اجرامات الوضعية السياسية ، ولعلنا نذكر أن منذ ١٩٤٦ كانت الوحدة الأوروبية عيبا وأهلا بظهور من حين لآخر ، وتحتها ثم تكن خليفة وكالة ، فالتد ، فتمسك ، الأوروبيون بالولايات المتحدة ، استنفا الى مبررات سليمة وأجسا الى مبررات غير سليمة ، وفي فوكانت كتمسك برفوات الانفراج ، مبررا رجح ذلك الى عدم وجود بديل آخر يستلهم .

وتتطلب حركات جديرة لفتك في نظام جداول المنة . فكله اخل
التداول الكملارة . كما يلح التويات المنة كلفه مؤثر بريرة توتز
١٩٩٤ . ففما كالت تلتاب المنة فوفا النوية التي جاء الفو في
اعاها . وأى فو اقتصاديات البندان الأخرى والفريق الاقتصادي الذي
خل بامريكا أن تزعزع كية الدور بالنسبة لعلات الشرق ما دعا ال
التكبر إلى استحداث عدل للنظام التدي . وأنت جميع التحول
البديلة المنة كستحق الفد والمنة الأوربية لأوامة وجود قيوب
مصبب لها . ومن ثم ظل التداول في صورة التواصية بتورا للنظام
التدي باعتبارها العامة الأساسية للاحتياطي الدول . وأثر سبل التعامل
شمعية في السوق الدولية .

ولابد من التاكيد مرة أخرى أن علم وجودة بديل جليل للتسافر لا يسهل تقصيرا مقبولا لاستمراره يقاله ، فلم تصبح الحرب المالية الالمانية في

إطالة خطوة الرجعة في الاستقلال القومي في أوروبا الغربية - ولو اقتضت
 هذه الدول بأن سلاطينها وتكاملها السياسي مضمحلان على حطب البانو
 لا كان من المستبعد أن يضحوا في سبيل ذلك بإنشاء ترسانة نووية
 تضم جميع الدول الأوروبية ، أمر إنشاء عدة مرسلات نووية منفصلة ،
 أو انقسام قوة غير نووية للحلف ، ولكنهم لم يرضوا ذلك - فلماذا
 لم يقترع الوضع الراهن (*) في أوروبا ؟ لا يخفى أنه لا يوجد رد واحد لهذا
 السؤال ، وإن كان هناك سبب واحد ، وهو استمرار إقامة ترتيبات الردع
 المبدئية للناظر ضد السوفييت التي اتبعت خلال الستينات والصبعينات .

ولقد تحولت أومنا برلين وكوبا على التوالي ودر نصيب الناتو .
 فبعدما حدثت حادثة الأربانت ، تصاعد احساس أوروبا الغربية بالخطر .
 ولم يعمل وجود القوة النووية الأمريكية دون تحدى السوفييت للحلف في
 عقر داره ، أى في قلب أوروبا ، أو تحديهم لأمريكا عندما كانوا يرايطون
 على بعد مائة كيلو متر من سواحل الولايات المتحدة ، على أن تحدى
 السوفييت رد على اعتقابه في الحالين . فطلت برلين مدينة حرة وسط
 مجال النفوذ السوفييتي ، وأزيلت الصواريخ متوسطة المدى المقامة في
 كوبا ، والتي كانت قادرة على حمل رؤوس نووية لضرب أهداف في
 الولايات المتحدة - وهي كلا الحالين ، هدعت الولايات المتحدة صراحة
 بالانتجاء إلى القوة النووية، غير أن الأزميتين، ثم حلها لصالح الوضع الراهن .
 الذي كانت الولايات المتحدة تسمى للحفاظ عليه . ولم يقب هذين
 الحادثين أزمات صائفة في خطورتها .

وتزدودنا حتى سياسة ديجول الخارجية بما يؤيد الظن بأن قدرة
 الناتو على الردع قد ظلت قوية ، وإن كانت - في الحق - ناحية الردع
 القوي قد بدت ثانوية الأهمية في سياسته الخارجية ، التي جعلت
 الأولوية لتأكيد استقلال فرنسا ، وتنظيم نفوذها في الصالح ، وكان
 باستطاعة ديجول اعتبار السياسة النووية مسألة نووية لأنه كان دائما
 من قدرة الترتيبات النووية للحلف على ردع الاتحاد السوفييتي ، بالترغم
 من نزوحه للترتيب في حله الترتيبات كمبرو لإنشاء برنامج فرنسي
 للسلاح النووي . ولعل ما دفعه للاستحاب - بشكلها - من الحلف هو
 إدراكه أنه سيظل يتمتع بحماية هذه الترتيبات .

وبمقدار تصدى الناتو لقدرة الاتحاد السوفييتي على شن هجمات
 نووية على الولايات المتحدة ، أثبت الأوروبي والأمريكان أنهم أصابوا

ـ جرئيا - كما أخطأوا جزئيا . فقه أصابات الولايات المتحدة عندما طلت
أُن الأسلحة النووية الخاضعة للأمريكان وحطم تكفى ، ولكنها أسطبت
عندما أصرت على الاعتقاد بضرورة القوات الدفاعية الأكثر تنوعا . ولقد
أصاب الأوروبيون عندما اعتقدوا أن الأسلحة النووية وحدها متدفع
السوفيت ، ولكنهم أخطأوا عندما رأوا وصحها تحت وصاية الأوروبيين
وتحت إمرة الأمريكان أيضا .

وقد اثبتت الأيام صحة هذا الاعتقاد ، وإن كانت هذه المسألة
تحتل المجادلة ، لأن القوة النووية غير العادية قد أسهبت أى انغراء
بالهجوم الذى ربما شجع عليه عدم التيقن من رد الأمريكان عليه بالمثل ،
فلم يكن الأوروبيون والقي من احتمال تدمير ميونيخ للخطر فى سبيل
حماية باريس ، وإن كان السوفيت لم يتمكنوا من التأكيد من أنهم لن يفعلوا
ذلك . لقد أدت القوة النووية الى حمل اللائحة حجة للاجتماع ، على حد
قول المفكر الروسى ريمون آرون . عندما يعبر أى شخص عن قياس المعادل
المتعلق لقوة مسبقة فى الناحية الزمنية سيحدث انغراء بالمعاصرة ، التى
تتمتع بميزة عدم إمكان التكهّن بوقوعها . والآن وبعد أن أصبح عدم
الإمكان التكهّن يمر فى ديله القصر الملك لمشترى الملايين ، لذا اضطر
أحدهم الرعب ، ولما بالمسيرة الى التريث ومراعاة الخطر قبل الاقدام على
خطوة من هذا القبيل . وكما يرى أحد الباحثين فى السياسة الأوروبية من
أهالي الحرب ، وإن ما ترتب على ذلك هو أنه ربما التفتت الملتهب
المتجالية للغة القومية ، التى رأها الضراء ضرورية ، كما أن مستويات
القوة والقدرة على استغلالها قد صبحت عادة من المستوى الذى يفسر
لأى تصور ، غير أنه الروس قد اتبعوا أبهم أكثر تبصرا وتمبرا فى كتابهم
لكواين النقص فى المخططات الحربية للتحلف . ويمنى تصديق السوفيتين
على صياغة النحر انحصار المبرهنة المناوئة (أ) على الخطأ ، ولكنه لم يفسد
وزن الدلائل البريطانى المناوئة : نيسى حيل الى أن يردع العدو يمكن أن
يتحقق إذا كان احتمال النجاح ١/٢ فى حالة الرد عليه يستحق الأسلحة
النووية ، وإن كان هذا رأى قد لا يقطع أى صديق ، وتفسر ملحوظة الودير
جانا كثيرا من غريغ حلف الأطلس .

إن هذا يقتضى الى أثر تأثير للأسلحة النووية على الأحلاف فلما كانت
الأسلحة النووية الأمريكية قد أغلقت فى ردد الاتحاد السوفيتى ، فانها
يسرت لنضبط الأصل للماور البقاء . وأدى ذلك الى فتح الموار النووية
للموافقة للاستقلال فى المجال النووية . وربما لن تحتلف العلاقات بين

جاءني الأطلسي (بين دول أوروبا الغربية وأمريكا) في كل القومعات اختلافا كبيرا عن التمسكي الذي كانت تستخدمه لو أنه لم توجد أسلحة نووية ولا يستبعد في مثل هذا الاحتمال أن تظل الولايات المتحدة والسوفييت يستمان بتفوقهما في القوة على أية دولة أوروبا بغيرهما ، وأن يستمر السوفييت في اعتراضها على توحيد ألمانيا ، ولعلهم لن يرضوا عن أي اتحاد أثنى من أي لون سياسي. أما الولايات المتحدة ، فإنها لن تقبل أبدا وجود ألمانيا حاضنة للسوفييت . ويبدو لنا جميع الصعوف من أحمل الحرب الباردة ، عندما نتأمل الآن أمرا محسوسا ، ولعل أوروبا الغربية كانت صعبة - يفينا - من وراء هذا الحشد الارتباط بالولايات المتحدة من أجل الأمن ، سواء تحقق ذلك عن طريق الترسنة النووية أو بدونها ، وبعبارة أخرى ، كان لا مناص من اعتماد الأوروبيين على الولايات المتحدة لحمايتهم ، وبخاصة في الحقبة الباكزة التالية للحرب . وربما لم يتخذ اعتمادهم نفس الصورة -

ويعرض النظام القوي الدولي أيضا مثلا شبيها لنا دلالة . ففي نهاية الحرب العالمية الثانية ، تعرضت اقتصاديات المئمان الأوروبية للحروب ، ولم يقتصر الأمر على نفوق الدولار . إذ كانت السياسة الاقتصادية الأمريكية تتحكم في السياسة الاقتصادية للدول الأوروبية ، ولما استرد الأوروبيون عاليهم ، وانتشروا اقتصادهم ، حصلوا على قدر من الاستقلال الاقتصادي . وليس بين هذه الدول مكافئ من الناحية الاقتصادية ، ولا وجود لهديل للدولار . واستمرت الولايات المتحدة أقوى بلد ينفرد بالرائد في سياسة الاقتصاد القوي . بيد أن الأوروبيين واليابانيين قد أصبحوا يسمون بقدر من النفوذ الاقتصادي ، وحدث تحول ملحوظ في التوازن والتأثير والمبادأة في العلاقة الاقتصادية بين أوروبا وأمريكا أثناء السنوات الثلاثين الماضية . وفيما يتعلق بالأمن ، فلقد استطاعت الأسلحة النووية ترسيخ التوازن بين أوروبا وأمريكا الذي كان مختلا ١٩٨٠ . ملما كان ١٩٤٩ .

ويتساوى القول بأنه ملال مختلفا مع القول بحدوث انقلاب في الأوضاع على نحو عجيب ، إذ كان توزيع القوى النووية داخل الناتو عند انشائه نتيجة للضعف الأوروبي . وأصبح الآن نتيجة لهذا الضعف ، ففي البداية . لم يكن ينفذ الأوروبيون إنشاء ترسانة نووية اعتمادا على أنفسهم . والآن لم تعد لديهم الرغبة في ذلك ، بيد أن تقاضت شدة الاحتياج لردع النووي . وفي ١٩٤٩ ، نهضت الولايات المتحدة بهمة التأمين ضد الهجمات النووية . لأن أوروبا كانت ضعيفة . أما الآن فلقد أصبح الأوروبيون ضعفاء لاعتمادهم على التأمين النووي لأمريكا .

المراجع

- C. D. Black and G. Duffy eds, *International Arms Control Issues and Agreements* (1985)
- E. Bottomore, *The Balance of Terror : Nuclear Weapons and the Illusion of Security (1945-1985)*. 1986.
- G. Brewer and M. Shubik, *The War Game : A Critique of Military Problem Solving* 1979.
- L. T. Caldwell and W. Diebold Jr. *Soviet American Relation in the 1980's - Superpower Politics and East-West Trade* 1980.
- A. W. Deporto, *Europe between the Superpowers : The Enduring Balance* (1979).
- D. Holloway, *The Soviet Union and the Arms Race* (1985).
- W. W. Kuhki DeGaulle and the world The Foreign Policy of the French Republic (1968).
- M. Mandelbaum, *The Nuclear Future*, 1983.
- L. Martin ed. *Strategic Thought in the Nuclear Age* 1979.
- S. B. Miller, *Strategy and Nuclear Deterrence* (1984).

المصنفون في هذه السلسلة

أعلام الإعلام وقصص أخرى	برتراند رسل
الالكترونيات والعجبة الطبية	ي . و . راجونسكي
نقطة مقابل نقطة	الاسي عكسلي
الجغرافيا في مائة عام	ت . و . فريمان
الثقافة والمجتمع	رايموند ويلبر
تاريخ العلم والتكنولوجيا (٢ ج)	ر . ج . موريس
الأرض الشاهقة	ليسترديل راي
الرواية الانجليزية	ولتر الزن
المشهد في فن المسرح	لويس غارلس
آلة عصر	فرانمو دوجس
الانسان المصري على الشاشة	د . قدرى حسي وآخرين
القاهرة مدينة الف ليلة وليلة	لويج فولكف
الهوية القومية في السينما المصرية	عائش النحاس
مجموعات التقود	ديك وليام ماكغوال
الموسيقى - تعبير نفسي - ومنطق	عزيز الشوان
عصر الرواية - مقال في النوع الأدبي	د . محسن جاسم الموسوي
ديلان توماس	لشرف س . بي . كوكس
الانسان ذلك الانسان الفريد	جون كريس
الرواية الحديثة	بول ويست
طرح لثغرى العصر	د . عبد الحفيظ حمزة
على حدود طب	أنور المصطفى
القوة النسبية للأمر	بيل شوك ادوين
فن الترجمة	د . هبة خلوصي
توكيمستري	رالف بي مانلو
مستقبل	ليكنود بيرد
رسائل واحاديث من خلفي	ليكنود هوجو
الجزء والكل (محاضرات في فلسفة لغوي)	ليكنود هوجو
التران القاطن موكس وكوكسيون	جيمس موك
فن الأدب الروائي عند توكستوي	ف . ع . أدنيكوف
أدب الأطفال	عادي لسان اليحيى
أحمد حسن الزيات	د . فحة رحيم الزيات
أعلام العرب في الكيمياء	د . فاضل أحمد الطائي

فونسيمن فرجون	فكرة المسرح
هارى باربوس	القصص
السيد عليوة	صنع القرار السياسي
جاكوب برونوفسكى	التطور الحضارى للانسان
د. روجر ستروجان	هل نستطيع تعليم الاخلاق للأطفال ؟
كالى ثير	تربية النواجن
د. سيمس	التوتى وعظلم فى عصر القديرة
د. ناعوم ييترويليش	النحل والطب
جوريف تاهوسى	سبع معارك خاصة فى العمود الوسطى
د. لينوار تشامبرزرايت	سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الى
د. جون شندلر	عصر ١٨٣٠ - ١٩١٤
بيير ألبيج	كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة
الدكتور فبريال وهبه	الصحة
	الر الكوميديا الالهية كمانى فى الفن
	التشكيل
	الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية
د. رمسيس عوفى	وبعد
د. محمد نصمان جلال	حركة علم الانبياء فى عالم متغير
ارانتكلين ل. باربر	الفكر الأوروبى الحديث (١ ج)
	الفن التشكيل المعاصر فى الوطن العربى
	١٩٨٨ - ١٩٨٥
لوكت لريبيس	التنشئة الأسرية والأبناء الصغار
د. محيى الدين أحمد جصين	نظريات الفيلم الكبرى
تأليف : ج. غ. دافلى الكندى	مقارنات من الأدب القصصى
جوزيف كيورا	العبية فى الكون. كيف نشأت وأين توجد ؟
د. طائفة من العلماء الأمريكين	حرب الفضاء
د. صيد أسعد عيه الزوف	دائرة الصراعات الدولية
د. السيد عليوة	البيكرومبيوترو
د. مصطفى عتاني	مقارنات من الأدب اليابسى
صبرى الفضل	تاريخ ملكية الأراضي فى مصر الحديثة
جابريل باير	اعلام الفلسفة السيمية المعاصرة
اتلوى دى كوسينى	كتابة السناريو للسينما
وكييت مينوج	الزمن وقبسه
لويت سوين	أجهزة تكيف الهواء
زاتيلسكى د. من	
ليراهيم القرضاوى	

الثقافة الاجتماعية والانضباط الإجتماعي

سبعة مؤرخين في العصور الوسطى

التجربة اليونانية

مراكز الصناعة في مصر الإسلامية

العلم والمطالعة والمنازل

الشارع المصري والفكر

حوار حول التنمية الاقتصادية

تسيب الكيمياء

العادات والتقاليد المصرية

التلوي السينمائي

التخطيط السياحي

اليدور الكويتية

دراما الشاشة (٢ ج)

الهرمين والايدي

صور المربية

نهيي محفوظ على الشاشة

الكمبيوتر في مجالات الحياة

تطورات حقائق اجتماعية ونفسية

وظائف الأعضاء من الكف الى اليد

الهندسة الوراثية

-

كتب غيرت الفكر الانساني

الفلسفة وفضايا العصر (٣ ج)

الفكر التاريخي عند الاغريق

فضايا وملاح الفن التشكيلي

التنمية في البلدان النامية

بداية بلا نهاية

الحرف والصناعات في مصر الإسلامية

للكسون

حوار حول التخطيط الرئيسي

بيتر ودائ

جوزيف داموس

م - م بوزا

د - عاصم محمد رزق

رونالد د - سميرسون

و فورمان د - أندرسون

د - أنور عبد الملك

والت روستي

فريد - م - هيس

جون بوكهارت

الين كاسبيار

سامي عبد الحملي

فريد هويل

شاندرا ويكراما ماسينج

حسن حلمي المهندس

دوى روبرتسون

مروكاس ماكليتوك

هاشم النصار

د - محمود سري طه

بيتر لوري

بوريس فيدوروفيتش سيرجيف

ويليام بينر

ديفيد ألوتون

أحمد محمد الشوانى

جمعة : جون ر - بورد

رمايون جولمينجر

أرنولد توينيس

ن - صالح رضا

م - د - كنج وآخرون

جوزج جاعوف

د - السيد طه أبو مديرة

جاليجر جالييه

الارهاب	أريك هوريس • آلان هو
اختاتون	مسيريل النريد
القبيلة الثالثة عشرة	آرثر كيستلر
التوافق النفسي	توماس • هاريس
الدليل البليوجرافي	مجموعة من الباحثين
لغة الصورة	روي آرمر
الثورة الإصلاحية في اليابان	تاجاي متشيو
العالم الثالث لما	بول هاريسون
الانقراض الكبير	ميكايل ألي • جيمس لفلو
تاريخ النقود	فيكتور مورجان
التحليل والتوزيع الأورستول	أحمد محمد كمال اسماعيل
الشهنة (٢ ج)	الفرنسي الطوسي
الحياة الكريمة (٢ ج)	بيرنود بوندر
كتابة التاريخ في عصر ق ١٩٠	جاك كرامين جونيور
أيام الدولة عثمانية	محمد فؤاد • كوبرلي
العثمانيون في أوروبا	بول كوف
مكتوبات من الآداب الاسبوية	اختيار وأعداد صبري الفضل
التمثيل للسينما والتلفزيون	توني يار
ملفوظ الطر	نادين جورديس وآخرون
صناع الخلود	هوريس بيرنول
دليل تنظيم التحالف	آدامز فيليب
كتب غيرت الفكر الانساني (٣ ج)	أحمد السنواني
العمل الصليبية لكل	جوناثان ريلي سميت
رواد الفلسفة الحديثة	ريتشارد شاميه
جماليات فن الاخرج	ريجنولت هينر
الكنائس النبطية (٢ ج)	الفريد • ج • بلفر
ترانيم زرادشت	أعداد • ه • فيليب صلي
الثقافة السيماني الأخرى	أدوارد مري
الاتصال والهيمنة الثقافية	هربرت شيلز
رحلات فارتيجا	الحاج يونس المصري
التاريخ من شتي جوانبه ٣ ج	مكيلن أومنت
عصر الرومانية	لغتالي لويس
السينما العربية	أعداد • موني برانج
السينما الخيالية	بيتر نيكولان

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٨٩٦/١٩٩٤

ISBN — 977 — 01 — ٣٦٦٤ — ٥١٩

صورة الغلاف تمثل تشامبرلين رئيس وزارة إنجلترا عند استقباله لزعهاء ألمانيا النازية وتصوره أنه قد نجح في تحقيق السلام وإبعاد شبح الحرب التي اشتعلت بعد شهرز قليلة من تاريخ هذه الصورة.



صورة ظهر الغلاف تمثل القطار الشهير الذي وقعت فيه ألمانيا والحلفاء على معاهدة فرساي. وقد أصغر هتلر عندما احتل باريس على توقيع فرنسا على استسلامها في نفس هذا القطار.

هذا هو الجزء الثالث من كتاب التاريخ من شتى جوانبه ومن الموضوعات التي يتناولها

المواجهة السلطوية والديبلوماسية في القرن العشرين

كيف ظهر تالية شخصية ستالين

الناتو .. التحالف .. التوى

اضطرابات عمال بتروجراد في الحرب العالمية الأولى

